كتاب فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ع ٢١

حس



I

كتاب فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ٥

مختصر من تواريخ قاضي قضاة الحنفية بدر الدين محمود العيني الحنفي ٥

وما ذيل في تواريخ الامير يوسف بن الامير تغري بردي الاتابكي ٥

تخصه تلميذ المصنف محمد بن محمد بن محمد بن بهادر المومني كاتبه سبع وسبعين وثمانمائة

ذكر القاضي العيني في تاريخه في اوله ومن مواضع لمن عمدة ما ينقله في تاريخه من تاريخ الحافظ

عماد الدين اسمعيل بن كثير صاحب التاريخ المشهور وذكر غيره ايضا من تاريخ الامير

بيبرس الدوادار ومن تاريخ القاضي شهاب الدين النويري ومن تاريخ اليوسفي

ومن تاريخ بدر الدين بن حبيب ومن تاريخ الامير صارم الدين ابرهيم بن دقماق

ومن تاريخ القاضي ناصر الدين بن الفرات ومن تاريخ القاضي شهاب الدين بن حجي وغيرهم

الحمد لله كتب هذا التاريخ برسم الخزانة الكريمة العالية لمولانا المقر الاشرف الكريم العالي المولوي الاميري العضدي الاميني العالمي الفاضلي السيفي يعقوب شاه امير مهمندار المالكي الملكي الاشرفي اعز الله تعالى انصاره وختم بالصالحات اعماله امين

لله تاريخ له رونق ٥ كرونق الحباب في عقدها
كادت تواريخ الورى عنده ٥ تموت للخجلة في جلدها

مجالس مومن ٥ تحمل عني الكلفا
باني اذا جالسني ٥ بالكبرا والخلفا
اراه لي في خلوتي ٥ عن كل خل خلفا

يا حسنها نسخة بالهو مطالعها ٥ لما قد حوت من جوامع الكلم
صحت وقد لطفت اجزاوها فحكت ٥ لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومجموع كنظم الدر عقدا ٥ على تفضيله الاجماع يعقد
نطالع كل معنى فيه حسنا ٥ فمجموعا نراه وهو مفرد

ديار مصر هي الدنيا وساكنها ٥ هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي بغداد ودجلتها ٥ مصر مقدمة والشرح للنيل

قلت وجمع فضله ٥ حاز جميل كل فن ٥
يا مفردا في حسنه ٥ انك مجموع حسن ٥

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن
الحمد لله الذي قهر العباد بالموت ۝ ونادى بالفنا في فنا كل حي فلم يخل احد من فوت
نحمده على نعمه التي جعلت بصايرنا تجول في مرآة العبر ۝ وتقف بمشاهدة الآثار
على احوال من عبر ۝ ونعلم بمن تقدم ان من تاخر يشاركه في العدم ۝ وان الله له البقا
السرمد بالقدم ۝ ونصلي على نبينا وسيدنا محمد الذي نصره الله بالرعب مسيرة شهر
وانزل عليه وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ۝ وعلى آله وصحبه الذين نشرت على
اقطار الدنيا اعلام نصرهم للدين القيم على القوم اللد ۝ **وبعد**
فلما كانت هذه الامة المرحومة خير امة اخرجت للناس ۝ واشرف ملة
شهد بفضلها النص والقياس علماوها كانبيا بني اسرايل ۝ وملوكها دونت
اخبارهم لعظمها ليكون لغيرهم عليها التعويل ۝ وامراوها كملوك فارس في
التنويه والتنويل ۝ كم فيهم من فرد جمع المفاخر ۝ وكاثرت مناقبه الاوايل
والاواخر ۝ وكم فيهم من ملك كحلت مراود رماحه عيون النجوم ۝ وتوصل
حصونا لم يكن للكواكب فيها ولوج ولا لطيف العدى هجوم ۝ وضم عسكره
المجرور كل فتح اصبح العدو به وهو مجزوم ۝ الى غير ذلك من الفضايل المدونة
في التواريخ والرسايل ۝ جمع المورخون اخبار ۝ تلك الاخيار ۝ ونظموا
سلوك تلك الملوك ۝ في اكثر من الف تاريخ فان النفس تتروح الى مطالعة
اخبار المتقدمين ۝ ومنازعة احوال الماضين ۝ اذ هو فن لا يمل لان المطلع
على اخبارهم ووقايعهم وماثرهم ومناقبهم ۝ يستفيد حزما وعزما وهمة
في المعتركات تذهب همها ۝ وثباتا من زلل وهنا ووهما ۝ وحيلا بالتجارب
تنال للاعادي من مكامن المكايد ۝ وسبلا للفتوحات والحروب والمصايد
وسيرة الابطال والشجعان ۝ والفرسان في طول الزمان ۝ وصبرا يبعثه
التاسي بمن مضى ۝ واحتسابا يوجب الرضا بما مر وحلى من القضا ۝ وكلا نقص
عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك ۝ فاما التواريخ للدول المتقدمة فكثيرة
وما بقي الا معرفة تواريخ ملوك هذا الزمان المتاخر الى اواخر المايه التاسعة المباركة
وخصوصا البلاد المشهورة المعمورة ۝ وقل من جمع لذلك تاريخا فيقول ملخصه
وهذا تاريخ لملوك الترك بالديار المصرية في مدة ثلثماية سنة وثلاثين سنة
المتاخرة مقتصر على مدة سلطنة الدولتين الاكراد والاتراك الى اواخر
المايه التاسعة فعدة الاكراد عشرة ملوك ومدتهم قريب المايه سنة
وعدة مماليكهم الترك المتملكين مصر بعدهم اثنان واربعون سلطانا ومدتهم
مايتا سنة وثلاثون سنة الى وقت جمع هذا التاريخ في حدود الثمانين والثمانماية
في اثنا دولة مولانا السلطان الاعظم المالك الملك الاشرف ابي النصر قايتباي
سلطان

...مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدين

سلطان الاقليمين وصاحب البرين والبحرين والمخصوص بخدمة الحرمين الشريفين
اعز الله تعالى نصره وخلد ملكه وثبت قواعد دولته وزاد في ادامة الامن لرعيته
ما ابرك طلعته على المسلمين بقمع ايدي المعتدين المفسدين والطاعة لاحكام الدين
وقد جمع هذا التاريخ مختصرا من التاريخين جمع شيخنا الامام العالم العلامة
قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية الشيخ بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد بن موسى
العيني الحنفي رحمه الله تعالى وقد انتهى تاريخه الى اخر سنة خمسين وثمانماية قريب موته
وهما من جملة ما اجازنيه ثم من بعد ذلك منقول فيه ايضا مما ذيله الامير يوسف
بن الامير تغرى بردى اتابك العساكر المصرية الى حين انتهى تاريخه الى قريب
موته الى اوايل دولة الملك الاشرف قايتباي المشار اليه وبه نختم الكتاب
وننقل ايضا حوادث اخرى من غير هذين التاريخين لتكمل الفايدة في هذا التاريخ
ويستغنى به عن مراجعة غيره فقد جمع فيه المهم مما وقع في الدنيا من العجايب في
المدة المذكورة في الاقاليم السبعة المعمورة بلاد الحجاز والديار المصرية والشامية
وبلاد العجم وبلاد الروم وبلاد التركمان وبلاد الهند وبلاد اليمن والحبشة
وبلاد السودان وبلاد المغرب وبلاد الفرنج على وجه الاختصار لئلا يمل
يقتصر فيه على ذكر الاشيا الظريفة والامور النادرة الغريبة والحوادث
العجيبة ووقايع الملوك والدول وما جرى بينهم من المكايد والحروب والفتوحات
والسير والمراسلات واشباه ذلك مما يحتاج الى معرفته كل احد ويتفكر به
بديع صنع القادر الاحد ۝ ويناسب ان يسمى هذا التاريخ فتوح النصر
في تاريخ ملوك مصر عفا الله عن جامعه وناقله ومطالعه وجميع المسلمين وبالله نستعين
ولنبدا بمقدمة تبين جميع ما تضمنه تسهيلا للوقوف عليه سريعا بان نقدم
عدد الدولتين المذكورتين سردا على ترتيبهم مفصلا ليعرف فهرست
الكتاب فنقول **اما ملوك مصر الاكراد** فمدتهم كانت قريب الماية سنة
اولهم من حدود سنة الستين وخمسماية انتزعوا مصر من ملوكها العبيديين
ثم دامت معهم الى قريب سنة ستين وستماية وكانت عدتهم عشرة ملوك فقط
الى ان انقضت دولتهم وانتزعت مماليكهم الترك المملكة منهم كما سنذكره في محله
وكانوا على هذا الترتيب **اول ملوك الاكراد** السلطان الملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن الامير الاتابك نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان
الكردي النوري العادلي لكونه من امرا سلطان الشام الملك العادل نور الدين
الشهيد وكان ذلك في ايام خلافة الخليفة المستنجد بالله ابي المظفر يوسف
فلما ملك هذا الناصر مصر بنى لها القلعة وعمر اسوار القاهرة ومصر واجرى الما من
النيل للقلعة وعمر جامع عمرو بن العاص واستنقذ بيت المقدس من ايدي الفرنج

واخذ منهم بلاد السواحل وتملك بلاد الشرق وبلاد اليمن وبعض بلاد المغرب
من تونس وبلاد الحجاز وغيرها واكثر من الفتوحات وطهر هذه البلاد من ادرك
الفرنج والمبتدعة ومكث في المملكة اربعة وعشرين سنة الى ان مات بدمشق
قبيل سنة تسعين وخمسمائة وخلفه اولاده ثم اخوه ابو بكر الملك العادل
وذريته كما سنذكرهم وثانيهم ابنه الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح
الدين يوسف وثالثهم ابنه الملك المنصور محمد العزيز عثمان بن يوسف
ورابعهم عمهم الملك العادل ابو بكر اخو الناصر صلاح الدين
يوسف بن ايوب وولي ذريته بعده مدة وخامسهم ابنه الملك
الكامل محمد العادل ابي بكر وسادسهم ابنه الملك العادل ابو بكر بن
الكامل محمد وسابعهم اخوه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد
وهو الذي جلب المماليك لمصر واستكثر منهم فقوي امرهم حتى قتلوا ابنه
وانتزعوا الملك من ابن استاذهم وثامنهم ابنه الملك المعظم توران شاه
بن الصالح ايوب فقتله مماليك ابيه ولم يقتل من ملوكهم احد غيره في تلك الدولة
وبعده تملكت جارية ابيه المسماه شجر الدر ام خليل الصالح ايوب
مدة اربعة اشهر ايضا وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها
وعلمت على المناشير ثم عزلت وتاسعهم ابن عمهم الملك الاشرف موسى
بن يوسف بن اقسيس بن الملك الكامل محمد وهو اخر ملوك الاكراد بمصر
خلع بعد سنة اثنين وخمسين وستمائة فانتزعها اول مماليكهم الملك المعز ايبك
وعاشرهم ابن عمهم الملك الناصر يوسف حفيد الناصر يوسف
وكانت مملكته دمشق وحلب فقط ولم يصل حكمه لمصر وهو اخرهم من
مصر والشام مطلقا وبه انقرض ملك بني ايوب الاكراد فانه قتله
الططر لما استولوا على حلب والشام واخربوهما وذلك قبيل سنة ستين
وستمائة فعند ذلك اجتمع الممالك جميعها ممالك الشام وحلب وحماه وطرابلس
لملك مصر فصاروا مملكة واحدة مستقلة من غير مشارك وكان ذلك في ايام
الملك الظاهر بيبرس الصالحي وذهبت دولة الاكراد من هذه المملكة
ومن عجيب الاتفاق كونه كان اولهم اسمه الملك الناصر يوسف
واخرهم اسمه الملك الناصر يوسف وهو من النكت الظريفة الغريبة
ونظيره اتفق ايضا في ملوك مصر قبلهم العبيديين الفاطميين فانه كان
ايضا اولهم اسمه عبيد الله المهدي واخرهم اسمه عبيد الله العاضد وسنذكره
وكانت عدتهم احد عشر ومدتهم بالقاهرة مايتا سنة وستتان وانقرضوا
ونظيره اتفق ايضا في الخلفا العباسيين ايامهم ببغداد فانه كان ايضا

اولهم اسمه عبد الله الخليفة السفاح ثم اقاربه واخرهم اسمه عبد الله المستعصم
وهو اخر خلافتهم ببغداد وكانت مدتهم اكثر من خمسمائة سنة وعدتهم قريب
الاربعين خليفة ولم يتفق لهم ان احدا منهم دخل مصر غير الخليفة المامون
فانه دخل مصر وعمر بها المقياس في جزيرة الروضة الموجود الآن وغيره
وعزم على هدم الاهرام فقيل له تحتاج الى مصروف كثير ومدة طويلة فضجر
وتركه ورجع ودخل الى بلاد الروم ففتحها وعاد الى بغداد فلما انقطعت من
بغداد الخلافة العباسية على يد الططر الكفار اتصلت خلافتهم ثانيا
بالديار المصرية في سنة ستين وستمايه وكان ذلك في دولة الترك بها ايام الملك
الظاهر بيبرس الصالحي واستمروا فيها الى هذا الزمن مايتين وعشرين سنة
في خلافة الخليفة في زماننا المستنجد بالله ابي المظفر يوسف ايضا فوافق
كون ابتدا دولة ملوك مصر كان في خلافة المستنجد يوسف كما قدمنا ذكره
والخليفة يوم جمع هذا التاريخ ايضا اسمه المستنجد يوسف فوافق ابتداؤه
انتهاؤه وهو اتفاق غريب ظريف وقع كذا من غير قصد بتوفيق الله
وكل هذه الامور سنذكرها مفصلة في مواضعها وانما ذكرت هنا على سبيل
الاستطراد في الكلام عنوانا وانموذجا على ما تضمنه مهم المرام ولنرجع
الى تكملة ما قدمنا الشروع في سياقه واما ملوك مصر الترك ف
قد تم لها الى حين جمع هذا التاريخ قدر مايتي سنة وثلاثين سنة وذلك من
حدود سنة خمسين وستمايه الى حدود سنة ثمانين وثمانمائة وجملة عدتهم
الى الآن المذكور اثنان واربعون سلطانا لكنهم على اصناف فمنهم مماليك
ترك جلبوا الى مصر ومنهم اولاد مماليك ترك ولدوا بمصر من اولاد الملوك
فالمماليك منهم جملتهم الى التاريخ المذكور سبعة عشر ملكا وبقيتهم من اولاد
الملوك خمسة وعشرون ملكا وهم ايضا على ثلاثة اصناف الجركس
فمنهم اولهم ترك ططر وكانت مدتهم مائة سنة وثلاثين سنة ومنهم ثلاثة من
الروم ومنهم جراكسة ومدتهم لها الآن قريب المائة سنة اولهم الملك الظاهر
برقوق اليلبغاوي وبه كثروا ثم خلفه بعده مماليكه ثم مماليكهم الى
زمن سلطان زماننا المتقدم ذكره وسنذكر تواريخ الجميع مفصلة في مواضعها
فملوك مصر الاثنان والاربعون المشار اليهم نعدهم على هذا الترتيب
فاول ملوك الترك بمصر واقليمها هو السلطان الملك المعز
اسد الدين ايبك التركماني الصالحي النجمي الايوبي مملوك الصالح ايوب
وكان توليته في ايام خلافة بغداد والخليفة اذ ذاك اخرهم المستعصم بالله
وكان ابتدا اخذه في مملكة مصر من اول سنة ثمان واربعين وستمائة دبرها نيابة

عن ابن استاذه الملك الاشرف موسى لصغره وعجزه واستمر على النيابه اكثر من
اربع سنين حتى صفى له الوقت ممن ينازعه فخلع ابن استاذه من السلطنة
وزالت دولة الاكراد به واستقل المعز عوضه بالسلطنة وكان ذلك في
شعبان سنة اثنين وخمسين وستمايه فهي اول سلطنته على الحقيقه واستقام له
الامر الى ان قتلته زوجته شجر الدر سرية استاذه في اخر ربيع الاول سنة
خمس وخمسين وستمايه فاقتص منها مماليكه فقتلوها ثم كثر القتال في الملوك بعده
وتاسعهم ابنه الملك المنصور علي بن المعز ايبك تولى السلطنة عقب وفاة
ابيه في اواخر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمايه وكان شابا يغلب عليه
اللعب وقد هجم الططر على اخذ حلب فخلع في اوايل ذي الحجه من سنة سبع
وخمسين وستمايه واخرج من مصر وتولى عوضه مملوك ابيه وعاشرهم
مملوك ابيه الملك المظفر قطز المعزي ولي عقب خلعه فاقام في المملكه
قريب السنه وكسر الططر عن البلاد الشاميه ثم قريب عوده الى مصر
قتل في منتصف ذي القعده سنة ثمان وخمسين وستمايه تواطى عليه اخو استاذه
ورابعهم الملك الظاهر ركن الدين ابو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي
النجمي الايوبي تولى يوم قتله في التاريخ المتقدم واقام قريب الثمانية عشر سنة
وفتح الفتوحات واستنقذ صفد من الفرنج الى ان توفي بدمشق في اواخر
شهر المحرم من سنة ست وسبعين وستمايه وخلفه ولداه واحدا بعد واحد
وخامسهم ابنه الملك السعيد بركه قان وهو الذي انشا البلد المعروفه
بالسعيدة من عمل الشرقيه ثم اختلف عليه الدوله فخلع من السلطنة في ربيع
الاول من سنة ثمان وسبعين وستمايه فمات عن قريب وسادسهم اخوه
الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس فلما كمل مايه يوم من سلطنته
خلع منها ايضا في السنه المذكوره وكان لهما اخ ثالث اسمه خضر لم يل شيا
وسابعهم الملك المنصور قلاون الالفي الصالحي الايوبي تولى في اواخر
رجب من سنة ثمان وسبعين وستمايه فاقام قريب اثني عشر سنة وفتح
طرابلس من الفرنج ثم توفي في ذي القعده من سنة تسع وثمانين وستمايه
ودفن بمارستانه وخلفه في المملكه بعده ذريته وطالت مدتهم الى مايه
سنه وبضع عشره سنة الى ان انتزعها منهم الملك الظاهر برقوق كما سنذكره
وثامنهم ولده الملك الاشرف خليل بن قلاون اكثر من ثلاثة سنين
وفتح عكا من الفرنج ثم قتل بتروجه في نصف المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمايه
وتاسعهم اخوه الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون وكان صغيرا
فاقام سنه ونايبه كتبغا هو المتحدث عنه في المملكه ثم خلعه يوم تاسوعا من سنة

اربع وتسعين وستمايه وعاشرهم الملك العادل كتبغا المنصوري استقل
بعد خلع ابن استاذه ولم يصف له الملك وكان قد نزل الى الشام فخلع بها في
عاشر صفر من سنة ست وتسعين وستمايه فاقام في المملكه اكثر من سنتين
وحادي عشرهم الملك المنصور لاجين المنصوري فاقام اكثر من سنتين
وجدد الجامع الطولوني وعمل فيه الدروس ثم قتل بالقلعه وهو قاعد
يلعب بالشطرنج في ربيع الاخر من سنة ثمان وتسعين وستمايه فاعيد ابن استاذه
ثم اعيد الملك الناصر محمد بن قلاون الى سلطنته تولية ثانية لكنه
كان اكابر دولته متغلبين عليه متحدثين في المملكة فغضب منهم وسار
الى الكرك وعزل نفسه ثانيا عن السلطنه بعد عشر سنين في شوال من سنة
ثمان وسبعمايه واقام بالكرك سنة حتى استقام له الامر وثاني عشرهم
نايبه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري تولى في التاريخ المتقدم
فاقام نحو سنه فعدل في الرعيه وبنى خانقاته المعروفه به تجاه سعيد السعدا
وابطل المنكرات وصمم في امور الدوله فاختلف عليه اهل دولته ورحلوا
عنه الى الكرك ليعيدوا ابن استاذهم فاعيد الناصر محمد بن قلاون
وهي سلطنته الثالثه فقبض على المظفر بيبرس المذكور في شوال من سنة
تسع وسبعمايه وخنقه ودفن بخانقاته واستقر الناصر في هذه
السلطنه وقوى امره وصفت له المملكه وطالت مدته بما لم يتفق لملك غيره
وعمر القصور والمناظر بالقاهره والقلعه وله المعالم والاثار والقناطر وحفر
الخليج الناصري واكثر القصور بالقلعه من اثاره واشتهر له من المماليك بعده كثير
ورزق الحظ في ذريته ومماليكه الى ان مات في اواخر سنة احدى واربعين
وسبعمايه فكانت مدة مملكته نحو خمسين سنة خلا ما تخللها مما ذكرنا من
العزل وخلف عدة اولاد ولي السلطنه بعده منهم ثمانيه ثم ذريتهم كما نذكره
وثالث عشرهم تولى ولده الملك المنصور ابو بكر بن الناصر محمد مدة شهرين
ثم خلع في اواخر صفر من سنة اثنين واربعين وسبعمايه وارسل الى قوص ثم قتل
ورابع عشرهم اخوه الملك الاشرف علا الدين كجك بن الناصر محمد ولي في
السنه المذكوره قليلا ثم خلع في سنته ثم قتل وخامس عشرهم اخوه
الملك الناصر احمد بن الناصر محمد وجلس في اواخر رمضان من سنة اثنين
واربعين وسبعمايه ثم خلع بعد قليل ودخل هو الكرك وحاصروه بها مدة
الى ان قتل وسادس عشرهم اخوه الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد
تولى عوضه في اواخر المحرم من سنة ثلاث واربعين وسبعمايه وكان اصلح من
جميع اخوته ووقف على تداريس بالمارستان اقام سالما الى ان توفي ممنيا

في اول ربيع الاخر من سنة ست واربعين وسبعمايه **وسابع عشرهم** اخوه الملك
الكامل شعبان بن الناصر محمد اقام سنة وشهرا ثم خنق في سنة سبع واربعين وسبعماية
وثامن عشرهم اخوه الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد تولى في الثاني من
جمادى الاخرة من سنة سبع واربعين وسبعماية ثم خنق في الثاني عشر من
رمضان من سنة ثمان واربعين وسبعمايه **وتاسع عشرهم** اخوه الملك الناصر
حسن بن الناصر محمد فاقام اربعة سنين وفيها وقع الطاعون الكبير العام للدنيا
ثم خلع في اواخر جمادى الاخرة من سنة اثنين وخمسين وسبعمايه فعوق بالقلعة
محجوبا الى ان اعيد ثانيا كما نذكره **وعشروهم** اخوه الملك الصالح صالح بن
الناصر محمد فاقام اكثر من ثلاثة سنين ووقف على كسوة الكعبة قرية بمصر
ثم خلع في ثاني شوال من سنة خمس وخمسين وسبعمايه وحجب في القلعة الى ان مات
وهو الثامن من اولاد الناصر محمد قلاوون **ثم اعيد** اخوه الناصر حسن
سلطنة ثانيه واقام اكثر من ستة سنين وبنى مدرسته تجاه القلعة
التي ليس في الدنيا مثلها والى هنا اخر كل من تولى السلطنة من اولاد الناصر
محمد قلاوون لصلبه من اولادهم ثم قتل الناصر حسن في اوايل جمادى الاولى
من سنة اثنين وستين وسبعمايه ولم يعلم له قبر فكان مجموع ولايته في المرتين
اكثر من عشر سنين ولم يبلغ ذلك احد من اخوته اولاد الناصر المذكور غيره
ثم انتقلت المملكه منهم لاولاد اولاده **وحادي عشرهم** ابن اخيه
الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي بن الناصر محمد ملك مدة سنتين ثم خلع
وحجب في القلعة الى ان مات بعد مدة طويلة قريب الاربعين سنه وقد شاخ
وثاني عشرهم ابن عمه الملك الاشرف شعبان بن الامير الامجد حسين بن
الناصر محمد بن قلاوون تولى عوضه في نصف شعبان من سنة اربع وستين
وسبعمايه وطالت مدته خمسة عشر سنه ولم يبلغ ذلك احد من اعمامه المذكورين
وبنى مدرستين احديهما لوالدته بالتبانه والاخرى تحت القلعة فكانت
وقت الفتن يعلوا عليها البغاة وينتصر اهل القلعة منها ومكثت كذلك
قريب الاربعين سنه ثم هدمها الناصر فرج بن برقوق وكانت تعرف بالاشرفية
ثم ان الاشرف المذكور خرج يريد الحج فعند وصوله الى العقبه اختلف عليه مماليكه
واهل دولته فثارت فتنة انكسر في الوقعة وعاد مختفيا فظفروا به بالقاهرة
فضربوه ليقر على ذخاير ثم قتل خنقا في اوايل ذي القعده من سنة ثمان وسبعين
وسبعمايه **وثالث عشرهم** ولده الملك المنصور علي بن الاشرف شعبان
تولى عوض ابيه في التاريخ المذكور وهو صغير واستمر اكثر من اربع سنين
وبرقوق يدبر مملكته الى ان توفي بالطاعون في اواخر صفر من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

في سنة ثلاث وستين وخمسمايه في ربيع الاول عاد ايضا اسد الدين شيركوه
بن شاذي الكردي الى الديار المصرية ومعه العساكر النورية وسبب ذلك
تمكن الفرنج من الديار المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس
قهرا في مستهل صفر وحاصروها واحرق الوزير شاور مدينة مصر
خوفا من ان تملكها الفرنج وامر اهلها باخلايها وانتقالهم الى القاهرة فبقيت
النار تعمل فيها اربعة وخمسين يوما فارسل العاضد خليفة الديار المصريه
الى سلطان الشام نور الدين الشهيد يستغيث به وارسل في الكتب
شعور النسا وصانع الوزير شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها
اليهم فحمل اليهم مايه الف دينار وسالهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر
على جمع المال فرحلوا وجهز نور الدين الشهيد العسكر مع شيركوه
وانفق فيهم المال واعطى شيركوه مايتي الف دينار سوى الخيل
والدواب والاسلحة وارسل معه عدة امرا منهم ابن اخيه صلاح الدين
يوسف بن ايوب على كره منه احب نور الدين الشهيد مسير صلاح الدين
وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته
وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم ولما
قرب شيركوه بعسكر الاكراد من مصر رحل الفرنج على اعقابهم الى بلادهم
وكان هذا المصر فتحا جديدا ووصل اسد الدين شيركوه الى القاهرة
في اول ربيع الاخر واجتمع بالعاضد خليفة مصر وخلع عليه وعاد الى
خيامه بالخلعة العاضدية واجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة
وشرع شاور الوزير ايضا يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين الشهيد
من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له ومع ذلك شاور يركب كل يوم
الى اسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا
ثم ان شاور عزم على ان يعمل دعوة لشيركوه وامرايه ويقبض عليهم فمنعه
ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما راى عسكر نور الدين الشهيد
من شاور ذلك عزموا على قتله واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف بن ايوب
وعز الدين جرديك وغيرهما وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق
ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان قد مضى لزيارة
قبر الامام الشافعي رضي الله عنه فلقي صلاح الدين وجرديك شاورا
واعلماه برواح شيركوه الى الزيارة فساروا جميعا الى شيركوه الى الشافعي
فوثب صلاح الدين وجرديك على شاور ورموه عن فرسه الى الارض
وامسكوه فهرب اصحابه عنه وارسلوا اعلموا شيركوه بما فعلوه فحضر ولم

[illegible]

ولم يمكنه تخليصه وسمع العاضد خليفة مصر بذلك فارسل الى شيركوه يطلب منه
انفاد راس شاور فقتله وانفذ راسه الى العاضد ودخل عند ذلك
شيركوه الى قصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور
امير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور
واستقر في الامر وكتب له منشور بالانشا الفاضلي واستبد بالامر
ولما لم يبق لاسد الدين شيركوه منازع اتاه اجله حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فتوفي في العشر الاخير من جمادى الاخرة سنة اربع وستين
وخمسماية وكانت ولايته شهرين وخمسة ايام وكان شيركوه واخوه ايوب
ابنا شادي من بلد دوين واصلهما من الاكراد الروادية فقصدا العراق
وخدما نيروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان ايوب اكبر من شيركوه
فجعله نيروز مستحفظا قلعة تكريت ولما انكسر عماد الدين زنكي
من عسكر الخليفة ومر على تكريت خدمه ايوب وشيركوه ثم ان شيركوه
قتل انسانا بتكريت فاخرجهما نيروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين
زنكي فاحسن اليهما واعطاهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين
زنكي قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا عليها فلما حاصر عسكر
دمشق بعد موت زنكي سلمها ايوب اليهم على اقطاع كبير بدمشق فبقي
ايوب من اكبر امرا عسكر دمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بعد
قتل ابيه زنكي واقطعه نور الدين حمص والرحبة لما راى من شجاعته
وزاده عليهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين الشهيد ملك دمشق
امر شيركوه فكاتب اخاه ايوب فساعد نور الدين على فتح دمشق
وبقي الاخوان معه الى ان ارسل شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى
حتى ملكها وتوفي في هذه السنة على ما ذكرناه ولما توفي شيركوه كان معه
صلاح الدين يوسف بن اخيه ايوب وكان قد سار معه على كره
قال صلاح الدين امرني استاذنا نور الدين الشهيد بالمسير مع عمي
شيركوه وكان قد قال شيركوه بحضرته لي تجهز يا يوسف للمسير
فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت في محاصرة
بالاسكندرية ما لا انساه ابدا فقال لنور الدين لا بد من مسيره معي
فامرني نور الدين به وانا استقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع
عمك فشكوت الضايقة فاعطاني ما تجهزت به فكانما اساق الى
الموت ولما مات شيركوه طلب جماعة من الامرا النورية المقدم على العسكر
وولاية الوزارة العاضدية فارسل العاضد طلب صلاح الدين وولاه الوزارة

ولقبه الملك الناصر

ولقبه الملك الناصر فلم تطعه الامرا المذكورون فكان مع صلاح الدين
الفقيه عيسى بن درباس الهكاري فسعى له مع الامرا حتى امالهم الى
صلاح الدين فاطاعوه ثم ارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين
اباه ايوب واهله فارسلهم نور الدين اليه فاعطاهم الاقطاعات
بمصر وتمكن من البلاد وضعف امر العاضد ولما فوض الامر الى
صلاح الدين تاب عن شرب الخمر واعرض عن اسباب اللهو وتقمص
لباس الجد ودام على ذلك الى ان توفاه الله تعالى قال
ابن الاثير في تاريخه المسمى بالكامل رايت اكثر ما يقع ممن يبتدي الملك منه
ينتقل الى غير عقبه فان معاوية تغلب وملك فانتقل الملك الى بني مروان
بعده ثم ملك السفاح من بني العباس فانتقل الملك الى بني اخيه المنصور
ثم السامانية اول من استبد بالملك منهم نصر بن احمد فانتقل الملك الى عقب
اخيه اسمعيل ثم عماد الدولة بن بويه فانتقل الملك الى بني اخيه ركن
الدولة ثم ملك طغرلبك السلجوقي فانتقل الملك الى بني اخيه جغربك
داود ثم شيركوه ملك فانتقل الملك الى ابن اخيه صلاح الدين ولما قام
صلاح الدين بالملك لم يبق الملك في عقبه بل انتقل الى اخيه العادل
ابي بكر وبنيه ولم يبق لاولاد صلاح الدين غير حلب وكان السبب
في ذلك كثرة قتل من يتولى اولا واخذه الملك وعيون اصحابه فيه
فيحرم على عقبه ذلك ولما استقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل
موتمن الخلافة وهو مقدم السودان فاجتمعت السودان وهم حفاظ
القصر في عدد كثير وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة
عظيمة بين القصرين فانهزم السودان وقتل منهم خلق كثير
وتبعهم صلاح الدين فاجلاهم قتلا وتهجيجا وحكم صلاح الدين على
القصر واقام به بها الدين قراقوش الاسدي وكان خصيا ابيض
وبقي لا يجري في القصر صغيرة ولا كبيرة الا بامر صلاح الدين ثم جرى ما نذكره
ثم في سنة خمس وستين وخمسماية سارت الفرنج الى دمياط وحصروها
وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخاير واخرج على ذلك
اموالا عظيمة فحصروها خمسين يوما وخرج نور الدين الشهيد
فاغار على بلادهم بالشام فرحلوا عن دمياط عايدين على اعقابهم ولم
يظفروا بشي منها قال صلاح الدين ما رايت اكرم من العاضد ارسل
الي مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الدواب
وغيرها وفيها حاصر نور الدين الشهيد الكرك بنفسه مدة ثم رحل عنها حتى كان ما نذكره

وفيها كانت زلزلة عظيمة خربت الشام فقام صاحبها نور الدين الشهيد
في عمارة الاسوار وحفظ البلاد اتم قيام وكذلك خربت بلاد الفرنج
فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم بعمارة ما يليه من بلاده عن قصد
بلاد غيره وفي سنة ست وستين وخمسماية في تاسع ربيع الاخر توفي
الخليفة ببغداد المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي وخلفه ابنه
المستضي بالله الحسن ولم يل الخلافة من اسمه الحسن غيره وغير الحسن بن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها سار صلاح الدين عن مصر فغزا الفرنج قرب
عسقلان والرملة وعاد الى مصر ثم رجع الى ايلة وحصرها وهي للفرنج
على ساحل البحر الشرقي ونقل اليها المراكب وحصرها برا وبحرا وفتحها
واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر ولما استقر بمصر كان بها دار
للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها فهدمها صلاح الدين وبناها
مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب
قضاة شافعية وذلك في ولي نصب منها وكذلك اشترى تقي الدين عمر بن
اخي صلاح الدين منازل العز وبناها مدرسة للشافعية ثم بنى ايضا اشياء
وفي سنة سبع وستين وخمسماية ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد
لدين الله عبد الله العبيدي وكان سبب الخطبة العباسية بمصر
انه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر واقام فيه قراقوش الاسدي
وكان خصيا ابيض وبلغ نور الدين الشهيد ذلك فارسل الى صلاح الدين
يامره بقطع الخطبة العبيدية واقامة الخطبة العباسية فراجعه
صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين الى ذلك واصر
عليه وكان العاضد قد مرض فامر صلاح الدين الخطبا ان يخطبوا للخليفة
المستضي العباسي ويقطعوا خطبة العاضد من العبيديين فامتثلوا
ذلك ولم ينتطح فيها عنزان وكان قد اشتد مرضه فلم يعلمه احد من اهله
بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشورا ولم يعلم بقطع خطبته ولما
توفي العاضد جلس صلاح الدين للعزا واستولى على قصر الخلافة وعلى
جميع ما فيه وكان كثرته يخرج عن الاحصا وكان فيه اشيا نفيسة من
الاصناف الثمينة والكتب والتحف فمن ذلك الحبل الياقوت وكان وزنه
سبعة عشر درهما قال ابن الاثير في الكامل انا رايته ووزنته ومما يحكى انه
كان بالقصر طبل للقولنج اذا ضرب الانسان به ضرط فكسر ولم يعلموا به
الا بعد ذلك ونقل صلاح الدين اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم
من يحفظهم واخرج جميع من فيه من عبد وامة فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض
فقال بعضهم فيه تمكن يوسف من البسيطة مثلما تمكن في امصار فرعون يوسف

وخلا القصر بسكانه

وخلا القصر من سكانه كان لم يكن بالامس وكان لما اشتد مرض الخليفة العاضد
ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفي
علم صدقه وندم على تخلفه عنه وجميع مدة خلافة الفاطميين العبيديين
من حين ظهروا وهو المهدي عبيد الله بالمغرب بسجلماسة في ذي الحجة من سنة
ست وتسعين ومايتين الى ان توفي العاضد اخرهم في هذه السنة سنة سبع
وستين وخمسماية مدة طويلة مايتان واثنتان وسبعون سنة تقريبا
منها حكمهم بالقاهرة مايتا سنة وسنتان وهذا داب الدنيا لم تعط الا
واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من
الكدر ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت البشاير
جمعة وسيرت الخلع من الخليفة مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم
الى السلطانين نور الدين الشهيد ملك الشام وصلاح الدين ملك مصر
والى الخطبا وسيرت الاعلام السود وكان العاضد خليفة مصر المذكور
قد راى مناما ان عقربا خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد
للعاضد ولدغته فاستيقظ العاضد مرعوبا واستدعى من يعبر الرويا
وقصها عليه فعبر له بوصول اذى اليه من شخص بذلك المسجد فقدم
العاضد الى والي مصر باحضار اهل ذلك المسجد فاحضر اليه شخصا
صوفيا من فقها العجم يقال له نجم الدين الخبوشاني فاستخبره العاضد
عن مقدمه وسبب مقامه بذلك المسجد فاخبره بالصحيح في ذلك وراه
العاضد اضعف من ان يناله بمكروه فامر له بمال وقال له ادع لنا يا شيخ
وامره بالانصراف في سبيله فلما اراد السلطان صلاح الدين ابن ايوب
ازالة الدولة الفاطمية استفتى الفقها وكان نجم الدين الخبوشاني المذكور
من جملتهم فبالغ في الفتيا وصرح بتعديد مساويهم وسلب عنهم الايمان
واطال الكلام في ذلك فصح به رويا العاضد واول من ولي منهم بافريقية
عبيد الله المهدي بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر
بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقد اختلف العلما
في نسبه وصحته فقال القايلون بامامته ان نسبه صحيح ولم يرتابوا فيه
وذهب كثير من الشرف العلويين العالمين بانسابهم الى صحته ايضا وشاهده
ما قاله الشريف الرضي ما مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وانف حمي
البس الذل في بلاد الاعادي وبمصر الخليفة العلوي من ابوه ابي ومولاه مولاي
ومن جده وجدي النبي ان لف عرقي بعرقه سيدا الناس جميعا محمد وعلي
وذهب اخرون الى ان نسبه غير صحيح وذهبوا الى ان نسبهم في اليهود فقالوا

لم يكن اسم المهدي عبيد الله بل كان اسمه سعيد بن حسين بن عبد الله القداح بن
ميمون بن ديصان وقيل فيه سعيد بن الحسين ولان الحسين قدم الى سلمية
من ارض حمص فتزوج امراة يهودية وكان لها من اليهودي ولد فاحبه
الحسين وادبه ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي
وهو المهدي عبيد الله وعرفه اسرار الدعوة واعطاه الاموال والعلامات
فدعا له الدعاة وقد اختلف المورخون في قصة عبد الله القداح بن ميمون
بن ديصان المذكور وهو صاحب الميزان في نصرة الزندقة وكان يظهر التشيع
وقصتهم مطولة مذكورة في اول ابتداء دولة العبيديين فمن اراد فليراجع من موضعها
ومن عجيب ما نقول لهم ما حكاه ابن خلكان في تاريخه انهم في ابتداء دولتهم ارادوا ان
يقترحوا لانفسهم القابا لم يسبقوا اليها وكان في بلدهم شخص من الاولياء فطلبوا
منه ان يلقبهم واحدا بعد واحد فلقبهم بالقاب في عدد معين فكان اخرهم
اخر تلك الالقاب لم يخرم فكان ذلك كشفا منه فاخذ عنهم صلاح الدين يوسف

فاول ملوك الاكراد بمصر

هو هذا الذي كان ودبرها عند العاضد
وهو السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن الامير
نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان الكردي العادلي النوري لكونه من اكبر امرا
سلطان الشام الملك العادل نور الدين الشهيد فبعد ان باشر وزارة مصر
نحو ثلاث سنين تولى سلطنتها في يوم موت خليفتها العاضد المتقدم قصته
وهو يوم عاشورا من السنة المذكورة سنة سبع وستين وخمسمائة ثم هو مع
ذلك في طاعة استاذه سلطان الشام نور الدين الشهيد يخطب له باقليم مصر
ثم فيها وقع بين السلطانين نور الدين الشهيد وصلاح الدين وحشة في الباطن
بسبب مملكة مصر فان السلطان صلاح الدين سار ونازل الشوبك من الكرك
وهي بيد الفرنج ثم رحل عنه خوفا من ان ياخذه فلم يبق ما يعوق نور الدين الشهيد
عن قصد مصر فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش
خاطره لصلاح الدين ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع اقاربه وكبرا دولته
وقال لهم بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الراي فقال له تقي الدين عمر بن اخيه
نقاتله ونصده وكان ذلك بحضرة ابيهم نجم الدين ايوب فانكر على حفيده ذلك
وقال انا والدكم لو رايت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه
بل اكتب وقل لنور الدين لو جاني انسان واحد من عندك وربط المنديل
في عنقي وجرني اليك سارعت اليك وانفضوا على ثم اجتمع ايوب بابنه
صلاح الدين خلوة وقال له لو قصدنا نور الدين كنت انا اول من يتبعه
ويقاتله ولكن اذا اظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما

يكون من ذلك فان جميع عسكرنا انما هم امرا نور الدين وغلمانه وان اظهرنا
الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله تعالى فكان كما قال
وفيها اتخذ نور الدين الشهيد بالشام الحمام الهوادي وتسمى المناسيب لنقل
البطايق والاخبار وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة سار الامير
شمس الدين توران شاه بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين الاكبر
من مصر الى بلاد النوبة للتغلب عليها فلم تعجبه تلك البلاد فغنم وعاد الى
مصر وكان قصد بني ايوب ان يحصلوا لهم بلادا ياووا اليها اذا جاء اليهم السلطان
نور الدين الشهيد واخرجهم من مصر فبلغهم ان بلاد اليمن اسهل واطيب فتملكوها
وفيها سارت طايفة من الترك من ديار مصر مع مملوك لتقي الدين عمر بن شاهنشاه
بن ايوب اسمه قراقوش الى بلاد المغرب من افريقية ونزلوا على طرابلس
الغرب فحاصروها مدة ثم فتحها قراقوش واستولى عليها وملك كثيرا من
بلاد افريقية وفيها سار سلطان الشام نور الدين الشهيد الى طرف بلاد الروم
واستولى على مرعش وبهسنا ومرزبان وسيواس فارسل اليه
صاحبها يستعطفه ويساله الصفح فقال نور الدين الشهيد لا ارضى الا ان
ترد الى ملطية وفيها سار سلطان مصر صلاح الدين من مصر الى الكرك
وهي مع الفرنج وحصرها وكان قد واعد نور الدين الشهيد ان يجتمعا على
الكرك فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين وكان نور الدين قد وصل
الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك فرحل صلاح الدين من الكرك عايدا الى مصر
وارسل تحفا الى نور الدين واعتذر بان اباه مرض وهو يخشى موته
فذهب الى مصر فقبل نور الدين عذره في الظاهر وعلم المقصود في الباطن
ولما عاد صلاح الدين الى مصر وجد اباه نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان
قد مات وسبب موته انه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقع
وحمل الى قصره فبقي اياما ومات في اواخر هذه السنة المذكورة وهو شيخ
وفي سنة تسع وستين وخمسمائة ملك توران شاه اخو السلطان المذكور
بلاد اليمن وكان صلاح الدين واهله خايفين من نور الدين الشهيد ان يخرجهم من مصر
فاتفق رايهم على تحصيل مملكة غير مصر بحيث ان قصدهم نور الدين الشهيد
قاتلوه فان هزمهم التجوا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين اخاه المذكور
شمس الدولة توران شاه بن ايوب اولا الى النوبة فلم تعجبهم بلادها
ثم سيره في هذه السنة بعسكر الى اليمن وكان صاحب اليمن حينيذ اسمه
عبد النبي المتقدم ذكره في سنة اربع وخمسين وخمسمائة فتجهز توران شاه ووصل
اليمن وجرى بينه وبين عبد النبي قتال فانتصر توران شاه وهزم عبد النبي

وهجم زبيد وملكها واسر عبد النبي ثم قصد عدن وكان صاحبها اسمه ياسر
فخرج لقتال توران شاه فهزمه توران شاه ايضا وهجم عدن واسر ياسر
واستولوا على اموال عظيمة لعبد النبي وكذلك من عدن واقام في ملك اليمن مدة
وفيها في رمضان صلب السلطان صلاح الدين جماعة من اعيان المصريين
فانهم قصدوا الوثوب على صلاح الدين واعادة الدولة العبيديين
فعلم بهم وصلبهم عن اخرهم فمنهم الفقيه عمارة بن علي اليمني الى فعل لمساعدته بينهم
وفيها مات سلطان الاسلام الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن
السلطان الاتابك عماد الدين زنكي بن السلطان اقسنقر صاحب الشام
وحلب وديار الجزيرة والموصل وبعض بلاد الروم وغير ذلك كانت وفاته
في حادي عشر شوال من هذه السنة بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة
وكان نور الدين قد شرع يتجهز للدخول الى مصر واخذها من صلاح الدين
وكان يريد ان يخلي ابن اخيه سيف الدين غازي في الشام قبالة الفرنج
ويسير هو بنفسه الى مصر فاتاه امر الله الذي لا مرد له وكان نور الدين
اسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه حسن الصورة والخلق
وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها الامير
توران شاه بن ايوب كما تقدم وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولده
سنة احدى عشر وخمسمائة وورث السلطنة من ابيه عن جده كما تقدم
وطبق الارض ذكره بحسن السيرة والعدل وكان من الزهد والعبادة
على قدم عظيم وكان يصلي غالب الليل مع شجاعته وهو كما قيل
جمع الشجاعة والخشوع لربه ٥ ما احسن المحراب في المحراب ٥
وكان عارفا بالفقه على مذهب الحنفية وليس عنده فيه تعصب وهو الذي
بنى اسوار الشام مثل دمشق وحمص وحماه وبعلبك وشيزر وغيرها
لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة ووقف على الحنفية والشافعية
ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضايله فقد افردها العلما بالتصانيف جزاه الله الجنة
ولما توفي قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بملك الشام وحلب وهو صبي فاطاعه الشاميون
وصاحب مصر صلاح الدين ايضا وخطب له بها وضربت له السكة وكان مدبره
الامير شمس الدين محمد بن المقدم فاستضعفه ابن عمه صاحب الموصل وانتزع منه البلاد
الجزرية ثم زالت الشام ايضا منه كما نذكره وفي سنة سبعين وخمسمائة في اولها
اجتمع على جلال من اهل الصعيد يقال له الكنز جمع عظيم واظهر الخلاف على السلطان
صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين عسكرا فقتل الكنز وجماعة معه وانهزم الباقون
وفيها في سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وحماه وحمص وبعلبك

وسببه ان نايب حلب

وسببه ان نايب حلب ارسل يستدعي الملك الصالح بن نور الدين الشهيد من دمشق الى حلب
ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح الى حلب ولما استقر بها تمكن نايبه بها وقبض
على جماعة من امرايها منهم الرئيس ابن الخشاب واخوته وهو رئيس حلب واستبد هذا
بتدبير الملك الصالح فخافه نايب دمشق وغيره من امرايها وكاتبوا صاحب مصر
السلطان صلاح الدين ابن ايوب واستدعوه ليملكوه عليهم فسار صلاح الدين
جريدة في اقل من الف فارس ولم يلبث فوصل الى دمشق وخرج كل من بها من
العسكر والتقوه وخدموه ونزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي
وعصت عليه القلعة وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان
فراسله صلاح الدين واستماله فسلم اليه القلعة فصعد اليها صلاح الدين
واخذ ما فيها من الاموال ولما ثبتت قدمه في دمشق استخلف بها اخاه الامير
سيف الدين طغتكين بن ايوب وسار السلطان الى حمص بعد شهر وكانت
حمص وحماه وقلعة بارين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في
اقطاع الامير فخر الدين مسعود بن الزعفراني فلما مات نور الدين الشهيد لم يمكن
فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماه لسوء تدبيره مع الناس وكانت هذه
البلاد له بغير قلاعها فان قلاعها كان فيها ولاة لنور الدين الشهيد وليس
لفخر الدين معهم في القلاع حكم فنزل السلطان صلاح الدين على حمص وملك المدينة
وعصت عليه القلعة فترك عليها من يضيق عليها ورحل الى حماه فملك مدينتها
وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك احد المماليك النورية فامتنع في القلعة
فذكر له السلطان انه ليس له غرض سوى حفظ بلاد الملك الصالح اسمعيل
عليه وانما هو نايبه وقصد من جرديك المسير الى حلب في رسالة لسيده
فاستحلفه جرديك على ذلك وسار جرديك الى حلب برسالة من صلاح الدين
واستخلف في قلعة حماه اخاه فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه
مدبر دولة السلطان صاحب حلب وسجنه فلما تحقق بذلك سلم قلعة حماه
الى السلطان صلاح الدين فملكها ايضا ثم سار صلاح الدين الى حلب ايضا
وحصرها وبها صاحبها الملك الصالح بن نور الدين الشهيد فجمع اهل حلب وقاتلوا
السلطان صلاح الدين وصدوه عن حلب وارسل مدبر دولة حلب الى سنان
مقدم الاسماعيلية اموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فارسل سنان جماعة
ليقتلوا صلاح الدين فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه واستمر صلاح الدين
محاصرا لحلب الى مستهل رجب ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص فوصل
صلاح الدين الى حماه وسار الى حمص فرحل الفرنج عنها ووصل صلاح الدين الى
حمص وحصر قلعتها ايضا وملكها ثم سار الى بعلبك فملكها فلما استقر ملك السلطان

علم

صلاح الدين لهذه البلاد ارسل الملك الصالح صاحب حلب الى بني عمه ملوك الموصل
والجزيرة يستنجدهم على صلاح الدين فجهزوا جيشهم فوصل عسكر الموصل وغيره
الى حلب وانضم اليه عسكر حلب وساروا جميعا لحصار السلطان صلاح الدين
فارسل صلاح الدين يبذل حمص وحماه وان يقر بيده دمشق ويكون فيها
نايبا للملك الصالح فلم يجيبوه الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون
حماه فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم السلطان صلاح الدين وعسكره منهم
اموالهم وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم بحلب وقطع صلاح الدين خطبة
الملك الصالح بن نور الدين الشهيد وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة
فراسلوا صلاح الدين في الصلح على ان يكون له ما بيده من الشام ويكون للملك الصالح
ما بقي في يده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في اول شوال من هذه السنة
وفي اخره ملك السلطان صلاح الدين بارين واخذها من صاحبها فخر الدين مسعود بن
الزعفراني وكان من اكابر الامرا النورية **وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة**
في عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين غازي صاحب الموصل
بتل السلطان فهرب صاحب الموصل والعساكر التي كانت معه فانه كان
قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما وتمت عليه
الهزيمة حتى رجع الى الموصل مرعوبا وقصد الهروب منها ايضا الى بعض
القلاع فسكنه وزيره فاقام بالموصل واستولى السلطان صلاح الدين على
اثقال عسكر الموصل وغيرها وغنم ما فيها ثم سار السلطان صلاح الدين ايضا
الى بزاعه فحصرها وتسلمها ثم سار الى منبج فحصرها وكان صاحبها شديد البغض
لصلاح الدين ففتحها عنوة واسر صاحبها واخذ جميع موجوده ثم اطلقه فرحل
الى الموصل فاقطعه صاحبها مدينة الرقة ثم سار السلطان صلاح الدين ايضا
الى اعزاز ونازلها وتسلمها فوثب اسماعيلي من الفداوية على السلطان المذكور
فضربه بسكين في راسه فجرحه فمسك السلطان يد الاسماعيلي وبقي يضرب
بالسكين ولا يوثر حتى قتل الاسماعيلي على تلك الحال ووثب عليه اخر فقتل
وثالث فقتل وجا السلطان الى خيمته مذعورا واعرض جنده وابعد من انكر
منهم ولما ملك السلطان اعزاز رحل عنها وعاد ونازل حلب وحصرها
وبها صاحبها الملك الصالح بن نور الدين الشهيد وانقضت هذه السنة وهو محاصرها
فسالوه في الصلح فاجابهم واخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين الشهيد فاكرمها
السلطان صلاح الدين واعطاها شيا كثيرا وقال لها ما تريدين فقالت قلعة اعزاز
وكانوا قد علموها ذلك فسلمها السلطان اليهم واستقر الصلح فرحل السلطان
صلاح الدين عن حلب في اول السنة التي تليها **وفي** هذه المدة رجع اخو السلطان من بلاد اليمن

وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة قصد السلطان صلاح الدين بلد الاسماعيلية
في المحرم فنهبه وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياف من عمل طرابلس هذا الزمن
فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى خال السلطان وهو شهاب الدين الحارمي
صاحب حماه يساله ان يسعى في الصلح فسال الحارمي الصفح عنهم فاجابه السلطان
وصالحهم ورحل عنهم واتم السلطان صلاح الدين مسيره الى مصر فانه كان قد
بعد عهده بها بعد ان استقر له ملك الشام ولما رجع الى مصر في هذه السنة
امر ببنا السور الداير على مصر والقاهرة والقلعة التي على جبل المقطم
ودور ذلك قريب الثلاثين الف ذراع بالهاشمي ولم يزل العمل فيه الى ان مات
السلطان صلاح الدين وامر ايضا ببنا المدرسة التي على قبر الامام الشافعي
بالقرافة وعمل بالقاهرة مارستان **وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة**
سار السلطان صلاح الدين من مصر الى بلاد الساحل لغزو الفرنج فوصل الى
عسقلان فنهب وتفرق عسكره في الاغارة وبقي السلطان في بعض العسكر
فلم يشعر الا بالفرنج قد طلعت عليهم فقاتلهم اشد قتال وكان لابن اخي السلطان
ولد شاب فامره ابوه ان يحمل عليهم فحمل على الفرنج وقاتلهم فاثر فيهم اثرا جميلا
وعاد سالما فامره ابوه بالعود فاستشهد عاجلا من الفرنج وتمت الهزيمة
على المسلمين وقاربت حملات الفرنج السلطان فمضى منهزما الى مصر على طريق
البرية ومعه من سلم ولقوا في طريقهم مشقة من العطش وهلك كثير من الدواب
واخذت الفرنج العسكر الذين كانوا تفرقوا للاغارة اسرى واسر
الفقيه عيسى ... رباس الهكاري وكان من اكبر اصحاب السلطان فافتداه
من الاسر بعد سنتين بستين الف دينار ووصل السلطان الى القاهرة
في اول رجب وارسل السلطان كتابا بخطه الى اخيه توران شاه نايبه بدمشق
يذكر له الوقعة ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله
تعالى منه الا لامر يريده سبحانه وتعالى وما ثبتت الا وفي نفسها امر انتهى
وفيها سار الفرنج وحصروا مدينة حماه وطمعت الفرنج لبعد السلطان
بمصر وهزيمته من الفرنج ولم يكن غير اخي السلطان وهو توران شاه
بدمشق ينوب عن اخيه صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان هو
ايضا كثير الانهماك في اللذات مايلا الى الراحات ولما حصروا حماه كان
بها صاحبها شهاب الدين الحارمي خال السلطان صلاح الدين وهو مريض واشتد
حصار الفرنج لحماه وطال زحفهم اليها حتى انهم هجموا بعض اطراف المدينة
وكادوا يملكون البلد قهرا بالسيف ثم جد المسلمون في القتال حتى اخرجوا
الفرنج الى ظاهر السور واقام الفرنج كذلك على حماه اربعة ايام ثم رحلوا عنها

الى حازم وعقيب رحيلهم عنها مات صاحبها شهاب الدين الحازمي المذكور وكان له شجاعة
وفيها قبض الملك الصالح بن نور الدين الشهيد صاحب حلب على نايبه وكان قد
تغلب على الامر فعذبه حتى هلك وكان بيده حازم فوصل الفرنج الى حازم بعد
رحيلهم عن حماه وحصروها اربعة اشهر وبلغ اهلها الجهد فارسل صاحب حلب
مالا للفرنج وصالحهم فرحلوا عنها وفي سنه اربع وسبعين وخمسمايه
طلب اخو السلطان ونايبه بدمشق فرخشاه بعلبك ايضا وكان السلطان قد
اعطاها لابن المقدم مكافاة على تسليمه دمشق له كما ذكرناه فلم يمكن السلطان
منع اخيه عن ذلك فارسل الى ابن المقدم ببعلبك ليسلمها له فعصى بها ولم يسلمها فارسل
السلطان عسكرا وحصر بعلبك فطال حصارها فاجاب صاحبها الى تسليمها
على عوض فعوض عنها وتسلمها السلطان واقطعها اخاه نايب دمشق
وفيها كان بالبلاد غلا عام وتبعه وبا عام وفيها سير السلطان صلاح الدين
ابن اخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب الى حماه فاستقر فيها ثم اولاده
مدة تزيد على مايه وستين سنه اخرهم الملك المويد صاحب حماه وولده
وفي سنه خمس وسبعين وخمسمايه عاد السلطان صلاح الدين للجهاد وفتح حصنا
كان بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب
وفيه يقول الشاعر ٥ هلاك الفرنج اتى عاجلا وقد آن تكسير صلبانها ٥ ولو لم يكن قد دنا حتفها لما عمرت بيت احزانها ٥ وفيه يقول الشاعر فتحكم والفتح للدين واجب ٥ دروا بيت يعقوب فقد جا يوسف ٥
وفيها كانت حرب بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن اخيه صاحب حماه
وبين عسكر صاحب الروم وسببها ان حصن رعبان كان في حكم صاحب مصر
فطمع فيه صاحب الروم وارسل اليه عسكرا ليحصروه وكانوا قريب عشرين
الف فارس فسار اليهم ابن اخي صاحب مصر في الف فارس فهزمهم بذلك
فكان يفتخر ويقول هزمت بالف عشرين الف فارس وفيها في ذي القعدة
توفي خليفة بغداد المستضي بامر الله الحسن بن المستنجد يوسف وخلفه فيها
ابنه الناصر لدين الله احمد وفيها ترك اخو السلطان نيابة دمشق وطلب عوضها الاسكندرية
وفي سنه ست وسبعين وخمسمايه سار السلطان الناصر صلاح الدين الى جهة
صاحب بلاد الروم ووصل الى رعبان ثم اصطلحوا فقصد السلطان
الى جهة بلاد ابن لبون الارمني وشن فيها الغارات فصالحه صاحبها على مال واسرى
وفي سنه سبع وسبعين وخمسمايه عزم البرنس الفرنجي صاحب الكرك
على المسير الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والاستيلا على تلك النواحي
الشريفة فسمع نايب الشام ابن اخي السلطان بذلك فجمع وقصد بلاد الكرك
واغار عليها واقام في مقابلة البرنس ففرق البرنس جموعه وانقطع عزمه عن
تلك الحركة وفيها جدد السلطان نوابا وجيشا ببلاد اليمن ثانيا لاختلاف وقع

وفيها

11

وفيها في رجب توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين الشهيد صاحب حلب وولي بها
عمه مسعود صاحب الموصل ثم اخوه زنكي صاحب سنجار ثم انتزعها صاحب مصر
وفي سنه ثمان وسبعين وخمسمايه في اولها سار السلطان صلاح الدين صاحب
مصر عنها الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهره وخرجت
اعيان الناس لوداعه اخذ كل يقول شيا في الوداع وفراقه وفي الجماعة
معلم لبعض اولاد السلطان فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد بيتا وهو
٥ تمتع من شميم عرار نجد ٥ فما بعد العشية من عرار ٥
فتطير السلطان من ذلك وانقبض بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين
فلم يعد بعدها السلطان صلاح الدين الى مصر مع طول المدة اثني عشر سنه
ولما سار السلطان اغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم ووصل الى دمشق
وكان لما سار اجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه فانتهز ابن اخي
السلطان نايبه على دمشق الفرصة وسار الى الشقيف بعساكر الشام
وفتحه واغار على من يجاوره من بلاد الفرنج وارسل الى عمه السلطان وبشره
بذلك ولما انتقل السلطان عن مصر استخلف عليها اخاه الملك العادل ابا بكر
وفيها سير السلطان صاحب مصر اخاه الى بلاد اليمن مرة ثانيه ليقطع الفتن
وفيها سار السلطان ايضا من دمشق ونزل قرب طبرية وشن الاغارة على بلاد
الفرنج مثل بيسان وجينين والغور فقتل وغنم وعاد الى دمشق ثم سار
الى بيروت وحصرها واغار على بلادها وعاد لدمشق ثم سار الى البلاد
الجزريه وعبر الفرات من البيرة فصار معه صاحب حران وكاتب
السلطان صاحب مصر ملوك تلك الاطراف واستمالهم فاجابه صاحب
حصن كيفا وسار معه ايضا وحاصر السلطان الرها وملكها ثم سار الى
الرقه واخذها ثم سار السلطان الى الخابور وملك قرقيسا وماكسين
وعربان واستولى على الخابور جميعه ثم سار الى نصيبين وحاصرها
وملك المدينه ثم ملك قلعتها ثم قصد الموصل وقد استعد صاحبها للحصار
وشحنوها بالرجال والسلاح فحصر السلطان الموصل واقام عليها منجنيقا
فاقاموا من داخل المدينه عشرة مناجنيق وضايق الموصل بجنيبه
وجرى القتال بينهم فلما راى ان حصارها يطول رحل عن الموصل الى سنجار
وحاصرها وملكها ثم سار الى حران ثم في السنه التي تليها ملك اشيا اخرى سنذكرها
وفيها عمل البرنس صاحب الكرك مراكب في بحر ايلة بحر الحجاز وساروا في
البحر فرقتين فرقه اقامت على حصن ايلة تحصرونه وفرقة سارت نحو
عيذاب يفسدون في السواحل وتعبوا المسلمين بتلك النواحي فانهم لم يعهدوا بذلك

البحر فرنجيا قط وكان بمصر الملك العادل ابو بكر نايبا عن اخيه السلطان صلاح الدين
فعمل مراكبا في بحر عيذاب وارسله مع الحاجب وكان مظفرا فيه شجاعة فسار
الحاجب مجدا في طلب الفرنج واوقع بالذين يحاصرون ايلة فقتلهم واسر هم
ثم سار في طلب الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز الشريف
مكة والمدينة حرسهما الله تعالى وسار الحاجب يقفوا اثرهم فبلغ رابض
فادركهم بساحل الحوراء وتقاتلوا في البحر اشد قتال فظفر الله بهم المسلمين
وقتل الحاجب اكثرهم واخذ الباقين اسرى وارسل منهم اثنين الى منى
لينحروا بها وعادوا بالباقين الى مصر فقتلوا عن اخرهم هدرا والسلطان غايب
في البلاد الجزرية وفي سنة تسع وسبعين وخمسمايه ملك السلطان صاحب مصر
حصن آمد بعد حصار وقتال وسلمها لابن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا
ثم رجع السلطان الى الشام وقصد تل خالد من اعمال حلب وملكها ثم سار
الى عين تاب وحصرها وملكها بتسليم صاحبها ثم عاد السلطان الى حلب
وحصرها وبها صاحبها زنكي المتقدم ذكره وطال الحصار عليه وكان قد كثرت
اقتراحات امرا حلب واهلها عنه وقد ضجر قلبه وكان قد كره حلب لذلك
فاجاب السلطان صلاح الدين الى تسليم حلب على ان يعوض عنها سنجار ونصيبين
والخابور والرقة وسروج فاتفقوا على ذلك وسلم حلب الى السلطان
في صفر هذه السنة فكان اهل حلب ينادون على زنكي يا حمار بعت حلب بسنجار
وشرط عليه السلطان الحضور الى خدمته بنفسه وعسكره متى استدعاه اليه
لا يحتج بحجة عن ذلك ومن عجيب الاتفاق ان قاضي دمشق مدح السلطان بقصيدة منها
٥ وفتحكم حلبا بالسيف في صفر ٥ مبشر بفتوح القدس في رجب
فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائه وكان في جملة من قتل على
حصار حلب اخو السلطان الاصغر وكان شجاعا وكان لما استقر الصلح بحلب
عمل زنكي المذكور دعوة للسلطان واحتفل فيها فبينما هم في سرورهم اذ جاءهم
انسان فاسر الى السلطان بموت اخيه المذكور فوجد عليه في قلبه وجدا
عظيما وامر بتجهيزه سرا ولم يعلم السلطان في تلك الوقت احدا ممن كان في
تلك الدعوة لئلا يتنكد عليهم ما هم فيه وكان السلطان يقول ما وقعت علينا
حلب رخيصة بموت الاخ وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم والتجلد
ولما فرغ السلطان من تقرير امر حلب جعل فيها حاكما ولده الملك الظاهر
غازي ورجع هو الى دمشق وتجهز منها للغزو وعبر نهر الاردن واغار
على بيسان واحرقها وشن الغارات على تلك النواحي ثم توجه السلطان الى الكرك
وارسل الى اخيه الملك العادل ابي بكر خليفته بمصر يامره ان يلاقيه اليها فساروا واجتمعوا عليها

وحصر الكرك

وحصر الكرك وضيق عليها ثم رحل عنها وسار معه اخوه العادل عازلة عن مصر
وارسل السلطان ابن اخيه الملك المظفر صاحب حماة الى مصر نايبا له موضع
العادل ووصل السلطان الى دمشق واعطى اخاه العادل مدينة حلب
وقلعتها واعمالها وسيره اليها واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق ثم [illegible]
وفي سنة ثمانين وخمسمايه تجهز السلطان صلاح الدين من دمشق
للغزاة ايضا وكتب الى مصر فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك ايضا
وضيق عليه وملك ربضه وبقيت القلعة وليس بين القلعة والربض
الا خندق بجسر خشب وقصد السلطان طمه فلم يمكنه لكثرة المقاتلة به
فجمع فارسها وراجلها الفرنج وقصدوه فلم يمكن السلطان الا الرحيل
فرحل اليهم فاقاموا في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم وسار من الفرنج
جماعة ودخلوا الكرك فعلم بامتناعه عليه فسار الى نابلس واحرقها ونهب
ما بتلك النواحي وقتل وسبى فاكثر فسار الى سبسطية وبها مشهد زكريا
فاستنقذ ما بها من اسرى المسلمين ثم سار الى جنين وعاد الى دمشق
وفيها سار شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم من عند الخليفة من بغداد الى السلطان
صاحب مصر في رسالة ليصلح بينه وبين صاحب الموصل فلم ينتظم حال
فاتفق ان مرض الشيخ صدر الدين فمات بالرحبة وكان اوحد زمانه قد جمع بين رياسة
الدين والدنيا وفي سنة احدى وثمانين وخمسمايه حصر صاحب مصر
الموصل وهو حصاره الثاني فارسل اليه صاحبه والدته وغيرها من نسا
بيتهم بنت نور الدين الشهيد يطلبون منه ترك الموصل وما بايديهم فردهم
واستقبح الناس ذلك من السلطان صلاح الدين لا سيما والشفيعة بنت
نور الدين استاذه وحاصر الموصل وضايقها فبلغه وفاة صاحب خلاط
فملكها وفيها افتتح صاحب مصر نوابا من جهته بحصن كيفا وحصن آمد
وفيها لما سار صاحب مصر السلطان صلاح الدين عن الموصل الى خلاط جعل
طريقه على ميافارقين وكانت لصاحب ماردين من قبل صاحب خلاط
فحاصرها صاحب مصر وملكها ثم ان السلطان المذكور رجع عن قصد خلاط الى
الموصل ايضا فجاته رسل صاحبه بسال الصلح فاتفق حينيذ ان
السلطان مرض فرجع من كفر زمار عايدا الى حران فلحقه رسل صاحب
الموصل بالاجابة الى ما طلبه وهو ان يسلم صاحب الموصل الى السلطان
شهرزور واعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب وان يخطب
لصاحب مصر على جميع منابر الموصل وان يضرب اسمه على الدراهم
والدنانير فتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وامنت به تلك البلاد

وفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة لما رجع السلطان صلاح الدين من الموصل الى دمشق
احضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر واستنابه بدمشق وسلبه
لان الملك المظفر عمر ابن اخي السلطان كان نايب عمه بمصر ومعه ابن عمه الملك
الافضل فارسل الملك المظفر يشتكي من الافضل اني لا اتمكن من استخراج
الخراج لانني اذا احضرت من عليه الخراج واردت عقوبته يطلقه
الملك الافضل فاخرج السلطان ولده من مصر واستنابه بدمشق
وتغير خاطر السلطان على ابن اخيه المذكور في الباطن لانه ظن انه انما
اراد اخراج الافضل من مصر ليتملكها اذا مات عمه السلطان ثم احضر
اخاه الملك العادل من حلب وجعل معه الملك العزيز عثمان ولده
نايبا عنه بمصر واعاد ولده الظاهر غازي الى ملك حلب الى ان مات عنه
واستدعى من مصر ابن اخيه المظفر فتوقف عن الحضور وقصد اللحوق
بمملوكه قراقوش المستولي على برقة وافريقية من المغرب فبلغ السلطان
ذلك فساءه وارسل يستدعيه ويلاطفه فحضر اليه ولما حضر عنده رده
الى ملك حماه وزاده عليها منبج والمعرة وكفر طاب وميافارقين وجبل جور
بجميع اعمالها واستقر الملك العادل عوضها عنها حران والرها الى آخر ما نذكره
وفيها غدر البرنس الفرنجي صاحب الكرك واخذ قافلة عظيمة من المسلمين
واسرهم فارسل السلطان يطلب منه اطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم
على ذلك فلم يفعل فانذر السلطان انه ان ظفر به قتله بيده
وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة كانت مبادي **غزوات**
السلطان الملك الناصر صلاح الدين وفتوحاته فيها جمع السلطان العساكر
وسار بفرقة من العسكر وضايق الكرك خوفا على الحجاج من صاحب الكرك
وارسل فرقة اخرى مع ولده الملك الافضل فاغاروا على بلد عكا
وتلك الناحية وغنموا اشيا كثيرا ثم سار السلطان ونزل على طبرية
وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وتاخرت القلعة وكانت طبرية
للقومص صاحب طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته
فارسلت الفرنج الى القومص القسوس والبطرك ينهونه عن موافقته
السلطان ويوبخونه فصار معهم واجتمع الفرنج لملتقى السلطان وفي
هذه النوبة كتب القاضي الفاضل كاتب السر يهني بحصن طبرية
وقعة حطين وهي الوقعة العظيمة التي فتح الله بها الساحل وبيت
المقدس لما فتح السلطان طبرية اجتمعت الفرنج بفارسهم وراجلهم وساروا
الى السلطان فركب هو من طبرية وسار اليهم والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال

فاستولى عليها سمند صاحب انطاكيه
واستخلف فيها ابنه

فلما راى القومص شدة الامر حمل على من قبله من المسلمين وكان هناك صاحب حماه ابن اخي
السلطان فافرج له ثم عطف عليه فقتل الف فارس من اصحابه ونجا القومص
من المعركة ووصل لبلده طرابلس وبقي مدة ومات غبنا ونصر الله تعالى المسلمين
واحدقوا بالفرنج من كل ناحية وابادوهم قتلا واسرا وكان من جملة من اسر
ملك الفرنج الكبير والبرنس ارناط صاحب الكرك وصاحب جبيل
والهنفري بن هنفري ومقدم الداوية وجماعة من الاسبتارية وما
اصيب الفرنج من حين خرجوا الى بلاد الشام وهي قريب مائة سنة كما تقدم
بمصيبة مثل هذه الوقعة ولما انقضى المصاف جلس السلطان الناصر
في خيمة واحضر ملك الفرنج واجلسه الى جانبه وكان الحر والعطش به شديدا
فسقاه ما مثلوجا فسقى ملك الفرنج البرنس ارناط صاحب الكرك
فقال السلطان ان هذا الملعون لم يشرب الما باذني امانا له ثم كلم
السلطان البرنس ووبخه وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين
وقام السلطان بنفسه فضرب عنقه بيده فارتعدت فرايص ملك
الفرنج فسكنه السلطان ثم عاد السلطان الى طبرية وفتح قلعتها
بالامان ثم سار الى عكا وحاصرها وفتحها بالامان ثم ارسل اخاه فحاصر
المجدل يابا وفتحه عنوة بالسيف ثم فرق السلطان عسكره ففتحوا
الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والفولة وغيرها من
البلاد المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا واسروا اهل هذه الاماكن
وارسل فرقة الى نابلس ففتحوا قلعتها بالامان ثم سار الملك العادل
اخو السلطان بعد فتح مجدل يابا الى يافا وفتحها بالسيف وسار السلطان
الى تبنين وفتحها بالامان ثم سار السلطان الملك الناصر صلاح الدين ايضا
الى صيدا فاخلاها صاحبها وتسلمها السلطان ساعة وصوله ثم سار الى
بيروت وحصرها وتسلمها بالامان بعد اسبوع وكان صاحب جبيل
من اعظم الفرنج واشدهم عداوة للمسلمين ولم تكن عاقبة اطلاقه حميدة
وارسل السلطان من تسلم جبيل واطلقه فكان ما نذكره **وفيها** حضر
المركيس في سفينة الى عكا وهي للمسلمين ولم يعلم المركيس بذلك واتفق
هجوم الهوى فراسل المركيس الملك الافضل ابن السلطان وهو بعكا
يقترح امانا فكتب له الملك الافضل امانا فرده يشترط فيه شروطا
فاجيب اليها فراسل الملك الافضل يعلمه ان يدرس بساطه في يوم معلوم
فصبر عليه الملك الافضل فاتفق في ذلك اليوم تحرك الهوى فاقلع المركيس
الى صور واجتمعت عليه الفرنج الذين بها وملك صور وكان وصول المركيس

الى صور واطلاق الفرنج الذين باخذ السلطان بلادهم بالامان وتطلقهم
من اعظم اسباب الضرر التي حصلت حتى راحت عكا وقوي الفرنج بذلك
ثم رجع السلطان الى عسقلان وحاصرها نصف شهر وتسلمها بالامان ثم بث
السلطان عسكره ففتحوا الرملة الداروم وغزة وبيت لحم وبيت
جبريل والبطرون وغير ذلك ثم سار السلطان ونازل القدس الشريف
وبه من النصارى عدد يفوت الحصر وضايق السلطان السور بالنقابين
واشتد القتال بينهم وعلقوا السور فطلب الفرنج الامان فلم يجبهم السلطان
اليه وقال لا اخذها الا بالسيف مثل ما اخذها الفرنج من المسلمين فعاودوه
بالامان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم ان ايسوا من الامان قاتلوا
خلاف ذلك فاجابهم السلطان اليه بشرط ان يودي كل من بها عشرة
دنانير عشرة دنانير من الرجال وتودي النسا خمسة دنانير خمسة دنانير
ويودوا عن الطفل دينارين ومن عجز عن الادا كان اسيرا فاجيب الى ذلك
وسلمت اليه المدينة يوم الجمعة سابع وعشرين رجب منها وكان يوما مشهودا
ورفعت الاعلام الاسلامية على اسوارها ورتب السلطان على ابواب
البلد من يقبض منهم المال المذكور فخان المرتبون في ذلك ولم يقبضوا منه
الا القليل وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير من ذهب فتسلق
المسلمون وقلعوه وسمع لذلك ضجة عظيمة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح
والسرور ومن الكفار للتفجع والتوجع وكان الفرنج قد عملوا في الجامع
الاقصى هريا ومستراحا فامر السلطان بازالة ذلك واعادة الجامع الى
ما كان عليه وكان سلطان الشام نور الدين الشهيد قد عمل منبرا بحلب
وتعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فارسل السلطان صلاح الدين
احضر المنبر من حلب وجعله في الجامع الاقصى واقام السلطان بعد
فتوح القدس بظاهره الى نحو شهر يدبر امور البلد واحواله وتقدم امره
بعمل الربط والمدارس للسادة الشافعية ثم رحل عنها عايدا الى
عكا ومنها الى صور وصاحبها حينيذ المركيس قد حصنها بالرجال
وحفر خنادقها ونزل السلطان على صور في رمضان وحاصرها وضايقها
وطلب المراكب من البحر فوصل اليه بعد شهر فاتفق ان الفرنج كبسوهم
واخذوا المجاهدين فلم يسلم من المسلمين فيه الا الشيخ ونجا واخذ الباقون
فطال الحصار عليها فرحل السلطان عنها بعد شهر وكان اول الشتا
واقام بعكا واعطى العساكر الدستور فسار كل واحد الى بلده وبقي
السلطان بعكا في حلقته وارسل الى هونين ففتحها بالامان ثم جرى ما سنذكره

وفي سنة اربع وثمانين وخمسماية

وفي سنة اربع وثمانين وخمسماية شتى السلطان صلاح الدين في عكا
ثم سار بمن معه الى كوكب وجعل على حصارها اميرا وعاد الى مصر
ورجع الى دمشق ودخلها وفرح الرعية بقدومه وكتب الى اطراف مملكته
باجتماع العساكر للجهاد واقام في دمشق خمسة ايام وسار منها ونزل
على بحيرة قدس غربي حمص واتته العساكر بها فاولهم زنكي صاحب
سنجار ونصيبين ولما تكاملت العساكر رحل فنزل تحت حصن الاكراد
من طرابلس وشن الغارات على بلاد الفرنج وسار من حصن الاكراد
فنزل على انطرطوس وتسلمها ساعة وصوله فجعل بحفظها اميرا وكتب
القاضي الفاضل كاتب السر في ذلك من انشايه ثم سار السلطان الى
اللاذقية ولها قلعتان فحصر القلعتين وزحف اليها فطلب اهلها الامان
فامنهم وتسلم القلعتين ولما تسلمها سلمها الى ابن اخيه الملك المظفر عمر
صاحب حماه فحصنها وعمرها وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة
عليها كما فعل بقلعة حماه ثم رحل السلطان من اللاذقية الى صهيون
وحاصرها وضايقها فطلب اهلها الامان فلم يجبهم الا على امان اهل القدس
فيما يودونه فاجابوا الى ذلك وتسلم السلطان قلعة صهيون وسلمها
الى امير له ثم فرق عسكره في تلك الجبال فملكوا حصن بلاطنس
وكان الفرنج الذين به قد هربوا واخلوه وملكوا حصن العيد وحصن
هونين ثم سار السلطان عن صهيون ووصل الى قلعة بكاس فاخلاها
اهلها وتحصنوا بقلعة الشغر فحاصرها السلطان ووجدها منيعة
وضايقها فارمى الله في قلوب اهلها الرعب وطلبوا الامان فتسلمها
وارسل السلطان ولده الملك الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمين
وضايقها فاستنزل اهلها على قطيعة قررها عليهم وهدم الحصن وعفى
اثره وكان في هذا الحصن وفي جميع الحصون المذكورة من المسلمين الاسرى
الجم الغفير فاطلقوا واعطوا الكسوة والنفقة ثم سار السلطان من
الشغر الى برزيه ورتب عسكره ثلاث فرق وداومها بالزحف
وملكها بالسيف وسبى وقتل من اهلها غالبهم حكاه كذا ابن الاثير مشاهدة
ثم سار السلطان ونزل على جسر الحديد وهو على نهر العاصي بقرب
انطاكية فاقام عليه اياما حتى تلاحق به من تاخر من بقية العسكر
ثم سار الى دربساك ونزل عليها وحاصرها وضايقها وتسلمها بالامان
على شرط ان لا يخرج احد منها الا بثيابه فقط وتسلمها ثم سار الى بغراس
وحصرها وتسلمها بالامان على حكم امان دربساك وارسل صاحب انطاكية

واسمه سمند الى السلطان يطلب منه الهدنة والصلح وبذل اطلاق
كل اسير عنده فاجيب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر وكان هذا صاحب
انطاكيه حينيذ اعظم ملوك الفرنج في هذه البلاد فان اهل طرابلس
سلموا اليه طرابلس بعد موت القومص صاحبها على ما ذكرناه فجعل
سمند صاحب انطاكيه ابنه في طرابلس ولما فرغ السلطان من هذه البلاد
والهدنه رجع الى حلب ودخلها وسار منها الى دمشق واعطى العماد زنكي
صاحب نصيبين دستورا وكذلك اعطى غيره من العساكر الشرقيه دستورا
وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر السلطان عمر بن عبد العزيز الاموي
فزاره وزار الشيخ ابا زكريا المغربي كان مقيما هناك وكان من عباد الله الصالحين
وله كرامات ظاهره وكان مع السلطان الامير ابو فليته قاسم بن مهنا
الحسني صاحب مدينه الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد معه مشاهده
وفتوحاته وكان السلطان يتبرك برويته ويتيمن بصحبته ويرجع الى قوله
وعاد السلطان الى دمشق فاشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا
فقال السلطان العمر قصير والاجل غير مامون وكان السلطان لما سار الى
البلاد الشماليه قد جعل على الكرك وغيرها من يحصرها وخلى اخاه ابا بكر
الملك العادل بتلك الجهات يباشر ذلك فارسل اهل الكرك يطلبون الامان
فامر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسليمها فتسلموها وهي الكرك
والشوبك وما بتلك الجهة من البلاد وفي فتح الكرك انشا القاضي الفاضل تهنية
ثم سار السلطان من دمشق في منتصف رمضان الى صفد وحصرها وتسلمها
بالامان والاطمان ثم رجع السلطان الى كوكب وكان قد نزل عليها اميرا
يحاصرها فضايقها السلطان ايضا وتسلمها بالامان وسير اهلها الى صور
وكان اجتماع اهل هذه القلاع في صور من اعظم اسباب الضرر على المسلمين
ظهر اثر ذلك فيما بعد ثم رجع السلطان الى القدس فعيد فيه عيد الاضحى
ثم عاد الى عكا فاقام بها حتى انسلخت هذه السنه وفي سنه خمس وثمانين
وخمسمايه سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب
شقيف ارنون وبذل له تسليم الشقيف بعد مدة عينها خديعة منه
فلما بقي للمدة ثلاثة ايام استحضره السلطان فقال له في التسليم فقال
لا تواقفني عليه اهلي واهل الحصن فامسكه السلطان وبعث به الى
دمشق فحبس واعلم ان جميع هذه البلاد كانت من حين فتوح الصحابة لها مستمرة
بايدي المسلمين الى ان وقعت الفتن في اقليم الشام وحلب ومصر واختلفت ملوكها
وضعفت وانقسمت فخرجت الفرنج الى البلاد الشامية واستولوا عليها كما تقدم في اية سنة

الى هذا التاريخ

الى هذا التاريخ المذكور حتى انقذها الله على يدي الملك الناصر صلاح الدين كما ذكرنا في
هذه السنين وفيها كان حصار الفرنج عكا كان قد اجتمع بصور
اهل البلاد التي اخذها السلطان بالامان وكثر جمعهم حتى صاروا في
عدد لا يحصى كما ذكرناه فارسلوا الى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا
المسيح وصوروا عربيا يضرب المسيح وقد ادماه وقالوا هذا نبي
العرب يضرب المسيح فخرجت النسا من بيوتهن ووصل اليهم من البحر
عالم لا يحصى كثرة وساروا من صور الى عكا ونازلوها في منتصف رجب
وضايقوا عكا واحاطوا بسورها من البحر الى البحر ولم يبق للمسلمين اليها
طريق فسار السلطان وعاد اليها ونزل قرب الفرنج وقاتلهم وباتوا
على ذلك واصبحوا وحمل صاحب حماه ابن اخي السلطان من ميمنة السلطان
على الفرنج فازالهم عن موقفهم والتزق بالسور وانفتح الطريق الى
المدينه فادخل السلطان الى عكا عسكرا نجدة وبقي المسلمون يغادون
القتال ويراجعونه قريب شهر ثم كان بين المسلمين وبينهم الوقعة العظيمة
فان الفرنج اجتمعوا وحملوا على السلطان في القلب فازالوه عن موقفه
واخذ الفرنج يقتلون المسلمين الى ان بلغوا خيمة السلطان فانحاز هو
وخاصته الى جانب وانقطع مدد الفرنج واشتغلوا بقتال الميمنة
فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا الميمنة وعطف الجيش عليهم فافنوهم
قتلا فقتل في ذلك الوقت من الفرنج قريب الثلاثين الفا ووصل المنهزمون
من المسلمين بعضهم الى طبريه وبعضهم الى دمشق وجافت رائحة الارض
بعد هذه الوقعة ولحق السلطان مرض القولنج فاشار عليه الامرا
بالانتقال من ذلك الموضع فوافقهم ورحل عن عكا اواخر رمضان الى منزلة
الخروبة فلما رحل تمكن الفرنج من حصار عكا وانبسطوا في تلك الارض ووصل
مركب المسلمين في البحر مع لولو الحاجب فظفر بمركب للفرنج واخذ من
الفرنج اموالا عظيمة ودخل بالكل الى عكا فقوي به قلوب من بها من
المسلمين وكذلك وصل الملك العادل نايب اخيه بمصر بعسكر مصر
بالسلاح الى اخيه السلطان فقويت قلوب المسلمين بوصوله وخرجت
السنه على ذلك وفي سنه ست وثمانين وخمسمايه بعد دخول صفر
رحل السلطان من منزلة الخروبة وعاد الى قتال الفرنج بعكا وكان الفرنج
قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة ابرجة طول البرج ستون ذراعا جلبوا
خشبها من جزاير البحر وعملوها طبقات وشحنوها بالسلاح والبسوها
جلود البقر والطين بالخل لئلا تعمل فيها النار فتحيل المسلمون واحرقوا

البرج الاول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح ثم احرقوا الثاني والثالث
وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة ووصلت الى السلطان عساكر
البلاد وبلغ المسلمين وصول ملوك الالمان وكان قد سار من بلاده ورآء
القسطنطينية بثمانية الف مقاتل فاغتم المسلمون لذلك وايسوا من
الشام بالكلية فسلط الله على الالمان الغلا والوبا فهلك اكثرهم في
الطريق ولما وصل ملكهم الى بلاد الارمن نزل في نهر هناك يغتسل فهلك
غرقا فاقاموا ابنه مقامه فرجع من عسكره طايفة الى بلادهم وطايفة
اختارت اخا ابن الملك المذكور فرجعوا مع ابن الملك ووصل مع ابن
الملك المتوفي اولا عسكر الى فرنج عكا الف مقاتل وكفى الله المسلمين شرهم
وبقي السلطان وفرنج عكا بينا وشون القتال الى حين خرجت الفرنج
بالفارس والراجل من خنادقهم وازالوا الملك العادل اخا السلطان
عن موقفه وكان معه عسكر مصر فعطف عليهم المسلمون فقتلوا من الفرنج
قريب عشرة الاف فارس فرجعوا الى خنادقهم وحصل للسلطان مغص
ايضا فانقطع في خيمة صغيرة ولولا ذلك كانت الفيصلة ولكن اذا اراد
الله امرا فلا مرد له وايضا لما قوي الشتا واشتدت الرياح ارسل الفرنج
مراكبهم الى صور خوفا ان تنكسر فانفتحت الطريق الى عكا في البحر وارسل
السلطان اليها البدل فكان العسكر الذين خرجوا منها اضعاف الواصلين
اليها فحصل التفريط لذلك وكان مع السلطان عسكر اربل وصاحبها
فمات على عكا وخرجت السنه على ذلك الى ان كان ما سنذكره وفي سنه سبع
وثمانين وخمسمائه كان استيلا الفرنج على عكا واستمر حصارهم
لها الى هذه السنه وكانوا قد احاطوا بها من البحر الى البحر وحفروا عليهم خندقا
فلم يتمكن السلطان من الوصول اليهم وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين وطال
من خارج بالسلطان واشتد حصارهم لعكا وضعف من بها عن حفظ البلد
وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدو عنهم فخرج اميرها وطلب
الامان من الفرنج على مال واسرى يقومون به للفرنج فاجابوهم الى
ذلك فصعدت اعلام الفرنج على عكا يوم الجمعة اواخر جمادى الاخرة منها
واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في اماكن من البلد وقالوا انما
نحبسهم ليقوموا بالمال والاسرى وصليب الصلبوت وكتبوا الى
السلطان صلاح الدين بذلك فحصل ما امكن تحصيله من ذلك وطلب منهم
اطلاق المسلمين فلم يجيبوا الى ذلك فعلم منهم الغدر واستمر اسرى المسلمين بعكا
ثم قتل الفرنج من المسلمين جماعة كثيرة واستمروا بالباقين في الاسر وبعد استيلا الفرنج

على عكا وتقرير

على عكا وتقرير امرها رحلوا عنها بعد شهر نحو قيسارية والمسلمون يسايرونهم
ويتخطفون منهم ثم ساروا من قيسارية الى ارسوف ووقع بينهم وبين
المسلمين مصاف ازالوا المسلمين عن مواقفهم ووصلوا الى سوق المسلمين
فقتلوا خلقا كثيرا اكثرهم من السوقة ثم سار الفرنج الى يافا وقد
اخلاها المسلمون فملكوها ثم راى السلطان تخريب عسقلان مصلحة
لئلا يحصل لها ما حصل لعكا فسار اليها واخلاها ورتب الحجارين
في تعليق اسوارها وتخريبها فدكها الى الارض فلما فرغ من تخريب
عسقلان رحل عنها الى الرملة فخرب حصنها وخرب كنيسة لد
ثم سار الى القدس وقرر اموره وعاد الى مخيمه بالنطرون عن طرابلس
ثم تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان
باخت ملك الفرنج ويكون للملك العادل القدس ولامراته عكا
فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يدخل في دينها فلم يتفق
بينهم حال ثم رحل الفرنج من يافا الى الرملة وبقي في كل يوم يقع بينهم وبين
المسلمين مناوشات ولقوا من ذلك شدة شديدة واقبل الشتا وحالت
الاوحال بينهم ولما راى السلطان ذلك وقد ضجر العسكر اعطاهم الدستور
ورجع الى القدس في اواخر السنه ونزل داخل البلد واستراحوا مما كانوا
فيه واخذ السلطان في تعمير القدس وتحصينه وامر العسكر بنقل
الحجارة وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدي به
العسكر فكان يجتمع عند العاملين في اليوم الواحد ما يكفيهم عدة ايام
وفيها مات صاحب حماه الملك المظفر عمر ابن اخي السلطان وابن اخت السلطان
ايضا حسام الدين محمد لاجين فاصيب السلطان بموتهما في يوم واحد فاحتسبهما
واستناب السلطان بالمملكة الشرقية اخاه الملك العادل نايبه بمصر
وفي سنه ثمان وثمانين وخمسمائه عاد الفرنج الى عسقلان وشرعوا
في عمارتها والسلطان في القدس فاتفق انه قتل المركيس صاحب صور
قتله الباطنية الاسماعيلية وكانوا قد دخلوا في زي الرهبان الى صور
وفيها عقدت الهدنه مع الفرنج وعاد السلطان الى دمشق وكان
سبب ذلك ان ملك الفرنج مرض وطال عليه البيكار فكاتب الملك
العادل اخا السلطان يساله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجب
السلطان الى الصلح ثم اتفق الامرا عليه لطول البيكار وضجر العسكر
فاجاب السلطان له واستقر امر الهدنه في شعبان وتحالفوا على ذلك
ولم يحلف ملك الفرنج بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون

وقنع بذلك السلطان ولكنه حلّف ابن اخيه خليفته في بلاد الساحل
وكذلك حلف غير من عظما الفرنج ووصل منهم ايضا الى خدمة السلطان
جماعة واخذ وايد السلطان على الصلح واستحلفوا اولاده واخاه
واقاربه واكابر امرايه وعقدت هدنة عامة في البر والبحر وجعلت
مدتها ثلاث سنين وثلاثة اشهر وكانت هذه الهدنة على ان يستقر بيد
الفرنج يافا وعملها وقيسارية وارسوف وحيفا وعكا وصور باعمالهم
وان تكون عسقلان خرابا وشرط دخول صاحب انطاكيه وطرابلس
في عقد هدنتهم وان تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين
فاستقرت القاعدة على ذلك ورجع السلطان الى القدس وتفقد احواله
وامر بتشييد اسواره وزاد في وقف المدرسة التي عملها بالقدس
للشافعية وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصندحنة
يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان
يملك الفرنج القدس ثم لما ملكوه سنة خروجهم على البلاد الشامية سنة
اثنين وتسعين واربعماية كما تقدم اعادوا هذه كنيسة كما كانت
قبل الاسلام فلما فتح هذا السلطان صلاح الدين القدس اعادها مدرسة
وسميت بالصلاحية وفوض تدريسها الى القاضي بهاء الدين بن شداد
قاضي حلب ولما استقر امر الهدنة المذكورة ارسل السلطان مائة حجار
لتخريب عسقلان وان يخرج من بها من الفرنج وعزم على الحج والاحرام من القدس
وكتب الى اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن بذلك ثم فنده الامرا وقالوا
لا تعتمد على هدنة الفرنج خوفا من غدرهم فانتقض عزمه ورحل عن القدس
الى نابلس ثم الى بيسان ثم الى كوكب وبات بقلعتها ثم رحل الى طبرية
ولقيه بها الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي وقد خلص من الاسر بنوبة عكا
فسار معه ثم سار السلطان الى بيروت ووصل الى خدمته صاحب انطاكيه
وعاد السلطان الى دمشق وفرح اهلها به لان غيبته عنهم في الجهاد كانت مدة
اربع سنين واقام العدل والاحسان بمملكته واعطى العساكر دستورا
فودعه ولده الملك الظاهر غازي لعوده الى مملكته حلب وداع لا التقا بعد
وبقي مع السلطان ولده الاخر الافضل علي بدمشق خليفته عليها واخوه الملك
العادل صاحب المملكة الشرقية والقاضي الفاضل كاتب السر ووزير السلطان
وفيها وقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس وفيها امر السلطان
بقتل الشيخ شهاب الدين يحيى السهروردي لما ظهر من امره من الافعال التي تخالف علم
الشرع من التعطيل واسرار الحروف والسيميا واظهار المغيبات فخنق وصلب بحلب
فكان كما قيل • وما انا الا المسك في كل بلدة • اضوع واما عندكم فاضيع •

السلطان

وذكر ابن فضل الله في تاريخه

وذكر القاضي كاتب السر شهاب الدين بن فضل الله في تاريخه ممالك الامصار في اخر الجزء الاول
فقال الفصل الثاني في اللّر وهولاء طايفة كثيرة العداد ومنهم فرق متفرقة في البلاد
وفيهم ملك وامارة واقدام وشطارة ولهم خفة في الحركات ومعرفة بالسحريات
وصدق في القول يقف الرجل منهم الى جانب البنا المرتفع ويلصق بطنه باحد الزوايا
القايمة به ثم يصعد فيه الى ان يرتقي صهوته العليا ومنهم من يجالس الرجل ومعه
ماله وياخذ منه وهو لا يدري وربما امسك الرجل منهم وضرب بالسياط
وعوقب اشد العقاب فلا يقر انه اخذ ولا يعترف فاذا حلف بستر الله
واقسم عليه به اقر واعترف وفي بلاد مصر والشام منهم طوايف وفي البلاد
الشامية معظمهم ولهم في هذا وقايع مشهورة واحوال مشهودة ومما يحكى
ان السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب الكردي رحمه الله
حضر اليه رجل منهم واظهر له اشيا من افعاله اللطيفة وحركاته الخفيفة حتى انه
وقف الى جانب بنا مرتفع وارتفع والتصق به وارتفع حتى استوى على اعلاه
والسلطان صلاح الدين يظهر العجب من شطارته وخفة حركته وقدرته على ما
لا يقدر عليه مثله فلما نزل خلع عليه واكرمه وحمله على فرس واقطعه
اقطاعا جليلا وقال له اشتهي ان يكون عندنا جماعة منكم فاننا ما نستغني
عنكم لنتوصل بكم الى حصون الاعدا فبقي ذلك اللري يجلب لكم منهم واحدا بعد واحد
ممن يقدر على هذا منهم فكلما جا واحد منهم اكرمه السلطان وخلع عليه واقطعه
الاقطاع حتى لم يبق احد منهم وبقي مدة لم يحضر احدا الى السلطان فقال له اي شي
ما عدت جبت لنا احدا فقال والله يا مولانا ما بقي احد يقدر على هذا مثلنا فلما
تحقق السلطان في ذلك اسرها في نفسه ثم جمعهم ووقف خلف كل رجل منهم رجلا
واوما اليه فضربوا رقاب اوليك النفر لان السلطان لما راى ذلك فزع منهم
على نفسه وخاف ان هو قتله وحده يبقى وراه من يفعل مثل فعله فاحتال
عليهم بذلك لئلا ينزل عليه احدهم فيقتله واما ما يروى من مشي هذه الطايفة
على الحبال المنصوبة على قامات من الارض وانقلابهم عليها في الهوا حتى يصير راس
الرجل منهم منكوسا الى الارض ورجله متعلقه بالحبل ثم يستوي على قامته ثم يمشي
على الحبل بالقبقاب ويلعب فوقها بالمجاريق مما تحار له الالباب وتخال فيه الى نوادر
العجب العجاب ومنهم من يتعلق بالخيل وتركضها اشد ركض ثم تطيح عنها في قوة جريها
الى الارض ثم تثب عليها فتستوي على ظهرها ثم تصير حزاما لبطنها ثم تنزل جهوة الفرس
وتعتنق العنق تارة من اعلاها وتارة من تلقا صدرها الى غير ذلك من عجايب الافعال
وغرايب الخفة من المحال وداب من هو منهم في الشام اخذ ما قدروا عليه ووصلت ايديهم
اليه وقد عوقب صبرهم على الضرب فما بقي يضرب احدهم اذا اتهم بل يحلف بستر الله
ويقسم عليه به فيقر ويعترف ويرد ما اخذه ويقولون نحن ناخذ قبيح ونرد مليح وقد اوردنا

هاتين اللفظتين بعبارتهم على ما هي عليه وسارقهم لا يقطع على السرقة هكذا جرت عادتهم
في بلادنا وهم ببلادهم اهل منعة وهي اللزان كبير وصغير ومامور وامير انتهى كلامه
وفي سنة تسع وثمانين وخمسماية كانت وفاة السلطان الملك الناصر
صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن الامير نجم الدين ايوب الكردي العادلي
دخلت هذه السنة والسلطان كما ذكرنا بدمشق على احمل المسرة وخرج الى شرقي
دمشق يتصيد وغاب نصف شهر وصحبته اخوه الملك العادل ابو بكر ثم عاد
الى دمشق وودعه اخوه الملك العادل وداعا لا لقا بعده وسار الى الكرك
واقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان واقام السلطان بدمشق وركب في
نصف صفر وتلقى الحاج وكانت عادته لا يركب الا وعليه كازغند فركب
ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب اجتماع الحجاج وركوبه خلق كثير ولم يلبس
الكازغند ثم ذكره وهو راكب فطلبه فلم يجده لانه لم يحمل معه فمضى فلما
التقى الحجاج استعبرت عيناه كيف فاته الحج ووصل اليه مع الحجاج ولد
اخيه سيف الاسلام صاحب اليمن ثم عاد السلطان على البساتين على جهة
المنيبع وطلع الى القلعة على الجسر وكانت هذه اخر ركباته فلحقه تلك الليلة
كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى صفراوية واخذ المرض في التزايد وقصد
الاطبا في الرابع فاشتد مرضه وحدث به في التاسع رعشة وغاب ذهنه
وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف في البلد وغشي الناس من الحزن
والبكا عليه ما لا يمكن حكايته وحقن في العاشر حقنتين فاستراح بدنه
وتناول من ما الشعير مقدارا صالحا ثم لحقه عرق عظيم حتى نفد من
الفراش واشتد مرضه ليلة ثاني عشر مرضه وحضر عنده الشيخ الصالح
ابو جعفر امام المدرسة الكلاسة ليبيت عنده في القلعة بحيث ان احتضر
بالليل لقنه الشهادة فتوفي السلطان في تلك الليلة وهي المسفر صباحها عن
السابع والعشرين من صفر من هذه السنة بعد صلاة الصبح فبادر كاتب سره
القاضي الفاضل سريعا فحضر وفاته ووصل من حلب قاضيها القاضي بها الدين
ابن شداد صديقه بعد موته وغسله الخطيب الدولعي خطيب دمشق
واخرجت جنازته بعد صلاة الظهر في تابوت مسجى بثوب من صوف
وجميع ما احتاجه من ثياب تكفينه احضرها كاتب سره القاضي الفاضل
من جهات حل عرفها وصلى عليه الناس ودفن بقلعة دمشق في الدار التي
كان مريضا فيها وكان نزوله الى قبره بعد صلاة العصر وتاسف عليه الناس
وكان الملك الافضل علي ابنه الاكبر قد حلف الناس له عندما اشتد بوالده
مرضه وجلس للعزا في القلعة وارسل الكتب بوفاة والده الى اخيه الملك
العزيز عثمان صاحب مصر والى اخيه الملك الظاهر غازي صاحب حلب والى عمه

الملك العادل

الملك العادل ابي بكر صاحب الكرك وغيرها ثم انه عمل لوالده تربة قرب الجامع
وكانت دارا لرجل صالح ونقل اليها السلطان بعد قريب من ثلاثة سنين
ومشى ابنه الافضل صاحب دمشق بين يدي تابوته واخرج من القلعة على
دار الحديث الى باب البريد وادخل الجامع ووضع قدام قبة النسر
وصلى عليه قاضي البلد محي الدين بن الزكي ثم دفن بها وجلس ولده المذكور
في الجامع ثلاثة ايام للعزا ايضا وانفقت ست الشام بنت ايوب اخته
في هذه النوبة اموالا عظيمة وكان مولد السلطان الناصر صلاح الدين هذا
بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسماية فكان عمره سبعا وخمسين
سنة وكانت مدة ملكه للديار المصرية نحو اربع وعشرين سنة وملكه للشام
قريبا من تسع عشرة سنة وتقدم ذكر مبداه وحاله في اول هذا التاريخ فليراجع
وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وبنتا واحدة وكان اكبر اولاده ولده
الملك الافضل علي خليفته بدمشق فانه ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسماية
وكان ولده الاخر الملك العزيز عثمان خليفته بمصر اصغر منه بنحو سنتين
وكان ولده الاخر الملك الظاهر غازي خليفته بحلب اصغر منهما وبقيت
البنت حتى تزوجها ابن عمها الملك الكامل صاحب مصر بن الملك العادل المتقدم
ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزانته غير اقل من خمسين درهما ودينار
واحد صوري وهذا من رجل اجتمع له مملكة الديار المصرية والبلاد الشامية
وبلاد اليمن والشرق وبلاد افريقية من الغرب وبعض بلاد الروم
دليل قاطع على فرط كرمه وكثرة عدله ولم يخلف دارا ولا عقارا ولا غيره
هذا مع كثرة ما غنمه في جهاده وفتوحاته بل صرفه في مصارفه الشرعية
قال كاتب سره العماد الكاتب حسبت ما اطلقه السلطان الناصر
في مدة مقامه بمرج عكا من خيل عراب واكاديش فكان اثني عشر
الف راس وذلك غير ما اطلقه من اثمان الخيل المصابة في القتال انتهى
ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود به ولم يوخر صلاة
عن وقتها ولا صلى الا في جماعة وكان اذا عزم على امر توكل على الله ولا يفضل
يوما على يوم وكان كثير سماع الحديث النبوي وسمع على الحافظ السلفي
وابن عساكر وقرا مختصرا في الفقه تصنيف ابي الفتح سليم الرازي
في مذهب الامام الشافعي وكان حسن الخلق والخلق صبورا على المكاره
كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك
ولا يتغير عليه وكان يوما جالسا فرمى بعض المماليك بعضا بسرموجة
فاخطاته ووصلت الى السلطان فاخطاته ووقعت قريبا منه فالتفت

الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها وكان طاهر المجلس لا يذكر احدا في مجلسه الا بخير
وطاهر اللسان فلا يولع بشتم احد قط واما عدله في رعيته فهو مشهور
قال العماد الكاتب مات بموت السلطان الرجال وفات بفواته الافضال
وغاضت الايادي وفاضت الاعادي وانقطعت الارزاق وادلهمت
الافاق وفجع الزمان بواحده وسلطانه ورزي الاسلام بمشيد اركانه
وبعده ترك وزيره القاضي الفاضل وكاتبه العماد الكاتب وظيفتهما
لحزنهما عليه وانقطعا في بيتهما حتى ماتا وكانت العلما ترد عليه من اقطار الارض
ومناقبه كثيرة لا يسع ذكرها في هذا المختصر فقد افرد له العلما سيرته بالتصانيف
حتى ذكروه في طبقات العلما ايضا جزاه الله الجنة وملك بعده اقاربه

السلطان الثاني بمصر من ملوك بني ايوب الاكراد احد اولاده هذا
وهو السلطان الملك العزيز ابو الفتح عماد الدين عثمان بن السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب قد ذكرنا انه لما مات السلطان الناصر
كان خليفته على مصر ولده الاوسط الملك العزيز عثمان فاستمر بعده بها ايضا
واستمر اخوه الاكبر الملك الافضل علي في مملكة دمشق وبلادها المنسوبة اليها
واستمر اخوهما الاصغر الملك الظاهر غازي في مملكة حلب واعمالها هولا اولاده
الثلاثة المملكة منقسمة بينهم اثلاثا واستمر اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب
في مملكة البلاد الشرقية مضافة الى مملكة الكرك والشوبك وهو مقيم بها
واستمر ابن ابن اخيه الملك المنصور محمد بن المظفر عمر في مملكة حماه وغيرها وبقية اقاربه
ايضا في بقية بلاد المملكة وبيد جماعة من امرا دولته بلاد وحصون وكان
ولده الافضل صاحب دمشق هو الاكبر من اولاد السلطان كما ذكرنا والمعهود
اليه بالسلطنة الكبرى فاستوزر وزيره القاضي ضيا الدين ابن الاثير
الجزري فحسن لسلطانه طرد امراء ابيه ففارقوه ولحقوا الى اخويه
الظاهر بحلب والعزيز بمصر قال العماد الكاتب وتفرد الوزير بوزارة
ومد الجزري في جزره فلما اجتمعت الامرا الصلاحية بالديار المصرية
حسنوا لسلطانها الملك العزيز الانفراد بالسلطنة ووقعوا في اخيه الافضل
صاحب دمشق فمال الى ذلك وحصلت الوحشة بين الاخوين المذكورين
بجري ما سنذكره واتفق ان المملكة الشرقية خرجت من ايديهم بسبب اختلافهم
وفي سنة تسعين وخمسمايه استحكمت الوحشة بين الملكين الاخوين
الملك الافضل صاحب دمشق واخيه الملك العزيز صاحب مصر فسار هذا من مصر
في عسكره وحصر اخاه الافضل بدمشق فارسل هذا الى اخيه الظاهر صاحب حلب
والى عمه الملك العادل بالشرق والى ابن عمه المنصور صاحب حماه يستنجدهم على اخيه

فساروا الى دمشق

فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين فرجع العزيز الى بلده مصر
ورجع كل ملك الى بلده فاقبل الافضل صاحب دمشق على الشرب وسماع
الاغاني ليلا ونهارا واشاع ندماه ان عمه العادل حسن له ذلك وكان يعمله
بالخفية فانشده عمه العادل فلا خير في اللذات ما دونها ستر ٥٥٥
فقبل وصية عمه وتظاهر بذلك وفوض امر المملكة الى وزيره الضيا ابن الاثير
يدبرها برايه الفاسد ثم انه اظهر التوبة عن ذلك وازال المنكر وواظب على
الصلوات وشرع في نسخ مصحف بيده ومضت السنة والاخوين مختلفين
وفي سنة احدى وتسعين وخمسمايه عاود الملك العزيز عثمان صاحب مصر
قصد الشام ومنازعة اخيه الافضل فنزل قرب دمشق فاضطرب بعض
امرايه عليه وفارقوه فبادر العزيز العود الى مصر بمن بقي معه من العسكر
وكان اخوه الافضل صاحب دمشق قد استنجد بعمه الملك العادل عليه
فلما رجع العزيز الى مصر رحل الافضل وعمه العادل ومن انضم اليهما من
الامرا المذكورين في اثر الملك العزيز طالبين مصر وساروا حتى نزلوا على
بلبيس وقد ترك العزيز بها جماعة من امرا ابيه وقصد الافضل مناجزتهم
بالقتال فمنعه عمه العادل فقصد الافضل المسير الى مصر للاستيلا
عليها فمنعه عمه العادل ايضا وقال مصر لك متى شيت وكان العادل
مع العزيز في الباطن وقال ارسل لي القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين
وكان القاضي الفاضل قد اعتزل عن ملابستهما لما راى من فساد احوالهما
فدخل عليه الملك العزيز وساله فتوجه من القاهرة الى بلبيس الى الملك
العادل عمهما واجتمع به فاتفقا على ان يصلحا بين الاخوين فاصلحا
بينهما واقام الملك العادل بمصر عند الملك العزيز على حسب تقرير امور
المملكة وعاد الافضل الى دمشق **وفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمايه**
لما كانت امور الافضل صاحب دمشق مسلمة الى وزيره الضيا ابن الاثير
وقد اختلفت الاحوال به وكثر شاكوه فلما بلغ عمه الملك العادل واخاه
الملك العزيز بمصر اضطراب الامور على الافضل اتفق العادل والعزيز
على ان ياخذوا دمشق منه ويتسلمها العادل وتكون فيها السكة والخطبة
للعزيز بساير بلاد المملكة كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر
فارسل الافضل اليهما واحدا من امرايه وهو اخو العادل لامه فاجتمع به
فاظهر له الاجابة الى ما طلبه واتم العادل والعزيز السير حتى نازلا
دمشق وقد حصنها الافضل فكاتب الملك العادل بعض امرا الافضل
وصانعوا معه وانهم يسلمون المدينة اليه فزحف الملك العادل والملك العزيز

وَدَخلا دمشق كل منهما من باب فاجاب صاحبها الملك الافضل الى تسليم قلعتها
فانتقل منها باهله واصحابه واخرج وزيره الضيا ابن الاثير في صندوق
خوفا عليه من القتل واعطى الافضل صرخد فسار اليها باهله واستوطنها
ودخل الملك العزيز الى دمشق ثم سلمها لعمه الملك العادل على حكم ما كان قد
وقع عليه اتفاقهما وتسلمها العادل ورجع الملك العزيز من دمشق لمصر
وابقى الملك العادل السكة والخطبة بدمشق للملك العزيز صاحب مصر
ولما انتزعت دمشق من الافضل كتب الى الخليفة ببغداد الناصر لدين الله
يشكو من اخيه عثمان وعمه ابي بكر المذكورين واول الكتاب **شعر**

مولاي ان ابا بكر وصاحبه ۝ عثمان قد غصبا بالسيف حق علي ۝
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى ۝ من الاواخر ما لاقى من الاول ۝

فكتب اليه الخليفة الناصر جوابه وكان شيعيا

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ۝ بالصدق يخبر ان اصلك طاهر ۝
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن ۝ بعد النبي له بيثرب ناصر ۝
فاصبر فان غدا عليه حسابهم ۝ وابشر فناصرك الامام الناصر ۝

وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمايه بدا خروج ملك اليمن من حكم بني ايوب الاكراد
وفي سنة اربع وتسعين وخمسمايه سار الملك العادل صاحب دمشق
الى البلاد الجزرية ليبعد صاحبها فاتفق انه وصل جمع عظيم من الفرنج
الى بلاد الساحل واستولوا على قلعة بيروت فسار الملك العادل مسرعا
ونزل على تل العجول واتته النجدة ووصل اليه سنقر الكبير صاحب القدس
وصاحب نابلس وسار بهم الى يافا وفتحها بالسيف وقتل مقاتلها
وسبى نساها وصبيانها وكان هذا الفتح ثالث فتح لها ونازل الفرنج
تبنين فارسل الملك العادل الى ابن اخيه الملك العزيز صاحب مصر
فسار العزيز بعساكر مصر واجتمع بعمه المذكور على تبنين فرحل عنها
الفرنج على اعقابهم الى مدينة صور ثم رجع الملك العزيز الى مصر وترك
غالب عسكره مع عمه وجعل اليه امر الحرب والصلح ثم طاول الملك
العادل الفرنج فطلبوا الهدنة فاستقرت بينهم ثلاث سنين
ورجع العادل الى دمشق ثم سار الى ماردين وحصرها ثم ملك ابنه خلاط
وفي سنة خمس وتسعين وخمسمايه في اواخر المحرم مات صاحب مصر
الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف
بن ايوب بعد ان جمع بين مملكتي مصر ودمشق كما ذكرناه وكان قد طلع الى
الصيد بجهة الفيوم فركض خلف ذيب فتقنطر وحم فعاد الى الاهرام وقد

استدت حماه

اشتدت حماه فدخل القاهره يوم عاشورا وحدث به يرقان وقرحة
في الامعاء واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور وكانت مدة ملكه ستة
سنين وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعيه والاحسان
اليهم ففجعت الرعيه بموته فجعة عظيمة وكان الغالب على دولته
اميرين فخر الدين جهاركس صاحب القيسارية بالقاهره المنسوبة اليه
فاقام في مملكته ولده الملك المنصور محمد بن الملك العزيز المذكور على ما سنذكره

السلطان الثالث بمصر من بني ايوب الاكراد هو السلطان الملك
المنصور محمد بن الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
اقامه الامير جهاركس ولكنه صغير فاتفقت الامرا على احضار احد من
بني ايوب وعملوا مشورة بحضور القاضي الفاضل فاشار بالملك الافضل
وهو حينيذ بصرخد فارسلوا اليه فسار مجدا ووصل القاهره على انه
اتابك الملك المنصور بن العزيز وكان عمر الملك المنصور حينيذ تسع
سنين وشهورا وكان مسير الملك الافضل في عشرين نفرا متنكرا
خوفا من اصحاب عمه الملك العادل صاحب دمشق فان غالب تلك
البلاد كانت له فوصل بلبيس فخرج ابن اخيه الملك المنصور المذكور للقايه
فترجل له عمه الافضل ودخل القاهرة بين يديه الى دار الوزارة
وهي كانت مقر السلطنه وكان لما وصل الافضل الى بلبيس والتقاه
العسكر فتنكر عليه منه الامير جهاركس وفارقه فتابعه عدة من العسكر
وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين كما ذكرناه
وارسل الملك الظاهر صاحب حلب الى اخيه الافضل يشير عليه
بقصد دمشق واستعادتها من عمه الملك العادل وان ينتهز الفرصة
لاشتغال عمه العادل بحصار ماردين فبرز الافضل من مصر راجعا
الى دمشق وبلغ عمه الملك العادل وصوله الى دمشق فترك على
حصار ماردين ولده الملك الكامل محمد ورجع هو الى دمشق مجدا
فسبق هو ابن اخيه اليها فدخلها قبل نزول ابن اخيه عليها بيومين
فلما وصلها الافضل زحف على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض
عسكره الى المدينه حتى وصلوا الى باب البريد ولم يمدهم العسكر
فتكاثر عليهم اصحاب الملك العادل واخرجوهم من البلد ثم تخاذل
عسكر الافضل فتاخروا الى ذيل عقبة الكسوة ثم وصل اليه اخوه
الملك الظاهر صاحب حلب فعاد الى محاصرة عمه بدمشق ودام الحصار
عليها وقلت الاقوات عند الملك العادل وعلى اهل دمشق فاشرف

الاخوان الافضل والظاهر على اخذ دمشق وعزم العادل على تسليم البلاد لهما
لولا ما حصل بين الاخوين من الخلف وخرجت السنه وهم على الحصار.
وفي سنة ست وتسعين وخمسمايه كان في اوايلها الملكان الاخوان
الافضل والظاهر على دمشق محاصرين عمهما فاتفق وقوع الخلف بين
الاخوين المذكورين وسببه انه كان للملك الظاهر مملوك يحبه اسمه
ايبك ففقد ووجد عليه سيده وجداً عظيما وتوهم انه دخل دمشق
فارسل يكشف خبره فاطلع عمه العادل وهو محصور على القضيه
فارسل الى الظاهر يقول له ان واحدا من جماعه اخيك افسد مملوكك
وحمله الى اخيك وهو عنده فقبض الظاهر على ذلك الشخص فظهر مملوكه
عنده فتغير على اخيه وترك قتال عمه العادل وظهر الفشل في العسكر
فتاخر الملكان الاخوان عن دمشق الى ان ينسلخ الشتا ثم انثنى عزمهما
ورجع الافضل الى مصر والظاهر الى حلب ولما تفرقا خرج عمهم العادل
من دمشق وسار في اثر الافضل الى مصر فلما وصل الافضل الى مصر
تفرقت عساكره لاجل الربيع وادركه عمه العادل فخرج الافضل ايضا
وضرب معه مصافا فانكسر الافضل وانهزم الى القاهره فنازل
عمه العادل القاهره مده فاجاب الافضل الى تسليمها على ان يعوض
عنها ميافارقين وحاني وسميساط فاجابه عمه الى ذلك ولم يف له به
فرجع الى بلد صرخد وفي هذه المده مات كاتب سرهم القاضي الفاضل الرفيع
واقام الملك العادل بمصر على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن يوسف
مده يسيره ثم ازال الملك المنصور واستقل العادل بالسلطنه

السلطان الرابع عشر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو السلطان الملك العادل ابو بكر محمد اخو السلطان الملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي انتزعها من بني اخيه كما ذكرناه
فاجتمع له ممالك الديار المصريه والشاميه وبلاد الشرق واتسع عليه
من غير مشارك وصفت له المملكه ولما استقرت له المملكه ارسل اليه بنوا
اخيه صاحب حماه وصاحب حلب وغيرهما فاعتذروا له وصالحوه
واطاعوه وخطب له بالبلاد الشاميه والحلبيه وغيرها وضربت
السكه باسمه واشترط على ابن اخيه صاحب حلب ان يكون خمسمايه فارس
من خيار عسكر حلب في خدمته كلما خرج الى البيكار فالتزم صاحب حلب
له بذلك واتفق في هذه السنه ان نيل مصر قصر عن الزياده تقصيرا عظيما
حتى انه لم يبلغ اربعه عشر ذراعا فتشاموا من تلقيبه بالعادل ونظيره وقع
ايضا في دولة الملك العادل كتبغا من الترك كما سياتي ولم يلقب من ملوك مصر بعد الاربعه

[illegible]

واستخلف السلطان

واستخلف السلطان على دمشق لما انتقل عنها ولده الملك المعظم عيسى ثم جرى له ما سنذكره
وفي سنة سبع وتسعين وخمسمايه حصل بين هذه الملوك اختلاف ايضا فان
الملك الظاهر صاحب حلب ارسل الى ابن عمه الملك المنصور صاحب حماه يبذل له
قلاعا على ان يصير معه على عمهم الملك العادل صاحب مصر فاعتذر له صاحب
حماه باليمين التي في عنقه لعمه صاحب مصر فلما ايس صاحب حلب منه نهض ملك
سار الى المعره وهي في حكم حماه واقطع بلادها واستولى على كفرطاب ثم الى فاميه
وزحف على حماه وحاصرها وقاتل قتالا شديدا فجرح بسهم في ساقه واستمرت الحرب
فلم يحصل على غرض فصالح صاحب حماه على مال حمله اليه ثلاثين الف دينار
ثم رحل صاحب حلب الى دمشق وبها الملك المعظم عيسى بن عمه الملك العادل
صاحب مصر فنازل دمشق هو واخوه الذي كانت له وهو الملك الافضل وانضم
اليهما ايضا صاحب نابلس وغيره وافقه من الامرا الصلاحيه واستقرت القاعده
بين هذين الاخوين الافضل والظاهر انهما متى ملكا دمشق تسلمها الافضل
كما كانت له ثم يسيران الى عمهما الملك العادل صاحب مصر فياخذاها منه ايضا
ويتسلمها صاحب دمشق ويسلم دمشق الى صاحب حلب بحيث تبقى مصر
للملك الافضل ويصير الشام جميعه لصاحب حلب وكان قد تخلف عنهما
من الامرا الصلاحيه الامير جهاركس وقراجا فسلمه صرخد وبلغ عمهما الملك العادل
صاحب مصر حصارهما ولدي اخيه لدمشق وبها ابنه فخرج بعساكر مصر
واقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما واشتدت مضايقه الملكين الاخوين
لدمشق وتعلق النقابون بسورها فلما شاهد صاحب حلب ذلك
حسد اخاه الافضل عليها وقال له اريد ان تسلم دمشق الي الآن فقال له
اخوه انت حرمي وحرم عمك وهم على الارض وهب ان هذه البلد لك فاجعلها لي
الى حين تملك مصر وتاخذها فامتنع اخوه صاحب حلب من قبول ذلك منه
وكان قتال العسكر والامرا الصلاحيه انما هو لاجل الافضل البعيد في ملكه
فقال هولاء لئن كان قتالكم لاجلي فاتركوا القتال وصالحوا صاحب مصر
ولئن كان قتالكم لاجل اخي صاحب حلب فاياكم فيها انتم واياه فقالوا له
انما قتالنا لاجلك وتخلوا عن القتال وارسلوا صالحوا صاحب مصر
وخرجت السنه وقد تفرقت تلك العساكر فرحل صاحب حلب عايدا الى بلده
وسار الافضل الى حمص وفي سنة ثمان وتسعين وخمسمايه بعد
رحيل هذين الملكين الاخوين عن دمشق قدم اليها عمهم صاحب مصر
وشيد احوال ابنه بها وسار منها الى حماه بجميع وضايفه وكلفه فبلغ ابن اخيه
صاحب حلب وصول عمه الى حماه بنيه قصده ومحاصرته لحلب فاستعد للحصار.

حينيذ

وراسل عمه ولاطفه وطلب منه الصلح فوقع الصلح وانتزعت منه المعرة واعيدت
لصاحب حماه وكذلك غيرها واستقر للملك الافضل مدينة سروج وشمشاط
وسلم الملك العادل صاحب مصر حران وما معها لولده الملك الاشرف موسى
وسيره الى الشرق وكان ولده الاوحد نجم بميافارقين وولده الحافظ بقلعة جعبر
ولما استقر الصلح بين صاحب حلب وبين عمه صاحب مصر رجع العادل
الى ابنه المعظم بدمشق واقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية مع
الديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة باسمه
وفي سنة تسع وتسعين وخمسمايه جرت في بلاد اليمن فتن وحروب
وبقيت خالية بغير سلطان فتغلبت عليها امراة وخرجت من حكم صاحب مصر
وفيها ارسل صاحب مصر الملك العادل الى ولده الملك الاشرف الى بلاد الشرق
وامره بحصار ماردين فحاصرها وضايقها ثم وقع الصلح على ان يحمل صاحبها مالا
ماية الف دينار لصاحب مصر ويخطب له ببلاده وتضرب السكة باسمه
ويكون بخدمته متى طلبه فاجيب الى ذلك واستقر الصلح عليه وفيها
اخرج الملك العادل ابن اخيه الملك المنصور محمد الملك العزيز الذي كانت
له السلطنه وانتزعها منه كما ذكرناه من مصر الى الشام فسار هو والدته واقام
عند عمه بحلب

وفيها سار صاحب حماه الى بعرين مرابطا للفرنج واقام بها وانجده عمه صاحب
مصر بنايبي بعلبك وحمص واجتمعت الفرنج من حصن الاكراد وطرابلس
وعكا وغيرها وقصدوا صاحب حماه وهو ببعرين واتقعوا معه
واقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل واسر من خيالتهم جماعة وكان يوما مشهودا
ثم خرج من حصن الاكراد والمرقب الاسبتار وانضم اليهم جموع من السواحل
واتقعوا مع صاحب حماه ايضا وهو نازل ببارين فانتصر عليهم ثانيا
وانهزمت الفرنج هزيمة قبيحة واسر وقتل منهم عدة كثيرة واخزاهم الله
وفيها ارسل صاحب مصر الملك العادل وانتزع ما كان بيد ابن اخيه الافضل
من البلاد المشرقية وهي راس العين وسروج وقلعة نجم ولم يترك بيده غير شمشاط
فقط فارسل الافضل والدته الى صاحب حماه لتدخل عليه ليرسل معها من يشفع فيه
عند عمهم صاحب مصر ليعيد له ما كان بيده من البلاد فنفعل له ما طلبته وسالت
امه من عمه ذلك فلم يجبها وردها خايبة قال ابن الاثير في تاريخه وقد عوقب البيت
الصلاحي بمثل ما فعله والدهم لما خرجت اليه نسا بيت السلطان نور الدين
الشهيد من جملتهن بنته يشفعن في ابقا الموصل عليهم فردهن ولم يجبهن
ثم ندم السلطان صلاح الدين على ردهن فجرى لولده مع عمه مثل ذلك كما ذكرناه

ولما جرى ذلك

ولما جرى ذلك اقام الافضل بشمشاط وقطع خطبة عمه صاحب مصر وخطب
لصاحب الروم ثم جرى ما سنذكره وفي سنة ستمايه دخل هذا القرن
وسلطان مصر كما ذكرنا الملك العادل ابو بكر اخو الناصر يوسف بني ايوب
قال ابن الاثير في تاريخه ولقد جرى ونحن في الموصل وغيرها في تلك البلاد في
سنة ستمايه شي عجيب وهو ان الناس اصابهم وجع كثير في حلوقهم فشاع
ان امراة من الجن يقال لها ام عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل ماتما
اصابه هذا المرض فكان اوباش الناس والنسا يلطمون على عنقود ويقولون

يا ام عنقود اعذرينا … قد مات عنقود وما دارينا

وانما ذكرنا ذلك لان رعاع الناس يقولون بام عنقود وهذيانها ليعلم
تاريخ هذا الهذيان من متى كان وكان قبل ذلك في سنة ست وخمسين وخمسمايه
قد شاع بالعراق وكثير من البلاد ان جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون
فراوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما وعويلا وقايل يقول قد مات
سيدوك ملك الجن واي بلد لا يلطم اهله قلع اصله فصدق بذلك
ضعفا العقول من الرجال والنسا حتى خرجوا الى المقابر يلطمون انتهى كلامه
وفيها كانت الهدنه بين الفرنج وبين صاحب حماه وفيها خطب صاحب سنجار
ببلاده باسم صاحب مصر فصعب ذلك على صاحب الموصل وقصد نصيبين
وهي لصاحب سنجار فاستنجد هو عليه بالملك الاشرف بن صاحب مصر المذكور
فسار اليه من حران واجتمع معه اخوه صاحب ميافارقين والتقى الفريقان
فانهزم صاحب الموصل هزيمة قبيحة وكانت هذه الوقعة اول ما عرف
من سعادة الاشرف بن صاحب مصر فانه لم تنهزم له راية بعد ذلك ثم وقع
الصلح بينهم بعد ذلك وفيها اجتمع الفرنج لقصد بيت المقدس فخرج اليهم
الملك العادل صاحب مصر من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور
في قبالة الفرنج ودام ذلك الى اخر السنه وفيها استولت الفرنج على قسطنطينية
وكانت بيد الروم من قديم الزمان فلما كانت هذه السنه اجتمعت الفرنج وقصدتها
في جمع عظيم وحاصروها وملكوها وازالوا الروم عنها ولم تزل بيد الفرنج
الى سنة ستين وستمايه فقصدتها الروم واستعادتها من الفرنج
وفيها خرج مركب للفرنج واستولى على مدينة فوة من الديار المصرية ونهبوها
خمسة ايام لاشتغال صاحب مصر بامر بيت المقدس لدفع الفرنج ايضا عنه
وليس بمصر الا ولده الملك الكامل محمد كما ذكرناه ثم جرى بينهم ما سنذكره
وفيها كانت زلزلة عامة في اقطار الارض خربت من المدن شيا كثيرا
ووقع نظيرها ايضا على راس القرن السابع سنة اثنين وسبعماية كما سياتي في موضعه
ووقع ايضا زلزلة على راس القرن الثامن سنة ثمانماية كما سياتي في موضعه

وفي سنه احدى وستمايه كانت الهدنه بين الملك العادل صاحب مصر والفرنج
وسلم الى الفرنج يافا ونزل عن مناصفات لد والرملة التي ذكرناها قبلها
ولما استقرت الهدنه اعطى العساكر دستورًا ورجع الى مصر واقام بدار الوزارة
وفيها اغارت الفرنج على حماه حتى قاربوها وامتلت ايديهم من المكاسب
واسروا امراها شهاب الدين ابن البلاعي وكان فقيها شجاعًا تولى مناصب
وحمله الفرنج الى طرابلس اسيرًا فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل الى
اهله بحماه سالمًا ثم وقعت الهدنه بين الفرنج وبين صاحب حماه مرة اخرى
وفيها كانت الحرب بين الابن صاحب مكة وبين صاحب المدينه النبويه الشريفة
وفي سنه اثنتين وستمايه لم يقع شي من الحوادث في الممالك المصريه الا في ملوك العجم
وفي سنه ثلاث وستمايه عاد الملك العادل من مصر الى الشام ونازل في
طريقه عكا فصالحه اهلها على اطلاق جميع الاسارى ووصل الى دمشق
ثم سار الى بحيرة قدس واستدعى بالعسكر فاتته من كل جهة واقام على
البحيرة حتى خرج رمضان ثم سار ونازل حصن الاكراد وفتح برج اعمار
واخذ منه سلاحًا ومالا وخمسمايه رجل ثم سار ونازل طرابلس ونصب عليها
المجانيق وعاث العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم رجع الى بحيرة قدس
بظاهر حمص وفي سنه اربع وستمايه كان الملك العادل نازلا ببحيرة قدس
في اوايلها ثم وقعت الهدنه بينه وبين صاحب طرابلس وعاد الملك
العادل الى دمشق واقام بها وفيها ملك ابنه الاوحد خلاط وموش وغيرها
وفيها وصل من بغداد التشريف من الخليفه الناصر الى السلطان الملك
العادل بدمشق صحبه الشيخ الامام قطب العارفين والعلما العاملين
شهاب الدين السهروردي فبالغ السلطان في اكرامه وخرج لملتقاه ووصل
من صاحبي حلب وحماه ذهب لينثر على السلطان اذا لبس الخلعة ففعل
ذلك وكان يومًا مشهودًا ثم توجه الشيخ المذكور الى مصر ليخلع على ابن السلطان ايضا
ثم عاد الى بغداد مكرمًا معظمًا وفيها اهتم السلطان بعمارة قلعة دمشق
والزم كل واحد من ملوك اهل بيته بعمارة برج منها وفي سنه خمس وستمايه
اهتم صاحب حلب باجرا القناة اليها من حيلان الى حلب وغرم
على ذلك اموالا كثيرة وبقي الما يجري في البلد واستمر بها على تطاول السنين
وفي سنه ست وستمايه سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع
الملوك من اولاده وكان سبقه ابنه الملك الاشرف ونزلوا على حران فوصل
اليه بها صاحب آمد وحصن كيفا وسار السلطان عنها ونازل سنجار وحاصرها
فطال الامر في ذلك ثم خامرت عساكر الملك العادل ونقض صاحب حلب الصلح معه

فرجع واستولى على نصيبين والخابور وفي سنه سبع وستمايه عاد السلطان
الملك العادل من البلاد الشرقيه الى دمشق ثم الى مصر واقام بدار الوزارة
وفيها وردت من بغداد رسل الخليفه الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف
ان يشربوا له كاس الفتوة ويلبسوا سراويلها وان ينتسبوا اليه في
رمي البندق ففعلوا ذلك وهذا من الهذيان الذي يقع من عاقل فلله الامر
وفي سنه ثمان وستمايه عاد الملك العادل الى الشام وفيها اظهر
مقدم الاسماعيليه شعاير الاسلام وكتب به الى جميع قلاع الاسماعيلية
بالشام والعجم فاقيمت فيها شعاير الاسلام وفي سنه تسع وستمايه
عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت
وفي سنه عشر وستمايه مات ملك بلاد المغرب الملك الناصر محمد بن عبد المومن
وفي سنه احدى عشر وستمايه عاد الملك العادل من الشام الى مصر
وفي سنه اثنتي عشر وستمايه كان استيلا الملك المسعود يوسف المعروف
باقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل صاحب مصر على بلاد اليمن
بعثه ابوه ومعه جيش فاستولى عليها وظفر بصاحبها فبعثه معتقلا الى
مصر فاجرى له ما يقوم به ولم يزل مقيما بها الى ان استشهد في وقعة المنصورة
الاتي ذكرها في سنه سبع واربعين وستماية وفي سنه اربع عشرة وستماية خرج
والملك العادل بالديار المصريه وقد اجتمعت الفرنج من داخل البحر ووصلوا
الى عكا في جمع كثير ولما بلغ الملك العادل ذلك خرج بعساكر مصر وسار
حتى نزل بنابلس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من العساكر ما يقدر
على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة فيق فاغاروا على بلاد المسلمين
واغاروا على نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين بيسان ونابلس
وبثوا سراياهم فقتلوا وغنموا ما يفوت الحصر وعادوا الى مرج عكا
واقام الملك العادل بمرج الصفر وسارت الفرنج وحصروا حصن الطور
الذي بناه هذا السلطان كما ذكرناه قريبا ثم رحلوا عنه وانقضت السنة
والفرنج بجموعهم بمرج عكا وفي سنه خمس عشرة وستمايه كان الملك العادل
بمرج الصفر في اوايلها وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار
المصريه ونزلوا على دمياط فسار الملك الكامل بن العادل من مصر
ونزل قبالتهم واستمر الحال كذلك اربعة اشهر وارسل الملك العادل
العساكر الذي عنده الى عند ابنه الكامل فوصلت اليه اولا فاولا
ولما اجتمعت العساكر عند الكامل اخذ في قتال الفرنج ودفعهم
عن دمياط ثم تاخر عن منزلته لاختلاف العساكر عليه فطمعت الفرنج وتمكنت منهم

بسبب ما اتفق من موت السلطان وهو على الجهاد كما سنذكره قريباً في موضعه وفيها كانت قصة ملك الروم وسبب ذلك انه كان اتفق موت صاحب حلب قريباً ايضاً وجلس مكانه ولده الملك العزيز في المملكة وهو طفل في سن الرضاع فطمع صاحب الروم في الاستيلاء على حلب فاستنجد بالملك الافضل صاحب شميساط الذي كانت له دمشق وذكرنا اخباره فاتفق معه ان يفتح حلب واعمالها ويسلمها الى الافضل ثم يعود ويفتح البلاد الشرقية التي بيد الاشرف بن صاحب مصر ويتسلمها صاحب الروم وتحالفا على ذلك فسار صاحب الروم الى جهة حلب ومعه الافضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها صاحب الروم وسلمها الى الافضل فمالت اليه قلوب اهل تلك البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر ففتحها ولم يسلمها الى الافضل فنفر خاطره وخواطر اهل البلاد لذلك ووصل من الشرق صاحبها الاشرف الى حلب ليدفع عنها صاحب الروم ووصل اليه ايضاً امير العرب في جمع عظيم وكان صاحب الروم قد سار الى منبج وتسلمها لنفسه ايضاً فسار الملك الاشرف بالجموع التي معه ونزل وادي براعا واتقع بعض العسكر مع عسكر صاحب الروم فانهزمت مقدمته واخذ منهم عدة اسارى فارسلوا الى حلب ودقت البشاير بها ولما بلغ صاحب الروم كسر عسكره ولى منهزماً فتبعه الملك الاشرف يتخطف اطراف عسكره ثم حاصر على تل باشر واسترجعها ورعبان وغيرها واما الافضل فانه رجع الى بلده شميساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة وعاد الملك الاشرف الى حلب وقد بلغه وفاة ابيه الملك العادل وكانت وفاته انه كان منازلاً للفرنج بمرج الصفر الى عالقين وهي عند عقبة فيق فنزل بها واشتد مرضه ثم توفي هناك في جمادى الآخرة من هذه السنة وكان مولده سنة اربعين وخمسمائة فكان عمره خمساً وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلثاً وعشرين ولمصر نحو تسعة عشر وكان العادل حازماً متيقظاً غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة صبوراً حليماً يسمع ما يكره ويغضي عنه واتته السعادة واتسع ملكه وكثرت اولاده ورأى فيهم ما يحب ولم ير احد من الملوك الذين اشتهرت اخبارهم في اولاده من الملك والظفر ما رآه العادل وخلف ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات ولما توفي لم يكن عنده احد من اولاده حاضراً فحضر اليه ابنه صاحب دمشق الملك المعظم عيسى وكان بنابلس بعد وفاته فكتم موته واخذه ميتاً في محفة وعاد به الى دمشق فدفنه بها واحتوى الملك المعظم على جميع ما كان مع ابيه من الجواهر والسلاح

والخيول وغير ذلك

والخيول وغير ذلك ولما وصل الى دمشق حلف الناس له واظهر موت ابيه وجلس للعزاء وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم وكان في خزانة الملك العادل لما توفي سبعمائة الف دينار عيناً ولما بلغ ابنه الملك الكامل صاحب مصر موت ابيه وهو في قتال الفرنج على دمياط عظم عليه جداً واختلفت العساكر عليه فتاخر عن منزلته وطمع الفرنج ونهبت بعض اثقال المسلمين وكان في العسكر مقدم عظيم في الاكراد يعزم على خلع الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كبير حتى عزم الكامل على دخول اليمن

السلطان الخامس بمصر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو السلطان الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب الكردي قد ذكرنا ان اباه كان قد جعله في حياته على مملكة مصر وجعل اخويه المعظم عيسى على الشام والاشرف موسى على البلاد الشرقية فلما توفي ابوهم كما ذكرنا انفرد كلهم بملكه فاستمر الكامل المذكور في ملك مصر بعد ابيه في حرب جيش فلما اختلفت عليه العساكر للملك وهو على دفع الفرنج عن دمياط عزم على مفارقة مصر واللحوق بولده صاحب اليمن كما ذكرنا فبلغ ذلك اخاه الملك المعظم عيسى صاحب الشام فرحل من الشام ووصل الى اخيه الملك الكامل بمصر منجداً له واخرج عنه ذلك الامير الكردي الذي اراد خلعه من السلطنة فنفاه الى الشام فانتظم حينئذ امر الملك الكامل وقوي مضايقة الفرنج لدمياط وضعف اهلها بسبب ما ذكرناه من الفتن التي حصلت في العسكر وفي سنة ست عشرة وستمائة والملك الاشرف موسى اخو الكامل مقيم بظاهر حلب يدبر احوالها واخوهما الملك المعظم عيسى بدمشق والملك الكامل صاحب مصر في مقابلة الفرنج وهم محاصرون لثغر دمياط وكتبه متواصلة الى اخويه في طلب النجدة فارسل الملك المعظم عيسى صاحب الشام الحجارين والنقابين الى القدس ليهدموا سوره وكانت قد حصنت الى الغاية فانتقل منه خلق عظيم وكان سبب ذلك ان الملك المعظم لما رأى قوة الفرنج وتغلبهم على دمياط خشي ان يقصدوا القدس فخربه لذلك لعلمه انه لا يقدر على منعهم عنه واما دمياط فان الفرنج هجموا عليها بالسيف بعد مضايقة الفرنج لها مضايقة عظيمة وقتلوا واسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمع الفرنج في الديار المصرية وحين اخذت دمياط بنى عوضها الملك الكامل مدينة وسماها المنصورة عند مفرق البحرين الآخذ احدهما الى دمياط والآخر الى اشمون طناح ونزل فيها بعسكره الى ما نذكره

وفيها كان ظهور الططر وقتلهم في المسلمين ولم تنكب المسلمون اعظم ما نكبوا
هذه السنة فمن جملة ما كان من تملك الفرنج لدمياط وقتل اهلها واسرهم
ومنه المصيبة الكبرى وهي ظهور الططر وتملكهم في المدة القريبة اكثر
بلاد الاسلام وسفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم ولم يفجع المسلمون
منذ ظهر دين الاسلام كهذه الفجيعة فان الططر خرجوا على بلاد العجم ومعهم
ملكهم جنكزخان وهم كفار فاستولوا على غالب تلك البلاد وقتلوا اهلها
واصل قصتهم ان مملكة الصين مملكة متسعة ودورها قريب السنة وكانت
منقسمة ستة ممالك كل مملكة منها مسيرة شهر يتولى امرها سلطان لكنه
نيابة عن سلطانهم الاعظم وكان ملكهم الكبير في تلك الايام يقال له الطرخان
قد توارث المملكة كابرا عن كابر وكابرا عن كافر ومن عادة ملكهم الاعظم
الاقامة بوسط الصين وكان من زمن تهم في تلك الايام احد ملوكهم المتولي
احد الممالك الستة المذكورة كان متزوجا بعمة جنكزخان المذكور واهم
طايفة سكنهم البرارى ومشتاهم موضع اخر وهم المشهورون بين الترك
بالغدر والشر لم تزل ملوك الصين ازاحوا عنهم لطغيانهم فاتفق ان زوج
عمة جنكزخان المذكور مات فحضر جنكزخان الى عمته زائرا ومعزيا
فارسلت عمته الى الملوك المجاورين لها تنعي اليهم زوجها وانه لم يخلف ولدا
وانه كان حسن الجوار لهم وان ابن اخيها جنكزخان ان اقيم مقامه فانه
يحذو حذو المتوفى في الامور يعاضد الملوك المجاورين المذكورين فلما
انهي الامر الى ملكهم الاعظم انكر توليه جنكزخان واستحقره وانكر على تلك
الملوك الذين فعلوا ذلك فلما جرى ذلك خلعوا طاعة ملكهم الاعظم وانضم
اليهم كل من هو من عشايرهم ثم اقتتلوا مع ملكهم الاعظم فتولى منهزما منهم
وتمكنوا من بلاده فارسل هو يطلب منهم الصلح وان يبقوه على بعض البلاد
فاجابوه الى ذلك وبقي جنكزخان والملوك المجاورون له المذكورون
مشتركين في الامر فاتفق موت احدهم ثم مات اخر وتملك ابنه مكانه
فاستضعفه جنكزخان لصغره واخل بالقواعد التي كانت مقررة بينه
وبين ابيه ~~فانفرد عن جنكزخان~~ فانفرد عن جنكزخان وفارقه لذلك
فوقع بينهم الحرب فجرد جنكزخان جيشا مع ولده فساروا وقاتلوا ذلك
الملك فانتصر ابن جنكزخان وانهزم ذلك الملك فتبعه ابن جنكزخان
وقتله وعاد الى ابيه براسه فانفرد حينئذ جنكزخان بالمملكة ثم انه
راسل ملوك العجم في الصلح فلم ينتظم امر فجمع جنكزخان عساكره والتقى مع
ملوك العجم فانهزموا منه فاستولى جنكزخان على البلاد واهلك بها العباد
وفعل بعده ذريته كذلك فلم تزل هذه الططر يبرزون على بلاد الشام اكثر من مائة سنة
كما سنذكر مفصلا في مواضعه

وفي سنه سبع عشر وستمائه

وفي سنة سبع عشرة وستماية كان الفرنج متملكين دمياط والسلطان الملك الكامل مستقر
في بلد المنصورة مرابطا للجهاد واخوه الملك الاشرف موسى في البلاد الشرقية حران
جرى بينه ايضا وبين ملوك تلك البلاد فتن وحروب طويلة انتصر هو فيها عليهم
واستولى على جملة بلاد واخوهما الاخر الملك المعظم عيسى صاحب دمشق مشغول
ايضا في الساحل بالجهاد وقد فتح قيسارية وهدمها ونازل عثليث ايضا وغيرها
وفيها استولى الططر على اكثر اقليم العجم وفعلوا في تلك البلاد جميعها من قتل اهلها
وسبي ذراريهم وقتل العلما والصلحا والزهاد والعباد وتخريب الجوامع
وتحريق المصاحف ما لم يسمع مثله في تاريخ قبل الاسلام ولا بعده فان
واقعة بخت نصر مع بني اسرايل كانت لا تصل الى بعض بعض ما فعله
هولاء الططر فان كل مدينة من المدن التي اخربوها اعظم من القدس بكثير
وكل امة قتلوهم من المسلمين اعظم من بني اسرايل الذين قتلهم بخت نصر اللهم سلم
وكان من جملة من قتله عسكر جنكزخان الاستاذ شيخ الصوفية نجم الكبرا رضي الله عنه
وفي سنة ثمان عشرة وستماية قوي طمع الفرنج المتملكين لدمياط في الديار المصرية
وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال
بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخويه
المعظم والاشرف واهل بيته يستحثهم على النجدة فسار اخوه الملك المعظم عيسى
صاحب دمشق الى اخيه الملك الاشرف وهو في مملكته بالبلاد الشرقية
واستدعاه الى المسير الى اخيهما الملك الكامل لينجداه على الفرنج فجمع الاشرف
عساكره واستصحب معه عسكر حلب وعسكر حماة وحمص وبعلبك
وجمع المعظم عسكر دمشق وسار بهذه العساكر كلها الى نجدة الملك الكامل
بالديار المصرية فوجدوه وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب والتقى
اخويه واهل بيته ومن في صحبتهم من الملوك واكرمهم فقويت بهم قلوب المسلمين
وضعفت قلوب النصارى الفرنج بما شاهدوه من كثرة عساكر الاسلام
واشتد القتال على الفريقين ورسل السلطان الملك الكامل واخويه
مترددة الى الفرنج في الصلح وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان
وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين ابن ايوب
من الساحل خلا الكرك والشوبك ونابلس على ان يجيبوا الى الصلح وان
يسلموا دمياط الى المسلمين فلم ترض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثماية الف دينار
عوضا عن تخريب الاسوار التي للقدس فان الملك المعظم عيسى خربها كما ذكرنا
وقالوا لا بد من تسليم الكرك والشوبك ايضا وبقي الامر مترددا بينهم من ذلك
فبينما هم كذلك اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الفرنج من دمياط

في

فنجروا البحر عظيمة من النيل والنيل اذ ذاك في زمن قوته في الزيادة والفرنج
لا خبرة لهم بامر النيل فركب الما تحت الارض وصار حايلا بين الفرنج وبين
دمياط فهلكوا جوعا وبعثوا يطلبون الامان على ان ينزلوا عن جميع ما
بذل لهم المسلمون ويسلموا دمياط وتعقدوا منه في الصلح وكان فيهم
عشرين ملكا من الملوك الكبار فاختلفت الاراء بين يدي السلطان الملك الكامل
فبعضهم قال لا نعطيهم امانا ونأخذهم ونتسلم بهم ما بايديهم من الساحل
مثل عكا وصور وطرابلس ثم اتفقت اراوهم على اجابتهم الى الامان لطول
هذه البيكار وتضجر العسكر لانهم كان لهم ثلاث سنين وشهورا من ابطين
في هذا القتال فاجابهم الملك الكامل الى الامان وطلب الفرنج رهينة من
الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح ايوب وعمره يوميذ خمس عشرة سنة
الى الفرنج وحضر ايضا من الفرنج على ذلك رهينه وهو ملك عكا ونايب البابا
صاحب رومية الكبرى وصاحب صور وغيرهم من الملوك وكان ذلك في
رجب من هذه السنة واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس
لهم مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته واهل بيته وتسلم
المسلمون دمياط وكان الفرنج قد حصنوها الى غاية ما يكون لكونها كانت سورا
وفي جلوس هذا واخوته الملوك واقفين حوله بحضور تلك الفرنج قال الراجح الحلي من قصيدة
اعباد عيسى ان عيسى بن عمكم ○ وموسى تراهم يخدمان محمدا
فثبت الذي كفر فكان ذلك طراز ذلك وكانت تلك القصيدة عشرة ابيات
فاجاز السلطان بكل بيت الف درهم فضة كان الجملة ذهبا الف دينار
وكذلك فعل اخواه المذكوران ثم سار السلطان ودخل دمياط ومعه اخوته
واهل بيته فكان يوما مشهودا ثم عاد للقاهرة واذن للملوك من اخوته واهل
بيته بالرجوع الى بلادهم ثم ملك السلطان آمد وحصن كيفا واستخلف فيها ابنه الصالح
وفيها ارتكب ابن صاحب مكة امرا عظيما فقتل اخاه صاحب الينبع وعمه صاحب المدينة
واباه صاحب مكة فعل ذلك كله في ايام يسيرة واستقر في ممالكهم المذكورة فلم يمتع
وفي سنة تسع عشرة وستماية قد كنا ذكرنا ان صاحب مصر الكامل كان استولى
على بلاد اليمن وبعث اليها ابنه فجا ابنه في هذه السنة الى الحجاز ليستولي عليها فقاتل
فقاتل صاحب مكة فانتصر عليه ابن صاحب مصر واستولى على مكة وولى عليها
وفي سنة عشرين وستماية ارسل السلطان عسكرا الى اللاذقية ليخربوا قلعتها
فهدموها الى الارض وفيها جرى امر عجيب وهو ان اهل مملكة الكرج كان قد مات
ملكهم ولم يبق من بيت الملك الا امراة فملكوها وطلبوا لها رجلا يتزوجها ويقوم
بالملك ويكون من اهل بيت المملكة فلم يجدوا فيهم من يصلح للملك وكان صاحب

ارزن الروم

ارزن الروم من السلجوقية بيت كبير مشهور فارسل يخطب هذه الملكة لولده
ليتزوجها فامتنعوا من اجابته الا ان يتنصر فامر ولده فتنصر وسار الى
الكرج وتزوج الملكة وكانت هذه الملكة تهوى مملوكا لها فبقي زوجها
هذا يعلم بذلك ويتكاسر فدخل يوما الى البيت فوجد المملوك نايما معها في
الفراش فلم يصبر الزوج على ذلك وانكر عليها فاخذته زوجته واعتقلته
في بعض القلاع ثم احضرت رجلين كانا قد وصفا لها بحسن الصورة
فتزوجت احدهما ثم فارقته واحضرت انسانا مسلما من كنجة هويته ايضا
فسالته ان يتنصر لتتزوج به فلم يجبها الى ذلك فتردد الرسل بينهما
فلم يجبها الى التنصر عكس ما فعل ابن صاحب ارزن الروم فلا حول ولا قوة الا بالله
وفي سنة احدى وعشرين وستماية كان بين ملوك الشام اختلاف وشرور يطول ذكرها
وفي سنة اثنتين وعشرين وستماية كانت وفاة الخليفة ببغداد الناصر لدين الله
احمد المستضي حسن بن المستنجد يوسف وخلفه ابنه الظاهر بالله ابو النصر محمد
وهو الذي ظهر لتراه الناس وكان الخلفا قبله كلهم لا يظهرون الا نادرا او ما يرى
وفي سنة ثلاث وعشرين وستماية كان بين الملوك بني ايوب اختلاف واما السلطان
الملك الكامل صاحب مصر فانه كان بمصر وقد تخيل من بعض عسكره فما امكنه
الخروج منها وفيها كانت وفاة الخليفة ببغداد الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله
وخلفه ابنه المستنصر ابو جعفر المنصور واليه تنسب المدرسة المستنصرية ببغداد
وفي سنة اربع وعشرين وستماية كان في اوايلها الملك الكامل بديار مصر
وقد وقعت وحشة بينه وبين اخيه صاحب دمشق المعظم عيسى وقد استنجد
على محاربته بالسلطان جلال الدين خوارزم شاه صاحب مملكة اقليم اذربيجان
واما اخوهم الاخر الاشرف موسى صاحب الشرق فانه لم يوافقه على منازعة اخيهما المذكور
فلما راى الملك الكامل صاحب مصر اعتضاد اخيه المعظم بسلطان العجم خاف على نفسه
من ذلك وكاتب ملك الفرنج في ان يتقدم الى عكا ليشغل اخيه المعظم عما هو فيه
ووعده بان يعطيه القدس فسار ملك الفرنج الى عكا فبلغ المعظم ذلك
فكتب الى الشرق الى اخيه الاشرف واستعطفه فاتفق ان المعظم مات
بقلعة دمشق بالدوسنطارية عن نحو خمسين سنة وكانت مدة ملكه دمشق قريب
العشر سنين لكنه كان يخطب ببلاده لاخيه الكامل ولا يذكر اسمه معه
وكان فاضلا بمذهب الحنفية متعصبا له مخالفا جميع اهله فانهم كانوا شافعية
ولما توفي خلفه بدمشق ابنه الملك الناصر داود ثم نزعها منه عمه الاشرف كما سنذكره
وفي سنة خمس وعشرين وستماية ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه
الناصر داود بن المعظم صاحب دمشق حصن الشوبك فلم يجبه اليه فسار عمه الملك الكامل

من مصر ونزل بظاهر غزة وولى على نابلس والقدس وغيرها من بلاد صاحب دمشق
وكان مجيئه لاجل انتزاع بلاد اخيه المعظم من ابنه الناصر داود وتملكها لعمه
الملك الاشرف موسى فارسل اليه وهو ببلاده الشرقية فقدم الاشرف
الى دمشق فوقع اتفاقه مع اخيه الكامل على ان دمشق تستقر للاشرف
ويكون له الى عقبة فيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل
وخرجت هذه السنه والملكان الاخوان نازلان على ظاهر غزة لاجل ذلك
و اذا هما بملك الفرنج قد قدم الى عكا بجموعه فان قد ذكرنا ان الملك الكامل
كان قد ارسل اليه امبرا يستدعيه الى قصد الشام بسبب اخيه المعظم
قبل موته فقدم ملك الفرنج وقد مات المعظم فنشب به الملك الكامل
ولما وصل ملك الفرنج استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين وبينه
وسورها خراب فعمره الفرنج وكان هذا ملك الفرنج كان صاحب جزيرة
صقلية ومن البر الطويل جزيرة انبولية والانبردية وكان من بين فرنجا به
من ملوك الفرنج محبا للحكمة والمنطق والطب مائلا الى المسلمين لان منشاه
بجزيرة صقلية وغالب اهلها يومئذ مسلمون وترددت الرسل بين
الملك الكامل وبين ملك الفرنج في ان يكف كل منهما عن الاخر الى ان خرجت هذه السنة
و قويت شوكتهم فانتزعوا بلاد المسلمين وخافوا من شرهم الى ان جرى ما سنذكره
وفي سنة ست وعشرين وستمائه كانت ملوك مصر والشام متفرقين مختلفين
قد صاروا احزابا وفرقا وقد اجتمعوا الى صاحب مصر وهو مقيم بنواحي القدس
فقويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم ومن وفد اليهم من البحر وبموت المعظم
صاحب دمشق واختلاف من بعده فطلبوا من المسلمين ان يردوا اليهم ما كان
الملك الناصر صلاح الدين استنقذه منهم من البلاد فوقعت المصالحة بينهم
وبين ملك مصر الكامل على ان يرد عليهم بيت المقدس وحده على ان يستمر اسوارها
خرابا ولا تعمره الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى
ويكون الحكم في الرساتيق الى والي المسلمين ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق
من عكا الى القدس فقط ووقع الامر على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الفرنج
القدس فعظم ذلك على المسلمين وحصل لهم بذلك وهن عظيم وارجاف شديد
وكان في تلك الايام صاحب دمشق الناصر داود محصورا بها وعمه الاشرف
يحاصره بامر اخيه الملك الكامل فاخذ الناصر داود في التشنيع على عمه بذلك
وكان بدمشق في تلك المدة الشيخ شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي وكان واعظا
بليغا فامر صاحب دمشق بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضايل بيت المقدس
وما حل بالمسلمين من تسليمه الى الفرنج فعمل مجلسا عظيما وهو جملة ما انشد فيه قصيدة منها

على قبة المعراج

٥ على قبة المعراج والصخرة التي ٥ تفاخر ما في الارض من صخرات ٥
٥ مدارس ايات خلت من تلاوة ٥ ومنزل وحي مقفر العرصات ٥

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم فكان يوما مشهودا ثم ان الملك الكامل لما
عقد الهدنه مع الفرنج وخلا سره من جهتهم سار الى دمشق واشتد حصاره
لها الى ان ملكها وعوض صاحبها الناصر داود عنها الكرك وعدة بلاد وسلم
دمشق للملك الاشرف موسى وتسلم منه الملك الكامل البلاد الشرقية
واستخلف فيها ابنه الملك الصالح ايوب ثم سار الى حماة وحاصرها الى ان
انتزعها من صاحبها الناصر وتولاها اخوه الملك المظفر محمود بن المنصور
ثم سار الملك الكامل من حماة الى البلاد الشرقية فنظر في مصالحها ورجع الى مصر
وفي سبع وعشرين وستمائه استخلف الاشرف موسى صاحب دمشق عليها
اخاه الصالح اسمعيل وسار هو الى البلاد الشرقية بسبب دفع ملوك العجم
وكانوا طايفة يقال لهم الخوارزمية كانوا لا يستولون على بلد الا قتلوا من
فيه ونهبوا اموالهم فكسرهم الله على يد الاشرف موسى واهلك منهم كثيرا
وفيها جمعت الفرنج من حصن الاكراد ومن طرابلس وقصدوا حماة فخرج اليهم
صاحبها والتقاهم فكسرهم كسرة شنيعة ورجع منصورا وبهذه السنه
قد كملت مدة بلاده سنين لم يحج فيها من الشام احد لاختلاف الملوك والحروب
وفي سنه ثمان وعشرين وستمائه عادت التطر ايضا الى بلاد الاسلام
وسفكوا الدما وخربوا البلاد لضعف الملوك بالعراق عن دفعهم فتمكنوا منها
وقربوا من الفرات فاضطربت البلاد الشامية لهم فشنوا الغارات
في ديار بكر والبلاد الجزرية وفعلوا من القتل ما لم يسمع بمثله واستمروا على ذلك
ومن بعد هذه السنه لم يحج من الشام احد ايضا لكثرة الحروب والخوف من التطر
والفرنج وفيها كان غلا شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة
بسبب قلة المياه السماوية والارضية احترق العاقية واستعرت البلاد نارا
وفي سنه تسع وعشرين وستمائه لما استولت التطر على البلاد المذكورة
والخليفه المستنصر بالله بالعراق مترقب منهم ثم ارتحل الملكان الاخوان
الاشرف والكامل من ديار مصر فسار الى البلاد الشرقية بعد ان استخلف
الكامل صاحب مصر عليها ولده الملك العادل ابا بكر واستصحب معه ولده
الاكبر الملك الصالح ايوب واجتمع معهم ملوك اهل بيتهم في جمع عظيم ثم سار
بهم السلطان الكامل الى امد وحصرها وتسلمها ومعها حصن كيفا ايضا
وهما في غاية الحصانة واستخلف عليها ولده الصالح ايوب ولم تزل متوليها
الى زمان ابو هو ملك اخو العادل ابو بكر ثم انتزعها هو منه على ما سنذكره في محله

الديار المصرية

وفي سنة ثلاثين وستمائة رجع الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب امورها
الى الديار المصرية ورجع كل ملك من بيته الى بلده ثم وقع من صاحب بلاد الروم
التعرض الى بلاد خلاط وهي من حكم صاحب مصر فعاد الملك الكامل من مصر
بعساكره واجتمعت عليه الملوك من اهل بيته ثم سار بجموعه حتى نزل على
النهر الازرق في حدود بلاد الروم وقد ضرب في عسكره ستة عشر دهليزا
لستة عشر ملكا في خدمته منهم اخوه الملك الاشرف موسى صاحب دمشق
وبقية ملوك بلادهم شاما وشرقا وكان صاحب الروم قد حفظ الدربندات
وشحنها بالمقاتلة فلم يتمكن صاحب مصر من دخول بلاد الروم من جهة النهر
الازرق فارسل بعض العسكر الى حصن منصور وهو من بلاد صاحب الروم ايضا
فهدموه ورحل السلطان وقطع الفرات الى السويدا وقدم جاليشه
تقدير ثلاثة الاف فارس مع صاحب حماه فسار بهم الى خرت برت
فسار اليهم صاحب الروم واقتتلوا فانهزم العسكر المصري وانحصر
مقدمهم في خرت برت مع جملة من العسكر وجد صاحب الروم في قتالهم
وحصارهم وصاحب مصر نازل في السويدا وقد احس من الملوك الذين في
خدمته بالمخامرة والتقاعد فان بعضهم سعى اليهم فقال ان السلطان
ذكر انه متى ملك هذه البلاد الرومية فرقها على ملوك اهل بيته عوضا عما
بايديهم من ممالك الشام وياخذ منهم الشام من جميعهم وينفرد بملك الشام
وملك مصر فتقاعدوا عن القتال وفسدت نياتهم وعلم السلطان بذلك
فما امكنه التحرك الى قتال صاحب الروم لذلك ودام الحصار على صاحب
حماه كما ذكرنا فطلب الامان فامنه صاحب الروم فنزل اليه فاكرمه وخلع
عليه وتسلم صاحب الروم خرت برت من صاحبها ايضا وكان من الارتقيه
قرابة اصحاب ماردين وكان قد دخل في طاعة صاحب مصر فصارت
خرت برت من بلاد صاحب الروم فوصل صاحب حماه لما خلص من الحصار
بمن معه مما بقي من العسكر الى ملكهم صاحب مصر وهو بالسويدا من بلاد آمد
ففرح بسلامته ثم جرى لهم ما سنذكره وفيها مات صاحب اربل الملك المعظم مظفر الدين
كوكبوري طالت مدة ملكه قريب الخمسين سنة وكان له احتفال بالمولد الشريف النبوي
وينفق فيه الاموال الجليلة وسيرته من العجايب في فعل الخيرات كان له كل يوم قناطير من الخبز
يفرقها ويكسوا الفقرا وبنى اربع خانقاهات للزمنى والعميان والايتام والارامل
واللقطا ويعمل السماطات العامة بشي لا يحد ولا يوصف وفي المولد خمسة الاف راس غنم
وعشرة الاف دجاجة ومايه فرس ومايه الف زبدية طعام وثلاثين الف صحن حلوا وكان
يصرف على المولد كل سنة ثلثماية الف دينار وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة الف دينار
وفي فك الاسارى كل سنة مائتي الف دينار وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلثين الف دينار
هذا سوى صدقات السر ومع هذا كان قميصه لا يساوي خمسة دراهم فعوتب في ذلك فقال البس
ثوبا بخمسة واتصدق بالباقي خير من ان البس ثوبا ثمينا وادع الفقير محتاجا وسيرته طويلة هذا بعضها

وفي احدى وثلاثين

وفي سنة احدى وثلاثين وستماية كان السلطان الملك الكامل صاحب مصر نازلا
بالبلاد الشرقية وقد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذي حصل
في عسكره كما ذكرنا فرحل وعاد الى الديار المصرية وعاد كل واحد من الملوك معه
الى بلده وفيها ارسل ملك الفرنج الى السلطان هدايا منها دب ابيض شعره مثل
شعر الاسد وذكروا انه ينزل الى البحر فيخرج السمك وياكله وفيها طاوس ابيض ايضا
وفي سنة اثنتين وثلاثين وستماية قصد صاحب الروم الرها وحران وغيرها
وحاصرها واستولى عليها وكانت من بلاد صاحب مصر السلطان الملك الكامل
فجرد اليه عسكرا وفيها انشا بدمشق جامع التوبة وكان خانة للخمور والخواطي
وفيها مات الشيخ شرف الدين ابو القاسم عمر بن القاضي علي بن المرشد بن علي الحموي
الاصل المصري المعروف بابن الفارض شيخ الصوفية شافعي المذهب ايضا
صاحب ديوان الشعر المشهور في سائر البلاد بنحو طريقة الفقرا ومن جملة شعره
قصيدة مقدار سبعماية بيت سماها نظم السلوك مشتمل على اصطلاحهم وطريقهم
وهي على قافية التا قال الحافظ عماد الدين ابن كثير كان ابوه يكتب فروض النسا
على الرجال وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته التائية وقد
ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في ميزانه وحط عليه انتهى وقال القاضي بدر الدين
العيني في تاريخه وكذلك حط عليه الشيخ الامام تقي الدين ابن التيمية في كتابه
في الرد على اهل الزندقة والالحاد حطا شنيعا ونسبه الى الحلول والاتحاد
وذكر معه جماعة اخرين منهم محي الدين بن العربي صاحب الفصوص وابن سبعين
وابن هود والعفيف التلمساني وجلال الدين الرومي وصدر الدين القونوي
وسعد الدين الحموي ونسبهم الى الحلول والاتحاد والزندقة ثم قال ومنهم عمر
بن الفارض قال وكذلك علما الشريعة المتاخرين من اهل الفقه والحديث
يحطون عليهم حطا بليغا واما اهل مصر فان غالبهم بل كلهم معتقدون
في ابن الفارض اعتقادا عظيما ولا ينشد غالبا في مجالسهم ومواعيدهم ومحافلهم
الا من قصايده ولا سيما من قصيدته التائية واعتنى بشرحها جماعة من
الفضلا منهم قاضي الحنفية بالديار المصرية سراج الدين الهندي وذكر سبط
ابن الفارض في مقدمة ديوانه في ترجمته انه نزه عقيدته من القصيدة المذكورة
عما نسب اليه من ذلك والله اعلم بحقيقة ذلك هذا كلام العيني وقال ابن خلكان
سمعنا انه كان صالحا كثير الخير على قدم التجرد جاور بمكة زمانا وكانت ولادته
في اوايل ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسماية بالقاهرة وتوفي بها في الثاني من
جمادى الاولى من سنة اثنين وثلاثين وستماية ودفن بسفح المقطم وقبره مشهور
وذكر سبطه في ترجمته الحافظ عبد العظيم المنذري ترجمه ايضا وجماعة اخرون
واما محي الدين بن العربي فستاتي ترجمته في موضعها سنة ثمان وثلاثين وستماية قريبا وما قالوا فيه ايضا

وفي سنه ثلاث وثلاثين وستمايه قطع الملك الكامل صاحب مصر الفرات
ومعه اخوه صاحب دمشق الى البلاد الشرقيه واسترجع البلاد التي انتزعها
صاحب الروم منه وهي الرها وحران واصلح ما كان افسد جيشه وخرب قلعة
الرها ودنيسر وامسك نواب صاحب الروم الذين كانوا بها فقيدهم وارسلهم
الى مصر فلم يستحسن احد منه ذلك وارسل اليه صاحب اربل يخبره ان الططر
قد اقبلوا في مايه الف طلب كل طلب خمسمايه فارس فرجع الملك الكامل واخوه
الى دمشق سريعا وعاد جيش الروم الى بلادهما بالتخريب واعادوا الحصار
كما كان ورجعت الططر عامهم ذلك الى بلادهم وصاحب الروم بعد قليل مات
وفيها كان طاعون كبير عام للبلاد وفيها خلع الناصر داود عمه الخليفة
وفي سنه اربع وثلاثين وستمايه عاد السلطان الملك الكامل من دمشق الى الديار المصريه
وقويت الوحشة بينه وبين اخيه الاشرف صاحب دمشق وكان ابتداوها
كان قد جرى من بعض العسكر من الشرجين كا بنواحي سروج لبلاد الروم في السنه قبلها
فانفق صاحب دمشق مع باقي ملوك بيتهم على مخالفة اخيه صاحب مصر
واستنجد عليه ايضا بصاحب الروم ثم لم يلبثا ان ماتا في السنه بعدها وزال ذلك
وفيها توجه عسكر حلب وحاصروا بغراس وكانت الفرنج الداويه قد عمروها
بعدما فتحها الملك الناصر صلاح الدين وخربها ثم ان الفرنج اغاروا على بعض دساكر
وهي من حكم حلب فاوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر القتل
والاسر فيهم وعاد عسكر حلب بالاسرى وروس قتلى الفرنج وكانت هذه
الوقعة من اجل الوقايع وفيها استخدم الملك الصالح ايوب بن الكامل صاحب مصر
وهو نايب ابيه بالبلاد الشرقيه آمد وحصن كيفا طايفه من عسكر العجم
يقال لهم الخوارزميه ليعتضد بهم في دفع اعدايه ثم استعان بهم في حصار دمشق
وفي سنه خمس وثلاثين وستمايه استحكمت الوحشة بين الملك الكامل صاحب مصر
وبين اخيه الاشرف صاحب دمشق وقد لحق الاشرف الدرب وضعف بسببه
فمات بعد ان عهد بملك دمشق لاخيه الاخر الصالح اسمعيل صاحب بعلبك
ولما استقر الصالح في ملك دمشق كتب ايضا الى الملوك من اهله والى صاحب الروم
في ان ينجدوه على اخيه الملك الكامل فلما بلغ الكامل في مصر موت اخيه الاشرف
سار الى دمشق واستعد اخوه الصالح للحصار فحاصروا دمشق حصارا اشتد بدا
وجرت خطوب طويله ثم آل الحال الى ان سلم الصالح دمشق لاخيه الكامل
وسكن الشرف دخلها الكامل فلم يلبث الا قليلا ثم مات فكان بينه وبين اخيه الاشرف
نصف سنه فاقام العسكر في ملك دمشق الملك الجواد يونس بن مودود اخي الكامل محمد ولدي الملك
العادل ابي بكر بن ايوب نايبا عن مصر واتفقت الامرا على ان يقيموا في ملك الديار المصريه
ولد ملكها وهو الملك العادل ابو بكر بن الكامل العادل وهو حينيذ نايب ابيه بمصر وسنذكره

واما وفاة الملك الكامل

واما وفاة صاحب مصر الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي محمد بن السلطان الملك العادل
ابي بكر محمد بن ايوب الكردي لما مات اخوه الاشرف عن دمشق كما ذكرنا استقل بملكها
بمفرده فاستمرت يده عليها مدة شهرين فاخذته امراض مختلفة من ذلك سعال
واسهال ونزلة في حلقه ونقرس في رجليه وكان سببه انه اصابه زكام فدخل
الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها
وحصل له حمى فنهاه الاطباء عن القي وخوفوه منه فلم يقبل وتقيا فمات لوقته
واتفق موته في بيت صغير من القلعة وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر
صلاح الدين بن ايوب ولم يكن عند الكامل احد حال موته من شدة هيبته بل
دخلوا فوجدوه ميتا وقد كانت وفاته في اواخر رجب من هذه السنه المذكورة
ودفن بالقلعة حتى كملت تربته التي بالحايط الشمالي من جامع دمشق بالشباك
وعمره نحو ستين سنه وكانت مدة ملكه لمصر من حين مات ابوه عشرين سنة
وكان بها نايبا قبل هلاك عن ابيه قريبا من عشرين سنة ايضا فحكم في مصر نايبا وملكا
نحو من اربعين سنة فاشبه حالة بحال معاوية بن ابي سفيان فانه حكم في الشام
نايبا نحو عشرين سنه وملكا نحو عشرين سنه وكان مولد الملك الكامل في سنه
ثلاث وسبعين وخمسمايه وكان اكبر اخوته واليه اوصى ابوه بملك مصر لعلمه
بثباته وكمال عقله ووفور معرفته وقد كان فاضلا جيد الفهم يحب العلما ويقربهم
ويسالهم اسيلة مشكلة وله كلام جيد على صحيح مسلم وكان ذكيا له نظم
حسن السيرة حازما مهيبا ذا باس شديد عادلا منصفا له حرمة وافرة
وسطوة قويه فكانت الطرقات في زمنه امنه والرعايا متناصفه وكان
يباشر تدبير مملكته بنفسه من غير وزير وكان يخرج بنفسه فينظر في امور
الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت في ايامه ديار مصر اتم عمارة
وكان حازما في اموره لا يضع الشي الا في محله من غير اسراف ومن انصافه كان
لا يتجاسر احد ان يظلم احدا اشتق جماعة من الاجناد اخذوا شعيرا لبعض
الفلاحين بارض آمد واشتكى اليه بعض الغلمان ان استاذه استعمله ستة اشهر
بلا اجرة فاحضر الجندي والبسه ثياب غلامه والبس غلامه ثيابه
وامر الجندي ان يخدم غلامه ستة اشهر على هذه الهيئة ويحضر الغلام الموكب
والخدمه حتى تنقضي تلك المدة متقاصصة فتادب الاجناد بذلك غاية
الادب وهو الذي استرد ثغر دمياط الى المسلمين بعد ان استحوذ عليه الفرنج
فرابطهم عليه اربع سنين حتى استنقذه منهم وكان يبيت عنده كل ليلة جمعه جماعة
من الفضلا ويشاركهم في مباحثهم في كل فن وهو معهم كواحد منهم وبنى المدرسه
بين القصرين والقبة على ضريح الامام الشافعي واجرى اليها ماء من النيل من مدة بعيدة

وأصرف على ذلك جملة كثيرة من المال وكان عنده حلم واغضاء عن جرائم الرعية رحمه الله
وكان من اكابر امرائه الاخوة الاربعة اولاد الشيخ صدر الدين حمويه الجويني
وهم الامير فخر الدين وعماد الدين وكمال الدين ومعين الدين اولاد الشيخ المذكور وكان
كل منهم قد حاز فضيلتي السيف والعلم كانوا يباشرون التدريس للعلم
ويتقدمون على الجيوش فانظر الى هذا السلطان والى امرائه ما اجمل سيرتهم

السلطان السادس بمصر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو السلطان الملك العادل ابو بكر ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر
بن ايوب الكردي كان ابوه لما مات كما ذكرنا قد جعل خليفته في ملكه بالديار مصر
فاتفقت آراء الامراء على تحليف العسكر لابنه العادل المذكور وهم بدمشق ثم ان
العساكر تفرقت فصار اكثرهم الى مصر وتاخر بعضهم بدمشق عند صاحبها
الملك الجواد يونس ومقدمهم الامير عماد الدين بن الشيخ احد الاخوة المتقدم ذكرهم
فبقي يباشر دولة الملك الجواد بدمشق بعد ذلك وقع فتن وحروب ثم له ما سنذكره
واما الديار المصرية فانها كما ذكرنا حين مات الملك الكامل عن ولديه وهما الملك
العادل جعله على مصر وولده الاخر الملك الصالح ايوب جعله على البلاد الجزرية
ولكن صاحب مصر صغير يومئذ وخرجت السنة على ذلك ثم جرى للمذكورين ما سنذكره
وفي سنة ست وثلاثين وستمائة ساءت سيرة الملك الجواد صاحب دمشق في
اكابر اهلها فصادرهم بمبلغ الف الف دينار ومسك الامير عماد الدين
بن الشيخ الذي كان سبب تمليكه دمشق وغيره ممن تقدم له اليه احسان كثير
ثم قلق من دمشق وقال ايش اعمل بالملك باز وكلب احب الي من هذا الحصر
ثم خرج الى الصيد وكاتب الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل على ان يعطيه
عوضا بدله من ملك حصن كيفا وآمد بمملكة دمشق فجاء الملك الصالح ايوب
ووافقه على ذلك واستولى على دمشق فوردت عليه كتب الامراء المصريين
يستدعونه الى مصر ليملكها فسار طالبا مصر ووصل اليه في طريقه بعض عساكر
مصر متفرقين ولما خرج الملك الصالح ايوب من دمشق كان قد جعل نائبه فيها
ولده الملك المغيث عمر وبقي الصالح ايوب يكاتب عمه صاحب بعلبك الملك
الصالح اسمعيل الذي ذكرنا انه تملك دمشق واخذت منه ويستدعيه اليه
ليتعاونا على ملك مصر وعمه الصالح المذكور يعتذر له عن الحضور ويحتج ويظهر له
انه معه وهو يعمل في الباطن على استرجاع دمشق لنفسه واخذها من
ابن اخيه المذكور الصالح ايوب وهو نازل على نابلس ثم جرى بينهما ما سنذكره
وكان الناصر داود صاحب الكرك قد سار الى مصر واتفق مع صاحبها
الملك العادل بن الكامل على قتال اخيه الملك الصالح ايوب وحصل منه شيء فذكر

وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة

وفي سنة سبع وثلاثين وستمائة كان الملك الصالح ايوب سلطان دمشق مخيم على نابلس
لقصد الاستيلاء على الديار المصرية واخذها من اخيه الملك العادل ابي بكر ابن الملك الكامل
وهو يستدعي عمه الصالح اسمعيل صاحب بعلبك ليسير معه الى مصر لذلك وهو يماطله
وكان قد بلغ الصالح ايوب سعي عمه اسمعيل في الباطن على اخذ دمشق وكان للصالح
ايوب طبيب يثق به يقال له الحكيم سعد الدين الدمشقي فارسله الى بعلبك لعمه اسمعيل
ومعه قفص حمام من نابلس ليطالعه باخبار عمه المذكور فحال وصول الحكيم المذكور
الى بعلبك علم به صاحبها الصالح اسمعيل المذكور فاستحضره واكرمه وسرق منه
الحمام الذي لنابلس وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب بذلك فصار
الطبيب المذكور كلما يكتب الى استاذه ايوب ان عمك اسمعيل قد جمع وهو في نية
اخذ دمشق ويبطق فيبعث الطاير ببعلبك فياخذ الصالح اسمعيل البطاقة
من حمام نابلس ويزور على الحكيم ان عمك اسمعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل
اليك فيسرحه مع حمام نابلس فيعتقد ابن اخيه الصالح ايوب على ان ذلك الخبر من
بطاقة حكيمه المذكور ويترك ما يرد عليه من اخبار غيره فعميت عليه الاخبار
وكان صاحب حماه مصادقا لابن عمه الصالح ايوب صاحب دمشق وقد علم
بسعي صاحب بعلبك الصالح اسمعيل في اخذ دمشق مع خلوها ممن يحفظها منه
فجهز نائبه ومعه جماعة من عسكر حماه وغيرهم وجهز معهم السلاح والمال كثيرا
ليحفظ دمشق لصاحبها المذكور واظهر صاحب حماه ونائبه المذكور انهما قد
اختصما وان نائبه المذكور قد غضب منه واجتمع معه هذه الجماعة وقد قصدوا
فراق صاحب حماه لكونه يريد ان يسلم حماه الى الفرنج كل ذلك حيلة ومع ذلك
فلم تخف هذه الحيلة فلما وصل نائب صاحب حماه الى بحيرة حمص قصد صاحبها
وكان مصادقا لابن عمه صاحب بعلبك فاظهر له انه مصدقه فيما قال
وساله الدخول الى حمص ليضيفه فاخذه معه واستدعى باقي اصحابه الى
الضيافة فمنهم من سمع ودخل حمص ومنهم من هرب فسلم ولما حصلوا عند صاحب حمص
قبض على الجميع واستولى على جميع ما كان معهم من السلاح والمال وبقي يعذبهم ويطلب
منهم اموالهم حتى استصفاها فكان نائب صاحب حماه في حبس صاحب حمص
ولما جرى ذلك ضعف حال صاحب حماه عن النجدة واما الصالح اسمعيل صاحب بعلبك
فانه ايضا احتال بامور طويلة فارسل ولده ونائبه ووزيره امين الدولة المتطبب
الاسلمي الى صحبة ابن اخيه الصالح ايوب وهو بنابلس ليستميلوا عنه امراءه
باموال ارسلها لتنفق فيهم فلما تم ذلك الامر وتمكن الصالح اسمعيل من مراده كله
ارسل الى ابن اخيه الصالح ايوب ايضا يطلب منه ولده المغيث عمر نائبه بدمشق
ليكون عوضه ببعلبك ويشير هو الى خدمته مكرا وخديعة فارسله اليه

ولا يستشعر الصالح ايوب بشي مما وقع من عمه اسمعيل وكل ذلك عن ترتيب وزير
امين الدولة غزال المتطبب الاسلمي المذكور فلما تم مكر الصالح اسمعيل سار وهجم دمشق وحصر
قلعتها وتسلمها واعتقل بها المغيث عمر بن الصالح ايوب واستمر به حتى مات عنده
واما الصالح ايوب فلما وصل اليه وهو بنابلس خبر انتزاع دمشق من ابنه
فسدت نيات عسكره عليه وتفرقوا عنه خوفا على اهلهم بدمشق من الذين اخذوها
ولحقوا بدمشق فلم يبق مع الصالح ايوب غير مماليكه وجاريته شجر الدر ام خليل
فانتقل من نابلس الى الغور واصبح لا يدري ما يفعل ولا له موضع يقصده ثم رجع
الى نابلس ونزل بها بمن بقي معه فطمع فيه الفلاحون والغوارنة فلما سمع الناصر
داود صاحب الكرك وكان معاضدا لاخيه العادل صاحب مصر بانه بقي وحده
فنزل عليه بعسكره وامسك الصالح ايوب واعتقله بالكرك مع قيامه بخدمته
مدة نصف سنة فتفرق عنه ايضا باقي مماليكه واصحابه ولما جرى ذلك له ارسل
اخوه الملك العادل ابو بكر صاحب مصر يطلبه من صاحب الكرك على ان يعطيه مبلغ
مائة الف دينار لينتقم منه فما اجابه الى ذلك صاحب الكرك فاعاد عليه يهدده
باخذ بلاده منه فلم يبال بذلك بل عاكسه فافرج عن الصالح ايوب من حبسه
وبقي يركب الى الصيد معه كما سنذكر وفي تلك المدة كان الفرنج ايضا بالقدس كما ذكرنا قد
عمروا قلعتها بعد موت الكامل محاصرها الناصر صاحب الكرك وفتحها فتوحا اخر
وخرب قلعتها وبرج داود ايضا وفي ذلك يقول جمال الدين ابن مطروح الشاعر

المسجد الاقصى له عادة ۝ سارت فصارت مثلا سايرا
اذا غدا بالكفر مستوطنا ۝ ان يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره اولا ۝ وناصر طهره اخرا ۝

ثم ان الملك الصالح ايوب لما افرج عنه صاحب الكرك ابن عمه من حبسه رجعت
اليه مماليكه واصحابه وكاتبه البهاء زهير ودخل هو وصاحب الكرك الى القدس
وتحالفا بها عند قبة الصخرة على ان يكون ديار مصر للصالح ايوب ودمشق
والبلاد المشرقية للناصر صاحب الكرك لكن لما تملك الصالح لم يف له بذلك
وتاول في يمينه انه كان مكرها ثم رجع الى غزة فلما بلغ اخاه الملك العادل
ابا بكر صاحب مصر ظهور اخيه ومناصرة ابن عمهم صاحب الكرك له عظم عليه
وعلى امه ذلك وخرج بعسكر مصر الى بلبيس لقصد قتال اخيه الصالح
وارسل الى عمه الصالح اسمعيل المستولي على دمشق ان يخرج من ناحيته من الشام
ويحصر الصالح ايوب بينهما مواسطة وبينا صلاة فخرج صاحب دمشق
بعسكره لذلك فبينما اخوه الصالح ايوب في هذه الشدة محصورا بين عسكرين
فداخلا طايفة من الجمهور واذا باخيه العادل صاحب مصر قد اضطرب الجيش عليه

واختلفت امراوه

واختلفت امراوه وركبوا عليه واحاطوا بدهليزه وقبضوا عليه وقيدوه
واعتقلوه في خيمه صغيره وعليه من يحفظه وارسل العسكر المصري الى اخيه
الملك الصالح ايوب يستدعونه ليملكوه الديار المصرية فاتاه فرج لم يسمع
بمثله وفي ذلك يقول شيخ الشيوخ الحموي الشافعي من ابيات

فان تعتنا فعقبى دعوة سبقت ۝ ونحن في هاجم ضنك الاساليب ۝ ۝
يا كاشف الضر عن ايوب حين دعا ۝ قد مسنا الضر فاكشفه بايوب ۝ ۝

لكن كان صحبته كما ذكرنا ابن عمه صاحب الكرك فامتنع من ارساله لعسكر مصر
حتى اشترط عليه ثانيا ان ياخذ له دمشق وحلب والبلاد الجزرية وبلاد
ديار بكر ونصف مملكة مصر ونصف ما في الخزاين من الحواصل والاموال والجواهر
فاجابه الصالح الى ذلك مكرها فانه لا يقدر على ما اشترط جميع ملوك الارض
وسار معه خوفا من ان تكون هذه الكاينة من المصريين مكيدة مع عدم حاجته به
وبقي كل يوم يلتقي الملك الصالح فوج بعد فوج من العسكر المصري وكان القبض
على الملك العادل صاحب مصر يوم عرفة منها فكانت مدة ملكه نحو سنتين
واستمر في الحبس بالقاهرة الى الزمان خمس واربعين وستماية وعمره نحو ثلاثين سنة وامه سوداء

السلطان السابع بمصر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو السلطان الملك الصالح نجم الدين ابو الشكر ايوب بن الملك الكامل محمد بن
الملك العادل ابي بكر بن ايوب الكردي انتزعها من اخيه كما ذكرنا في التاريخ المذكور
فلما وصل الصالح الى الامراء المصريين ملكوه عليهم ودخل الديار المصرية
وطلع الى قلعة الجبل في اواخر السنة وفرح به واستقر ملكه الى الزمان
وكان صحبته كما ذكرنا صاحب الكرك فارسل اليه عشرين الف دينار
فردها عليه ولم يقبلها طامعا منه بما كانا اتفقا عليه ولما استقر ملكه بمصر
حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف صاحب الكرك
ان يقبض عليه فطلب مستورا ورجع الى بلده الكرك ثم اخذت منه وجرت عليه نوايب
واستمرت دمشق مع الصالح اسمعيل كما ذكرنا الى ان حصل منه من القبايح ما سنذكره
وفي سنة ثمان وثلاثين وستماية قبض الملك الصالح ايوب صاحب مصر
بعد استقرار ملكه على جماعة الامراء والمماليك الذين قبضوا على اخيه العادل
واودعهم الحبوس خشية ان يصنعوا معه مثل ما فعلوا باخيه المذكور
واخذ في انشاء مماليك الترك فاستكثر منهم الى ان انتزعوا الملك من ولده وقتلوه
وشرع من هذه السنة في بناء قلعة الجزيرة الروضة تجاه مصر واتخذها مسكنا
لنفسه الى ان انتقلت الدولة للترك فاخربوها كما سنذكر في موضعه ايضا
وانشا ايضا مناظر الكبش بالقاهرة قرب جامع طولون وهي باقية الى اليوم

وفيها كثر عيث العساكر الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح ايوب
البلاد الشرقية وقربوا الى قريب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع
الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين وتقاتلوا فانهزم الحلبيون
هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير واسر مقدم الجيش المعظم المذكور
واستولى الخوارزمية على اثقال الحلبيين واسروا منهم عدة كثيرة ثم
كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بماله فاخذوا من ذلك
شيئا كثيرا ثم نزل الخوارزمية على جيلان وكثر عيثهم وفسادهم ونهبهم في
البلاد الحلبية وجفل منهم اهل الحواضر والبلاد ودخلوا حلب فاستعد
اهلها للحصار وارتكبت الخوارزمية من القتل والنهب والزنا والفواحش
ما ارتكبه الططر ثم سارت الخوارزمية الى منبج وهجموها بالسيف
وفعلوا فيها مثل ما تقدم ثم رجعوا الى بلادهم وهي حران وما معها بعد ان
خربوا بلاد حلب ثم رجعوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا الى
الجبول ثم الى تل اعزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ويقتلون من
يجدونه وقد جفلت اهل تلك البلاد من بين ايديهم وكان قد وصل عسكر
من دمشق نجدة للحلبيين فاجتمعوا وقصدوا جهة الخوارزمية واستمرت
على ما هي عليه من الافساد حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان
ثم قربت الخوارزمية الى جهة حماة ثم الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة
فسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقهم ايضا العرب فارمت الخوارزمية
ما كان معهم من المكاسب واطلقوا الاسرى ووصلوا الى الفرات فلحقهم ايضا
العسكر الحلبية مع ان ميه قاطع صفين فساروا الى البيرة وقطعوا
الفرات منها وقصدوا الخوارزمية ووقع بينهم القتال قرب الرها
فانهزمت الخوارزمية فركب العساكر الحلبية والشامية اقفيتهم
يقتلون فيهم ويأسرون منهم الى ان حال الليل بينهم وهربوا الخوارزمية
الى بلد عانة فبادر صاحب الموصل الى نصيبين واستخلص من كان بها
من الاسرى منهم المعظم مقدم عسكر حلب المذكور وارسلهم الى حلب واستولى
عسكر حلب على الرها وعدة بلاد ووصل اليهم نجدة من صاحب الروم وحاصروا
آمد وبها الملك المعظم توران شاه بن الصالح صاحب مصر كان استخلفه ابوه
وانتزعوها منه وابقوا له حصن كيفا فلم يزل مقيما في تلك البلاد حتى مات ابوه
صاحب مصر فقدم واستولى على موضعه قليلا فقتل كما سنذكر في موضعه
واما صاحب دمشق الصالح اسمعيل فانه لما قوي خوفه من ابن اخيه صاحب مصر
سلم للفرنج مدينة صفد والشقيف الى صاحب صيدا ليعضدوه ويكونوا معه

على قتال ابن اخيه

على قتال ابن اخيه صاحب مصر فعظم ذلك على المسلمين واكثر خطيب جامع دمشق
في خطبته من التشنيع عليه بسبب ذلك وانكر عليه علماء بلده ثم جرى ما نذكره
وفيها قدم رسول ملك الططر طولى بن جنكزخان الى ملوك الاسلام
يدعوهم الى طاعته ويامرهم بتخريب اسوار بلدانهم وعنوان الكتاب
من نائب رب السماء ماسح وجه الارض ملك الشرق والغرب قان بن
قان وكان الكتاب مع رجل مسلم من اهل اصبهان لطيف الاخلاق فاول
ما ورد على صاحب ميافارقين وقد اخبر بعجائب من ارض الططر غريبة
منها ان بالبلاد المزاحمة للسد اناسا اعينهم في مناكبهم وافواههم في صدورهم
يأكلوا السمك نيا واذا رأوا احدا من الناس هربوا منه وذكر ان عندهم
بزرا ينبت الغنم يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ولا يتناسل منهم
ومن ذلك انه ذكر ان عينا يطلع فيها كل ثلثين سنة خشبة عظيمة
مثل المنارة فتقيم طول النهار فاذا غربت الشمس غاصت في العين فلا ترى
الى مثل ذلك الوقت وان بعض الملوك احتال ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها
فغارت وقطعت تلك السلاسل ثم كانت اذا طلعت يرى فيها تلك السلاسل
وهي الآن كذلك والله اعلم وفيها مات صاحب كتاب الفصوص محي الدين
ابو بكر محمد بن علي بن محمد العربي الصوفي الطائي الحاتمي الاندلسي المغربي
سار من الغرب الى بلاد الشرق وطاف البلاد واقام بمكة مدة ثم بدمشق
قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه وصنف بمكة كتابه المسمى بالفتوحات
المكية في نحو عشرين مجلدا فيها ما يعقل وما لا يعقل وما ينكر ولا يعرف
وله الكتاب المسمى بفصوص الحكم فيه اشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح
وله العبادلة وديوان شعر رائق وله مصنفات اخر كثيرة واقام
بدمشق مدة طويلة الى حين وفاته وكان قضاتها بنو الزكي الشافعية
لهم عليه اشتمال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال قال الامام ابو شامة
في تاريخه وله تصانيف كثيرة وعليه سهلة وله شعر حسن وكلام طويل
على طريقة التصوف وكانت له جنازة حسنة ودفن بمقبرة القاضي
محي الدين بن الزكي بقاسيون وكانت وفاته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر
من هذه السنة وقال السبط في تاريخه كان يقول انه يحفظ الاسم
الاعظم ويقول انه يعرف الكيميا بطريق المنازلة لا بطريق التكسب
وكان فاضلا في علم التصوف وله تصانيف كثيرة وقال شيخنا قاضي قضاة
الحنفية بالديار المصرية بدر الدين محمود العيني في تاريخه الكبير ما نصه اقول
قد حط عليه كثير من العلماء المتأخرين حطا شنيعا ونسبوه الى امر عظيم

الزندقة والحلول والاتحاد ووضع معاني كلام الله تعالى في غير ما اراد الله به
وذلك لما صدر عنه من خرافاته وخزعبلاته من كلامه الذي ظاهره كفر صريح
في كتابه المسمى بالفصوص فلينظر من لذلك من امعن النظر فيه ومن اعظم المحطين
عليه الشيخ الامام العلامة تقي الدين ابن التيمية في كتابه في الرد على اهل الزندقة
والاتحاد ومن جملة ما قال ومبنى كلام هؤلاء الطائفة على شيئين احدهما
الاعتراف بالحلول والثاني القول بالاتحاد ثم قال فهؤلاء كفرهم عند الله
اعظم من كفر اليهود والنصارى بل من كفر عبدة الاصنام والاوثان وعبدة
النار اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا ثم قال فمن اعظمهم محي الدين بن العربي
صاحب الفصوص وابن هود وابن سبعين والعفيف التلمساني وابن قيسي
وجلال الدين الرومي وصدر الدين القونوي وسعد الدين الحموي ومنهم ابن الفارض
وخصوصا في قصيدته نظم السلوك انتهى ثم قال القاضي العيني ووقع بالقاهرة
في سنة تسعين وسبعمائة في ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق بحث عظيم
وكلام كثير في الديار المصرية بسبب اعتقاد بعض الناس في كتاب
الفصوص فصارت الناس احزابا وكادت تقع فتنة عظيمة فاخر الامر
افتى علماء مصر والقاهرة جميعهم بان بعض ما في الفصوص كفر صريح يكفر به
قائله ومعتقده فاول من افتى بذلك شيخ الاسلام العالم العلامة الشيخ سراج الدين
عمر البلقيني شيخ الشافعية والشيخ الامام الزاهد العالم جلال الدين التباني
من كبراء الحنفية فانتشر ذلك بين الناس وزال الاعتقاد كثير من الخواص والعوام
عن ذلك الكتاب وقائله حتى نهض بعضهم وهو الفقيه تغري بردي
التركماني كبيرهم فاحرق الفصوص في ملاء الناس وقت الظهر في سوق
الكتبيين يوم السوق يوم اجتماع الفقهاء والطلبة فيه وذلك بين القصرين
من القاهرة ثم برز المرسوم السلطاني الظاهري الى شيخ مدرسته التي انشاها
بين القصرين المذكور وهو شيخنا الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين احمد
السيرامي الحنفي برد الله مضجعه بان لا يمكن احدا ممن يسكن في المدرسة
من الاشتغال بمثل هذه الكتب ولا في علوم الفلاسفة والالهيات
مثل الحكمة والمنطق والهيئة ونحو ذلك ولا يدع في المدرسة كتابا من كتبهم
لا في خزانة الكتب ولا عند احد من اهل المدرسة وجامع هذا التاريخ
يومئذ كان من جملة سكان هذه المدرسة وكان في ذلك الوقت محتسب القاهرة
رجل يقال له القاضي جمال الدين محمود العجمي القيصراني وكان يميل الى هذه
الطائفة المذكورة وكان متصلا بالدولة وكان يشد منهم عند ارباب
الدولة ولكن الله تعالى نصر الحق ومحق الباطل هذا اخر كلام العيني في تاريخه ملخصة

وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة

وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة استحكمت العداوة بين ملوك دمشق وبين
صاحب مصر الملك الصالح ايوب واتفقت الخوارزمية مع صاحب ميافارقين
وفيها شرع صاحب مصر الصالح في بناء المدارس بمصر وقد بنى قلعة حسنة
بالجزيرة الروضة عند المقياس عزم عليها شيئا كثيرا من بيت المال واخذ فيها
املاك الناس وخرب نيفا وثلاثين مسجدا وقطع الف نخلة للناس
ثم بعده اخربها ملوك الترك سنة احدى وخمسين وستمائة كما سيأتي بيانه في موضعه
وفيها وقع قتال بين العساكر الحلبية مع الخوارزمية بارض حران فكسرت
الخوارزمية ومزقوهم كل ممزق وعادوا منصورين ثم جرى منهم ما سنذكره ايضا
وفي سنة اربعين وستمائة مات الخليفة ببغداد المستنصر بالله ابو جعفر
المنصور بن الظاهر بامر الله محمد بن الناصر لدين الله احمد وخلفه ابنه الخليفة
المستعصم بالله عبد الله وهو سابع ثلاثينهم واخرهم ببغداد كما سنذكره في محله
وفيها كانت وقعة عظيمة بين العساكر الحلبيين وبين الخوارزمية ايضا
ومعهم صاحب ميافارقين فكسرهم العساكر الحلبية كسرة شنيعة ايضا
وغنموا من اموالهم شيئا كثيرا ونهبت نصيبين مرة اخرى وهذه عشرون
مرة نهبت في هذه السنين وكانت الوقعة قريب الخابور عند المجدل
في شهر صفر وتفرقت الخوارزمية ايضا يعيثون في تلك البلاد فسادا
صحبة مقدمهم بركات خان ثم وقد عزم السلطان الملك الصالح ايوب
صاحب مصر على قصد البلاد الشامية فقيل له ان العساكر مختلفة
فتاخر وجهز عسكرا اليها واقام بمصر يدبر مملكتها ثم جرى له ما سنذكره
وفي سنة احدى واربعين وستمائة ترددت الرسل بين صاحب دمشق
الصالح اسمعيل وبين ابن اخيه صاحب مصر الصالح ايوب على ان يرد
اليه ولده الملك المغيث عمر الذي اعتقله لما مسكه عند اخذ دمشق منه
على ان يصطلحا ويستمر كل منهما في مملكته فوقع الصلح على ذلك وخطب ايضا
لصاحب مصر بدمشق فخاف وزيرها امين الدولة غزال المتطبب السامري
من غائلة الصلح لما سبق منه من نوع المكر والحيل لخوف استاذه منه
وقال لا ترد ابن صاحب مصر الى ابيه تخرج البلاد من يدك هذا هو خاتم
سليمان في يدك للبلاد فعند ذلك بطل ما كان وقع من الصلح بالكلية
وقويت الوحشة بين الملكين واستعد كل منهما للاخر فارسل صاحب دمشق
واتفق مع الفرنج ليعضدوه على ابن اخيه وسلم اليهم ايضا عسقلان
وطبرية والقدس بما فيه من المزارات فوضعت القسوس على الصخرة
قناني الخمر للقربان فارسل صاحب مصر ايضا الى الخوارزمية ببلاد الشرق

يستنجد هم على عمه بحصار دمشق وكانت الخوارزمية في خدمته حين كان هناك
وكانوا ايضا في السنة المذكورة قد فتحوا بلاد الروم واخذوها فتمكنوا وقووا
وفي سنة اثنين واربعين وستمائة كانت وقعة عظيمة بين المصريين والشاميين
فان صاحب مصر استنجد الخوارزمية فلاقوه على غزة وصاحب دمشق ايضا
استنجد بفرنج عكا وصور ووعدهم بجزء من ديار مصر فتجمعت الفرنج
وخرجوا والتقى الفريقان صاحب مصر بجنوده وصاحب دمشق بجنوده
وكان المصاف بظاهر غزة واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر عسكر مصر
بالخوارزمية وانهزم عسكر دمشق مع الفرنج وكسروا الكسرة الشنيعة وهربت
الفرنج بصلبانها وراياتها تعلوا على روس اطلاب الملوك وكانت كووس الخمر
داير بين الجيوش فناتت كووس المنون على تلك الخمور وتبعهم عسكر
مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقا كثيرا فكان من قتل من الفرنج
في يوم واحد زيادة على ثلاثين الفا واسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم
ومن جند دمشق وبعثوا الاسارى الى مصر فكان يوما مشهودا
وقد قال بعض جند قد علمت انا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج انا لا
نفلح وغنمت الخوارزمية من الفرنج وممن كان معهم شيئا كثيرا واستولى
صاحب مصر على القدس وغزة والسواحل ثم ارسل باقي عسكر مصر
مع الامير معين الدين بن الشيخ ومع الخوارزمية الى دمشق وحاصروها وبها
صاحبها الصالح اسمعيل وقد حصنها وخرب ما حولها من البيوت وارسل
عليها المياه فصارت كالبحر فغرق كثير من البيوت وافتقر كثير من الناس
وفي تلك المدة بلغ صاحب مصر وفاة ولده المغيث عمر في حبس عمه بدمشق
قيل مات غما وقيل مقتولا فاشتد حزن ابيه عليه واشتد حنقه على عمه
وكان اجتهد بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر وخرجت السنة والفريقين على ذلك
وفي سنة ثلاث واربعين وستمائة كان عسكر صاحب مصر بالخوارزمية
مستمرين على حصار دمشق فاحترق منها جملة مساجد وجوامع واماكن
ونصبوا عليها المنجنيق وجد الفريقان وكان مقدم العساكر المصرية الامير
معين الدين بن الشيخ فارسل اليه صاحب دمشق وهو محصور منه سجادة وعكازا
وابريقا وارسل يقول له اشتغالك بهذا اولى بك من اشتغالك بمحاصرة
الملوك فارسل اليه الامير المذكور زمر وجنك وغلالة حرير احمر واصفر
وارسل يقول له اما السجادة فانها تصلح لي واما انت فهذا اولى بك
من الملك ثم اصبح هذا الامير واشتد في الحصار لدمشق وارسل صاحبها احرق
مواضع اخرى وقطعت عنها المياه وغلت الاسعار وجرت امور شنيعة جدا

واستمر الحصار شهورا

وامتد الحصار شهورا مدة نصف سنة فاخر الامر اتفق الحال على ان الصالح صاحب دمشق
يعود الى بلده بعلبك ويسلم دمشق لابن اخيه الصالح ايوب صاحب مصر فاستبشر
اهل دمشق بذلك فاصبح صاحبها خرج الى بعلبك وتسلم دمشق مقدم عسكر صاحب مصر
فدخل المصريون ومن معهم من الخوارزمية لدمشق وتصرفوا في امورها وقبضوا على
وزيرها امين الدولة غزال المتطبب الذي كان سامريا واسلم وبعثوه تحت الحوطة
الى الديار المصرية وكان هو السبب في اثارة هذه الفتن وفي خاطر صاحب مصر منه
كما ذكرنا ذلك فصادره واخذ منه ثلاثة الاف الف دينار وضربه الى ان هلك
ثم ان الخوارزمية خرجوا عن طاعة الصالح صاحب مصر ونهبوا البلاد ورحلوا وذلك
بسبب انهم كانوا طامعين انهم اذا انجدوا صاحب مصر على عمه واخذ دمشق منه
انهم يحصل لهم البلاد والاقطاعات مما يرضي خاطرهم فلما لم يحصل لهم ذلك غضبوا
وخالفوه وكاتبوا عمه الصالح اسمعيل المذكور ودخلوا في طاعته ففرح بهم فصاروا
معه على محاربة ابن اخيه وانتقض الصلح الذي كان وقع وعاد الخوارزمية ثانيا
لمحاصرة دمشق ليعيدوها لصاحبها اسمعيل فقدم اليها وضايقوها بالحصار ايضا
فعزت بها الاقوات وهلك اهلها وقاسوا من الشدة مرة بعد اخرى امرا عظيما
لم يسمع بمثلها حتى بلغت الغرارة من القمح الفين درهم فضة وقنطار الدقيق الفا
والخبز كل رغيف وقية ونصف بدرهم فضة ورطل اللحم بسبعة الى غير ذلك حتى انها
ابيعت الاملاك بالدقيق واكلت القطط والكلاب والميتات والجيف
ومات الناس في الطرقات ولم يجدوا لهم من يغسلهم ويدفنهم فكانوا يلقون
موتاهم في الابار حتى انتنت المدينة وضجر الناس حتى ان محبوسا مات فاكله
المحابيس وابيع حب الخرنوب بالميزان ليقتاتوا به وفي تلك الايام توفي
الشيخ تقي الدين بن الصلاح امام الدنيا في العلوم وخصوصا علم الحديث فما قدروا على
اخراج جنازته ودفنه الا بعد جهد جهيد وقس على هذه الشدة التي حلت بالمسلمين
فلا جزى الله تلك الملوك الذين فعلوا ذلك مع المسلمين الا عذاب الجحيم ومع ذلك كله
كانت الخمور دايرة بين العسكر والفسق ظاهر والمكوس بحالها فكانت تلك
السنة تعرف بسنة الحوادث ثم ان صاحب مصر الصالح ايوب لما بلغه ما وقع
من الخوارزمية خالفوه وقاموا مع عمه اسمعيل عليه فاخذ يدافع عن دمشق
ويحفظها بمن بقي معه من العسكر المصري ومع ذلك لم يفد وخرجت السنة والحصار عليها
وفيها قصدت الططر بغداد وتقاتلوا فكسرهم المسلمون وفرقوا شملهم ولم يتبعوهم
عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وفيها ظهر ببلاد
خوزستان من العجم على شق في جبل مدخل من الابنية الغريبة العجيبة ما
يحار فيه الناظر وقد قيل ان ذلك من بناء الجن والله اعلم بحقيقة امر ذلك
وكان للسلطان الناصر صلاح الدين بن ايوب اخت اسمها ربيعة خاتون ماتت في هذه السنة

وفي سنة اربع واربعين وستمائة قد ذكرنا ان دمشق تمت الحصار عليها وان
الخوارزمية مع الصالح اسمعيل في ذلك لما خالفوا صاحب مصر الصالح ايوب
فارسل هو يجمع ايضا الجيوش من الحلبيين والتركمان والعربان واستنجد بهم
على استنقاذ دمشق من الخوارزمية فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا وافرجوا عنها بالامر
فرحلوا عن دمشق الى نحو الحلبيين فجمع صاحب مصر تلك الجموع واقتتلوا مع الخوارزمية
عند بحيرة حمص فكان يوما مشهودا فانهزمت الخوارزمية هزيمة شنيعة وقتلوا
وتشتت شملهم بها وقتل مقدمهم بركة خان وحمل راسه على رمح وتمزقوا في النواحي
فلحق بعضهم بالططر وانقطع منهم جماعة وخدموا في الشام وكفى الله المسلمين شرهم
وعادت دمشق الى صاحب مصر ولم يبق بيد عمه الصالح اسمعيل بلد ياوي اليه
ولا اهل ولا مال وحملت عياله تحت الحوطة الى الديار المصرية فحبسوا فسار الى حلب
مستجيرا بصاحبها الملك الناصر يوسف بن عمه فاواه واكرمه وقال الا انه له
انظر الى عاقبة الظلم كيف تصير فلما بلغ صاحب مصر ان عمه استجار بصاحب حلب
ارسل يطلبه منه فلم يسلمه صاحب حلب اليه فسار صاحب مصر الى البلاد الشامية
فدخلها في ابهة عظيمة واحسن الى اهلها وتصدق على محتاجيها وقرر امر بلادها
ومعاملاتها وخرج الناس وهو على ذلك وزار في رجوعه القدس والخليل
وتفقد احواله واهتم باعادة سور القدس وعين مصروفه ثم لم يتم ذلك الامر
وفيها وقع امر عجيب وهو انه هبت رياح شديدة عاصفة بمكة المشرفة
في يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الاخر حتى القت ستارة الكعبة المشرفة وكانت
قد عتقت فانها من سنة اربعين لم تجدد لعدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة
للفتن فما سكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد الخليفي
فكان هذا فالا على بني العباس لزوال دولتهم من بغداد بعد عشر سنين كما سياتي
فاستاذن صاحب اليمن عمر بن رسول لشيخ الحرم العفيف منصور بن منعه
في ان يكسو الكعبة فقال لا يكون هذا الا من مال الخليفة ولم يكن له عنده مال
فاقترض عليه ثلثمائة دينار واشترى بها ثياب قطن وصبغها سوادا
وركبت عليها طرازاتها العتيقة وكسي بها الكعبة ومكثت الكعبة ليس
عليها كسوة مدة احد وعشرين يوما واتفق انه كان في تلك المدة قد صنع
الخليفة المستعصم بالله ببغداد ولائم لختان اولاده وعمل فيها ماكل عظيمة
وافراح ومسرات لا يسمع بمثلها من زمان متطاول فكان ذلك وداعا
لمسرات بغداد واهلها في ذلك الزمان لان الططر بعد اخربوها وقتلوا الخليفة
وفي سنة خمس واربعين وستمائة عاد الملك الصالح ايوب صاحب مصر اليها
وزار في طريقه القدس وفرق فيه اموالا كثيرة وترك الجيوش بحصار الفرنج ففتحت
طبرية وعسقلان وكان الفرنج قد تسلموهما في احدى واربعين كما ذكرنا فعمروهما الى الان

وفي سنة ست واربعين وستمائة

وفي سنة ست واربعين وستمائة رجع صاحب مصر الصالح ايوب الى البلاد الشامية
لاستنقاذ حمص من الحلبيين لما بلغه اخذهم لها وكان السلطان قد حصل له ورم
في مابضه ثم فتح وحصل له منه ناصور فمرض ووصل الى دمشق كذلك وارسل
عسكرا الى حمص فنازلوها وحصروها ونصبوا عليها منجنيقا مغربيا
يرمي بحجر زنته قنطار ونصف بالشامي مع عدة منجنيقات اخر وكان
الشتا والبرد قويا فاستمر عليها الحصار فاتفق حينئذ وصول الخبر الى السلطان
وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط وكان قد قوي مرضه ايضا
ووصل اليه رسول من بغداد من الخليفة يسعى في الصلح بينه وبين ابن عمه الناصر يوسف
صاحب حلب على ان يترك له حمص فاجاب الى الصلح واسترجع عسكره عن حمص
فعل ذلك لشيئين لاشتغاله بمرضه ولهجوم الفرنج على بلاده دمياط ثم توجه
من دمشق عايدا لمصر وهو في محفة لقوة مرضه فوصل في اخر هذه السنة
وفيها وقع بدمشق حريق كبير احترقت المنارة الشرقية بالجامع الاموي
فاحترق جميع خشبها وكانت سلالمها سقالات من خشب وهلك للناس
ودايع كثيرة كانت فيها وسلم الله الجامع قال ابن كثير في تاريخه ثم احترقت
وسقطت بالكلية بعد سنة اربعين وسبعمائة واعيدت عمارتها احسن مما كانت
وبقيت حينئذ المنارة البيضا الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث الصحيح
في نزول عيسى بن مريم عليها على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ثم قال
القاضي العيني في تاريخه اقول ووقعت نار ايضا في شهر شعبان من سنة اربع وتسعين
وسبعمائة بدمشق من عند باب الساعات فاحترق اللوراقون ودهشة
الرجال والنسا وعادت واتصلت بالنحاسين فعلى الجامع واحترقت
شراريف المنارة البيضا وكل خشبها واحترق بعض الجامع ايضا من
ناحيتها وكان وقوعها وقت صلاة الصبح حين يصلي الحنفية وكنت
اذ ذاك بدمشق كنت قدمت اليها صحبة نايبها المرحوم السيفي سودون
الطرنطاي فقيل ان اليهود فعلوا ذلك وقيل الفرنج وقيل نصارى المدينة
وقيل غير ذلك ثم امر النايب بعمارتها فعمروها في اقرب زمان انتهى
وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البنا بسوق الرقيق من دمشق
عند قصر ام حكيم فتهدم بسببها شي كثير من الدور والدكاكين وكان سقوطها
نهارا وذكر شيخنا الحافظ ابن حجر في تاريخه ان في سنة ثلاث وثمانمائ
ه استولى تمرلنك الطاغية على البلاد الشامية ومنها احرق دمشق ايضا
فاطلقوا النار في البيوت الى ان احترق اكثر البلد وخصوصا الجامع وما حوله
انتهى فاعادوا عمارته والمنارة الشرقية صارت بيضا ايضا تبنى كلها بالحجارة

وفي سنة سبع واربعين وستمائه ملك الفرنج دمياط وذلك ان ريدافرنس وهو من اعظم
ملوك الفرنج وريدا بلغتهم هو الملك اي ملك افرنس وافرنسا امة كثيرة من امم الفرنج
كان قد جمع من الجيوش خمسين الف مقاتل وشتى في جزيرة قبرس ثم سار
في هذه السنة ووصل الى دمياط وكان الملك الصالح ايوب صاحب مصر قد
بعث شحنها بالالات العظيمة والذخاير والاقوات ومقاتلة وكان عليها سور
وجعل فيها طايفة بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة وكان قد ارسل
السلطان ايضا اميرا كبيرا بجماعة كثيرة من العسكر ليكونوا قبالة الفرنج
على ظاهر دمياط ولما وصل الفرنج عبر مقدم جيش المسلمين المذكور من البر الغربي
الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي في اواخر صفر ولما جرى ذلك
هربت بنو كنانة واهل دمياط منها واخلوا دمياط وتركوا ابوابها
مفتحة خوفا من كثرة الفرنج فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها من
الذخاير والسلاح فعظم ذلك على السلطان فامر بشنق بني كنانة المذكورين
فشنقوا عن آخرهم ووصل السلطان الى المنصورة ونزل بها وقد مرض واشتد
مرضه وكان به السل والقرحة وقد ايس منه فنصب الخيم وجميع الجيش
تجاه الفرنج وكان قتله للذين هربوا من دمياط لانه لامهم على ترك المصابرة
قليلا ليرهبوا عدو الله الى ان يجيهم وهو في تلك الحالة جاه اولاد صاحب الكرك
مغاضبين لابيهم وسلموها اليه ففرح بها فرحا عظيما مع ما هو فيه من المرض
لما كان في خاطره من صاحبها ومع ذلك لم يلبث الا قدر نصف حتى مات كما سنذكر
فلما نزل السلطان على المنصورة كما ذكرنا استمر مرابطا للفرنج مدة اشهر
الى ان مات في نصف شعبان بها فلما مات ولم يكن له ولد حاضر عنده لانه كان
له ولد واحد المعظم توران شاه وهو نايبه في حصن كيفا فاحضرت
سريته شجرة الدر ام خليل امير اتابك العساكر وخواصه وعرفتهم بموت السلطان
فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت جاريته المذكورة الامرا وقالت لهم
السلطان يقول لكم ان تحلفوا له ومن بعده لولده الملك المعظم توران شاه
المقيم بحصن كيفا وللامير اتابك العساكر وكتبت الى نايبه بالقاهرة ايضا
بمثل ذلك فحلفت الامرا واكابر الاجناد الذين في العسكر والذين بالقاهرة
على ذلك وارسلوا قاصدا لاحضار ابن السلطان المذكور من حصن كيفا وبقي
بعد ذلك تخرج المكاتبات والمراسيم عليها علامة السلطان كان يكتبها
بعض الطواشية ولا يشك احد في انه خط السلطان وما جرى ذلك
شاع بين الناس موت السلطان ولكن ارباب الدولة لا يجسرون ان ينطقوا
بذلك خوفا من الفرنج وتقدم الفرنج من دمياط الى المنصورة وجرى بينهم وبين

المسلمين في مستهل رمضان

المسلمين في مستهل رمضان وقعة عظيمة استشهد فيها جماعة من كبار المسلمين ونزل
الفرنج بشرمساح ثم قربوا من المسلمين وكبسوا المسلمين على المنصورة اول ذي
القعدة وكان اتابك العساكر في الحمام بالمنصورة فركب سريعا فصادفه
جماعة من الفرنج فقتلوه وكان سعيدا في الدنيا ومات شهيدا ثم حملت
المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على اعقابهم واستمرت بهم
الهزيمة ثم وصل ابن السلطان فوقع ما سنذكره واما وفاة السلطان
الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب
الكردي توفي ليلة النصف من شعبان منها وهو على المنصورة مقيما بها لدفع الفرنج
لعنهم الله وكانت مدة ملكه للديار المصرية قريب العشر سنين وكان عمره نحو
اربع واربعين سنة وكان مهيبا عالي الهمة شجاعا عفيفا طاهر اللسان والذيل
شديد الوقار كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجمعه غيره من اهل
بيته حتى كان اكثر امرا العسكر مماليكه ورتب جماعة من المماليك الترك حول
دهليزه وسماهم البحرية وكان لا يجسر احد ان يخاطبه الا جوابا ولا يتكلم
احد بحضرته ابتدا وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب
عليها بيده وتخرج للموقعين وكان لا يستقل احد من اهل دولته بامر من الامور
الا بعد مشاورته بالقصص وكان غاويا بالعمارة بنى قلعة الجزيرة
الروضة تجاه مصر وبنى بلدة الصالحية وهي بليدة بالسايح وبنى لها قصرا
للتصيد وبنى قصرا عظيما قرب جامع طولون يسمى الكبش بقيت اثاره
وبنى المدارس الصالحية بين القصرين ورتب فيها المذاهب الاربعة
والان فيها القضاة الاربعة من اربع مذاهب وبنى بجانبها التربة له
وكانت امه جارية سودا تسمى ورد المنى وطيها ابوه الملك الكامل من
فحملت بالصالح وكان للصالح ثلاثة اولاد احدهم المغيث عمر الذي مات في
حبس عمه بدمشق كما والثاني خليل من شجرة الدر مات قبله ولم يكن بقي له
غير ولده الملك المعظم توران شاه كان استنابه في حصن كيفا كما ذكرنا
ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك لاحد وذكرنا انه ارسلوا لولده فقدم

منتقل اليها بعد ان دفن بالمنصورة

السلطان الثامن عشر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو ابنه السلطان الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح ايوب بن الملك
الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب الكردي كان متولي حصن كيفا
فانه لما بلغه موت ابيه سار من حصن كيفا ووصل الى دمشق في رمضان
وبها نايب عن ابيه وعيد بها عيد الفطر ووصل الى الديار المصرية وتوجه
الى المنصورة في اواخر ذي القعدة منها فبايعوه بالسلطنة عوض والده

واخذ في دفع الفرنج ايضا ثم اشتد القتال بين المسلمين والفرنج برا وبحرا ووقعت
مراكب المسلمين على مراكب الفرنج فاخذوها بجملتها وكانت اثنين وخمسين مركبا
منها عشر شواني بما فيها من الاطعمة والسلاح واسروا من الفرنج الف رجل
وحملوا الى القاهرة قال ابن كثير ركب المعظم في عصايب الملك وقاتل الفرنج
فكسرهم وقتل منهم ثلاثين الفا فضعفت الفرنج لذلك وارسلوا يطلبون
القدس وبعض السواحل وان يسلموا دمياط الى المسلمين فلم يحصل لهم اجابة
الى ذلك وخرجت السنة والامر على ما ذكرنا ثم جرى بين الفريقين ما سنذكره
وفي سنة ثمان واربعين وستماية لما اقام الفرنج يقاتلون المسلمين
بالمنصورة فرغت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط لان المسلمين
قطعوا الطريق الواصل اليهم من دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا
ليلة الثالث من المحرم منها متوجهين الى دمياط فركبت المسلمون اكتافهم ولما اصبحوا
خالطهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت
عدة القتلى والاسرى من الفرنج ثلاثين الفا على ما قيل وانحاز ملكهم
ريدافرنس ومن بقي معه من الملوك الى بلد هناك فانهزموا هزيمة قبيحة
فطلبوا الامان فامنهم بعض الطواشية ثم احتيط عليهم واحضروا الى
السلطان بالمنصورة وقيد كبيرهم ريدافرنس وجعل في الدار التي كان
ينزلها كاتب الانشا فخر الدين ابن لقمان ووكل به الطواشي صبيح
المعظمي حتى يستخلص منه المال ولما جرى ذلك رحل السلطان الملك المعظم
بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونصب له بها برج من خشب
للملك المعظم وكان من قصة ملك الفرنج المذكور ما سنذكره واتفق ان العساكر
اختلفت على السلطان بسبب نذكره فانه كان اولا استخلفه ابوه في حصن كيفا
وكان ابوه يستدعيه في ايامه ليجيئه فلا يجيبه فلما توفي ابوه كما ذكرنا استدعاه
الامرا المصريون فاجابهم وجا اليهم فملكوه عليهم واعتمد على بطانته الذين
قدموا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا واراذل واطرح جانب امراء
ابيه ومماليكه ونقل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه عنه
فاجتمعت المماليك البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه
بالسيوف فكان اول من ضربه مملوك ابيه بيبرس البندقداري الذي
ملك مصر فيما بعد على ما سنذكره فهرب السلطان منهم ودخل الى البرج الخشب
الذي نصب له بفارسكور فاطلقوا فيه النار فخرج المعظم من البرج هاربا
طالبا للبحر ليركب في حراقته فحالوا بينه وبينها بالنشاب فارمى نفسه
في البحر فادركوه واتموا قتله في اخر يوم من المحرم من هذه السنة فكانت مدة

اقامته في مملكة مصر

اقامته في مملكة مصر من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين واياما
وقد قيل انه كان متخلبا لا يصلح للمملكة وقد راى ابوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول

قتلوه شر قتلة ... صار للعالم مثله
لم يراعوا فيه الّاً ... لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب ... لاقل الناس كله

فكان ما سنذكره من اقتتال المصريين والشاميين وعدم منهما من اعيان الامرا والمسلمين

السلطان التاسع عشر من ملوك بني ايوب الاكراد

هي الخاتون ام خليل شجر الدر جارية الملك الصالح ايوب سريته وحظيته
ولما قتلوا الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح ايوب اجتمعت الامرا
واتفقوا على ان يقيموا شجر الدر جارية الملك الصالح في المملكة سلطانا
وان يكون الامير الكبير عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحي المعروف بالتركماني
اتابك العساكر وحلفوا على ذلك فاستقرت في السلطنة شجر الدر المذكورة
وخطب باسمها على المنابر وعلمت على المناشير وضربت السكة باسمها
وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك
المنصور خليل وكانت شجر الدر قد ولدت من سيدها الملك الصالح ايوب
ولدا ومات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت
صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل وسنذكر بقية قصتها
ولما استقر ذلك وقع الحديث مع ملك الفرنج ريدافرنس في تسليم دمياط
بالافراج عنه فتقدم ملك الفرنج ريدافرنس الى من بها من نوابه في تسليمها
فسلموها للمسلمين وصعد اليها العلم السلطاني يوم الجمعة اواخر صفر
ايضا فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة كاملة [illegible]
واطلق السلطان ريدافرنس ملك الفرنج فركب البحر بمن بقي معه في اليوم
المذكور واقلعوا الى عكا وهي مع الفرنج ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم
الى سائر الاقطار وفي واقعة ريدافرنس يقول جمال الدين بن مطروح كاتب الصالح

قل للفرنسيس اذا جيته ... مقال صدق عن قؤول نصيح
اتيت مصرا تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر يا طبل ريح
وكل اصحابك اوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا ترى منهم ... غير قتيل او اسير جريح
وفقك الله لامثالها ... لعل عيسى منكم يستريح
وقل لهم ان اضمروا عودة ... لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

وكان قليل الكلام [illegible] ولما كثر هذا منه [illegible] اذا فعل امرا [illegible]

[illegible] لقد حكموا [illegible]

ثم عادت العساكر من دمياط ودخلت القاهرة في صفر وارسل المصريون
رسولا الى الامرا الذين بدمشق في موافقتهم على ما فعلوه من سلطنة شجر الدر
فلم يجيبوا الى ذلك وخرجت الكرك والشوبك عن يد المصريين ذكر استيلا
الملك الناصر يوسف صاحب حلب على دمشق ايضا واستمر الى ان قتل
ولما جرى ما ذكرنا انه لم تجب امرا دمشق الى سلطنة شجر الدر كاتب امرا
دمشق الملك الناصر يوسف صاحب حلب بن الملك العزيز محمد بن الملك
الظاهر غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
الكردي فاتح هذه المملكة فسار صاحب حلب اليهم وملك دمشق ايضا
ودخلها في اوايل ربيع الاخر منها ولما استقر الملك الناصر المذكور في ملك دمشق
خلع على الذي كان نايبها وعلى بقية امرايها واحسن اليهم وحبس جماعة من
مماليك الصالح كانوا امرايها وعصت عليه بعض قلاع من اعمالها ثم سلمت جميعها اليه
ولما وصل الخبر الى المصريين باخذ دمشق قبضوا على من عندهم من امرايهم بالميل
الى الحلبيين ذكر سلطنة ايبك التركماني ثم ان كبرا امرا المصريين اتفقوا على
اقامة الامير الكبير عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني الصالحي في السلطنة
لانه اذا استقر امر المملكة في يد امراة تفسد الامور ولا تقدر امراة ان
تقوم بسياسة الملك وتحرك الناصر يوسف صاحب حلب والشام الى قصد
مصر فاجتمعوا واقاموا ايبك التركماني ولقبوه الملك المعز وركب
بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه في اخر ربيع الاخر هذه
وهو اول ملوك الترك وابطلت السكة والخطبة التي كانت باسم الملكة
شجر الدر من ثاني يوم تملكه فكانت مدة تملك شجر الدر ثلثة اشهر سوا
ثم لم يمكث المعز ايبك في هذه الولاية الاولى غير خمسة ايام فقط واقاموا غيره
لما اختلفت اهل المملكة وخرجت منها بلاد فاجتمعت الامرا واتفقوا على
انه لا بد من اقامة شخص من بني ايوب في السلطنة وخلع الملك المعز
ايبك التركماني من السلطنة بعد خمسة ايام واستمر على اتابكية العساكر والتحدث
مدة اكثر من اربع سنين ثم عاد الى السلطنة مستقلا الى ان قتل كما سنذكره في موضعه
اما بقية قصة شجر الدر التي حكمت في مصر فانها تزوجت ايضا بالملك المعز
ايبك التركماني المذكور واقامت معه مدة الى ان اعيد الى السلطنة فتغير
حاله معها واراد ان يتزوج عليها فلم تحتمل منه ذلك وتغيرت هي ايضا عليه
واتفقت على قتله مع بعض الطواشية فقتلته في الحمام فانتصر له
مماليكه وولده الملك المنصور علي وقتلوا شجر الدر قصاصا عن زوجها المذكور
وذلك في اثنا خمس وخمسين وستماية ودفنت بتربتها بجانب مشهد الخليفة كما سنذكره
في موضعه مفصلا

السلطان العاشر بمصر

السلطان العاشر بمصر من ملوك بني ايوب الاكراد

هو السلطان الملك الاشرف موسى بن يوسف بن صاحب اليمن الملك المسعود يوسف
المعروف باقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب
الكردي لما وقع الاختلاف في البلاد كما ذكرنا اتفقت الامرا واحضروا
موسى المذكور وملكوه في السلطنة ولقبوه بالملك الاشرف وهو صغير
وان يكون المعز ايبك التركماني المتقدم ذكره اتابك الجيش على عادته متحدثا
واجلس الاشرف في دست السلطنة وحضرت الامرا بين يديه في خدمته
وذلك يوم الخامس من جمادى الاولى من هذه السنة وكان عمره يومئذ عشر سنين
فقوي طمع صاحب الممالك الشامية والحلبية في المملكة المصرية وكان قد خرج جند
جماعة من عسكر المصريين فسار اليهم عسكر دمشق فانهزموا من غزة الى
الصالحية بالسايح واختلفت الاغراض والاهوا فلما جرى ذلك اتفقت
كبرا امرا المصريين ونادوا بالقاهرة ومصر ان البلاد للخليفة المستعصم
ثم جددت الايمان للملك الاشرف موسى بالسلطنة ولايبك التركماني
بالاتابكية وفي رجب رحل من مصر امرا ومعهم قدر الفين فارس متوجهين
الى جهة غزة فلما وصل اليها هذا العسكر المصري اندفع من كان بها من جهة الملك
الناصر صاحب الشام بين يديهم فرجع المصريون للقاهرة ثم ان الملك الناصر
صلاح الدين يوسف صاحب دمشق وحلب سار بعساكره لاخذ الديار المصرية
وصحبته ملوك اهل بيته منهم ابن عمه الصالح اسمعيل الذي كان حبيسه معه وذلك في رمضان
فلما بلغ المصريين ذلك اجمعوا القتاله ودفعهم عن مصر وبرزوا الى ناحية بلبيس
وتركوا سلطانهم الاشرف موسى بقلعة الجبل الصغير ودبر مقدم المصريين
حيلة وهو انه كان محبوس بالقاهرة اولاد الصالح اسمعيل فرتب في طلقهم
وخلع عليهم وبعثهم ليتوهم الناصر صاحب الشام من ابيهم وهو معه فيتخيل منه
ثم انه التقى العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسة في ذي القعدة منها
واقتتلوا فكانت الكسرة اولا على العسكر المصري فجاهر جماعة من العسكر الشامي
على سلطانهم وثبت اتابك العسكر المصري في جماعة فانضاف اليه جماعة
ممن جاهر من العسكر الشامي ولما انكسر العسكر المصري اولا تبعهم العسكر
الشامي فلم يشكوا في النصر وبقي صاحب الشام تحت السناجق السلطانية
مع جماعة قليلة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل اتابك العسكر المصري
بمن معه عليه فولى صاحب الشام منهزما طالبا جهة الشام ثم عاد اتابك
العسكر المصري وحمل ثانيا على بقية العسكر الشامي فهزمهم واخذ مقدمهم
اسيرا فضرب عنقه واسر ايضا يوهيد الصالح اسمعيل الى القاهرة ثم قتلوه

ولما كان في اول الوقعة من انهزام العسكر المصريين وصل العسكران من فرائن المنهزمين
الى العباسة وضربوا بها دهليز الناصر صاحب الشام وهم لا يشكون في ان
الهزيمة تمت على العسكر المصري فلما بلغهم هروب سلطانهم اختلفت اراوهم فمنهم
من اشار بالدخول الى القاهرة وتملكها ولو فعلوا لما كان بقي مع اتابك
العسكر المصري من يقاتلهم به وكان هرب فان العسكر المصري من المنهزمين
وصل اكثرهم الى الصعيد ومنهم من اشار بالرجوع الى الشام وكانت الوقعة
يوم الخميس ووصل المنهزمون من المصريين الى القاهرة من عد الوقعة
نهار الجمعة فلم يشك اهل مصر في تملك الناصر يوسف المذكور الديار المصرية
فخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل وبمصر واما القاهرة فلم تتم بها
في تلك الجمعة خطبة لاحد ثم وردت لهم البشرى بانتصار المماليك البحرية
من العسكر المصرية ودخل اتابكهم والبحرية الى القاهرة يوم السبت ومعه
من اسر من العسكران ومن تحت الاحتياط بهم فحبسوا بقلعة الجبل وعقب
ذلك سار امير من المصريين ومعه ثلاثة الاف فارس الى غزة وملكوها ثم رجعوا
ثم وقع بين المصريين والشاميين ما سنذكره **وفيها** اتفق راي اكابر الدولة المصرية
وهدموا اسوار دمياط في شعبان لما حصل للمسلمين عليها ما ذكرناه من الشدة مرة
بعد اخرى وبنوا مدينة بالغرب منها في البر وسموها المنشية واسوار
دمياط التي هدمت كانت من عمارة الخليفة المتوكل على الله الخليفة العباسي
وفي سنة تسع واربعين وستمائة عاد الناصر يوسف صاحب الشام الى مملكته وقدمت
العساكر المصرية فحكموا على بلاد السواحل الى حد الشريعة فجهز اليهم الناصر
صاحب الشام جيشا فطردوهم حتى ردوهم الى الديار المصرية ثم انفق الناصر
الاموال واستخدم الرجال وجهز عسكرا الى غزة ايضا وخرج المصريون
الى الجهة الشرقية واقاموا كذلك حتى خرجت السنة ثم حصل بينهم ايضا ما سنذكره
وفيها صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر وهذا اتفاق غريب
وفي سنة خمسين وستمائة عادت الططر الى البلاد الفراتية وغيرها
فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا ووقعوا بتجار فاخذوا منهم ما تزيد قيمته
على الف الف دينار فكان عدة من قتلوا في تلك البلاد عشرة الاف قتيل
واسروا من النسا والاطفال ما يقارب ذلك ايضا وكانت هذه مبادي حركتهم
الى البلاد العراقية والحلبية والشامية الى ان خربوها وقتلوا جميع اهلها كما سنذكره
وفيها وقع حريق بحلب احترق منه ستمايه دار وفعل الفرنج على غفلة
وفيها استقر الصلح بين المصريين والشاميين على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن
وللشاميين ما عدا ذلك **وفيها** وصلت الاخبار من مكة بان نارا ظهرت من ارض
عدن وبعض جبالها بحيث كان تظهر بالليل ويرتفع بالنهار دخان عظيم وبقي مثل ذلك

وفي سنة احدى وخمسين وستمائة

[illegible]

وفي سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الى الجيش المصري الفرنج ووعدوهم بان
يسلموا اليهم بيت المقدس ان نصروهم على الشاميين وكان قد اشتد الحرب
بينهم وتشتت فارسل اليهم الخليفة من بغداد واصلح بينهم وخلص جماعة من اولاد
الملوك من حبس الديار المصرية وخرجت السنة على ذلك ثم جرى بينهم ايضا ما سنذكره
وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة قال شمس الدين يوسف سبط ابن الجوزي
في تاريخه المسمى مرآة الزمان ان فيها وردت الاخبار من مكة شرفها الله تعالى
بان نارا ظهرت في ارض عدن في بعض جبالها بحيث انه يظهر شررها الى البحر
في الليل ويصعد منها دخان عظيم في اثنا النهار فما شكوا في انها النار التي ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم انها تظهر في اخر الزمان فتاب الناس واقلعوا عما
كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في افعال الخير والصدقات نقله العيني
وفيها اسلم ملك الططر بركه خان بن باطوخان بن جنكزخان وحسن اسلامه
واقام في مملكته منار الدين واظهر شعاير المسلمين واكرم الفقها والعلما واتخذ المساجد
والمدارس بنواحي مملكته واسلمت زوجته ججك خاتون واتخذت لها
مسجدا من الخيم تحمل معها حيث اتجهت وينضرب لها حيث نزلت وكان من شانه
وشان زوجته ما سنذكره وكان السبب في اسلام المذكور بان الشيخ نجم الدين الكبرا
كان قد ظهر صيته وارتفع ذكره ففرق مريديه الى المدن العظام ليظهروا
بها شعاير الاسلام فارسل تلميذه الشيخ سعد الدين الحموي الى خراسان وبخارا
فارسل هو تلميذا له كبير المحل عنده الى ملك الططر بركه المذكور فاجتمع به ووعظه
وحبب اليه الاسلام واوضح له منهاجه فاسلم على يديه واستمال الملك عامة
عسكره الى الاسلام وقصد ان يبر الشيخ بشي فبالغ ما اسداه اليه فامر له بابنية
بالبلاد التي هو فيها لتكون وقفا على الفقرا والصلحا وتجبى اموالها اليه انتهى
وفيها قدم الامير الفارس اقطاي من الصعيد وكان قد سرح اليها ونهب
اموال المسلمين واسرهم ومعه جماعة من البحرية المماليك المفسدين في الارض
وقد بغوا وطغوا وتجبروا ولا يلتفتون الى المعز ايبك التركماني المتكلم في المملكة
ولا الى زوجته خوند شجر الدر فخشيا وشاور المعز ايبك لزوجته شجر الدر في
قتل الفارس اقطاي فاذنت له فيه فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة في
القلعة بمصر فاستراح المسلمون من شره وكان صورة قتله بان عمل عليه حيلة
فاوقف له في بعض دهاليز الدور التي بقلعة الجبل ثلاثة مماليك منهم قطز
فلما مر بهم الفارس اقطاي على عادته خرجوا عليه وضربوه بسيوفهم فقتلوه
فلما علمت البحرية المماليك بقتله هربوا من الديار المصرية الى الشام وكان الفارس
اقطاي اذا ركب يقتل بين يديه جماعة بامره وكان خزاين مال مصر بيده يتصرف فيها

وكان اصحابه المماليك ياخذون اموال الناس وحريمهم واولادهم اخذا باليد
لا يقدر احد على منعهم ويدخلون حمامات النسا فياخذون منهم من يختارون
وكان الفارس اقطاي يمنع خشداشه المعز ايبك من الاستقلال بالسلطنة
وكان اسم السلطنة للملك الاشرف موسى بن يوسف بن المسعود يوسف بن الكامل
بن العادل بن ايوب وهو صغير في سن البلوغ كما ذكرنا فلما قتل اقطاي المذكور
استقل المعز ايبك التركماني بالسلطنة وهو اول دولة ملوك الترك بالقاهرة
وابطل الاشرف موسى المذكور منها بالكلية وبعث به الى عماته القطبيات
وموسى المذكور هو آخر من خطب له من بيت ايوب الاكراد بالسلطنة في مصر
وكان انقضا دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة على ما شرحناه لكن بقي منهم
الملك الناصر يوسف مستوليا على المملكة الشامية والحلبية دون مصر كما ذكرنا
وقد انقضى تاريخ ملوك مصر الاكراد وشرع الان في تاريخ ملوك مصر الترك كما تقدم

ذكر ابتدا دولة ملوك الترك بمصر

وعدتهم اثنان واربعون سلطانا
ومدتهم بها قدر ما بين سنة وثلاثين سنة بجميع الطايفتين الترك والجراكسة
واول ملوك الجراكسة الملك الظاهر برقوق الى دولة الملك الاشرف قايتباي كما سنذكر

السلطان الاول بمصر من ملوك الترك

مماليك الاكراد
هو السلطان الملك المعز ايبك التركماني الصالحي الايوبي مملوك الملك
الصالح ايوب انتزع مملكة مصر من اولاد استاذه في عقيب هذه السنة المذكورة
وتلك من خلافة ببغداد والخليفة هو المستعصم بالله عبد الله العباسي
وكان ايبك قد تسلطن قبلها من ثمان ولم يعد ويسمانه فعزل بعد خمسة ايام
كما ذكرنا واستمر هو المتحدث في المملكة على اتابكية العساكر الى هذه السنة فتولى
السلطنة مستقلا وهذا في الحقيقة هو اول ولايته فجددت له البيعة وجلس
على تخت المملكة وخطب له وضربت السكة باسمه وهو اول ملوك مصر الترك
وقد ذكرنا ان المماليك لما قتل كبيرهم اقطاي خافوا فهربوا من مصر الى الشام
ووصلوا الى الملك الناصر يوسف صاحب المملكة الشامية الذي بقي من ملوك الاكراد
فاطمعه هولا المماليك في مملكة الديار المصرية فرحل من دمشق بعساكره ونزل بعسكره
من الغور وارسل الى غزة عسكرا فنزلوا بها وخرج المعز ايبك صاحب مصر
الى العباسة وتعبوا للقتال وخرجت هذه السنة وهم على ذلك الى ان جرى بينهم ما سنذكر
ومن عجيب ما حكي ان اقطاي لما قتل وتفرقت المماليك خشداشيته ومماليكه
انعزل منهم جماعة تقدير اثني عشر نفسا وخرجوا هاربين خوفا من المعز ايبك
فوقعوا في التيه فذكروا انهم اتى مواقيه خمسة ايام حايرين ثم تعلل
زادهم وماوهم وفي اليوم السادس فلاح لهم سواد على بعد فقصدوه فاذا

هو مدينة عظيمة

هو مدينة عظيمة ذات اسوار وابواب حصينة كلها من الرخام الاخضر
فدخلوها فوجدوا الرمل ينبع من ارضها كنبع الما فطافوا باسواقها
ودورها فلم يجدوا بها ما ياخذون لان جميع اوانيهم وملابسهم جعلت
تتفتت كالهبا الا انهم وجدوا في بعض صواني بعض البزازين تسعة
دنانير منقوش عليها صورة غزال وحوله اسطر عبرانية ثم وجدوا بها
مكانا به اثر مدور فحفروه فطلعت لهم بلاطة فرفعوها فاذا هو صهريج
ماء ابرد من الثلج فشربوا واستقوا وسافروا تلك الليلة فوقعوا على قبيلة
من العرب فحملوهم الى الكرك فاتى لهم صاحبها من الربض ثم عرضوا تلك الدنانير
على الصيارف من اليهود فقال بعضهم هذه ضربت في ايام موسى عليه السلام
فسالنا عن قصتها فاخبرنا فقال هذه المدينة الخضرا بنيت لما كان
بنوا اسرايل بالتيه ولها طوفان من رمل فتارة يزيد وتارة ينقص
وهي مخفية لا يقع عليها الا تايه ثم ابعناه الذهب بتسع به درهم كل
دينار بماية درهم نقله القاضي العيني وفيها لما مات احد ملوك الططر ارادت
زوجة اخيه ان تولي ولدها السلطنة وكان لها بسطة وتحكم فلم يوافقها بقية
الخانات والامرا فلما رات انهم لا يوافقوها احتالت وراسلت هلاوون
بن جنكزخان وارسلت اليه نشابا بلا ريش وقبا بغير بنود وبعثت
تقول له قد تفرغ الدركاش من النشاب وخلا القربان من القوس فتحضر
لتتسلم المملكة ومعنى هذه الرسالة انه لم يبق ممانع ولا مدافع ثم سارت
لقصد الجاق بهلاون واحضان الى بلاد الشمال وكان اول من قد دخل
المملكة الشمالية من اولاد جنكزخان فملكها ابام ذريته فلما عزمت هذه المراة
على ذلك بلغ القوم ما ارادته فارسلوا اثرها واعادوها كارهة وغرقوها
جزا بما فعلت وكانت هذه مبادي حركة الططر الى البلاد العراقية والشامية
وفي سنة ثلاث وخمسين وستمايه عزمت طايفة من المماليك بالقاهرة
على القبض على السلطان الملك المعز ايبك التركماني الذي استقل بالسلطنة كما ذكرنا
فعلم بذلك واستعد لهم وهو مخيم نازل على العباسة كما ذكرنا فهربوا من الوطاق
على حمية فاحتيط على وطاقهم جميعه وفيها عصى بصعيد مصر الامير
ايبك الافرم الكبير وتظاهر بالعصيان وجمع عليه جماعة من العربان
ووافقه الشريف حصن الدين ابن تعلب والصيرمي واعتمدوا على نهب
البلاد واكثرت العربان من الفساد ووضع هولا ايديهم على الاموال
فاخذوها من بيوت المال وجبوا الجزية من ذمة تلك الاعمال فانهدم
النظام فاقتضى الحال ارسال الوزير الشرف الشيخ الاسعد الفايزي لتدارك

تدبير هذا الخلل وجرد معه الى الصعيد من العسكر جماعة فتحيلوا على الشريف
حصن الدين بن تغلب فمسكوه واحضروه الى القلعة فحبس بها ثم نقل الى الاسكندرية
فحبس في جب تحت الارض فبقي يعرف بجب الشريف الى الان وكان من امره ما سنذكره
وفي سنة اربع وخمسين وستمائة ارسل صاحب مصر الى بغداد تقدمة جليلة
للخليفة وطلب منه خلعة وكان صاحب الشام ايضا ارسل للخليفة تقدمة
جليلة وطلب منه خلعة وهما ضدان فبقي الخليفة متحيرا بينهما ثم انه
اعطى لرسول صاحب الشام سكينا من اليشم كبيرة علامة منه في المنع عنك
خلعة في وقت اخر واما في هذا الوقت فلا يمكن فاخذ رسوله السكين ورجع
الى مخدومه بغير خلعة وفيها وقع من هذا الخليفة قضية بشعة وصورتها
انه كان الناصر داود صاحب الكرك لما ضعف امره وانتزع منه وبقي حائرا الى
ابن باوي وكان معه جواهر نفيسة قيمتها مائة الف دينار فخاف عليها
لا تسرق منه فقصد الخليفة ببغداد فاودعها عنده ثم بعد حين لما احتاجها
جا اليه فطلبها منه فبقي الخليفة يماطله بها ويسوف به من وقت الى وقت
مرة بعد مرة في اخر الحال ارسل اليه من حاسبه على ما وصله في تردداته الى
بغداد من الضيافة مثل الخبز واللحم والحطب وحوائج الطعام والشعير
والتبن وغير ذلك من الكلف وثمن عليه ذلك باغلا الثمن وارسل اليه شيا
يسيرا والزمه ان يكتب خطه بقبض وديعته وانه ما بقي يستحق عند
الخليفة شيا فكتب خطه بذلك مكرها ورجع مقهورا فمات في سنته
وفيها احتال هلاون ملك الططر فاختفى ودخل العراق ووصل الى بغداد
متنكرا في زي تاجر عجمي ومعه مائة حمل حرير واجتمع بوزير بغداد ابن
العلقمي الرافضي وباكابر الدولة الذين يوافقوه وكانوا قادرين على مسكه
الا انهم خانوا الله والمسلمين ثم رجع بعد ما اتفق امره معهم وجرى منه ما
سنذكره من تخريب العراق وقتل الخليفة وتخريب البلاد الشامية وغيرها
وفيها كان الحرب الشديد بين اهل الروم والططر فانتصر الططر على الروم
وفيها كان ظهور النار من ارض الحجاز التي اضات لها اعناق الابل ببصرى
كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه وقد بسط العلما القول في ذلك وملخصه
لترجي اس من جمادى الاخر خرج في المدينة الشريفة نار عظيمة في شرقي المدينة
بينهما نصف يوم واصل ذلك انه وقع في المدينة صوت ودوي عظيم يشبه صوت
الرعد البعيد تارة وتارة اقام على هذه الحالة يومين ثم تعقب الصوت
المذكور زلازل عظيمة رجفت منها الارض والحيطان والسقف والاخشاب
والابواب ساعة بعد ساعة مدة يومين وخافوا منها وباتت باقي تلك الليل

تزلزل كل يوم وليلة

تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات حتى لقد تزلزلت مرة فاضطرب لها
منبر الحرم الشريف الى ان سمع صوت للحديد الذي فيه واضطربت
قناديل الحرم الشريف وتمت الزلزلة الى ضحى يوم الجمعة ولها دوي كالرعد
القاصف ثم انفجرت الارض وظهر منها نار عظيمة قدرها مقدار
المسجد الشريف وهي برأي العين من المدينة يشاهدوها وهي ترمي بشرر
كالقصر كما قال الله تعالى وهي بموضع يقال له اجليين في الحرة قريبة من قريظة
ووقت ما ظهرت دخل اهل المدينة الى نبيهم عليه افضل الصلاة والسلام
مستغفرين تائبين مستشفعين ثم سال من هذه النار اودية من نار مقدارها
اربعة فراسخ وعرضها اربعة اميال وعمقها قامة ونصف وهي تجري على
وجه الارض الى وادي شظا مسيل الما وقد سدت مسيل شظا حتى
حاذى مسيلها جبل احد ثم وقف وعادت وتخرج منها امهاد وجبال
صغار وتسير على وجه الارض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الانك
لونه احمر فاذا جمد صار اسود وبقيت الجبال تسيل نيرانا وقد
سدت الحرة طريق الحاج العراقي الى ان وصلت الى الحرة فوقفت
ورجعت تسيل في الشرق واهل المدينة في بيوتهم يبصروها من داخل
المدينة كانها عندهم وهي نار عظيمة اشتعالها في البيت اكثر من ثلاثة سرج
بحيث يكتب في البيت الكتب على ضوها ومع هذه الصفات المهولة لم
يكن لها حر ولفح على عظمها انما كانت اية من ايات الله عز وجل وتهديد
للمكذبين وبقيت الشمس والقمر عند ظهورهما يطلعان الا كاسفين
حتى ظهر بالشام اثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان وبقي الشاميون
حيارى من ذلك البين سببه الى ان سمعوا خبر هذه النار واقامت هذه النار
كذلك مدة فخبر من اخبر بها اهل المدينة كان لها مدة شهر وبعد لم نعرف ما جرى
وثبتت حكايتها في جميع كتب التاريخ باخبار اهل المدينة وفي ضمنها الوصي شمس الدين
ابن ابي سنان من عبد الوهاب بن نميلة الحسيني والحديث الوارد عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قصة هذه النار مخرج في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز
تضي اعناق الابل ببصرى وقد وقع هذا في هذه السنة المذكورة وهي من
دلايل القيامة وبصرى قريبة من الشام وقد وقع فيها من شاهد ذلك
فانهم ببصرى في تلك المدة راوا اعناق الابل في ضو هذه النار التي
ظهرت من ارض الحجاز وهذا تصديق لهذا الحديث المذكور ختم الله بخير
نقل هذه القصة شيخنا واحد فضلا الحنفية بدر الدين محمود العيني في تاريخه

الشريفة
وفيها وقع ايضا في ليلة الجمعة مستهل رمضان احترق مسجد المدينة النبوية
على ساكنه افضل الصلاة والسلام ابتدا حريقه من زاويته الغربية
من الشمال وسببه انه كان دخل احد القومة الى خزانة فيه ومعه نار
فعلقت في الالات ثم واتصلت بالسقف بسرعة ثم دبت في السقوف
آخذة قبلة فاعجزت الناس عن قطعها فما كان الا ساعة حتى احرقت
سقوف المسجد اجمع ووقعت بعض اساطينه وذاب رصاصها
وكل ذلك قريبا قبل ان تنام الناس واحترق سقف الحجرة النبوية
عليه السلام ووقع ما وقع منه في الحجرة وبقي على حاله حتى لما شرع في
عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام
واصبح الناس فعزلوا موضعا للصلاة ثم عمره صاحب مصر بعد مدة
وعُدّ ما وقع في سنة واحدة بالمدينة من تلك النار الخارجة وحريق المسجد
من جملة الايات وكانها كانت منذرة بما تعقبها في السنة الآتية من
الكائنات على ما سنذكره من قتل الططر الخليفة وتخريبهم بغداد وحلب والشام
وفي كتابة حريق المسجد النبوي قال الشيخ سبط ابن الجوزي

لم يحترق حرم النبي لحادث ۝ يخشى عليه ولا دهاه العار ۝
لكنما ايدي الروافض لامست ۝ ذاك الجناب فطهرته النار ۝

وفي سنة خمس وخمسين وستمائة عاد الططر الى مملكة الروم واستاصلوها
ومن لطيف ما حكي عنهم ان صاحب الروم لما هرب منهم من قونية كرسي مملكته
فاغلق الرعية ابواب المدينة واشتد بهم الحصار فقام خطيب قونية جمع منهم
من المال ما تصل قدرتهم اليه ليبذلوه وانفسهم من الططر وجمع لهم الضيافة والاقامة
وخرج اليهم فلم يصادف ملكهم لخروجه للصيد فاجتمع بزوجته وتخضع وترفق لها
وقدم لها تلك التقدمة فقبلتها منه واقبلت عليه واخذ من الاكل الشنشي فلما قدم
لها المشروب امر واحدا معه باخذ الشنشي منه فقالت هي له لماذا لم تشرب منه
انت فقال لها حرام علينا الخمر قالت من حرمه قال رب الخلائق حرمه
قالت فكيف قدمته لنا قال انتم كفار ونحن مسلمون فقالت له انتم خير عند الله
ام نحن قال بل نحن قالت فاذا كنتم خيرا منا عنده فكيف نصرنا عليكم
فقال لها هذا الثوب الذي عليك وكان ثوبا ثمينا مرصعا درا ثمينا
انت تعطيه لمن يكون خاصا لك او لمن يكون بعيدا عنك قالت بل
اخصص به من يختص بي قال فاذا اضاعه وفرط فيه ودنسه ما كنت
تصنعين به قالت كنت انكل به واقتله فقال لها دين الاسلام بمثابة
هذا الجوهر والله اكرمنا به فما رعيناه حق رعايته فغضب علينا وطردنا

بسيوفكم واقتص منا

بسيوفكم واقتص منا بايديكم فبكت زوجة ملك الططر وقالت للخطيب
من الان تكون انت ابي وانا اكون بنتك فقال لها ما يمكن هذا حتى تسلمي
فاسلمت على يديه واجلسته الى جانبها فلما حضر زوجها ملك الططر من
الركوب فهم الخطيب بالقيام ليلتقيه فمنعته المراة وقالت انت قد
صرت حموي وهو الذي يجي اليك فلما دخل زوجها الى خيمتها قالت له هذا
قد بقي ابي فاكرمه وقال لها انا قصدت اني اذا فتحت قونية وهبتها
لك قالت وانا قد وهبتها لابي هذا ثم امر بفتح ابوابها وامن اهلها فلم
يتعرضوا لاحد منها باذية فكانت هذه الحركة من الطاف الله الخفية
وفيها قتل السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني اول ملوك الترك بمصر
كان من اكبر مماليك السلطان الملك الصالح ايوب الايوبي الكردي وكان دينا
صينا عفيفا كريما شجاعا تمكن في الملك نائبا ومستقلا نحوا من سبع
سنين وتزوج بجارية استاذه شجر الدر ام خليل التي تملكت مصر قبله ثم انها
قتلته وكان سبب ذلك انه كان قد تغير على شجر الدر بعد قتل الامير
الفارس اقطاي وبلغها عنه ايضا انه ارسل يخطب بنت صاحب الموصل
وبنت صاحب حماه ليتزوجها فغضبت لانه بها وصل الى المملكة فدبرت
على قتله واتفق ايضا انه قبض على جماعة من المماليك خشداشيته وارسلهم الى القلعة
ليحبسوا بها فلما وصلوا تحت شباك الحريم الذي تجلس فيه خوند شجر الدر
قام واحد منهم وسال من بعض الطواشية هل خوند في هذا الوقت جالسة
في الشباك فقال له نعم فخدم هذا المملوك براسه تحت الشباك ورفع يديه
الى الشباك وقال لها بالتركي المملوك فلان ان نظرتي حاله والله يا خوند ما
عملنا ذنبا يوجب مسكنا الا انه لما بعث السلطان يخطب ليتزوج ما هان
علينا لاجلك فان نحن تربية نعمة استاذك ونعمتك فعتبناه
في ذلك ففعل بنا ما ترى فاومت بمنديل من الشباك يعني قد سمعت
كلامك فلما نزلوا بهم الى الجب قال هذا المملوك ان كان حبسنا فقد قتلناه
فلما رجع السلطان المعز من لعب الاكرة دخل الى الحريم فقامت خوند
قبلت يده على خلاف العادة وقامت معه ثم دخل الحمام وكانت
قد رتبت مع جماعة من الطواشية واتفقت معهم على قتله فقتلوه في
الحمام وارسلت في تلك الساعة اصبع السلطان بخاتمه الى الامير
الكبير وطلبت منه ان يتولى السلطنة فلم يجسر على ذلك وكان قتله
في الثالث والعشرين من ربيع الاول منها ولما ظهر الخبر اراد مماليك المعز
ايبك قتل شجر الدر فحماها مماليك استاذها الصالحية ثم جرى ما سنذكره
وكان المعز كريما دينا شجاعا وهو واقف المدرسة المعزية التي بمصر على البحر

ودفن بتربته بالقرافة

السلطان الثاني بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك المنصور علي بن الملك المعز ايبك التركماني الايوبي
لما قتل المعز اتفقت كلمة امرا الدولة على اقامة ابنه نور الدين علي
سلطانا ولقبوه الملك المنصور وعمره يوميذ من سن البلوغ وكان جلوسه
في السلطنة في الخمس والعشرين من ربيع الاول منها وكان يميل الى اللعب
لصباه فقام عنه مملوك ابيه الامير قطز المعزي باتابكيته وتدبير
دولته فانه كان ذا باس وشهامة وحزم وصرامة ثم ان شجر الدر المذكوره
نقلت من دار السلطنه الى البرج الاحمر وشنقوا الطواشية الذين
اتفقوا معها على قتل السلطان المعز ايبك واحتيط على الوزير الصاحب
بها الدين علي بن حنا لكونه وزير شجر الدر واخذ خطه بستين الف دينار
وكان الوزير للمعز الشيخ الاسعد الفايزي ثم اتفقت مماليك المعز ايبك وكبيرهم
الامير قطز وقبضوا على الامير كان قد صار اول اتابك الملك المنصور
علي ورتبوا في اتابكيته غيره واما شجر الدر المذكوره فهي ام خليل
التركيه كانت من حظايا الملك الصالح ايوب وكان ولدها منه خليل مات صغيرا
وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضرا وسفرا من شدة محبته لها وكانت
بعد مقتل ابن سيدها الملك المعظم توران شاه قد ملكت الديار المصريه
فكانت تخطب لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة
اشهر كما ذكرنا ثم تملك المعز ايبك فتزوجها ثم تملك الديار المصريه سنوات
ثم غارت عليه لما بلغها انه يريد ان يتزوج عليها بنت صاحب الموصل
كما ذكرنا فعملت عليه حتى قتلته كما تقدم فتمالى عليها مماليك المعزيه
فقتلوها والقوها على مزبلة ثلاثة ايام خارج باب البرج الاحمر
وحملت ونقلت الى تربة كانت قد عملتها لها بالقرب من قبر الست
نفيسه فدفنت بها وهي بجانب دار الخلافة في هذا الزمان وكانت
تركيه الجنس وقيل كانت ارمنيه الجنس وكانت مع سيدها الصالح
في حبسه بالكرك كما ذكرنا وكانت قويه النفس لما علمت انها قد احيط
بها اتلفت شيا كثيرا من الجوهر واللالي كسرته في الهاون لا لها ولا لغيرها
ولما تمكن مماليك المعز بقتلها اقبلوا صحبة مملوكه الاكبر قطز فقتلوها والقوها
على مزبلة غير مستورة العورة بعد ذلك الحجاب المنيع والمقام
الرفيع وحكي في كيفية قتلها ان جوار زوجها الملك ابنه
اخذوها وضربوها بالقباقيب الى ان ماتت وهذا هو المشهور
وبقي بعد قتل سيدها ماتت ولم يكمل فاكملته هي ونقلته من المنصوره فدفنته

ولنرجع الى ذكر ما

[illegible]

ولنرجع الى ذكر ما جرى في دولة الملك المنصور من امر احوال الدولة والامرا
ثم انهم مسكوا وزير الملك المعز ايضا وهو الشيخ الاسعد بن صاعد الفايزي
كان نصرانيا ثم لبس العمامة البيضا واستوزره الملك المعز وكان حظيا عنده
الى الغاية لا يفعل شيا الا بمراجعته ومشاورته وهو الذي احدث مكوسا كثيرة
وضمانات وسماها حقوقا وموجبات فبعد قتل سلطانه اهين هذا الشيخ الاسعد
حتى صار شقيا وصودر بمايه الف دينار وعوقب حتى هلك هذه عاقبة ظلمه وفيه قال بعضهم
لعن الله صاعدا وآباه فصاعدا وبنيه فنازلا واحدا ثم واحدا
ثم ان المماليك الذين كانوا قد هربوا من الديار المصريه الى البلاد الشاميه اطمعوا بعض
ملوكها في مملكة مصر وانهم بيسا عدوه فتجمعوا في اكثر من الف فارس وقصدوا
ايضا الديار المصريه فبلغ خبرهم لصاحب مصر وامرايها وهو مدبر الدولة الامير قطز
فانزعجوا الوصول المذكورين الى غزه فبرز العسكر المصريه الى جهة العباسه
والصالحيه فاقبلوا اليهم من طريق القعن والتقوا معهم فانكسر المماليك الذين
جاوا من جهة الشام وكان فيهم بيبرس البندقداري وقلاوون الالفي وهما اللذين
تسلطنا فيما بعد فوقعا في الاسر وانهزم بقيتهم ورجعوا وهم خايبون
ثم عادوا الى قصد الديار المصريه ايضا في السنة بعدها وكان بينهم ما سنذكره
وفيها دخل الفقرا العجم الحيدريه الى الشام ومن شعارهم لبس الفراجي الفرو
والطراطير ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم وهو عكس السنة
قالوا انهم فعلوا ذلك لمتابعة شيخهم الشيخ حيدر حين اسره الملاحدة
فقصوا لحيته وتركوا شواربه فاقتدوا به في ذلك وهو معذور فيما
جرى له بخلافهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولبس لهم فيه قدوة
وقد بنيت لهم زاويه بظاهر دمشق قريبا من العوينة وكان هذا اول ظهورهم
وفي سنة ست وخمسين وستماية عاود ايضا المماليك الهاربون الى
قصد الديار المصريه مع من انضم اليهم من بعض ملوك الشام ووقع بين الفريقين
قتال شديد عند الصالحيه فكانت الكسرة ايضا على المماليك وانتصر عليهم
العسكر المصري وكان ايضا من جملة تلك المنهزمين بيبرس البندقداري والغوم
قلاوون الالفي الذين تسلطنا فيما بعد فتشردوا في تلك النواحي ايضا مدة
ثم عادوا الى الديار المصريه ولزموا الخدمة الى ان تسلطنا كما سنذكر في موضعه
ومن عجيب ما حكي عنهم انهم حين كانوا تشردوا في هذه المدة قاسوا
امرا عظيما من الشدة من الغلا والفقر والشتات والتنقل من مكان الى مكان
والخوف من سابر الجهات وعدم الاقامة في مكان واحد ولم يجدوا من يشفع فيهم
فاتفق لهم انه قصدوا بلد الخليل عليه السلام وهما في الطريق احتاجوا الى القوت

يوما من الايام فصادفوا انسانا مجتازا بشي من الماكول فطلبوا منه شيا
للضروره الجوع فامتنع فحمل الامير قلاوون الغيظ على ان ضربه ضربه من فرط
غيظه فكانت فيها منيته فندم اشد الندم وقال لقد كان الجوع والموت
خيرا من قتل النفس ثم انهما دخلا المدينه واتفقا على ان يمضيا الى زيارة الشيخ
سيدي علي البكا وهو يوميذ مقيم بزاويته بالخليل عليه السلام فلما دخلا
عليه وسلما عليه رد الشيخ السلام الامير بيبرس واقبل عليه ولم يرد سلام
الامير قلاوون واعرض بوجهه عنه وقال هذا الجري على قتل النفس المحرم
فاعجبهما كشفه واطلاعه على هذا الامر فتلطف الامير قلاوون بيبرس
في سواله والتماس اقباله حتى سمح لقلاوون بجلوسه فلما قاما ليودعاه ايضا
صافح الشيخ الامير بيبرس ودعى له وقال انت رايح الى مصر وسيصير
اليك ملكها فاستوص بالمسلمين واجتهد في فعل الخير ثم تقدم اليه الامير
قلاوون فصافحه وقال له كما قال لبيبرس فتعجبا من ذلك وخرجا من عنده
ثم ال حالهما الى ان ملك كل منهما الديار المصريه واحدا بعد واحد كما سنذكره في موضعه
واما الشيخ سيدي علي البكا فانه صاحب الزاويه المشهوره بالقرب من بلد الخليل
كان مشهورا بالعباده والصلاح والكرامات وطعمة المجتازين به من المارين والزوار
واستمر ذلك بعده ببركته الى هذا الزمن لكثر من مايتين سنه وعاش بعد هذه القصيه
مده خمسة عشر سنه حتى تسلطن بيبرس وزاره ايضا ثم مات في رجب سنه سبع وسبعين
وكان السبب في بكايه الكثير انه كان صحب رجلا له حال وانه خرج معه
من بغداد فانتهوا في ساعة واحدة الى بلد بينها وبين بغداد مسيرة سنة
ولم ذلك الرجل قال له اني سأموت في الوقت الفلاني واشهدني في ذلك الوقت
في البلد الفلاني قال الشيخ علي رضي الله عنه فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في
السياق وقد استدار الى الشرق فحولته الى القبلة فعاد فاستدار الى
الشرق فحولته فقال لي لا تتعب فاني لا اموت الا على هذه الوجهه
وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فجينا به الى دير هناك
فوجدناهم في حزن عظيم فقلنا لهم ما شانكم فقالوا كان عندنا شيخ
كبير ابن مايه سنه فلما كان اليوم مات على دين الاسلام فقلنا خذوا
هذا بدله وسلموا الينا فتوليناه وصلينا عليه ودفناه رحمه الله تعالى نسال
الله حسن الخاتمة وفيها اخرب الططر بغداد وقتلوا فيها الخليفه
وكل من بها من المسلمين وهذه الواقعه الكبرى التي عم الدنيا خبرها وانقرضت بها
الخلافه من بغداد على ما نشرحه فجمع ملك الططر هلاوون بن طولي خان بن
جنكز خان الذي اهلك العباد واخرب البلاد جميع الجنود من سائر الطوايف

وزحف على بغدا

وزحف على بغداد ونازلها وبها الخليفه وهو يوميذ الامام المستعصم بالله
عبد الله العباسي وكان عسكر بغداد يبلغ مايه الف فارس وكان سبب ذلك
ان وزيره مويد الدين ابن العلقمي كان رافضيا وكان اهل الكرخ روافض
فجرت فتنة بين اهل السنه والرافضه ببغداد على جاري عادتهم في السنين
الماضيه فامر ابو بكر ابن الخليفه وغيره العساكر فنهبوا الكرخ وهتكوا
النسا وفعلوا فيهم الفواحش فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي فكاتب
الططر واطمعهم في ملك بغداد وكان عسكر بغداد يبلغ مايه الف فارس
فاشار الوزير على الخليفه بان يقطع منهم ليحمل الى الططر متحصل اقطاعاتهم
ليكفوا عنه فضعف جند بغداد حتى بقي عسكرها اقل من عشرين الف فارس
ثم ارسل الوزير ابن العلقمي اخاه الى الططر يستدعيهم الى بغداد فقصدوها
في جيش عظيم واحاطوا بها كالخاتم وحاصروا بغداد اشد الحصار بما
يطول شرحه فارتاع الخليفه ولا يدري ما يفعل واغلقت ابواب بغداد فضايق
الططر ففتحوها عنوه بالسيف ودخلوها في العشر من المحرم منها فبذلوا
في المسلمين السيف ولم يرحموا شيخا كبيرا ولا طفلا صغيرا واحاطوا بقصر
الخليفه ورموه بالنشاب وغيره ولم تنفعه حيله في المدافعه وكانت عدة
جنود الططر اكثر من اربعماية الف فخرج اليهم الوزير ابن العلقمي المذكور
ليستوثق منهم لنفسه وعاد فاشار على الخليفه بالنزول اليهم لتقع
المصالحه فخرج الخليفه الى ان خرج اليهم في نحو الف نفس في جمع من اكابر
الدوله من القضاه والفقها والصوفيه وسادات البلد فلما قربوا من الططر
منعوا عن الخليفه جماعته وانزلوهم عن مراكبهم وقتلوهم عن اخرهم
واوقفوا الخليفه بين يدي ملك الططر فساله عن اشيا كثيره فاضطرب
الخليفه من هول ما راى من الاهانه والجبروت ثم اعاده تحت الحوطه
والمصادره الى داخل البلد فاحضر من دار الخلافه شيا كثيرا من الذهب
والجواهر والاشيا النفيسه وهجموا قصر الخلافه وقتلوا كل من كان فيه
من الاشراف ودام القتل والنهب والتحريق في بغداد مدة شهر
ونصف فكان جملة من قتل من المسلمين الفي الف نفس ثم ارادوا قتل
الخليفه فلما قدموه لملكهم تهيب من قتله فهون عليه الوزير ذلك الامر
فقتلوه رفستا وهو في جولق ليلا يقع على الارض شي من دمه وقيل
خنقوه وقيل غرقوه وقتلوا معه جماعة من اولاده واسروا ولده
الصغير مباركا وبناته واسروا من دار الخلافه الف امراة وصارت بغداد
تجري الدم في طرقها كافواه القرب مع ان الوزير ابن العلقمي المذكور لم يسلم منهم بل هلك

يا فرقة الاسلام نوحوا واندبوا ٭ اسفا على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه ٭ لابن الفرات فصار لابن العلقمي

رحمه الله تعالى

وكان اهل بغداد لما لم يجدوا ملجأ يجتمعون كثيرا او يلتجون في الجوامع والمساجد
والمدارس و يغلقون عليهم فتفتحها الططر بالنار و يهجمون عليهم فيهربون
منهم الى اعالي الاسطحه فيقتلونهم في الاسطحه حتى تجري الميازيب من الدما في الازقه
لا يمكن شرحه ولم ينج منهم سوى اهل الذمه من اليهود والنصارى
وبقيت بغداد خالية ليس فيها غير القتلى مطروحين كالجبال في الطرقات
ومن نتن تلك الجيف تغير الهوا وحصل منه الوبا حتى وصل لبلاد الشام
فمات خلق كثير من فساد الريح وكان مقام الططر على بغداد اربعة اشهر
وجعلوا بها نايبا منهم ثم رحلوا ليفسدوا في ما بقي من تلك البلاد الى حلب
وكان هذا الخليفة المستعصم عبد الله المذكور هو اخر خلافة بغداد كما ذكرنا
وكان ابتدا دولتهم من ثلاث وثلاثين ومايتين فكانت مدة ملكهم خمسمايه
سنة واربعا وعشرين سنة وعدد خلفايهم قريب الاربعين خليفة
ومن عجيب الاتفاق انه كان اولهم السفاح اسمه عبد الله واخرهم هذا
المستعصم بالله اسمه عبد الله ايضا وكذلك وقع في الفاطميين والامويين
كما قدمنا الاشارة لذلك في مقدمه هذا التاريخ فلم يتنبه له غيري فنظر كثير
حكي عن السيد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لتكونن الخلافة في ولدي
لا تزال فيهم حتى ياتيهم العلج من خراسان فينتزعها منهم فوقع مصداق ذلك
ثم انه لما جرى على بغداد ما ذكرناه انزعج اهل البلاد الشاميه واشتد خوفهم ورجيفهم
وعلم صاحب الشام وحلب الناصر يوسف الايوبي انه لا طاقة له ولا لغيره على مقاومة
هذا الططر فجهز لهم التحف والاموال والتقادم الهايلة وارسلها مع ولده اليهم
فسأله ملكهم عن سبب تاخر ابيه عن الحضور اليه فاعتذر اليه بانه ما امكنه
مفارقه البلاد الان مما خوفا عليها من فرنج السواحل فاظهر له انه قبل عذره
وقبل تقدمته واعاده الى ابيه ومع هذا لم يفد ذلك شيا بل اخربوا حلب وقتلوه
على ما سنذكره في موضعه قريبا **وفي سنة سبع وخمسين وستمايه**
لم يكن للمسلمين خليفة الى بعد اربعة سنين حتى اتصلت بالقاهره خلافتهم كما سنذكره
واما ملوك مصر والشام فانهم مستمرين على الاختلاف والمحاربه والعداوه
وذكرنا ان المصريين قد ملكوا عليهم بها ابن استاذهم وهو الملك المنصور علي بن
الملك المعز ايبك التركماني ثم ان ملك الططر الملك الغاشم هلاون المذكور
ارسل الى صاحب الشام الناصر يتهدده على تاخره عن الحضور الى خدمته
ومصانعته بالتقادم الكثيره ولم ترده عنه وقال ان كان لم يجيني انا الذي
اسير الى بلاده بنفسي فحارت قوى صاحب الشام ورجف اهل الشام
رجفا شديدا اخيرا بلغهم ان الططر قد قطعوا الفرات وانجفلوا الى القاهره

في زمن الشتاء من خوفهم

في زمن الشتاء من خوفهم فمات كثير منهم ونهب اخرون ثم اقبل هلاون يقصد
نحو البلاد الشامية بجنوده وعساكره فارسل صاحب الشام وزيره الى
الديار المصريه يستنجد المصريين على قتال الططر فانهم قد قرب
قدومهم الى الشام وقد استولوا على الاعمال الفراتيه وجازها ليشهم الفرات
واقترب من مدينه حلب وبها يومئذ المعظم توران شاه بن السلطان الناصر
صلاح الدين يوسف بن ايوب فاتح هذه المملكه وصاحب مصر صبي كما ذكرنا
فعقد مجلس بالديار المصريه في حضرة الملك المنصور علي بن المعز ايبك
وحضر شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام وافاضوا الكلام فيما يتعلق
باخذ شي من اموال الرعيه لمساعدة الجند وكانت العمدة على ما يقوله
ابن عبد السلام فكان حاصله انه اذا لم يبق في بيت المال مال
وانفقتم الحوايص الذهب والجواهر والسروج الذهب وغيرها من
الزينة وتساويتم والعامه في الملابس سوى الات الحرب والنفقه
ولم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ساغ اخذ شي من اموال الناس
في دفع اعدا الدين الا انه اذا دهمهم العدو وجب على الناس كافة
ان يدفعوهم باموالهم وانفسهم وكان ذلك بحضور رسول صاحب الشام
فلما عقد المصريون هذا المجلس للملك قال له الامير الكبير قطز وهو
مدبر المملكه هذا لا بد من سلطان كبير قاهر يقاتل الططر والسلطان
صبي صغير لا يعرف تدبير المملكه وكان كذلك فان الملك المنصور علي
فانه كان يغلب عليه اللعب ويركب الحمير الفره ويلعب بالحمام مع
الخدام الطواشية واجتمع الامرا الكبار واعيان العساكر على انه
لا غنى للمسلمين من سلطان كبير يقوم بدفع العدو ويذب عن حوزة الدين
وذلك لما تحققوا هجوم هلاون ملك الططر على الديار الشاميه
وامتداده الى بقيه ممالك الاسلام واتفقوا على خلع السلطان
الملك المنصور علي بن المعز ايبك فقبض عليه مملوك ابيه الامير الكبير قطز
لصغره في اوايل ذي الحجه منها وانقضت دولته فكانت مدة مملكته
سنتين ونصف وحبس بالقلعه ويقال انه بعد قبضه بعثه هو
وامه واخاه قاقان الى بلاد الاشكري من الروم وقيل انما سيرهم هناك
الملك الظاهر بيبرس بعد قتل المظفر قطز واستمر هناك الى ان مات
سنه

وكان قطز المذكور هو الذي قام في توليه ابن استاذه المذكور كما ذكرنا ولكنه
لما سمع بهجوم الططر خاف ان تختلف الكلمه بسبب صغره فنزع الملك منه جميعا

صاحب القسطنطينية

السلطان الثالث بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك المظفر قطز المعزي من اكبر مماليك الملك المعز ايبك لما قبض على ابن استاذه اتفقوا الامرا على سلطنة الامير قطز المعزي لانه كبير البيت ونايب الملك وزعيم الجيش وهو معروف بالشجاعة والفروسية ورضي به الامرا الكبار في جلوسه على سرير الملك ولقبوه الملك المظفر وكان جلوسه في تخت السلطنة في اوايل ذي الحجة وكان من الامرا اميرين كبيرين من المعزية كانا غايبين في زمن البندق حين تسلطن المظفر ولما حضرا قبض عليهما واعتقلهما بالقلعة وجرى كل هذه الامور بحضور قاصد صاحب الشام فعاد السلطان جوابه بانه سيجد ولا يقعد عن نصرته والمسلمين فعاد القاصد بذلك الى الشام فخرج الناصر صاحب الشام وبرز الى وطاة برزة في جحفل كبير من الجيش والمطوعة والعربان والتركمان وغيرهم ولما علم من ذلك ضعفهم عن مقاومة الططر المغول ترك ذلك الجمع ولم يصبر الا هو ولاهم فانا لله وانا اليه راجعون واما هلاون ملك الططر فانه قدم بجنوده الى البلاد التي شرقي الفرات ونازلها وملكها واستولى عليها وارسل ولده اشموط الى البلاد الشامية فوصل الى ظاهر حلب في اواخر هذه السنة وكان الحاكم بحلب الملك المعظم توران شاه بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب نايبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رايه الخروج اليهم فانه كان شيخا عمره قريب الثمانين سنة قد جرب القتال والحروب فاكمن لهم الططر في باب الله وتقاتلوا عند بانقوسا فاندفع الططر بين ايديهم حتى اخرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم فهرب المسلمون طالبين المدينة والططر يقتلون منهم حتى دخلوا البلد فاحتبس في ابواب المدينة جماعة من المنهزمين وخرجت السنة على ذلك ثم جرى بينهم ما سنذكره

وفيها حصلت بالديار المصرية زلزلة عظيمة جدا وتسامع الناس بمجي الططر لقصد الشام فانزعجوا بسبب ذلك وبالله المستعان عليهم

وفيها عمل الخواجا نصير الدين الطوسي منجم ملوك الططر الرصد بمدينة مراغة ونقل اليها شيئا كثيرا من كتب الاوقاف التي كانت ببغداد وغيرها ونهبها الططر فصانها عن ايدي الكفار وعمل مدرسة وجعل لكل فقيه في اليوم درهما وعمل دار حديث ولكل محدث نصف درهم في اليوم وهذا من العلما المشهورين له المصنفات توفي سنة اثنين وسبعين وستمائة

وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة

وفي سنة ثمان وخمسين وستمائة نازل ملك الططر هلاون بن طولي بن جنكز خان مدينة حلب واخذها واخربها وقتل جميع من فيها فعبر الفرات من البيرة واخذها ونزل على حلب في ثاني صفر منها وارسل الى نايبها المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين يقول له انكم تضعفون عن مقاومة المغول ونحن قصدنا الملك الناصر صاحب الشام والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة وبالقلعة شحنة ونحن نتوجه الى العسكر بدمشق فان كانت الكسرة على عسكر الاسلام كانت البلاد لنا وتكونون انتم قد حقنتم دما المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين ان شيتم طردتموهما وان شيتم قتلتموهما فلم يجبه المعظم نايب حلب الى ذلك وقال لهم ليس لكم عندنا الا السيف وكان رسول هلاون اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم فتعجب من هذا الجواب وتالم على المسلمين لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك فلما رد عليه الجواب غضب هلاون واحاط الططر بحلب وحاصروها مقدار جمعة ففتحوها عنوة وهجموها وقتل من المسلمين جماعة كثيرة ثم تكاثروا وبذلوا السيف في المسلمين مقدار جمعة وصعد الى القلعة خلق كثير هربوا ولم يسلم من اهل حلب غير كنيسة اليهود والنصارى ثم نازل القلعة وقد انحصر فيها النايب المعظم والذين هربوا والتجوا اليها وحاصرها الططر واستمروا عليها الى ان كان ما سنذكره فقتل من حلب خلق كثير لا يحصون وسبي من النسا والذراري قريبا من مايه الف نفس من الاشراف والاعيان وبيعوا الى الجزاير الفرنجية والبلاد الارمنية واما اهل حماه فلما بلغهم ما جرى في حلب اخذوا مفاتيح حماه وحملوها الى حلب الى هلاون ملك الططر وطلبوا منه الامان لبلدهم وشحنة يكون عندهم فاجابهم لذلك ثم استمر الحصار على قلعة حلب واشتدت مضايقة الططر لها مدة شهرين ثم تسلموها بالامان وخربوا اسوارها واسوار البلد وقتلوا نايب حلب الملك المعظم توران شاه بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي وكان اخر اولاده عاش بعد ابيه سبعين سنة حتى قارب عمره الثمانين واما الملك الناصر يوسف صاحب الشام وحلب فانه قد ذكرنا انه كان قد خرج من الشام بمن جمعه من العساكر وهو في انتظار مساعدة سلطان الديار المصرية فلما بلغه وهو على ظاهر دمشق اخذ الططر حلب وما جرى لاهلها وقتل نايبه بها رحل الناصر بمن معه من العساكر الى جهة الديار المصرية ليستحث المصريين على النجدة فاقام بنابلس ينتظرهم اياما ثم طال عليه الامر فتقدم الى غزة وانفق انه بعد خروجه من نابلس وصل اليها جاليش الططر وكبسوها وقتلوا من تاخر فيها من العسكر فلما بلغ الناصر ايضا وهو بغزة ما جرى من كبسة الططر لنابلس رحل من غزة وتقدم الى العريش وسير رسولا الى السلطان

الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه المعاضدة فابطا عليه وقد هجمه العدو فتقدم الى قطيه فاتفق انه جرى فتنة بها بين التركمان والاكراد من عسكره ووقع نهب في الحال فخاف الملك الناصر المذكور ان يدخل مصر فيقبض عليه صاحبها فتاخر في قطيه ورحلت عساكره مع صاحب حماه ودخلوا مصر وتاخر مع الملك الناصر بقطيه اخوه وجماعه قليله فتخيل من فتنة فسار من قطيه بمن معه الى جهة تيه بني اسرايل ثم جرى له ما سنذكره فلما وصلت عساكره كما ذكرنا الى مصر اتفق مع الملك المظفر قطز بالصالحيه وطيب قلوبهم وفي تلك الحركه كان بيبرس البندقداري الذي صار سلطانا بعد ذلك كان له من جيش هرب من مصر مشتت في البلاد فاتى منه فطلب الامان من سلطان مصر فامنه فقدم عليه فاقبل عليه السلطان المظفر واقطعه واكرمه واخذه معه الى هذه التجريده ثم جرى منه ما سنذكره واما الططر فان ملكهم هلاون بعد اخذه حلب استناب بها وارسل جيشا كبيرا الى اخذ دمشق وعاد الملك الى بلاد الشرق لغرض ذكره فهجم الططر الشام واستولوا على سائر بلاده حتى وصلوا الى غزه على ما نشرحه واحين هجوم الططر على دمشق وقد سمع اهلها ما جرى لاهل حلب لم يمتنعوا من تسليم دمشق فملك الططر المدينه بالامان الا القلعة فلم يتعرضوا الى قتل ولا نهب وعصت عليهم قلعة دمشق فحاصرها الططر بانواع الحصار وجرى على اهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمه وضايقوا القلعة ونصبوا عليها المجانيق واستمروا عليها مده الى ان تداعت للسقوط من كثره ما ترمي بالاحجار المتواليه كالمطر المتدارك وهدموا منها مواضع فعجز عنها متوليها فدعن للمصالحه وسلمها للططر ففتحوها وخربوها جميعها وقتلوا منها اكابرها وجعلوا لهم في دمشق نايبا وانتشروا في اطراف تلك المملكه وعظم بهم حال نصارى الشام وتظاهروا بدينهم واظهروا سب دين الاسلام ودخلوا بالخمر الى الجوامع والمساجد ورفعوا صلبانهم على روس المسلمين الى غير ذلك من قبايحهم المعروفه ولم يقع في بلاد المسلمين ابشع من هذه الحادثه وخصوصا بدمشق وهلوك مصر والشام مختلفين كل منهم له غرض فصاحب مصر الى الان زمانه مضى للسعر وصاحب الشام الملك الناصر يوسف كما ذكرنا خايف قد عرج في طريقه الى جهة تيه بني اسرايل وبقي متحيرا الى اي جهة يقصد وعزم على التوجه الى الحجاز وكان تكون سلامته فيه لكن حتى يقع الامر المحتوم فكان له طبردار كردي اسمه حسين غششه فحسن له المضي الى الططر وقصد هلاون فوافقه بقوله ونزل على بركة زيرا وسار حسين الكردي الى نايب هلاون وهو نازل على المرج وعرفه بموضع استاذه الملك الناصر فارسل الططر فنصبوا عليه واحضروه

الى عنده بمدينه

الى عنده بمدينه عجلون وبعث به الى ملكهم هلاون وهو على حلب قبل رحيله عنها فلما راها الناصر وما حل بها وباهلها من القتل والخراب وهي خاليه بكى وانشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلى ٭ وكانت به آيات حسنكم تتلى

فلما حضر عند هلاون اظهر له الامن وساله ان يتوجه ياخذ مصر من العساكر فقال له لم يبق بها الا جماعه قليله من العسكر وبقيته من ارسلهم اليك ولكننا لا نبالي بهم فان فيكم يكفي التجريد لقتالهم فقال يكفي القليل من الجيش وصغر عنده امرهم وهونه فجرد هلاون من عسكره اثني عشر الف فارس ليقيموا بالشام لاجل المصريين ثم ان هلاون اضطر العود للشرق لما بلغه اختلاف حصل بين اخوته في مملكته فرجع واستصحب معه الملك الناصر واخاه وولده ثم انه لما التقى عسكره مع العسكر المصري وانهزموا وقتل من الططر اكثرهم على ما سنذكره قريبا فلما بلغ هلاون وهو ببلاد الشرق خبر عسكره انهم كسروا غضب من ذلك واحضر الملك الناصر يوسف المذكور واخاه وقال انت ما قلت لي ان عسكر الشام في طاعتك لا يقاتلون ولا عسكر مصر قليل فغررت بي حتى قتلت المغل فقال له الملك الناصر انا لو كنت بالشام ما ضرب احد في وجه عسكرك بسيف ومن يكون ببلاد الشرق كيف يحكم على بلاد الشام فلم يقبل منه هذا العذر واستوفى هلاون نشابة بايديه ورماه بها فقال له الملك الناصر يا خوند الصنيعة فنهاه اخوه وقال قد حضرت ثم رماه بسهم اخر فقتله وضرب رقاب الباقين واستبقى ابنه لصغره حتى مات وكان مقتل الناصر على جبال سلماس من بلاد العجم ووصل خبره الى دمشق في اوايل جمادى الاولى من السنة الاتيه بعدها اعني سنة تسع وخمسين وستماية وكان مولده بحلب سنة سبع وعشرين وستماية فيكون عمره قريب ثلاثين سنة وبلا تبرع واول تولى مملكة حلب بعد موت ابيه العزيز وعمره سبع سنين وورث الملك عن ابيه الملك العزيز محمد عن ابيه الملك الظاهر غازي عن ابيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الذي فتح هذه الممالك جميعها مصر والشام واستنقذها من ايدي الفرنج وسيرته قد ذكرناها في موضعها ولما تولى هذا الناصر المقتول كما ذكرنا حلب وهو صغير قام عنه جدته صفيه خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب بتدبير مملكته ثم استقل هو بنفسه بعد وفاتها في سنة اربعين وستماية وعمره في سن البلوغ ثم زاد في مملكته على ملك ابيه وجده فانه اتسع ملكه وملك دمشق ايضا باعمالها والسواحل الى غزة ولم يبق له غير القاهره وعظم شانه وكسر عساكر مصر وخطب له بمصر كما ذكرنا فيما تقدم وكان قد غلب على الديار المصريه لولا تخاذل عسكره عليه

وكان قد قال في ذلك ابيات
لئن اصبحت حال اللقاء منازلهم
اذا اصعب ولقد دري الاحبة بي

وكان سماطه اربعمائة راس غنم وكان تجمله في الغاية القصوى لكنه تجاوز
حده الى الحد اصلح مملكته فانه لما امنت قطاع الطريق في ايامه من القتل
والقطع تجاوزوا الحد في الفساد وانقطعت الطرق وكثر طمع العدو فيه
وتقدم كثير من وقايعه مع المصريين وبنى بدمشق مدرسة حسنة قريب الجامع
تعرف بالناصرية على الث فعته واوقف عليها وقفا جليلا وبنى بالصالحية
تربة غرم عليها جملة مستكثرة فلم يتفق موته الا ببلاد العجم والتربة دفن
فيها بعض امرا التتار اعداه وكانت مدة ملكه بحلب ثم للشام نحو خمسا وعشرين
سنة وبه انقضت الدولة الايوبية من البلاد الشامية ايضا كما زالت
من الديار المصرية قبله فكان هذا هو اخر دولة الايوبيين الاكراد من هذه
المملكة مصرا وشاما مطلقا بالكلية وكان هو عاشرهم ما خلا شجر الدر
ومدتهم به ايضا قريب المايه سنة ومن بعد اجتمعت المملكة الشامية
مع الديار المصرية فصارت مملكة واحدة مع الترك واستمر ذلك على ممر السنين
ولنرجع الى ذكر قصة التتار ايضا مع سلطان مصر بالعساكر المصرية وما جرى
وكان قبل ورود ملك التتار وهو على حلب ارسل الى الديار المصرية رسولا الى السلطان
الملك المظفر قطز صاحب مصر يطلب منه بذل الطاعة وتعبية الضيافة وفي
كتابه تهديد ووعيد فلما وصلت رسله بهذه الرسالة امر السلطان بقتلهم
فقتلوا وطيف برؤسهم الاسواق وتجهز السلطان للمسير الى الشام لقتالهم
فلما اشتهر عند الناس قدوم السلطان بعسكر مصر لقتال التتار اشتدت قلوبهم
واوقعوا بالنصارى الذين جرى منهم ما ذكرناه واخربوا كنيسة مريم وقتلوهم
ثم تجهز السلطان وجمع العساكر من ساير الطوايف وخرجوا من القاهرة في هيبة
عظيمة في اوايل رمضان وتجمع التتار فكان الملتقى بمنزلة عين جالوت
والتقى الجمعان في يوم الجمعة خامس عشر رمضان وكان يوما مشهودا
ولما تعب العسكر حمل السلطان بنفسه في خاصته من الامرا حملة واحدة
بنية صادقة فكسر التتار اشد كسرة وقتل مقدمهم كتبغا في المعركة
ولم ينج منهم الا القليل ولوا منهزمين وقتل اكثرهم فجهز خيل الطلب خلف
الهاربين فتبعهم الامير بيبرس البندقداري الذي صار سلطانا الى ان اهلكهم
قتلا واسرا حتى استاصلهم ولم يفلت احد منهم فصادف مجي نجدة لهم
الى بلد حمص فلما عاينت شوكة المنهزمين وخيل الطلب وراهم ارادت النجدة
ايضا الهرب فما امكنهم واحاط بهم المسلمون ايضا وكانت النجدة الفين
فلم ينج منهم احد الا جماعة قليلة ساقوا البلاد الشرق فتبعهم الامير بيبرس
الى اطراف البلاد فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

ولما فرغ السلطان

ولما فرغ السلطان من كسر التتار نزل عن فرسه وسجد على التراب شكرا لله على النصر
على اعدا الدين وانتشر خبر هذه البشرى في البلاد واطمانت قلوب العباد
وفي هذه النصرة يهدي السلطان على التتار قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة

غلب التتار على البلاد فجاءهم ۝ من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام بددهم وفرق شملهم ۝ ولكل شي آفة من جنسه

ثم امر السلطان السير بالعساكر الى البلاد الشامية وقرر احوالها ونظر
في مصالحها واستجد بها نوابه وصارت المملكة المصرية والشامية لسلطان واحد
كما ذكرنا وانعم على امير العرب عيسى بن مهنا بن مانع امير عرب الشام بسلمية
وشنق السلطان جماعة من الذين اتهموا بموالات التتار ثم اعطى العساكر الدستور
وجهز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب امير ابلاد السواحل وغير ذلك
من تعلقات المملكة وتضاعف شكر المسلمين على هذه النصر العظيم فان القلوب
كانت يئست من النصرة لاستيلا التتار على اكثر بلاد المسلمين لانهم ما قصدوا
اقليما الا اخذوه ولا عسكرا الا هزموه وفرح الناس بهذا السلطان الجديد

ذكر رجوع السلطان الى مصر سالما ومقتله في الطريق

لما فرغ السلطان الملك المظفر قطز المعزي المذكور امر الشام على ما شرحناه توجه الى الرجوع الى
الديار المصرية وكان قد اتفق الامير بيبرس البندقداري الصالحي مع جماعة
من الامرا على قتل السلطان المظفر وساروا يتوقعون الفرصة فلما وصل
السلطان الى القصير بطرف الرمل بينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق
الوطاق والعسكر الى الصالحية فبينما السلطان بيراد قامت ارنب
قدام فرسه فساق عليها وساق هولا الجماعة المذكورين معه ايضا
فلما ابعدوا انقدم اليه امير وشفع عند السلطان في انسان فاجاب سواله
فطاطا ليقبل يده فقبض عليها وكانت اشارة فيما بينهم فحمل الامير بيبرس
على السلطان حينيذ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه
وقتلوه بالنشاب في منتصف ذي القعدة من هذه السنة فكانت مدة
ملكه قريب السنة ثم ساق الامير بيبرس البندقداري واوليك الامرا
حتى وصلوا الى الوطاق بالصالحية بعد مقتله ودفنه هناك وكان في نفوسهم
منه ومن استاذه الملك المعز لقتلهما خداشيهم الفارس اقطاي واستقلالهما
بالملك والجاهم الى الهرب والشتات الطويل والمشقة التي قاسوها
وانما دخلوا في طاعته لما تعذر عليهم الاقامة بالشام وغيرها كما ذكرناه
وقد ذكرنا ان المظفر قطز المذكور هو من مماليك المعز ايبك وذكرنا قصة توليته وسفره
للشام وكسره للتتار فقدر الله على يده نصرة الاسلام وهو اول من ملك الشام من الترك

وكان شجاعا بطلا كثير الخير محبا للاسلام واهله وهم يحبونه عالي الهمة فجزاه الله الجنة
ومات شهيدا ودفن بالقصير وفي رقبته بزاز فلما تمكن الظاهر بيبرس من الملك بعث
الى قبره فغيبه عن الناس فلم يعرف بعد ذلك ولم يكن من المماليك وانما اصله مسلم
بن مسلم الى عشرة جدود وكان اسمه محمود بن ممدود من بيت ملوك العجم وهو ابن
اخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه السلجوقي فلما خرج جنكز خان ملك
الططر على بلاد العجم واخربها واهلك ملوكها واهلها وسباهم كان قطز المذكور
صغيرا من جملة من وقع في السبي ثم تنقلت به الاحوال وابيع من ناس الى ناس
الى ان بيع بالديار المصرية واشتراه المعز ايبك التركماني ورباه فراى النجابة
لائحة عليه فصيره من اكبر الامرا وكان وهو صغير اذا شتم ولعن اباوه
يغضب لعلمه بالاسلام اصله فقدر الله تعالى انه كان كسرة الططر وقتلهم على
يده جزا بما فعلوه مع اهله وكان يقول لا بد لي ان اخذ بثار خالي السلطان جلال الدين
وسبب ذلك انه كان يحكي عن نفسه انه راى النبي في منامه صلى الله عليه وسلم وقال له
انت تملك مصر وتكسر الططر فلم يمض الا مدة قليلة حتى تسلطن وكسر الططر
وكان وقعته معهم كما ذكرنا يوم جمعة في العشر الاخير من رمضان فهذه بشارة
عظيمة فان وقعة بدر كانت ايضا يوم جمعة في شهر رمضان ونصر الله الاسلام
نصرا عزيزا ومما حكي عنه من حسن سريرته وصحة عقيدته انه في يوم وقعته مع
الططر قتل فرسه وجنايبه بعيدة لاختلاط العسكر فترجل وبقي واقفا على حاله
ثابتا في موضع السلطنة من القلب فراه بعض امرايه فنزل له عن فرسه ليركبه فامتنع
وقال له لا احرم المسلمين نفعك في مثل هذه الحركة ولم يزل على قدميه حتى جاءت له
فرس من خيله فركبها وقد لامه بعض امرايه على هذه خشية من لو راه بعض
اعدايه فيقتله وتهلك الاسلام بسببه فقال له اما انا فكنت اروح الى الجنة
واما الاسلام فله رب لا يضيعه قد قتل مثل فلان وفلان وعدد خلقا من
الملوك السالفة فلم يضيع الله تعالى الاسلام وكان حين ساق العسكر من مصر
ومعه جماعة من ابنا الملوك منهم صاحب حماه فقال له لا تنفق في مدة سفرنا هذه
الايام بل يكون مع كل جندي لحمه في سولقه ياكلها والعجل العجل وله سيرة
جميلة يطول تفصيلها ومن عجيب ما حكي عنه انه في حال خدمته لاستاذه
دخل عليهم منجم حاذق فامره ان ينظر فيمن يلي بعد استاذه ومن يكسر الططر
فقال له طلع لي اسم فيه خمس حروف بلا نقط وابوه كذلك فتبسم قطز
وكتم ما عنده فان اسمه الاصلي محمود بن ممدود كما ذكرنا وكان لما قد
احترق الحرم الشريف النبوي كما مضى اهتم هذا السلطان وقام في
عمارته بما يليق وشرع فيه فجرى له ما جرى فاتمه السلطان بعده الظاهر بيبرس

السلطان الرابع بمصر من ملوك دولة الترك ٥

هو السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي التركي ثم
كان اصله من مماليك الامير ايدكين البندقدار وعاش له ولقبه ثم صار من مماليك الملك الصالح
ايوب فصار من الصالحية ولما وصل بيبرس المذكور هو والامرا الذين قتلوا
الملك المظفر قطز المذكور الى الوطاق كان عند نايب السلطنة فسال
من قتله منكم فقال بيبرس انا قتلته فقال النايب يا خوند اجلس في
مرتبة السلطنة مكانه فجلس وكان سبب توليته انه لما قتل المظفر قطز
بقي الامرا حايرين فيما بينهم لمن يملكوه عليهم وبقي كل واحد منهم يخشى
من غايلة الامر وانه يقتل سريعا فانهم ولوا سلاطين منهم وقتلوا كما
ذكرنا واحدا بعد واحد ثم اتفقت كلمتهم على ان بايعوا بيبرس المذكور
مع انه لم يكن يوميذ من اكابر المقدمين لكنهم وكلما ارادوا الزجر يوافيه
فتفولوا بدولته طالت فاستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له في اليوم
الذي قتل فيه قطز وهو ثاني عشر ذي القعدة واستقر بيبرس في
السلطنة ولقب نفسه اولا بالملك القاهر فقال له الوزير ان هذا
اللقب لم يفلح كل من تلقب به فقد تلقب به جماعة فهلكوا سريعا وكانهم
لم يغنوا ولقب بالملك الظاهر وكان شجاعا فتاكا وكان قد سال من
المظفر قطز نيابة حلب فلم يجبه اليها ليكون ما قدر الله تعالى على يديه
ولما حلف الامرا له بالصالحية ساق في جماعة من خاصته وسبق العسكر
الى قلعة الجبل ففتحت له من غير منازع ودخلها في سحر التاسع عشر من الشهر
واستقرت قدمه في المملكة وكانت المدينة قد زينت لقدوم الملك المظفر
قطز فوقع الندا ترحموا على المظفر وادعوا بالنصر للظاهر فبهتت
الناس واستمرت الزينة للسلطان الجديد فبقي الفعال لما يريد
وشرع في تمهيد المملكة واستجلاب قلوب الامرا الذين يخشى شرهم
والتحيل على من يمكن عليه التحيل وكان صاحب مكر ودها وسعد ومهابة
ولم يتجاسر على ركوب موكب السلطنة حتى وطد الاسباب وشدها
وخاف فتنة من الابواب وقد اتفق في هذه السنة امور عجيبة متتابعة
وهي ان السلطان المظفر قطز حين استولى على دمشق كما ذكرنا استناب فيها
الامير علم الدين سنجر الحلبي احد الاتراك فلما بلغه مقتل السلطان دخل القلعة
بعد ان عمرها ودعى لنفسه بالسلطنة وتسمى بالملك المجاهد فلما جاءت
البيعة للملك الظاهر خطب له فدعى الخطيب لهما معا للظاهر اولا ثم دعا
للمجاهد ثانيا وضربت السكة باسمهما معا ايضا ثم ارتفع المجاهد هذا امر البين

على ما سياتي بيانه فاتفق انه في سنة واحدة استولى على الشام خمسة ملوك وهم
الناصر يوسف ثم هلاون اللعين ملك الططر ثم المظفر قطز صاحب مصر ثم الظاهر
بيبرس ثم المجاهد علم الدين سنجر كما ذكرنا وفيها كتب السلطان الملك الظاهر بيبرس
للناس مسموحا بما كان الملك المظفر قطز قد قرره عليهم وهو ستماية الف دينار
في كل سنة تجبى من الناس بغير سبب لاجل دفع الططر وفيها كان عود الططر
الى الشام وصنعوا بالمسلمين عادتهم من القتل والتخريب فكانوا كما قيل

واحذر شرارة من اطفات جمرته ٥ فالثار غض ولو يبقى الى حين ٥ ٥ ٥

وكان النايب بحلب قد اسا سيرته مع اهل حلب فابغضه العسكر وكان ايضا
فاسد الراي فلما بلغه عود الططر الى الشام وانه قد وصل جاليشهم الى البيرة
جرد اليهم جماعة قليلة من عسكر حلب فاشار عليه كبرا الامرا بان هذا ما هو
مصلحة فان هولا قليلون وتحصل الطمع بسببهم في بلاد الشام فلم يلتفت
النايب الى ذلك واصر على مسيرهم فسار عسكر حلب حتى قاربوا البيرة
فوقع عليهم الططر فهربوا منهم فتبعهم الططر وقتلوا اغالبهم فازداد غيظ
امرا حلب على نايبهم بسبب ذلك واجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه
وهددوه بالعذاب ليقر لهم بماله فنبش من تحت سجر بباب الله جملة من
المال خمسين الف دينار ففرقها في الامرا وحملوه معتقلا ثم انه لما اندفع
عسكر حلب من بين يدي الططر كما ذكرنا وما جرى ذلك اتفقت امرا حلب
وقدموا عليهم نايبا فقربت الططر الى حلب فاندفع الحلبيون الى حماه
ووصل الططر الى حلب في اواخر هذه السنة وملكوها واخرجوا اهلها
الى قرنبيه فلما اجتمع بها المسلمون بذلوا فيهم السيف فافنوا اغالبهم ولم
يسلم منهم الا القليل ثم قارب الططر حماه فخرج منها صاحبها بعسكره مع
عسكر حلب واجتمعوا بحمص وخرجت السنة على ذلك ثم جرى ما سنذكره
وفيها اتفق بالقاهرة امر عجيب وهو انه اجتمع جمع من السودان بالقاهرة
والغلمان والركبدارية وخرجوا بليل في وسط المدينة ينادون يا آل علي
وفتحوا دكاكين السيوفيين من القصرين واخذوا ما فيها من السلاح واخذوا
خيل الجند من بعض الاصطبلات وكان الباعث لهم على ذلك شخص يعرف
بالكوراني تظاهر بالزهد والمشيخة وعمل له قبة على الجبل الاحمر واقام بها
وتردد بعض الغلمان اليه واقبلوا عليه فاجرى معهم هذا الامر ووعدهم
بالاقطاعات وكتب لبعضهم رقاعا ببلاد معينة فثاروا هذه الثورة فركبت
جماعة من العسكر واحاطوا بهم واخذوا اخذا وبيلا فاصبحوا مصلبين
على باب زويلة وسكنت الفتنة فكانوا كما قال القايل

معشر اشبهوا القرود ولكن ٥ خالفوها في خفة الارواح ٥

واعلم ان الططر

واعلم ان الططر كانوا قد فتحوا من اقصى بلاد العجم الى الشام وكانوا يعتمدون في
حربهم للمسلمين ببلاد خراسان والعراق اشيا غريبة لم يسبقهم اليها احد
كانوا اذا فتحوا بلدا ساقوا المقاتلة منه معهم الى البلد الذي يليه ويطلبون
من اهل تلك البلد ان يأووا هولا اليهم فان فعلوا حصل مقصود الططر
في تضييق الاطعمة والمياه عليهم فتقصر مدة حصارهم وان امتنعوا
قاتلوهم بهولا حتى تفنى هولا فان حصل الفتح والا كان قد ضعف
اوليك بهولا ثم يستانف الططر قتالهم بجندهم حتى يفتحوه وكانوا ايضا
يبعثون الى الحصن يقولون لهم ان ماكم قد قل فافتحوا صلحا قبل ان
ناخذه قهرا فيقولون ان الما عندنا كثير فيقول الططر ان كان ماكم كثيرا
انصرفنا عنكم فيقولون ابعثوا من يشرف على ذلك فيرسل الططر جماعة
من جيشهم معهم رماح مجوفة محشوة سما فاذا دخلوا سلطوا ذلك
الما بتلك الرماح فيسفح ذلك السم ويسقط في الما فيكون سبب هلاكهم
ولا يشعرون فيتمكن الططر بغير قتال لعنة الله عليهم اجمعين الى غير ذلك من المكايد
وفي سنة تسع وخمسين وستماية كان صاحب الديار المصرية والشامية
السلطان الملك الظاهر ابو الفتح بيبرس التركي البندقداري الصالحي الايوبي
ولكن دمشق قد تغلب عليها نايبها الامير علم الدين سنجر الحلبي وتسمى بالملك المجاهد
وحصنا صهيون وبرزية في يد الامير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس
وفي الخامس من المحرم وصل الططر الى حمص ووقع الاتفاق على لقايهم بها في تاريخه
وكانت كسرة الططر على حمص قريبا من قبر السيد خالد بن الوليد الصحابي
رضي الله عنه وكانت اعظم من كسرتهم الاولى على عين جالوت بكثير لكثرة
الططر وقلة المسلمين فانه كانت الططر في ستة الاف فارس والمسلمون
الف واربعماية وكان حديثها ان الططر لما قدموا في اواخر السنة الماضية
الى الشام اندفعت عساكر حلب وحماه بين ايديهم حتى وصلوا الى حمص
ووقع اتفاقهم على ملتقى الططر اليهم فالتقوا بظاهر حمص يوم الجمعة المذكور
فانتصرت المسلمون وانهزمت الططر فتبعهم المسلمون يقتلون منهم كثيرا
ويأسرون كيف شاروا حتى حكى بعض امرا المسلمين قال كنت في الوقعة
فرايت بعيني طيورا بيضا قد اقبلت وجعلت تضرب وجوه الططر
باجنحتها ثم انضم من سلم من الططر مع باقي جماعتهم وكانوا نازلين قرب سلمية
فاجتمعوا ايضا ونازلوا حماه وبها صاحبها يوما واحدا ثم رحلوا عنها
ونازلوا حلب ايضا واحاطوا بها بعد ان ضربوا رقاب جماعة ولم يتركوا
احدا يخرج منها ولا يدخل اليها اقاموا كذلك اربعة اشهر حتى اكل اهلها الميتات

والجلود والبغال والحمير وبلغ الرطل اللحم سبعين درهما فضة والرطل اللبن
خمسة عشر درهما والرطل العسل النحل خمسين درهما والجدي مائة درهم
والدجاجة عشرة دراهم والبيضة درهم ونصف والبصلة نصف درهم
والخسة نصف درهم وحزمة البقل درهم والخبز قل الى ان حتى ان بعض
كبار تجارها كان عنده اربع بقرات فكان تحلب منهن في كل يوم قدر
كفايته ويبيع الفاضل بمائة وخمسين درهما فاعطى فيهن ستة آلاف
درهم فابى وباع خمس نعاج وثلاثة خراف بالف درهم والذي اشتراها
منه استفاد فيهم مائتين درهم الى غير ذلك من الشدة التي لا يمكن وصفها
ثم رحل عنها الططر عايدين الى جهة الشرق ثم جرى منهم ما سنذكره ايضا
وفيها اضطرب الامر على الملك المجاهد سنجر الحلبي المتغلب على دمشق فضعف
ولا شي امره ولم يطعه احد من اكابر البلاد دولته فجهز الملك الظاهر بيبرس
صاحب مصر عسكرا مع استاذه الامير علاء الدين ايدكين البندقدار ايضا
لقتال سنجر الحلبي المتغلب على دمشق فوصلوا اليها في اول صفر فخرج اليهم
سنجر الحلبي لقتالهم واقتتلوا بظاهر دمشق فولوا سنجر واصحابه
منهزمين ودخل الى قلعة دمشق وكان قد عمرها وحصنها حتى دخل عليه
الليل فهرب منها الى جهة بعلبك فتبعه العسكر المصري ومن وافقه فقبضوا
عليه وحمل الى الديار المصرية فاعتقله السلطان بها ثم اطلق واستقرت
دمشق ايضا في ملك صاحب مصر الظاهر بيبرس واقيمت له الخطبة بها
وبغيرها من الشام مثل حلب وحماة وحمص وبعلبك وغيرها واستمر ذلك
وفيها بعد استقرار ايدكين البندقدار نيابة دمشق ورد عليه مرسوم
الملك الظاهر بالقبض على جماعة من امرايها فبقي النايب متوقفا في ذلك فدخل
عليه بعضهم فقبضه فاجتمع بقية تلك الامرا وخرجوا من دمشق ليلا على
حمية فارسل اليهم النايب يطيب قلبهم فلم يلتفتوا الى ذلك ورحلوا فسدوا
في بلاد حماة ودخلوا حلب فتغلبوا عليها وجمعوا معهم العرب والتركمان
واستعد لقتال العسكر المصري فجهز الملك الظاهر عسكرا كثيفا لقتال
المتغلبين على حلب فالتقوا وطردوهم عنها وانقضت السنة والامر على ذلك
وفيها لما بلغ ملك الططر كسرة عسكره في المراتب التي ذكرناها غضب من ذلك
وقتل الملك الناصر يوسف صاحب الشام وكان في قبضته وقد ذكرنا القصة
وفيها في صفر كان اول ركوب الملك الظاهر بيبرس بشعار السلطنة وشق
القاهرة وقد زخرفت بالزينة واظهر المهابة المتمكنة ونثرت عليه الدنانير
والدراهم وافيضت الخلع على الامرا واصحاب الوظايف من ساير الطوايف واستمر

بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالاكرة وكتب الى صاحب المغرب وصاحب
اليمن وملوك الشام وثغور الاسلام بما قدر الله له من القيام بامر عباده
ثم قبض على جماعة من الامرا بلغه عنهم انهم يريدون الوثوب عليه وتمهد ملكه
وانبعث اطرافه وعين القضاة والوزرا والنواب وطالت مدة ملكه حتى مات
وفيها في رجب قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمر اللون اسمه احمد
زعموا انه ابن عم الخليفة الذي قتله الططر ببغداد في السنة الماضية كما
ذكرناه وذكروا انه كان خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها الططر فلم
فعقد السلطان الملك الظاهر بيبرس مجلسا حضر فيه جماعة من الاكابر منهم
شيخ الاسلام عز الدين ابن عبد السلام وقاضي ذلك الوقت القاضي تاج الدين
ابن بنت الاعز فشهد اوليك العرب ان هذا الشخص المذكور هو ابن
عم الخليفة الذي قتل واقام القاضي جماعة من العدول اجتمعوا باوليك العرب
وسمعوا شهادتهم ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة فاثبت القاضي
نسب احمد المذكور ولقب بالمستنصر وبايعه الملك الظاهر والناس
بالخلافة واهتم الملك الظاهر بامره وعمل له الوطاق والجدارية والسلاح
دارية والات الخلافة واستخدم له عسكرا واصرف على تجهيز جملة طايلة
قيل كانت جملتها الف الف دينار احيا للدولة العباسية والخلافة المحمدية
واصل قصته انه كان محبوسا ببغداد فاطلق ولحق بجماعة من عرب العراق
ثم لما قدم مصر دخلها وصحبته جماعة من امرا العرب عشرة منهم الامير ناصر الدين مهنا
فخرج السلطان بعسكره لتلقيه وكان يوما مشهودا حتى خرجت اليهود والنصارى
بتوراتهم والانجيل ودخل الخليفة والسلطان في هيبة عظيمة الى ان صعدا الى القلعة
فبويع وركب في دست الخلافة وكان اسمر فكانت العامة تلقبه بالزرابيتي
وكان منصب الخلافة شاغرا قريب الاربع سنين وخطب له على المنابر
وضربت اسمه على السكة وخطب بنفسه بجامع القلعة وذكر فضل بني العباس
ثم انه ولى الظاهر بيبرس السلطنة ثاني شعبان وركبا جميعا في محفل الملك
الظاهر القاهر مجلسا في خيمة عظيمة والبس هذا الخليفة السلطان بيده
خلعة سودا وطوقا في عنقه وقيدا في رجليه وهما من ذهب وصعد
كاتب السر فخر الدين ابرهيم بن لقمان منبرا فقرا عليه تقليد السلطان ثم ركب
السلطان بهذه الهيئة والتقليد منشور على راس الوزير بها الدين الحنا
فشق القاهرة وهي مزينة حتى عاد الى القلعة واستخدم السلطان للخليفة
اصحاب وظايف التي يحتاج اليها ومائة مملوك واعطاهم جملة من الخيل
والجمال والاسلحة وغير ذلك اشيا كثيرة ليعود للاستيلا على مملكة العراق

ثم بعد عيد الفطر سافر السلطان الملك الظاهر الى الشام وصحبته الخليفة المذكور
واولاد صاحب البلاد الشرقية لقصد اعادة ما تغير من القواعد بالممالك
العراقية وجهز الخليفة للسفر وجرد معه من امرا مصر الامير بلبان الرشيدي
وجماعة من العسكر ليكونوا مع الخليفة ليوصلوه الى الفرات ويقيموا ببر
الغربي من جهة البلاد الحلبية لانتظار ما يتجدد من اخبار الخليفة في بلاده
حتى اذا احتاج اليهم بعث يستنجدهم على اعدائه الططر وودع الخليفة وفارقه
فسار الخليفة وقطع الفرات وظن ان الططر قد انتزحوا عن العراق
وفارقوها على عادتهم انهم يخربون ويذهبون ولم يدر انهم باقين في
العراق فسار على ما هو فبلغ الططر قدومه لاخذ البلاد فجردوا اليه
عسكرا فادركوه وقد بلغ عانة والحديثة فتكاثروا عليه فلم يكن له طاقة
بمنعهم فانهزم جنوده واخذته سيوف الططر فقتل شهيدا ايضا وقتل
اكثر من كان معه وكان مقتله بالعراق في اول السنة التي تلي هذه فانهم السلطان الملك
وفيها طلبت فرنج السواحل صاحب يافا وصاحب بيروت وغيرهما
من الملك الظاهر عقد الهدنة التي كانت مقررة في الايام الناصرية فكتب
لهم منشورا بذلك فامنت الطرق على التجار وفيها كتب الملك الظاهر منشورا
بالامرة على جميع العربان للامير عيسى بن مهنا واحضر امرا العرب واجرى
اقطاعاتهم وسلم اليهم خفر البلاد والزمهم حفظها الى حدود العراق وامر
ولما فرغ السلطان من تقرير احوال الشام عاد الى الديار المصرية وبنى مشهدا على
عين جالوت لما شاهد من بركة ذلك المكان في الوقعة التي انتصر فيها المسلمون
وفيها وقعت واقعة بين الفرنج والتركمان ببلاد الجولان وكان التركمان
قد اووا الى بلد الساحل جافلين من الططر وانتقلوا الى بلد الجولان فاقاموا
بها وكانت صفد بيد الفرنج فقصدوا الاغارة على التركمان وتبييتهم
على غرة منهم فشعروا بما ارادت الفرنج فتاهبوا لهم وتيقظوا فلما جاؤوا
اليهم ولم تقدموا اليهم كسرت التركمان الفرنج كسرة شديدة واسروا من كنودهم
جماعة فبذلوا لهم مالا يشترون به انفسهم فقبلوه منهم وخلوا عنهم
ولم يطلعوا على ذلك احدا من النواب السلطانية ظنا منهم ان الامر يخفى
فاطلع السلطان على ذلك وعلم التركمان باطلاعه فخافوا غائلة ايقاعه
فرحلوا من البلاد وتوجهوا الى الروم وفيها وردت الاخبار من ناحية عكا
ان سبع جزائر في البحر خسف بها وباهلها الفرنج بعد ان امطرت عليهم دما
عدة ايام وهلك منهم خلق كثير قبل الخسف وبقي اهل عكا لابسين السواد
وهم يبكون ويستغفرون من الذنوب بزعمهم ثم وقع خسف ايضا بسند كرم

وفيها خرج على الغلال

وفيها خرج على الغلال بارض حوران واعمالها والجولان واعمالها فار عظيم
اكل الغلات فكان الذي اكله ثلثمائه الف غرارة قمح غير الشعير وابيعت
الحنطة في هذه السنة باربعمائة درهم المكوك واستاصلت الفرنج اموال
المسلمين ثمن الغلال ثم وقع في صعيد مصر سنة خمس وسبعمائه مثل ذلك
وكانت مباشري شونة ام القصور ربما باتوا بها الليلة من اجل الفار خوفا على
الغلة فباتوا يقتلون في الفار الى الصباح فكان جملة ما قتلوه سبعة
عشر اردبا وكسورا بالكيل المصري وفيها جهز السلطان الى الانبرطور
هدية من جملتها الزرافة ووصل اليه رسول صاحب القسطنطينية يبذل المساعدة
وفي سنة ستين وستمائه في ثالث المحرم كان مقتل الخليفة الجديد ايضا
على ما ذكرناه ثم ورد الى مصر جماعة من مماليك الخليفة المستعصم من بغداد
وكانوا قد تاخروا في العراق بعد كاينة الططر المتقدم ذكرها فاحسن
الظاهر بيبرس ملتقاهم واعطاهم الاقطاعات بالديار المصرية فاقاموا بها
وفي اواخر ربيع الاخر قدم القاهرة من اولاد الخلفا ايضا شخص اسمه احمد
بن الامير ابي علي القبي بن الامير علي بن الامير ابي بكر بن الخليفة المسترشد بالله
بن الخليفة المستظهر بالله من بلاد الشرق وصحبته جماعة من روس تلك
البلاد وقد كان شهد الوقعة في صحبة الخليفة الجديد ايضا وهرب هو في جماعة من
المعركة فسلم فلما كان يوم دخوله القاهرة تلقاه ايضا السلطان الملك الظاهر بيبرس
وحصل له السرور به والاحتفال وانزله في البرج الكبير من قلعة الجبل واجرى عليه
الارزاق الدارة والاحسان وسنذكر بيعة السلطان اياه في السنة الاتية وتلقب
بالحاكم بامر الله واقام بالقاهرة وطالت مدته اربعين سنة والخلفا كلهم من ذريته الى اليوم
وفيها قدم القاهرة الامير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون وصحبته هدية
جليلة فقبلها الملك الظاهر واحسن اليه ثم جهز عسكرا الى حلب لاصلاحها فامنت بلادها
وساروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها فنهبوا بلادها وغنموا اربعمائه اسير
وطلب صاحب الروم من صاحب مصر نجدة وذكر في كتابه انه نزل لصاحب مصر عن
نصف مملكة الروم ويسير درجا ليكتب فيه مناشير بما يقطعه السلطان من بلاده
لمن يشا فاكرم السلطان رسله وسير اليه جماعة من العسكر واقطعه ثلثمائه فارس من
الروم لكنه انهزم في معركة وعاد في صدد صاحب مصر من عند الاشكري صاحب
القسطنطينية وكان السلطان قد ارسل اليه رسولا وصحبته بطرك الملكية بمصر
فان صاحب القسطنطينية كان طلب منه ذلك وعاد البطرك ايضا بمال كثير
فعرضه على السلطان فرده عليه واخبر الرسول المذكور بان الجامع الذي بالقسطنطينية
باق على حاله فجهز له السلطان الحصر والستور والقناديل والمباخر والطيب

والسجادات وقد كان بُني هذا المسجد بها في سنة ست وتسعين في المحرم عند ما وقع
الصلح مع الروم في دولة السلطان الوليد بن عبد الملك بن مروان من بني امية
وفيها كان حرب بين محمد بك امير التركمان الذي بناحية بلاد الروم وبين صاحب
الروم بالتتار المقيمين بها فخامر على امير التركمان علي بك صهره وانضم الى صاحب
الروم وقوى عزمه على قتال التركمان ودلهم على عوراتهم ومدخل بلادهم فدخلوها
واخذوا اكثرها والتقى معهم امير التركمان في صحرا آطلمانية فكسروه فانهزم
وتحصن ببعض الجبال وطلب الامان فقتلوه بقونية واستقر صهره علي
بك اميرا على التركمان وفيها اصطاد بعض الامرا الظاهرية بمحروقة حمار وحش
فطبخوه فلم ينضج ولا اثر فيه الوقود ثم افتقدوا امره فاذا هو موسوم على
اذنه بهرام جور ذكره ابن خلكان وقال وقد احضروه الي فقرأته كذلك
وهذا يقتضي ان لهذا الحمار قريبا من ثمانماية سنة فان بهرام جور كان قبل
المبعث بمدة متطاولة وحمر الوحش تعيش دهرا طويلا وقال
ابن كثير يحتمل ان يكون هذا بهرام شاه الملك الامجد اذ يبعد بقا مثل هذا
بلا اصطياد هذه المدة الطويلة ويكون الكاتب قد اخطأ فاراد كتابة
بهرام شاه فكتب بهرام جور وحصل اللبس من هذا قال العيني اقول
كلام ابن كثير بعيد فاي شي يحتاج الى هذه التاويلات البعيدة وما الضرورة
اليها فان عيش الحمر الوحشية هذه المدة غير بعيد وعدم وقوعها في الصيد
غير بعيد وايضا فان المواسم التي يسمون بها اذان الوحوش البرية او
الاهلية باسم الملوك مقررة مكتوبة صحيحة عندهم حتى لا يقع الاشتباه
فكيف يلتبس بهرام شاه ببهرام جور انتهى وفيها في ذي القعدة خرج مرسوم
السلطان الظاهر الى القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ان يستنيب
لوبضا عن المذاهب الثلاثة نوابا فاستناب من الحنفية صدر الدين سليمان
ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي ومن الحنابلة شمس الدين محمد الشيخ العماد المقدسي
وفيها في ذي الحجة ظهر بين القصرين بالقاهرة عند الركن المخلق حجر
مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران فسمي
من ذلك اليوم الركن المخلق ومضت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة كما ذكرنا
وفي سنة احدى وستين وستماية كانت مبايعة الخليفة الحاكم بامر الله
العباسي الذي قدمنا ذكر مجيه الى القاهرة وهو الخليفة احمد بن الامير علي القبي
بن الامير علي بن الامير ابي بكر بن احمد بن الخليفة المسترشد بالله ابي منصور الفضل
بن الخليفة المستظهر بالله وباقي النسب مذكور في تراجم الخلفا المتقدمين
فلما كان يوم تاسوعا منها جلس السلطان الملك الظاهر بيبرس مجلسا عاما حافلا

باهل الحل والعقد

باهل الحل والعقد في الايوان الكبير بقلعة الجبل وجا الخليفة المذكور راكبا حتى
نزل عند الايوان وقد بسط له الى جانب السلطان واثبت نسبه بالقاهرة
فقري نسبه على الناس ثم اقبل عليه الملك الظاهر فبايعه وبايعه الناس بعده
ولقب بالحاكم بامر الله وكان يوما مشهودا ولما كان يوم الجمعة خطب الخليفة
للناس خطبة بليغة ثم نزل فصلى بالناس وكتب ببيعته الى الافاق ليخطب له
ويكتب السكة باسمه وهذا الخليفة هو تكملة الاربعين من الخلفا العباسيين
فاشرك السلطان له الدعا في الخطبة لا غير واسكنه في برج محترزا عليه واستمر
في الخلافة اربعين سنة وجميع الخلفا بالقاهرة من ذريته اكثر من مايتين سنة الى اليوم
وفيها سافر الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية الى جهة الكرك فاستولى عليها
وقتل صاحبها ومهد تلك البلاد وعاد للقاهرة وكان قد وصل ايضا في هذه
الى الطور فارسل عسكرا هدموا كنيسة الناصرة وكانت من اكبر مواطن
عبادات النصارى لان منها خرج دين النصرانية واغار العسكر ايضا على
بلاد عكا فغنموا وعادوا ثم ركب السلطان بنفسه وجماعة من اختاره واغار
ثانيا على عكا وهدم برجا كان خارج البلد ولما عاد لمصر قبض على بلبان الرشيدي
وجماعة وفيها وصلت رسل بركة ملك التتر مخبرا باسلامه وجماعة من عسكره
ويشكر للسلطان قيامه في ابقا الخلافة العباسية بالديار المصرية فارسل
اليه السلطان هدية جليلة من ساير الاصناف تفوت الحصر ثم قدم الى القاهرة
جماعة كثيرة من التتر مستامنين راغبين في الدخول في الاسلام فقابلهم السلطان
بالانعام والاقطاعات بالديار المصرية وفيها جهز الملك الظاهر صناعا واخشابا
والات كثيرة لعمارة المسجد النبوي عليه السلام بعد حريقه الذي قدمنا ذكره
فطيف بتلك الاخشاب والالات بالديار المصرية فرحة بها وتعظيما لشانها
ثم ساروا بها الى المدينة النبوية فعمر المسجد الشريف على ما يليق بجنابه
وفيها سافر الملك الظاهر الى الاسكندرية ونظر في احوالها وامورها فاصلح
وعزل قاضيها وخطيبها ناصر الدين ابن المنير المالكي وولى غيره لامر اوجب ذلك
وفي سنة اثنين وستين وستماية سافر السلطان الى البلاد الغربية
ومنها الى ثغر دمياط وزار البرزخ ورسم بعمل فم بحر دمياط وردمه
بالقرابيص وتضييقه لتمتنع مراكب الفرنج الكبار من دخوله وامر
بحفر بحر اشموم ورسم السلطان ايضا بعمارة بير اللبونة بثغر
الاسكندرية وحفر منافسها وانشا بستانا فيها لانها منزلة من منازله
عند توجهه الى الحمامات للصيد فشرع فيها ورسم ايضا بعمارة المسجد
المجاور للمشهد الحسيني وعمر بالقدس الشريف خانا للسبيل ووقف عليه اوقافا

للنازلين به في اصلاح حالهم واكلهم وغير ذلك حتى بنى فيه طاحونا وفرنا
ورسم بحفر فم خليج الاسكندريه فحفر وبنى هناك مسجد وندب اميرا
الى جزيرة بني نصر للاهتمام بريتها وسامح السلطان بما كان مقررا على
ولاية مصر من رسوم الولايه وفيها غلت الاسعار بمصر فرسم السلطان
بالتسعير طلبا للرفق ورسم بان يباع من اهرايه خمسمايه اردب
كل يوم بما قدره الله من السعر وفيها اتفق ملك الارمن مع الروم والططر
على قصد البلاد الشاميه وجمعوا عساكرهم ووصلوا الى قلعه صرفندكار
ومعهم الف فارس من بني كلاب وقصدوا عينتاب فجهز السلطان
عسكر من حماه وحمص الى حلب وامرهم بالاغاره على عسكر الارمن فاغاروا
عليهم وقتلوا منهم كثيرا واسروا الامير امير من امرايهم وغنموا منهم مابه جمل
من البخاتي وجرح اخو الملك جراحه شديده وانهزموا اجمعين خايبين
وفيها وصلت الى السلطان جماعه من عسكر شيراز وصحبتهم امير العراق ايضا
وجماعه من امرا خفاجا فاحسن اليهم السلطان وجهزهم الى بلادهم وفيها تواترت
الاخبار بعود الططر الى البلاد الشاميه فعزم السلطان على الخروج بالعساكر
وقرر السلطنه لولده الملك السعيد بركه واركبه بشعارها ثم تبين خلاف ذلك
فسافر السلطان الى ثغر الاسكندريه متصيدا ووصل الى الكريش وهي
قريب العقبه الصغرى التي غربي الحمامات وعند عودته جعل مقدما
على عرب برقه وقرر عليهم الزكاة في مواشيهم والزمه باستخراجها وحملها
وفيها وصلت الى السلطان كتب اصحاب خيبر عبيد الامام على كرم الله وجهه
يبذلون الطاعه ويسالونه ارسال من يتسلم خيبر فندب السلطان اميرا
اليهم وكتب الى نايبه بالكرك بان يجرد معه جماعه من العسكر فتوجه اليها وتسلمها
وفيها امسكت امراة بالقاهره كانت خناقه تخنق الناس وكان من امرها
انها كانت ذات حسن وجمال وكانت تمشي بالمدينه ومعها عجوز تطمع الناس
في نفسها وكان من طمع فيها وطلبها تقول له العجوز انها لا يمكنها التوجه الى عند احد
ولكن تعال انت الى بيتها فيجي فيطلع له رجلان فيقتلانه وتاخذون ما
معه ويرمونه في حفره وكانوا ينتقلون من مكان الى مكان فاتفق ان العجوز
اتت الى بعض المواشط وامرتها ان تاخذ ما تقدر عليه من الحلي والحلل وتمضي
معها لعروسة عندها ففعلت الماشطة واستصحبت معها جارية لها فلما
دخلت الماشطة منزلهم رجعت الجاريه الى مكانها فقتلوا الماشطة
واخذوا ما معها فاستبطات جارتها فجات اليهم وطلبتها فانكروها
وادعوا انها خرجت من يومها فمضت الجاريه واتتهم بصاحب الشرطه فاحاط

عليهم وعذبهم فاقروا

عليهم وعذبهم فاقروا بما كانوا يفعلون واطلعوا في بيتهم على حفره فيها خلق
عظيم مقتولين وكان بعض الطوابين قد اتفق معهم فياخذ منهم القتلى ليلا
فيحرقهم في اقمنة الطوب فامسكوا جميعا وسمروا وكانوا خمسة انفس
واما المراة فانها بعد التسمير اطلقت فاقامت يومين ثم ماتت ايضا
وفي سنه ثلاث وستين وستمايه توجه السلطان الى العراس والعباسة
للصيد ثم عاد الى القلعه بسبب وصول الاخبار اليه بان مقدما من مقدمي
الططر قصد البيره وهو محاصرها فاسرع السلطان وجرد عسكرا كبيرا
الى البلاد الحلبيه وشرع السلطان في السير بنفسه ايضا حتى وصل الى غزة فوردت
عليه مطالعات نايب الشام مع بطاقة تخبر بان العسكر الاسلامي لما
وصلوا الى البيرة وشاهدهم الططر المحاصرون لها انهزموا بغير قتال
وكانوا قد نصبوا عليها قريب عشرين منجنيقا فلما ولوا هاربين عدى
العسكر الفرات ونهبوا تلك المجانيق وساير الالات وكان سبب رجوع
الططر لما بلغهم موت ملكهم الغاشم الكافر هلاوون بن طلو بن جنكزخان
بالقرب من مراغة وكان قد اتسع ملكه وكانت مدته نحو عشر سنين وخلف
خمسة عشر ابنا خلفه منهم ابنه ابغا وسنذكر بقية ما جرى منهم في مواضعه
فلما وردت على السلطان الملك الظاهر وهو نازل على غزه الاخبار من
نوابه بهزيمة الططر ورجوعهم استبشر السلطان وثنى العنان قاصدا
الجهاد ببلاد الساحل بلاد الفرنج فنزل على قيسارية ونصب عليها المجانيق
واطافت بها العساكر وعمدوا الى سكك الخيل فجعلوها اوتادا وتعلقوا
من جانب وطلعوا اليها ونصبوا السناجق الاسلاميه عليها وحرقت
ابوابها فهرب اهلها الى قلعتها فجد العسكر في حصارها فهربت الفرنج منها
بالليل وسلموا القلعه بما فيها فتسلمها المسلمون الهها من الاسوار واستولوا
عليها وكان مدة حصارها ستة ايام ورسم السلطان بهدم مبانيها فهدمت
وهي اول فتوح هذا السلطان الملك الظاهر ثم توجه السلطان الى جهة
عثليث جريده وبث عساكره بشن الاغارات وجرد عسكرا الى
حيفا فدخلوها فنجى الفرنج بانفسهم الى المراكب واخربت المدينه وقلعتها
في يوم واحد وبعد ان وصل الى عثليث عاد عنها وقد ترك اهلها في حبس
منها ونزل على ارسوف وراميها العساكر بالسهام والمجانيق وضيقوا عليها
بانواع التضييق واطلعوا السناجق الاسلاميه عليها فما احس الفرنج
الا وقد خالطهم المسلمون فتسلمها السلطان وقسم ابراجها على الامراء
ليهدموها وجعل هدمها دستورهم فلما استولى على هذه الفتوحات قسمها عليهم
اقطاعات بايديهم ثم عاد السلطان الى الديار المصريه ثم عاد الى الجهاد على ما نذكره
قال ابن عبد الظاهر لم اسرعوا انقلة عنها فانهم ٥ خلوا لها كل برج ظل منقلبا ٥ ٥ ٥

وفيها ابطل السلطان حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كثيرة مظلمة
وفيها ثارت فتنة بين امرا عرب الشام الامير زامل والامير عيسى بن
مهنا والامير احمد بن حجي فهرب زامل فلما جرى ذلك بينهم امسك السلطان زاملاً
واعتقله تاديبا له ثم اطلقه واصلح بينهم وعادوا الى بلادهم فلم يلبث
زامل ان عصى وتحقق بملك التطر فاعطاه اقطاعا بالعراق وعاد الى مشتاه
بقرب الحجاز فنهب من وجد وحضر الى اوايل الشام وراسل السلطان
وطلب العفو فلم يجبه وارسل من امسكه واحضره الى القاهرة واعتقله
وفيها قطع السلطان الملك الظاهر ايدي جماعة من نواب الولاة
والمقدمين والخفرا واصحاب الارباع بالقاهرة وسببه انه نزل القاهرة
بالليل متنكرا ليرى احوال الناس فراى بعض المقدمين وقد امسك امراة
وعراها سراويلها بيده ولم يجسر احد ينكر عليه فاصبح قطع ايديهم وغيرهم
وفيها امر السلطان الملك الظاهر ببنا الجامع الذي بالحسينية بجوار زاوية
شيخه الشيخ خضر الكردي وكان الشيخ خضر السبب في ملكه لكن جرى له ما سنذكره
وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بانهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم قريب
الخمسين الف مقاتلا واسروا منهم عشرة الاف واسترجعوا منهم ثلاثا
وثلاثين بلدة منها سريش واشبيليه وقرطبه ومرسيه وكانت النصرة
يوم الجمعه منتصف رمضان من سنة اثنتين وستين وستمائة ففرح المسلمون بذلك
وفيها ولى السلطان الملك الظاهر من بقية المذاهب الثلاثة قضاة بالديار المصرية
مستقلين بعد ان كان الشافعي هو الذي يستنيبهم وانهم ايضا يولون من جهتهم
في البلدان الكبار مثل دمياط والمحلة وسيوط كما يولي الشافعي وكان هو حينيذ
القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز والحنفي صدر الدين سليمان والمالكي شرف الدين
المنيلي والحنبلي شمس الدين ابن العماد المقدسي وكان ذلك في ثاني عشرين ذي الحجة
وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي الشافعي المذكور في الاذن لاحد نوابه
من بقية المذاهب حتى في قضية متعلقة بالسلطان فاشار عليه الامير
جمال الدين ايدغدي العزيزي وكان يحب رايه ومشورته بان يولي من كل مذهب
قاضيا مستقلا ففعل كما ذكرنا ثم فعل بدمشق كذلك ثم بغيرها على طول السنين
فاتفق ان هذا الامير المذكور لم يكمل عليه سنة حتى قتل شهيدا في فتوح صفد
وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر اتهم به النصارى فعاقبهم السلطان
الملك الظاهر عقوبة شديدة وفيها لما بلغ الملك الظاهر هلاك هلاون
ملك التطر كما ذكرنا فرح بذلك فرحا عظيما وعزم على جمع العساكر لياخذ بلاد
العراق خصوصا بغداد فلم يتمكن من ذلك لتفرق العساكر في الاقطاعات وغيرها

وفي سنة اربع وستين وستمائة

وفي سنة اربع وستين وستمائة امر السلطان بابطال المنكرات باراقة الخمور
وتعفية اثار المسكرات ومنع الخانات والخواطي بجميع اقطار مملكته بمصر والشام
وفيها جمع ملك الفرنج بالساحل الابرنس بيمند بن بيمند صاحب طرابلس
جماعة من الداوية والاسبتار وقصد مخاضة بلا اذن طالبا جهة حمص
فبلغ الخبر نايبها فسبق الابرنس الى المخاضة ورجع بيمند خايبا الى بلده
وفيها رسم السلطان ببنا جسر على الشريعة في الغور وكان ماوها قوي التيار
فاقتضت سعادته ان جا سيل كبير فحدر صخورا كبارا فصارت كالسكر
فوقفت جرية الما وبني الجسر وفيها عزم السلطان الظاهر على غزاة
صفد وما حولها من بلاد الفرنج فتوجه الى الشام واستناب بالقاهرة ابنه
ولما وصل الى غزة جرد الامير قلاون الذي صار سلطانا ومعه عسكر
لمنازلة الحصون التي حول طرابلس فتح القليعات وحلبا وعرقا وغيرها
ولما اشرفوا على القليعات سال اهلها الامان فامنهم قلاون وتسلم
الحصن وحمل الاسرى الماخوذين منه على جمال ارسلها السلطان اليه وجاز
بهم على جسر يعقوب بحيث يراهم اهل صفد فانقطعت قلوبهم خوفا
وشاهدوا اصحابهم على تلك الحال والعساكر تسوقهم مصفدين على الجمال
فايقنوا بالتلف هذا والسلطان قد نازل صفد فانضم هذا العسكر
اليه واجتمعوا على حصارها وكان فتح الحصون المذكورة في شعبان من السنة
فتح صفد نزل السلطان عليها وقد جمع لحصارها العساكر الاسلاميه
واحضر اليها المجانيق فحاصرها حصارا شديدا فتسلموا الباشقورة
ثم اشتد على الفرنج الحصار وضايقهم مدة اربعين يوما وزحف المسلمون
وضايقوا القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين وصبروا فارسل الفرنج في
طلب الامان فاجابهم السلطان اليه وفتحت ابوابها وتسلمها السلطان
في ليلة العشرين من شهر رمضان وامر بان يجمعوا على تل هناك كانوا يجتمعون
فيه لقطع الطريق على المسلمين ولم يسفك دما وهم حيث كانوا يسفكون
الدما الحرام فقتل اهلها عن اخرهم ونقل السلطان اليها ما تحتاج اليه من
الالات والزردخانات واحضر جماعة من الرجالة الدمشقيين فرتبهم
بها وعمر فيها جامعا في ربضها للصلاة واستناب بها ورحل عنها راجعا
الى دمشق وجرد العساكر الضخمة ايضا للاغارة على مدينة سيس
ومقدمهم الامير قلاون وصاحب حماه ووصلوا الى بلاد الارمن فنازلوها
غزاة سيس فلما سارت العساكر دخلوا دربساك ومنه الى الدربند وكان
صاحب سيس قد ملك ولده عوضه وانقطع هو مترهبا فبني ولده ابراجا

ليمتنع بها وقد حصن الدربندات فلما خرجت العساكر الاسلامية من الدربند
وجدوا الارمن على سطح الجبل قد صفوا الصفوف فالتقوا معهم وصدموهم
صدمة كانت الكسرة فيها عليهم واخذوا ملكهم اسيرًا وولده معه وقتلوا
اهله وافنوهم قتلا واسرًا وتمزقت منهم جماعة وقتلت اكابرهم وانتشرت
العساكر الاسلامية في بلاد سيس واغاروا على كرنجيل وسرفندكار وتل
حمدون ونهر جيهان ونزلوا من هناك الى مكان قريب من قلعة تسمى العمودين
فاصابوا جماعة كثيرة من الططر وغيرهم فقتلوا منهم وسبوا اسبابهم واخربوا
القلعة واحرقوها ودخلوا الى مدينة سيس فاخربوها وتركوها خاوية
على عروشها وهدموا قلعة الداوية المعروفة بالثنيات وغنمت العساكر
في هذه الغزاة مالا يحصى كثرة حتى بيع الراس البقر بدرهمين لكثرة المواشي
التي اصابوها وارسلوا الى السلطان يبشرونه بالنصر عليهم فرحل السلطان
من دمشق لتلقيهم فوصل الى جهة قارا فلاقاهم وعاد وملوك الارمن راكبين
قدامه واسراهم مشاقين امامه واوقع السلطان باهل قارا في خروجه تلك
وسببه انه لما نزل على قارا شكى اليه اهل الضياع التي حولها ان اهلها يعدون عليهم
ويتطرقون اليهم ويتخطفونهم ويبيعون من وقع لهم الى الفرنج بحصن عكا
فامر السلطان بنهبهم فنهبوا وقتل كبارهم وسبي نساؤهم وصغارهم ثم ان
السلطان لما عاد الى دمشق اقام بها اياما وخرج منها في اواخر السنة راجعًا
الى الديار المصرية وفي خروجه فارق العسكر على الدربنيه وتوجه جريدة
الى جهة الكرك وعاد منها الى الديار المصرية فتقنطر من فرسه قريبا من بركة
زيزا فانكسر فخذه فاقام هناك اياما ثم حمل في محفة في الطريق ولما وصل
الى مسجد التبن لم يرد ان يدخل الى القاهرة على تلك الحال فاقام اياما الى ان
صح وركب فرسه وطلع القلعة في السنة التي تليها ففك عن صاحب سيس قيده واخذ
صحبته لرمي البندق ببركة الجب وكتب له مواعدة على بلاده لسنة وعاد
وفيها قدم الى دمشق من اولاد خليفة بغداد شخص اسمه علي ابن الخليفة المستعصم بالله
الذي قتله الططر وكان اسيرًا في ايدي الططر من الوقعة المذكورة فلما وقع الحرب
بين ملوك الططر في هذه السنة تخلص منهم ونجى الى دمشق والله اعلم بالحال
واستمر بها من غير ولاية الى الزمان سنة
وحين كان السلطان راجعا الى الديار المصرية كما ذكرنا وهو نازل على منزلة
الغرابي قدم الى خدمته بها صاحب حماة فقال في ذلك ابن عبد الظاهر

بالغرابي الان تجمع شملي ۝ بنوافي فقولكم وايابي
فلكم بالغراب فرقة شمل ۝ وارى جمع شملي بالغرابي

وفي سنة خمس وستين وستماية

وفي سنة خمس وستين وستمائة في ثامن عشر ربيع الاول صلى السلطان الملك الظاهر
بالجامع الازهر الجمعة ولم يكن تقام فيه الجمعة من زمن العبيديين الى هذا
الحين وهو اول مسجد وضع بالقاهرة بناه الطواشي جوهر القايد فكانت
فيه الجمعة حتى بنى الحاكم جامعه فحول اليه الجمعة وترك الازهر فصار في
حكم بقية المساجد وشعث حاله وتغيرت رسومه فامر السلطان بعمارته
وبياضه وتجديده واقامة الخطبة فيه فخطب به القاضي [illegible] تاج الدين
ابن بنت الاعز قليلا ثم القاضي [illegible] ايضا تقي الدين ابن رزين ثم غيرهما
وكان فراغ جوهر القايد من بنايه في سنة احدى وستين وثلثماية في خلافة سيده
المعز بن المنصور العبيدي وكتب اسمه عليه بعد بنا القاهرة بثلاث سنين
ويقال به طلسمات لا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وغير ذلك والله سبحانه اعلم
وكان السلطان ايضا قد شرع في بنا جامعه بالحسينية فكمل في سبع وستين وستماية
وفيها في رجب عاد السلطان الملك الظاهر الى صفد لينظر في مصالحها فحفر خندقا
حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وامرايه وجيشه وامر بعمارة اسوار صفد
وقلعتها وان يكتب عليها ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون اوليك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ففعل ذلك
ثم اغار السلطان على ناحية عكا فقتل واسر وغنم وسلم ثم وصل الى دمشق لما
قوي الارجاف بوصول الططر الى البلاد الشامية ثم صحت الاخبار بعودهم
على عقبهم فكانت اقامة السلطان بدمشق جمعة ايام وعاد الى الديار المصرية
وكان اهل صور قد قتلوا شخصا من مقدمين رجالة الضيبية فقرر عليهم
السلطان ديته خمسة عشر الف دينار صورية وسالوا الصلح فاجابهم
وكتب هدنة لمدة عشر سنين لبلاد صور وهي مايه قرية وقررت الهدنة
مع بيت الاسبتار على حصن الاكراد والمرقب واستقرت قاعدة الصلح
مع صاحبة بيروت فان اخاها كان قد غدر بمركب للاتابك فيه جماعة
من التجار كانوا متوجهين الى قبرس فطالبهم السلطان بمال التجار فالتزموا
والتزموا اطلاق التجار وتقرر الصلح وفيها مات بركة ملك الططر الذي اسلم
وفيها وقع امر عجيب وهو ان رجلا كان عنده مجون وخلاعة واستهتار
فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال اني لا استاك الا في المخرج فوضع
سواكا في مخرجه فمكث مدة الحمل ووضع ولدا على صفة الجرذان له
اربع قوايم وراسه كراس السمكة وله وبر كالارنب ولما وضعه صاح
ذلك الحيوان ثلاث صيحات فقامت اليه ابنة ذلك الرجل فقضخت راسه
فمات وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث وكان يقول

هذا الحيوان قتلني وقطع امعاي وقد شاهد ذلك جماعة من اهل تلك الناحية
وخطيب المكان ومنهم من راه حيا قبل ان يموت ومنهم من راه بعد موته
وفي سنة ست وستين وستماية امر السلطان ببنا قرية على البدير
قرب العباسة وسماها الظاهرية وعمر بها جامعا وهذا المكان كان
منتزه الملوك وبه ولد العباس بن احمد بن طولون فسماه ابوه عباسا
لمولده بالعباسة وفيها سار السلطان الى الشام فلما وصل الى امر العساكر غزة
بعمل آلة الشقيف فعملوها وناوشوا اهلها القتال وضايقوها ونزل
السلطان بالعوجا فتح يافا وكان صاحبها جوان سير متحرمة في زي
صيادين الى غطيا واتفق هلاكه وقيام ولده مقامه فلما وصل السلطان
الى العوجا حضر اليه رسله وهم اي بريافا فعوقهم وسير الحجاب الى
العساكر يامرهم بلبس العدد والركوب على اتم اهبة وركب نصف
الليل فصبح يافا صباحا بغتة فاخذها عنوة من الفرنج وسلم اليه اهلها
قلعتها صلحا فاجلاهم منها الى عكا وخرب القلعة والمدينة ايضا وقد
كانت الفرنج قد اعتنوا بعمارتها وتحصينها فجعلها بلقعا لئلا يكون لهم
اليها عودة وكان ملك الفرنج لما اطلق من الاسر من نوبة دمياط حضر
اليها وعمرها وانفق عليها اموالا جزيلة وكان اول من بناها الملك طنكلي
في بلاد وتسعين واربعمايه لما تغلبوا على بلاد السواحل كما ذكرناه مفصلا
فتح شقيف ارنون لما فرغ السلطان من يافا نزل على الشقيف وقد كان
حصنا لمضايقتها عسكرا وللبلد قلعتان فلما ضويقوا عجزوا عن حماية جميع
القلعتين فاحرقوا احديهما فتسلمها المسلمون فخرج اليهم وزيرهم من القلعة
الاخرى مستامنا فامنه السلطان ثم سلموها له واخرج اهلها وسيرهم الى
صور وبعث الاثقال الى الشام ورحل السلطان عنها وبث العساكر للاغارة
على طرابلس واعمالها فقطعوا الاشجار وخربوا ما حولها من الكنايس ونهبوا
وسبوا فلما سمع صاحب صافيتا وانطرطوس بما حل بالفرنج من العكوس
وانقلاب الابرجة النحوس خاف ان يمسه ما مسهم من البوس فبادر الى
خدمة السلطان وتلقى العساكر بالاقامة واحضر من كان عنده من اسرى
المسلمين فكانوا ثلثماية اسير ورحل السلطان الى حمص ومنها الى حماة ثم حلب
فتح انطاكية وهي مدينة عظيمة لها ذكر في التواريخ يقال ان دور سورها
اثنا عشر ميلا وعدد بروجها مايه واربعون برجا وعدد شرفاتها
اربعة وعشرون الف شرفة ففرق السلطان الظاهر العساكر ثلاث فرق
فرقة صحبته وفرقة صحبة اخيه الامير قلاوون الالفي وفرقة صحبة امير اخر

ونزل السلطان على انطاكية

ونزل السلطان على انطاكية وحاصرها فخرج منها جماعة فالتقوا مع جاليش المسلمين
فاستظهر الجاليش عليهم واسر منهم امير فحضر الى السلطان ثم زحفت
عساكر المسلمين واطافت بالمدينة والقلعة وقاتل اهلها قتالا ذريعا
وجاهدهم المسلمون جهادا عظيما وتسوروا الاسوار من جهة الجبل ونزلوا
المدينة بالسيوف واوقعوا بالكفار بالنهب والقتل والاسر حتى اثخنوا
فيهم غاية الاثخان واجتمع حول القلعة منهم نحو ثمانية الاف منهم فسالوا
الامان فاجيبوا اليه وربطوا في الحبال فكان جملة من قتل واسر جمع يتجاوز
الاحصا وكان بها ماية الف او يزيدون ووجد بها من الاسرى من الحلبيين
خلق كثير وكان البرنس بيمند صاحبها وهو صاحب طرابلس ايضا
من اشد الناس اذية للمسلمين حين ملكت الططر البلاد الشامية كما ذكرناه
فانتقم الله منه بمن اقامه للاسلام ناصرا وللصليب كاسرا ابسلطان
لقبه في بق علمه ظاهرا وهذه انطاكية هي القرية التي ذكرها الله تعالى
في القران بقوله واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون الآية
وبانيها انطياخس واليه تنسب وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن ايوب رحمه الله قد فتحها كما ذكرنا وقتل صاحبها الى ان مات السلطان
ثم ملكها الفرنج ايضا الى ان اخذت الان واستقرت في الممالك الاسلامية
ثم ان السلطان امر بجمع الغنايم والمكاسب فجمع من الاموال والمصوغ ما لا يحصى
كثرة وقسمت الغنايم على المجاهدين وتقاسموا السبايا والمواشي والاطفال
فلم يبق غلام الا وله غلام حتى بيع الصغير باثني عشر درهما وامر باحراق
قلعة انطاكية فاحرقت واما ما خص السلطان من الغنايم فانه افرده
وارصده لعمارة جامعه الذي انشاه بالحسينية فصرف ذلك عليه
فتح بغراس لما فتح السلطان هذه الحصون انهزمت الفرنج الداوية
من بغراس فتسلمها السلطان على يد الاستادار ولم يوجد بها سوى امراة
عجوز ووجدت عامرة بحواصلها فشحنها السلطان بالرجال والسلاح
وهذا الحصن قد ذكرنا فتح السلطان صلاح الدين له وتخريبه ثم استعاده
الفرنج وعمروه بعد موت السلطان ثم حاصره ولده الظاهر صاحب حلب
بعساكره اكثر من نصف سنه فلم يقدر على اخذه حتى يسر الله لهذا السلطان
الملك الظاهر بيبرس اخذه بغير تعب ولا نصب وتسلم السلطان ايضا
حصونا كثيرة وقلاعا كثيرة ثم عاد مؤيدا منصورا فدخل دمشق في
هيبة عظيمة هايلة لكنه قد عزم على ايقاع شي بالمسلمين بشيع امر وذلك
باغراء زين من المسالمة فلم يمكنه الله تعالى من ايقاع ذلك ثم بلطف الله سبحانه

وهوانه قصد انتزاع اراضي كثيرة من القرى والبساتين التي بايدي ملاكها
بمقتضى ضياع مستندا انهم لما نهبهم التطر فلما طالبهم بها عجزوا فاراد اخذها منهم
وزعم ايضا ان التطر كانوا قد استولوا على البلاد ثم استنقذها منهم وقد
افتاه بعض الفقها من الحنفيه بذلك تفريعا على ان الكفار اذا اخذوا من اموال
المسلمين شيا ملكوها فاذا استرجعت لم ترد الى اصحابها الذين اخذت منهم
وهذه المسلة مشهورة وفيها خلاف والمقصود ان السلطان الملك الظاهر
عقد مجلسا اجتمع فيه القضاة والفقها من ساير المذاهب وتكلموا في ذلك
وصمم السلطان على ذلك اعتمادا على ما بيده من الفتاوى وخاف الناس من
غايلة ذلك فتوسط الصاحب فخر الدين ابن الوزير بها الدين ابن الحنا وكان عالما
وقد درس بالشافعي بعد القاضي تاج الدين بنت الاعز فقال للسلطان
ياخوند اهل البلد يصالحونك عن ذلك كله بالف الف درهم فضة
مقسطة كل سنه مايتا الف درهم فضة فابى الا ان تكون معجلة ثم بعد
ايام وقد خرج من الشام متوجها الى الديار المصرية ثم اجاب الى تقسيطها
وجات البشاير بذلك فقريت على منبر دمشق ففرح اهلها بذلك ورسم
ان يعجلوا من ذلك اربعمايه الف درهم وان تعاد اليهم الغلات التي كانوا قد
احتاطوا عليها في زمن القسم والثمار وكانت هذه القضية مما شعثت
خواطر الناس على السلطان وابن هذا من الملك العادل نور الدين الشهيد
وكان على مذهب الحنفية لما قالوا له ان يعمل بهذه المسله فامتنع وغضب
وقال اذا كانت الكفار تاخذ اموال المسلمين واذا استنقذناها ملوكهم تاخذها
ايضا فايش يبقى حال المسلمين فيملكون حكاه عنه ابن واصل في تاريخه المشهور
وفيها تسلم السلطان وهو بدمشق جبلة من صاحبها وهي من عمل طرابلس
وفيها ارسل صاحب عكا يلتمس من السلطان الصلح وهو ابن اخت صاحب
قبرس وكان اهل عكا قد احضروه وملكوه عليهم فلما عاد السلطان من
انطاكيه الى دمشق جات رسله بذلك فتقرر الحال بين السلطان وبينه
على عكا وبلادها وثلاثين ضيعة وتقرر ان تكون حيفا للفرنج ولها
ثلاث ضياع وبقيه بلادها مناصفة وبلاد الكرمل مناصفه ايضا
وعثليث يكون لها خمس قرى والباقي مناصفة وللفرنج عشر قرى
والباقي للسلطان وبلاد صيدا الوطاة للفرنج والجبليات للسلطان
واتفق الصلح على مملكة قبرس ان تكون الهدنة لعشر سنين وسير
السلطان اليه هديه عشرين رجلا من اسارى انطاكيه فاراه غسله بعينه
وفيها كتب صاحب اليمن الى صاحب مصر بالحضور والانتما اليه وانه يخطب له ببلاد
اليمن وارسل هديه وتحفا كثيرة فارسل له السلطان خلعا وسنجقا وتقليدا وشكر منه

وفيها بذل صاحب القصير

وفيها بذل صاحب القصير نصف البلاد التي في يده للسلطان الملك الظاهر
فتسلمها منه وزعم اهلها ان بايديهم خطا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب السلطان لهم هدنة بما تقرر الحال عليه وفيها تغيرت ملوك الروم
وفي سنة سبع وستين وستمايه جدد السلطان البيعة لولده من بعده الملك
السعيد محمد بركه خان واركبه ومشى بين يديه وكتب له كاتب السر ابن لقمان
تقليدا هايلا وبني مصطبة بميدان العيد بباب النصر لرمي النشاب
وفيها ركب السلطان بعساكره وسافر ونزل ارسوف ايضا لكثرة مراعيها
فلما دخل دمشق اتفق وصول رسول ملك التطر ابغا بن هلاون بن جنكز خان
بمكاتبات ومشافهات ومعه صاحب سيس فمن جملة المشافهات انت
مملوك ابعت بسيواس فكيف يصلح لك ان تخالف ملوك الارض واعلم انك
لو صعدت الى السما او هبطت الى قعر الارض ما تخلصت منه فاعمل
لنفسك على مصالحة السلطان ابغا فلم يلتفت الملك الظاهر الى هذا الكلام
ولا اجاب عنه ايم جواب وقال لرسله اعلموه اني من ورايه بالمطالبة ولا
ازال حتى انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة
وساير اقطار الارض ثم عاد السلطان بعساكره الى الديار المصرية وفعل حيلة
وذلك انه لما خرج من دمشق لم يصحبه غير بعض الامرا واعطى ساير العساكر
الدستور ليعودوا الى مصر وتوجه هو ومن معه الى القلاع فبدا بالصبيبة
ومنها الى الشقيف وصفد فوصل الى خربة اللصوص والعسكر قد خيم بها
فقصد ان يتوجه الى الديار المصرية خفية لغرض فقال المقدم الجيش
اوهم الناس اني مريض في المحفة واحضر الاطبا واستوصف منهم دوا
لمريض به كذا وكذا واحضر الاشربة الى المحفة وانتم سايرون ثم ركب
السلطان على البريد وجهز اميرين على البريد ايضا الى جهه حلب وظاهر
الامر واوصاهما بما عزم عليه في باطن السر وخرج هو في الليل من الوطاق
متنكرا حاملا بقجة قماش في زي احد الجابيه وركب وصحبته الاميران
المذكوران وواحد من البريدية وواحد من السلحدارية واربعة جنايب
وساق الى جهه مصر وجنيبه على يده ومن مراكز البريد متنكرا لا يعرفه
احد من الولاة فوصل الى القلعه في ثلاثة ايام فاوقفهم الحرس حتى شاوروا
الوالي ونزلوا في باب الاصطبل وكان قد رتب مع الزمام ان يبيت
خلف باب السر فدق الباب وذكر للزمام علامة كان يعرفها ففتح له
واحضر رفقته الى باب السر واقام ثلاث ليال لا يعلم به احد وهو يشاهد
الامرا في الموكب من شباك على سوق الخيل فلما كانت الليلة الثالثة قدم الفرس

لبركبه ابنه الملك السعيد خليفته على عادته وقدم للسلطان فرس فركب على
غفلة والوقت مغلس فانكره الامرا الذين في الموكب الحال فلما تحققوا انه
السلطان قبلوا الارض بين يديه وعاد من الموكب الى القلعه فاقام بها ايضا
ثلاثة ايام ولعب الاكرة بالميدان وعاد الى القلعه الى تلك الليلة سافر ايضا
على البريد عايدا الى جهة الشام فلما وصل الى وطاق عسكره وهو متنكر
اخذ على يده جراب البريد وفي كتفه فوطة وتوجه راجلا ودخل من
جهة الحراس فمانعه حارس فامسك طوقه فانجرح منه وعبر من
باب سر الوطاق وركب بعد مضي نصف شهر من اختفايه متمرضا في
المحنة كما ذكرنا وحضر الامرا الى الخدمة يهنون بالعافية وضربت البشاير
للملك وهذه جراة عظيمة واقدام مفرط ومكيدة هايلة وعاد الى الشام
وفيها تسلم بلاطنس من صاحبها عز الدين عثمان صاحب صهيون وقرر له
عوضا عنها بلادا من بلد صهيون فقالوا كانت خمس قرايا بثلاثين الف درهم
وحين كان السلطان في الطريق عند خربة اللصوص جاته امراة فذكرت
له ان ابنها دخل الى صور وان صاحبها الفرنجي غدر به وقتله واخذ ماله
فركب السلطان وشن الغارة على مدينة صور واخذ منها شيا كثيرا وقتل
خلقا فارسل اليه صاحبها يسال ما سبب هذا فذكر له غدره ومكره
بالتاجر ثم عاد السلطان الى دمشق وفيها حج السلطان الملك الظاهر وحجته دواداره
وكاتب السر ونحو من ثلثماية مملوك وبعض اجناد الحلقة والقاضي الحنفي وترك بقية
العسكر بدمشق وخرج هو منها الى جهة الكرك يتصيد ولم يجسر احد ينطق بانه
متوجه الى الحجاز حتى ان شخصا من الحجاب قال اشتهي ان اكون صحبة السلطان الى الحجاز
فامر بقطع لسانه ورحل من الغور الى الكرك ثم الى الشوبك ثم الى المدينة النبوية
ثم احرم ودخل مكة وبقي بها كاحاد الناس لا يحجبه احد والبس الكعبة بيده وحمل
الماء في القربة على كتفه وغسل البيت ثم بما الورد وطيبه بيده وجلس ببابها
ياخذ بايدي الناس وهو كاحدهم وتصدق على المجاورين وكتب الى صاحب
اليمن كتابا يقول له فيه سطرتها من مكة وقد اخذت في سبع عشر خطوة
يعني بها المنزلة ثم قضى حجه كاملا وتعجل النفر واحسن الى امير مكة وترك
معه اميرا من جهته ثم عاد الى المدينة النبوية فزار الحجرة الشريفة [illegible]
ثم عاد الى الكرك ولم يعلم به احد في سلخ السنة فعند قبر جعفر الطيار لبس
عباة ودخل بها الكرك وهو راكب هجينا وارسل المبشر الى دمشق بقدومه سالما
فخرج نايب الشام للمبشر فاذا هو بالسلطان بنفسه يسير في الميدان فتعجب الناس
من سرعة سيره وصبره وجلده ثم سار في غد الى حلب ليتفقد حالها ثم عاد الى دمشق ثم انه
رجع الى القاهرة وزار في طريقه القدس والخليل فوصل القاهرة ثم الى الاسكندرية [illegible]

ولذلك قال القاضي ابن عبد الظاهر

ولذلك قال القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر ابياتا منها

حتى اتاها ظاهر ملك اذا ۝ شا اختفى فاموره تلتبس ۝
بينا تراه في الحجاز اذا به ۝ في الشام للحج الشريف يقدس ۝
وتراه في حلب يدبر امرها ۝ وتراه في مصر يدرس ويحرس ۝
ويلوح في حج عليه عباءة ۝ ويلوح في غزو عليه اطلس ۝
لا زال للدنيا يسوس امورها ۝ ويشيد الاخرى بها ويوسس ۝

وفيها وردت الاخبار بان زلزلة حدثت في بلاد سيس فاخربت قلاعها
وسرفندكار وحجر شغلان وقتلت جماعة وفيها توجهت الغيار من البيرة
وغيرها الى جهة كركر فاحرقوا بدرها واستاقوا مواشيها وتوجهوا الى
قلعة بينها وبين الكختا اسمها شرموساك فزحفوا عليها وقتلوا رجالها
وفيها في اخرها هبت ريح شديدة بالديار المصرية غرقت مايتي مركب
في النيل وهلك فيها خلق كثير ووقع هنالك مطر شديد جدا واصاب
الشام من ذلك صقعة اهلكت الثمار وفيها كان حرب بين ملوك بلاد المغرب
وفي سنة ثمان وستين وستماية في مستهلها وصل السلطان الملك الظاهر بيبرس
الى دمشق من الحجاز الشريف كما ذكرنا على الهجن وخرج من يومه الى حماه وفي ساعته توجه
الى حلب ولم يعلم به عسكرها الا وهو بينهم في الموكب ثم عاد لدمشق وتوجه لزيارة
القدس والخليل ثم رجع الى مصر في اواخر صفر ثم سافر هو وولده الملك السعيد
والامرا الى الاسكندرية فتصيد هناك في البرية وضرب حلقا على الكحيلات
فصاد في كل حلقة منها ما يقارب خمسماية من الغزال والايل واكثر من النعام
وبقر الوحش كثيرا فكان كل من احضر غزالا اعطي بغلا ومن ضرب نعاما او
بقرا اعطي فرسا ففرق من الخيل والخلع شيا كثيرا ووصل الى مكان يعرف
بقصر فارس وعاد الى الاسكندرية فاقام اياما ففرق نعالي القماش
على الامرا ووصلهم بالهبات وفي تلك الايام وردت اليه اخبار بحركة التتر
وانهم تواعدوا مع الفرنج الساحلية واغاروا على الساجور قريبا من حلب
واستاقوا مواشي العربان فاراح السلطان العساكر المصرية وسافر هو جريدة
الى جهة الشام فلما وصل الى غزة اغار على عكا وقاسى جيشه في الطريق مشقة
كبيرة من البرد والوحل وبلغ السلطان ان كبير فرنج عكا خرج منها يتصيد
جيش المسلمين فركب اليه سريعا فوجده قريبا من عكا فاخذه اسيرا وجماعة
من عسكره وقتل اخرين وشن الغارات على المرقب ونازل حصن الاكراد
وحضر عنده صارم الدين ابن الرضي صاحب العليقة فقلده السلطان
وعزل نجم الدين الشعراني الملقب بالصاحب وولده منها لانه لم يحضر الى خدمة السلطان

وبعث صارم الدين لاحضار الصاحب وارسل معه عسكرا الى مصياف
فتسلمها من صاحب وهي كرسي مملكة الاسماعيلية وهي مقر الفداوية فعند ذلك
حضر الصاحب نجم الدين الى باب السلطان بدمشق وهو شيخ كبير جدا فرحمه
السلطان ورق له وولاه النيابة شريكا لابن الرضي فانه صهره وقرر عليه
حمل مائة وعشرين الف درهم في كل سنة وعاد السلطان من جهة حصن الاكراد
الى حماه فانهزم الططر ورجعوا فرجع السلطان الى دمشق فبلغه ان الفرنج
اخذت من مينا الاسكندرية مركبين فسار سريعا الى الديار المصرية
ثم استفاضت الاخبار بقصد الفرنج بلاد الشام فجهز السلطان العساكر
المصرية لقتالهم وهو مع ذلك مهتم بمدينة الاسكندرية وقد حصنها وعمل
جسورة اليها ان دهمها العدو وامر بقتل الكلاب منها وكان قد بلغ
السلطان ان جماعة من ملوك الفرنج اتفقوا بصقلية وتجمعوا وشرعوا في
تجهيز المراكب لقصد بلاد المسلمين ولم يعلم مقصدهم لاي جهة فاهتم
السلطان بالثغور والشواني وحفظ السواحل وعمل الجسور الى دمياط
وانشا القناطر وكان قصد الفرنج بلد تونس فساروا اليها ونزلوا على
المعلقة فاجتمع الموحدون والعربان وغيرهم من المسلمين فقاتلهم الفرنج فيها
وضايقوهم فاراد الله هلاك الملك افرنسيس فلما مات رحل الفرنج طالبين
بلادهم واراح الله تعالى المسلمين منهم وفيها تغيرت ملوك بلاد المغرب ايضا
وفي سنة تسع وستين وستمائة سافر السلطان الملك الظاهر بيبرس من
الديار المصرية الى البلاد الشامية في طايفة من عسكره فدخل عسقلان فهدم
ما بقي من سورها مما كان اهمل في الدولة الناصرية الصلاحية ووجد فيما
هدم كوزين فيهما الفا دينار ففرقهما على الامرا وجاءت البشائر هنالك
بان ملوك الططر اقتتلوا فيما بينهم وكسر بعضهم بعضا ففرح السلطان
بذلك فعاد الى القاهرة منصورا ثم بلغ السلطان ان فرنج عكا ضربوا
رقاب من في ايديهم من اسرى المسلمين صبرا بظاهر عكا فامر السلطان بمن كان
في يده من اسارى فرنج عكا فغرقوا جميعهم في صحبة واحدة وكانوا قريبا
من مائة نفس وفيها جرت حروب طويلة بين اهل تونس والفرنج وقتل من
الفريقين خلايق لا يحصون ثم بعد ذلك تصالحوا على وضع الحرب بالهدنة
وفيها عاد ايضا السلطان الى الشام وشن الاغارة في طريقه على طرابلس
وبلادها واتصلت غاراته بصافيتا وجرد عسكرا صحبته الامير قلاون الالفي
ومقدمهم ولده الملك السعيد بركة فاغاروا على ناحية المرقب فعند عود
السلطان من الغارة على طرابلس عاد ولده ايضا ومن معه من الغارة على جهة المرقب

وتوافوا ونزلوا على

فتح حصن الاكراد

وتوافوا ونزلوا على حصن الاكراد في عاشر شعبان
ولما نزل السلطان عليه جد في حصاره واشتد القتال عليه فلما كان بعد عشرة
ايام اخذت ارباضه وزحف العساكر فطلعوا على القلعة وتسلموها وطلع
الفرنج الى القلة ثم طلبوا الامان فاجابهم السلطان اليه فخرجوا وتجهزوا الى
بلادهم وتسلم السلطان الحصن وكان صاحب الحصن اسمه افربراوك
وكان الذي حاصره ابن السلطان فاطلق السلطان اهله ومن عليهم واجلاهم
الى طرابلس وجعل كنيسة البلد جامعا وولى فيه نايبا وقاضيا وامر بعمارة
البلد وبعث اليه صاحب انطرطوس واسمه كندور بمفاتيح بلده ايضا
وطلب منه الصلح على ان يكون نصف مغل بلاده للسلطان وان يكون له
بها نايب فاجابه الى ذلك وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه ايضا
على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين وبلغ السلطان وهو مخيم على
حصن الاكراد ان صاحب جزيرة قبرس قد ركب البحر بجيشه الى عكا
لينصر اهلها خوفا عليهم من الملك الظاهر فاراد السلطان ان يغتنم هذه
الفرصة فبعث جيشا كثيفا في قريب العشرين شيني لياخذوا جزيرة
قبرص في غيبة صاحبها فسارت المراكب مسرعة فلما قاربت الجزيرة
جاءتها ريح عاصف وصادمت من بعضها ببعض فتحطم منها احد عشر مركبا
باذن الله عز وجل وتكسرت في مرسى اللمسون فغرق خلق واسر
الفرنج من الصناع والرجال قريبا من الفين انسان فانا لله وانا اليه راجعون
ثم اهتم السلطان بعمارة شواني اخر فعمل في المدة اليسيرة ضعف ما تقدم

فتح عكار

ثم سار السلطان نحو عكار ولما نزل السلطان على عكار
من عمل طرابلس في سابع عشر رمضان نصب المجانيق على حصنها وجد
واشتد القتال وجد اهله في المناضلة ورمي الحجارة بالمجانيق ايضا
واستشهد عليه ركن الدين منكورس الدواداري وكان يصلي في خيمته
فجاءه حجر فمات من وقته فغنم السعادتين وشددت العساكر الحصار
واخذ النقوب تحت الاسوار فلما راوا انهم عاجزون عن مقابلتهم
طلبوا الامان فاجابهم اليه السلطان ورفعت عليه السناجق الاسلامية
وخرج اهله في سلخه الى مامنهم وعيد السلطان بها عيد الفطر ورجع الى مخيمه
بالمرج فقال في ذلك القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر مهنيا ومبشرا بغيره

يا مليك الارض بشراك   فقد نلت الاراده
ان عكار يقينا   هو عكا وزياده

وكان هذا الحصن شديد الضرر على المسلمين وهو في واد بين جبال

ثم سار السلطان نحو طرابلس فارسل اليه صاحبها يقول ما مرادك ايها
السلطان في هذه الدفعة فقال له جيت لارعي زرعكم واخرب بلادكم ثم
اعود الى حصاركم في العام الآتي فارسل ملك الفرنج يستعطفه ويطلب
منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فاجابه الى ذلك وارسل اليه
الاسماعيلية يستعطفونه على الدعوة وكان مسجونا بالقاهرة فقال
لهم السلطان سلموا العليقة وانزلوا تجدوا اقطاعات بالقاهرة وسلموا
اياكم فلما نزلوا امر بحبسهم في القاهرة واستناب بحصن العليقة غيره
وخرجت تلك البلاد من يد الاسماعيلية الفداوية من ذلك الوقت و[illegible]
ثم رجع السلطان الى دمشق فدخل شيخه الشيخ خضر الكردي الصوفي
واصحابه الى كنيسة اليهود فصلوا فيها وازالوا ما فيها من شعاير اليهود
ومدوا فيها سماطا وعملوا سماعا وبقوا كذلك اياما ثم اعيدت الى اليهود
بشفعهم بالمال عند الوزير ثم خرج السلطان في اواخر شوال الى السواحل ايضا
فافتتح بعضها **فتح القرين** نازل السلطان القرين واخذ باشورته
ثم سال من فيه الامان فكتب لهم امانا وتقرر خروجهم وتوجههم حيث
شاوا وانهم لا يستصحبون مالا ولا سلاحا وتسلم السلطان الحصن وامر
بهدم قلعته ثم رحل عنه ونزل اللجون وتقدمت مراسيمه الى النواب
بالديار المصرية والشامية بتجهيز الشواني ثانيا الى جزيرة قبرص
هكذا ذكره سبرس في تاريخه والذي ذكرناه اولا هو ما ذكره ابن كثير في تاريخه
ثم ان السلطان جا الى عكا واشرف عليها وتاملها ثم رجع الى الديار المصرية
وكان مقدار ما غرمه في هذه السرحة والغزوات قريبا من الف الف
دينار وكان وصوله الى القاهرة في اخر ايام التشريق فامر بعمارة الشواني
وباشرها بنفسه فعمر في اقرب مدة ضعفي ما انكسر وفي يوم وصوله للقاهرة
امسك جماعة من كبار امرايه لما بلغه عنهم انهم ارادوا ان يقتلوه وهو على الصيد
وامر باراقة الخمور من ساير بلاده وتهدد من يعصرها بالقتل واسقط
الضمان في ذلك وكان مقداره بالقاهرة وحدها الف دينار ثم عاد الامر
وفيها جا سيل عظيم الى دمشق فاتلف شيا كثيرا وغرق بسببه ناس كثير ايضا
لاسيما الحجاج اخذهم وجمالهم واحمالهم فهلكوا وغلقت ابواب دمشق ودخل الما
من مرامي السور ومن باب الفراديس ثم طلع السيل على سور دمشق قدر رمح واغرق
حيوانات كثيرة وافسد عدة دور واغرق من الخلق ما لا يحصى يقدر بعشرة
الاف نفس واخذ الطواحين بحجارتها والعجب انه كان في زمن الصيف في ايام
المشمش ثم انه نضب فلم يعلم من اين اجتمع ولا الى اين ذهب نسال الله سلامة العافية

وفي سنه سبعين وستمايه

وفي سنه سبعين وستمايه ركب السلطان الى البحر لاجل لقا الشواني التي عملت
عوضا عما غرق بجزيرة قبرص فركب في شيني منها ومعه نايبه الامير بدر الدين
بيليك الخازندار فمال بهم المركب فسقط الخازندار في البحر فغاص في الما
فالقى رجل نفسه وراه فاخذ بشعره وانقذه من الغرق فخلع السلطان
على ذلك الرجل واحسن اليه وكان بيليك هذا من اجود اهل تلك الدولة وخيارهم
ثم ركب السلطان في ناس قليل من الخاصكية والامرا من الديار المصرية
ودخل الكرك وتفقدها ثم سافر الى دمشق فاقام بها يومين ثم خرج منها الى
حمص وحصن الاكراد وحصن عكار وكشفهم وعاد الى دمشق وهو فيها
بلغه ان التتر ايضا غارت على مدينة عينتاب واتصلت غاراتهم الى
العمق وحارم وقسطون الى قرب فامية ووقعوا على طايفة من التركمان
بين حارم وانطاكية فاستاصلوهم فطلب السلطان من مصر العساكر
قدر ثلاثة الاف فارس فتجهز بهم الامير بدر الدين البيسري الى ان وصلوا
الى دمشق عند السلطان وكان التتر لما اغاروا على البلاد الحلبية وقتلوا
جماعة تقنطر نايب حلب بعسكرها الى حماة ومعهم جند دمشق ايضا
فلما وصل البيسري بالعساكر المصرية سار بهم السلطان جميعا الى حلب
وجرد الى كل جهة عسكرا صحبة امير من امرايه وجرد امير العرب عيسى بن مهنا
الى مرعش بعربه فقتلوا من وجدوه بها من التتر فانكفوا عن البلاد بحركة
السلطان المذكور فاتفق انه كان الفرنج قد تحركوا بالساحل واغاروا
على قاقون وقتلوا الامير حسام الدين الاستادار وبعض من كان معه
فلما لحقهم العسكر تفرقوا ولما سكن السلطان هذه الثواير عاد الى
الديار المصرية فوصل القلعة في اواخر جمادى الاولى ثم عاد الى الشام واغار في
طريقه على اراضي عكا فسال له صاحبها المهادنة فاجابه الى ذلك فهادنه
على عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات ثم عاد السلطان
الى دمشق فقرى كتاب الصلح بدار السعادة فاستمر الحال على ذلك
ثم ركب السلطان الى بلاد الاسماعيلية ايضا فاخذ عامتها ولم يبق لهم
بعد ذلك الا القليل وتوجه الى حصن الاكراد وامر بعمارته وعاد الى
دمشق فدخلها في اول السنة التي تليها وحضرت اليه وهو بها رسل نايب مملكة
الروم عن التتر فجهز اليهم السلطان هدية منها جوشن [illegible] وخوذه
كذلك وسيف وقوس وتركاش وتسع فرداف تسلم صحبة امير من
وفيها سير السلطان فداوية الى ورد ملك الفرنج بمدينة صور فقفز عليه احدهم
فقتله وقتل الفداوي ايضا لوقته وكان ذلك جزاء بما فعله من الغارة على قاقون وقتله

واُضعف
حسام الدين الاستادار كما ذكرنا وفيها ولات زرافة بقلعة القاهرة
من بقرة وهذا شى لم يُعهد مثله وفيها ولدت امراة بدمشق من بطن واحد
سبعة بنتين واربع بنات وكانت مدة حملها اربعة سنين وعشرة ايام
وماتوا كلهم وعاشت وفيها مات سيدى على البكا المشهور وقد ذكرناه قبل هذا
وفى سنة احدى وسبعين وستمايه لما عاد السلطان الى مصر جريدة لم يقم بها
غير نصف شهر حتى حضر العساكر الى الشام وعاد هو اليها ايضا لاجل الططر
واتفق ان السلطان بالشام موت الامير سيف الدين احمد مظفر الدين عثمان بن
منكبرس صاحب صهيون وكان قد اوصى اولاده بان يسلموا الحصن الى
السلطان ويلجاوا اليه ففعلوا كذلك وسلموا الحصن الى نوابه ووفدوا
الى ابوابه وهما سابق الدين وفخر الدين فاكرم مثواهما واحسن اليهما واعطاهم
الاقطاعات بدمشق واستمرا بها الى ان توفيا واستمرت في بنيهم ما بقي سنة
ثم حضر الى السلطان رسل ابغا ملك الططر في امر الصلح وغيروا كلامهم
وقالوا اولا ان السلطان يرسل اميرا يمشي في الصلح ثم قالوا ان السلطان
يمشي في الصلح او من يكون بعده في المنزلة فاغتاظ السلطان من هذا الخطاب
وقال اذا كان ابغا يقصد الصلح يمشي هو بنفسه او احد من اخوته
واعاد الرسل الى من ارسلهم ثم حضر مقدم الططر طرباي بعسكره الى البيرة
ونزلوا عليها ونصبوا عليها المجانيق والات الحصار وضايقوها وتقدم منهم
فرقة الى الفرات يحفظ المخايض فنزلوا على مخاضة تعرف بمخاضة القاضي
واقاموا لهم سياجا من السيب وحاجزا من الخشب ونزلوا وراء ذلك السياج
فسار اليهم السلطان بالعساكر الاسلامية المصرية والشامية حتى انتهى الى المخاضة
واشرف على الططر من اعلى الجبل وهم عليها نازلون فاستشار اكابر امرايه
فتقدم اليه خداشه الامير قلاوون فقال انا اعبر عليهم واهجم عليهم وانما
احتاج دليلا يعرفني المخاضة فتقدم الدليل قدامه وتوجه بمن معه من
مماليكه وعسكره فاقتحم الفرات وعبر على سفاين كواهل الصبا فبات
فثار الططر اليه وحملوا عليه فثبت لهم وصدمهم صدمة فرقتهم قوتها
ومزقتهم شدتها وقتل مقدمهم قتله كتبغا مملوك قلاوون وهو الدين كشاورا
سلطان بك وقتل منهم جماعة فعند ذلك عبر السلطان وعبرت العساكر
الفرات فلما تكاملت الجيوش شرقي الفرات ولى طرباي مقدم الططر
هزيمة ورحلوا عن البيرة خايبين حقيرين وتركوا الالات التي اعدوها
للحصار فنزل اهل البيرة واخذوها واقتسموها وسار السلطان اليها فدخلها
وخلع على نايبها وعلى مقدميها وفرق في اهلها اموالا كثيرة ثم عاد الى دمشق
ومعه اسرى الططر

ومعه اسرى الططر وتسلمت نوابه ما تأخر من حصون الاسماعيلية
من عمل طرابلس وهي الكهف والمنيقة والقدموس والخوابي وغيرها
واما طرباي مقدم الططر فانه لما هرب وحضر عند ملكهم ابغا بن هلاوون
منهزما وقد فقد رفيقه وقتل اكثر من معه عنفه استاذه وعدد له
ذنوبه وقال له كيف انهزمت وما جرحت وقتل رفيقك وما قتلت
وامر بالحوطة عليه ثم سافر السلطان من الشام الى الديار المصرية وافرج عن
الامير عز الدين ايبك الدمياطي من حبسه وجلس السلطان لشرب القمز
بحضرة امرايه واعيانه فتذاكروا وقعة الفرات واثنوا على الامير
قلاوون في اقدامه يوميذ فانعم عليه السلطان بذهب وتقدمة بما يبلغ
اكثر من خمسة الاف دينار واستمروا في بقية سكرهم فناولوا الكاس الى
الامير عز الدين ايبك الدمياطي المذكور وكان قد شابت لحيته فقال له
ياخوند شبنا وشاب نبيذنا وغنت الانسا والشعرا بين يديه بهذه الابيات

زعمت بنو قاقان ان خيولنا ○ تخشى العبور اليهم في الماء ○
فاتوا الى شط الفرات وطلبوا ○ متهيبين لغارة شعواء ○
ونزحلت من بينهم اقشية ○ مغل وكرج فيهم وخطاء ○
قصدوا بها منعنا عن برهم ○ غلطوا وخيب مقصد الاعدا ○
فاتاهم جيش النبي بزومة ○ ملك الزمان الظاهر الالاء ○
بعصايب سود عليها رنكه ○ اسد تصيد فوارس الهيجاء ○
عام الفرات ابيض بصواهل ○ ومناصل وعواسل سمراء ○
فانفل جيشهم وولى هاربا ○ وحاطهم ويل وفرط بلاء ○
وغدت سيوف المسلمين خضيبة ○ عند اللقا من هامهم بدماء ○
لله يوم بالفرات رايته ○ قد مر في ظفر ونصر لواء ○
ثم الصلاه على النبي محمد ○ ما مالت الاغصان بالورقاء ○

ثم خلع السلطان على جميع الامرا وارباب الدولة واعطى كل احد ما يليق به من
الخيل والذهب والحوايص والثياب فكان مبلغ ما صرف في ذلك نحوا
من الف الف وثمانماية الف دينار وفيها في اولها وصل صاحب النوبة الى عيذاب
من الصعيد فنهب التجار وكانوا يجيئون بالبهار من هناك وقتل خلقا كثيرا
من اهلها منهم الوالي والقاضي فسار امير الى بلادهم فقتل خلقا ونهب
وحرق ودوخ البلاد واخذ الثار ورجع وكان ايضا الامير بلبوش
امير عربان برقة تظاهر بالعصيان فسير اليه السلطان العربان فاخذوه
اسيرا وجاوا به الى السلطان فمن عليه واطلقه الى بلاده فلم يلبث الا قليلا حتى مات

وفيها في ثاني يوم عيد الفطر استدعى السلطان الملك الظاهر شيخه الشيخ خضر الكردي
الى بين يديه في القلعه وحوقق على اشيا كثيره ورموه بمنكرات كثيره فامر
السلطان باعتقاله فكان اخر العهد به وكان هذا الشيخ خضر حظيا عنده
قد بلغ عند السلطان ارفع منزله وانبسطت يده ونفذ امره بمصر والشام
وكان سببه انه اجتمع بالملك الظاهر قبل السلطنه واخبره بانه يملك
الديار المصريه واخبره باشيا اتفقت له فلما ملك السلطان حظي عنده الى
الغايه بحيث ينزل السلطان بنفسه الى زاويته التي بناها له بالحسينيه
المطله على الخليج في كل جمعه مره او مرتين وبنى له عندها جامعا يخطب
فيه للجمعه ماله نظير وكان يعطيه كثيرا ويطلق له ووقف على زاويته
شيا كثيرا جدا وكان معظما عند الخاص والعام وكان فيه خير ودين
وصلاح وقد كاشف السلطان في اشيا كثيره وقد دخل مره كنيسة
قمامه فذبح قسيسها بيده وانهب ما فيها لاصحابه وكذلك فعل بالكنيسة
التي بالاسكندريه وهي من اعظم كنايسهم انهبها اصحابه وحولها مدرسة
انفق عليها اموالا كثيره من بيت المال وسماها المدرسة الخضرا وكذلك
فعل بكنيسة اليهود بدمشق دخلها ونهب ما فيها ومد بها سماطا وعمل فيها
سماعا واتخذها مسجدا مده ثم سعوا في عودها اليهم واستمرارها عليهم
وانتقص منه الصاحب بها الدين ابن حنا الوزير والنايب والخزندار
لمعارضته لهم في مظالمهم فعملوا عليه واحضروا عند السلطان من يشهد عليه
بالزنا واللواط وشرب الخمر وكان السلطان قد قدمت له هديه من عند
صاحب اليمن من جملتها كر نفيس فاعطاه السلطان للشيخ خضر فقالوا عنه
انه دفعه لامراة وزنى بها واحضروها فاحضرت الكر بين يدي السلطان
واقرت عليه بالزنا واتفق في هذه السنه انه وقعت منه اشيا انكرت
عليه وحوقق عليها عند السلطان فظهر له ما اوجب ان سجنه في قاعه
بالقاهره مكرما الى الممات قيل انه امر باعدامه وقيل ان الصاحب بها الدين
اتفق مع الملك السعيد ابن السلطان في غيبه السلطان الى الشام وارسل
الى الشيخ من خنقه فكانت وفاته في هذه السنة ودفن بزاويته المذكوره
سامحه الله وقبره مقصود بالزياره والناس تتبرك به فالله يعلم بحاله
فان صح ما نسب اليه فقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا رايتم الرجل
يمشي على الما او يطير في الهوا فلا تغتروا به حتى تعرضوا امره على الكتاب
والسنة فان الكشوف تصدر من المومن ومن الكافر كما كان ابن صياد كما جا في
صحيح مسلم ومن البر والفاجر فمن لم يوافق حاله الشرع فليس بصالح سوا اكاشف ام لا والله اعلم

وفيها انتقد سعود حكام

وفي سنة اثنين وسبعين وستمايه اغار عسكر حلب على كينوك فقتلوا الرجال
الذين بها وسبوا الحريم وانتهى العسكر غازيه الى اطراف طرسوس وهذه كينوك
هي الحدث الحمرا وقد ذكرها ابو الطيب المتنبي في قصيدته هل الحدث الحمرا تعرف لونها
وكينوك بضم الكاف وسكون اليا التحتانيه وضم النون بعدها الواو الساكنه وفي
اخرها كاف وفيها توجه السلطان الملك الظاهر الى الشام وصحبته جماعه من
امرايه وكان قد حبس بعض امرا العرب يجلون فهرب ثم طلب الامان فقال
السلطان ما امنه حتى يعود الى محبسه ويضع قيده في رجليه كما كان ففعل ذلك
فعفا عنه السلطان حينيذ وبينما السلطان بالشام اذ بلغه عود الططر ايضا
وان ملكهم ابغا بن هلاون قد تحرك وانه قد وصل الى بغداد يتصيد بتلك البلاد
فقوي الخبر فكتب السلطان باستدعا بقيه العساكر المصريه ورسم بان جميع
من في مملكته ممن له فرس يركب للغزاة وان تخرج اهل كل قريه بالشام من
بينهم خياله على قدر حال اهل القريه ويقومون بكلفتهم ثم خرج السلطان
الى [?] فعند وصول العساكر من الديار المصريه اليها فانزلهم بها ورتب احوالهم
وعاد بهم الى دمشق وتاهبوا للجهاد وفيها وصل الى السلطان وهو بدمشق
امير من بعض نواب قلاع بلاد العراق فيما مرا على ملك الططر وكان قد كاتب
السلطان صاحب مصر فاطلع ملك الططر على امره فامسكوه فهرب وحضر الى
البيره ووصل الى خدمة صاحب مصر فانعم عليه واقطعه بالديار المصريه
وفيها بلغ السلطان ان ملك الكرج حضر مختفيا لزيارة قمامه بالقدس
الشريف فارصد له من يعرف حليته فامسكه من بين الزوار وهو وثلاثة
رجال من اعيان امرايه وسيروا الى السلطان وهو بدمشق فسجنه بقلعتها
على مال يفدي به نفسه ورجع السلطان الى القاهره في رجب مطمينا
وفيها في رمضان ختن السلطان ولده الملك المسعود نجم الدين خضر وعمل وليمه حافله
ولعب العسكر القبق وعمل كاتب السر محيي الدين ابن عبد الظاهر يهنيه ابياتا منها

يا مالك الدنيا ومن بعزمه الدين نصر ... هنيت بالعيد وما على الهنا اقتصر
لكنها بشارة لها الوجود مفتخر ... بفرحة قد جمعت ما بين موسى والخضر

وفيها في رمضان سير السلطان ولده الملك السعيد بركة خان الى الشام ايضا
صحبه الامير اقسنقر صاحب المدرسه الفارقانيه فوصل دمشق بغتة ولم
يدر نايب السلطنه بها الا وهو بينهم في سوق الخيل ثم سار منها الى صفد
والشقيف ثم عاد الى مصر سريعا وفيها كان الطاعون بالديار المصريه كلها
فهلك فيه خلق كثير اكثرهم من النسا والاطفال وفيها كمل بنا الجامع الذي
بناه السلطان بدير الطين ظاهر القاهره وصار الان يعرف بجامع راشده

ثم حصل من الططر هجوم الى البلاد ثم اشتغلوا [?]
ثم جرى بينهم الاختلاف وبسببه شغلهم [?]

وفيها ظهر بمدينة تستر شاب ادعى انه عيسى بن مريم النبي عليه السلام
وقد صدقه في ذلك جماعة من جهلة اهل تلك الناحية وقد اسقط عنهم من
الفرايض صلاة العصر وعشا الآخرة فاطلع الحاكم ببغداد على قضيته فامر
بقتله فقتل بين يديه ونهب اتباعه وفيها تحارب ملوك اهل المغرب
وفيها مات الشيخ جلال الدين محمد بن محمد بن محمد القونوي الصوفي المشهور بالطريقة المنكرة
كان قد حصل له حال وساح في البلاد واشتغل بالاشعار غالبها بالفارسية وغيرها
وصنف كتابا سماه المثنوي فيه كثير مما ينكره الشرع ويرده السنة الطاهرة
وضلت بسببه طايفة كثيرة ولا سيما اهل الروم وقد نقل عنهم من الطرايق
في حق جلال الدين المذكور ومن تعظيمهم كتابه المذكور مما يودي الى تكفيرهم وخروجهم
عن الشرع المحمدي والدين المتين واقبرة بقونية وبنيت عليه تربة عظيمة
واتباعه يعملون فيها من الضلال ما لا يوصف ولا يسوغ في الشريعة المحمدية
وذلك مستمر الى الآن قال قاضي القضاة العلامة بدر الدين العيني في تاريخه
ولقد سمعت انهم يجتمعون في تربته كل يوم جمعة ويرقصون وينشدون
من اشعار كتاب المثنوي المذكور ثم يسجد بعضهم الى القبر وانهم يقدمون
المثنوي على القران العظيم وانهم يقراون اخر سورة البقرة فاذا وصلوا
الى قوله تعالى انت مولانا يشيرون باصابعهم الى القبر الى غير ذلك من القبايح
عليهم ما يستحقون من الله تعالى وفي سنة ثلاث وسبعين وستماية
اطلع السلطان على ثلاثة عشر اميرا من المصرية قد كاتبوا الططر فامسكهم
فاقروا بذلك واسترجع كتبهم مع البريد فكان اخر العهد بهم ثم سافر
السلطان على الهجن الى الكرك من طريق البرية فبلغه ان الرجالة الذين بها
تامروا فمسكهم وقطع ايديهم وارجلهم فاقام بالكرك نصف شهر وعاد
ثم توجه السلطان الى العباسة وصحبته ولده الملك السعيد ورمى البندق
وصرع ولده طيرا من طريق الواجب وفيها تحيل السلطان على استخلاص
رئيسا الشواني واستخراجهم من الفرنج الذي قد ذكرنا انه لما انكسرت الشواني
بقبرص واسرت جيهم رئيساها ارسلهم الى عكا فاعتقلوا بها في قلعتها
فبذل السلطان لهم مالا في اطلاقهم فتوقفوا وتغالوا فيهم فتحيل السلطان
واستمال الموكلين بحفظهم ولم يزل يتلطف في امرهم حتى سرقوا من
محبسهم وخرجوا في مركب معد لهم وكانت لهم خيل معدة في البر فركبوها
ولم يعلم بهم الا وقد وصلوا الى الديار المصرية وهم ستة رجال فكان السلطان مما قبل
ولكم بلغت تحيلاته ما ليس يبلغ بالسيوف وفيها ورد كتاب ملك الحبشة
يطلب من السلطان بطركا من بطرك الاسكندرية فاجابه السلطان الى ذلك وارسله

وفيها توجه عسكر حلب

وفيها توجه عسكر حلب الى بلاد سيس واغاروا عليها وعلى مرعش وغيرها
وقلعوا ابواب ربضها وتبع هذه الغارة خروج السلطان اليها وانا اخبة عليها
وفيها خرج السلطان من الديار المصرية في شعبان ووصل الى دمشق في سلخه وجهز
الجاليش صحبته الامير قلاوون وعنه فساروا واستروا عنيفا فوصلوا الى
المصيصة على غفلة من الارمن فهجمت العساكر عليها عند فتوح ابوابها بكرة
فملكوها وقتلوا اخربها وملكوا الجسر وكان السلطان قد جهز المراكب وحملها
صحبته على الجمال البيعدة وافيها نهر جيحان والنهر الاسود فلم تحتج اليها ووصل
السلطان على الاثر وجهز اميرا ومعه امير العرب مهنى بن عيسى يهنا الى البيرة
ودخل السلطان سيس مطلبا في العساكر وامر بتخريبها ووصلت دربند الروم
ووصلت بعوثه الى اياس والبرس واذنه وقتلوا وغنموا ولما عاد الى
المصيصة راجعا من الدربند امر باحراق جانبيها فاحرقت وتحكمت
عساكره في كلما خرب ثم خرج الى مرج انطاكية فاقام به وجمع الغنايم في مكان
واحد من الخيل والجواري والمماليك والمواشي وغيرها فقسمها بنفسه على
العساكر فلم تفت صاحب علم ولا رب قلم واراح العساكر شهرا ثم رحل الى
القصير فنازله وهذا الحصن كان لبابا رومية وكان مضرة على القوعة
وجهاتها وكان اهله عند فتح انطاكية سالوا الهدنة فاجيبوا اليها
فما وقفوا عندها فرتب عسكر الحصار فسلمه اهله ورحلوا الى
الجهات التي قصدوا واما العسكر والعربان الذين توجهوا نحو البيرة
فانهم وصلوا راس العين ونهبوا وغنموا ما وجدوا ثم عاد السلطان بعساكره
الى دمشق حتى خرجت السنة فاتفق هلاك صاحب طرابلس الفرنجي
ووصل ابن عمه صاحب قبرص اليها معزيا لولده وسالوا السلطان
ارسال بعض امرايه ليقرر واصعه الاتفاق فارسل اليهم اميرا دوادار
فقرر عليهم القيام بعشرين الف دينار صورية واطلاق عشرين اسيرا
وكان جد صاحب طرابلس نايبا للبنت صنجيل الذي استولى على طرابلس
من صاحبها القاضي ابن عمار في حدود الخمسماية كما تقدم وكانت المراة مقيمة
ببعض جزاير البحر فتغلب هو على طرابلس لبعدها عنه ثم استقل بها
ايضا ولده ثم حفيده هذا المذكور وكان قد قدم الى بعلبك حاملا على ملك
الططر لما استولوا على الشام وطلب منهم بعلبك فنسي ذلك على المسلمين ولم يتم
ولما هلك في هذه السنة كما ذكرنا دفن بكنيسة طرابلس فلما فتحت طرابلس
بعد خمس عشرة سنة من ذلك كما سنذكره نبشه المسلمون من قبره والقوا
عظامه على المزابل للكلاب واسمه الابرنس واليه تنسب القناطر المشهورة

وفيها ثار على اهل الموصل رمل عم الافق وخرجوا من دورهم يبتهلون الى الله تعالى
حتى كشف عنهم وقريب من ذلك وقع ايضا في بلاد حلب وطرابلس والقاهرة سنذكره
وفي سنة اربع وسبعين وستمايه والسلطان الملك الظاهر مقيم بدمشق
فارسل بيليك الخازندار لاحضار ولده الملك السعيد من الديار المصرية بعسكره
فحضر اليه مسرعا وبلغه ان الططر نزلوا على البيرة في ثلاثين الف فارس
المقاتلة خمسة عشر الفا من المغول وخمسة عشر الفا من الروم والمقدم
على الجميع الامير البرواناه النايب على مملكة الروم بامر ابغا ملك الططر
ومعهم ايضا جيش الموصل وجيش ماردين والاكراد وحاصروا البيرة
ونصبوا عليها اربعة وعشرين منجنيقا فخرج اهل البيرة في الليل فكبسوا
اطراف الططر واحرقوا المنجنيقات ونهبوا اشيا كثيرا ورجعوا الى حصنهم
سالمين فاقام الططر عليها مدة قريب شهر ثم رجعوا عنها بغيظهم خايبين
بعد ان كانوا قد صدقوا الاخذ ثارهم مما جرى عليهم من البيرة ايضا كما تقدم ذكره
وكان رجوعهم عن البيرة لسبب نذكره ولما بلغ السلطان هجومهم انفق في
العساكر نفقة كاملة مبلغها ستمايه الف دينار وسرك سريعا وفي
صحبته ولده الملك السعيد فلما وصل الى القطيفة بلغه ان الططر سمعوا
بحركته فوهنوا ورجعوا عن البيرة فاتم السلطان مسيره الى حمص وحلب وعينتاب
لتطمين اهل البلاد ثم عاد الى الديار المصرية في منتصف رجب فوجد بها خمسة وعشرين
رسولا من جهة الملوك ينتظرونه فتلقوه وقبلوا الارض بين يديه وكان
السبب في عود الططر عن البيرة ان البرواناه نايبهم على مملكة الروم مسلم
وكان قد ضجر من حكم الكفار فمال الى جانب صاحب مصر الملك الظاهر فكاتبه
يعرفه انه على طاعته ومناصرته ويحسن له القدوم الى اخذ الروم
فعاد جواب السلطان اليه معتذرا بقلة المياه في هذه السنة وبعد
التوجه في السنة القابلة فبلغ هذا الخبر للططر فجردوا اميرا باربعمايه
فارس ليحفظوا الطرقات على قصاد البرواناه المذكور ويحضروهم لملكهم
فامسكوا القصاد واحضروهم اليه فوقف على الكتب فوجد مضمونها
انكم تطمعون الططر حتى نحضر بالعساكر فتكونوا من وراهم ونحن
من قدامهم فناخذهم فلما وقف ملك الططر ابغا بن هلاون على المكاتبات ارسل
يعتب على البرواناه ويستدعيه الى الحضور فعلم البرواناه انه انما يطلبه
ليهلكه فكرر المكاتبات الى السلطان صاحب مصر يستحثه على الوصول اليه
بعساكره وتقاعد عند ذلك عن الحضور الى ابغا ملك الططر ولما تكرر رسل
ابغا الى البرواناه بانه يسير اليه اعتذر بانه مشغول فارسل اليه ابغا انك ان كنت قد

خامرت حقا والا فلتحضر فسار من قيسارية وتوجه يقدم رجلا ويوخر اخرى
وجرد جيش الروم الى ابلستين فخرجوا من قيسارية وحضر امرا الروم الى ابلستين
في هذه السنة وكان وصولهم اليها في صفر من السنة التي تليها وهم سبعة من اكابرهم وبعض
كبيرهم الامير معين الدين سليمان البرواناه المذكور ينتظر ما يتجدد من الخبر
من جهة السلطان صاحب مصر من اخبار وصوله الى ممالك الروم ليعودوا اليها
ثم ارسل البرواناه يستدعي طرنطاي صاحب اماصية فتوجه اليه فقال له انت
تعلم انني لست اختار القدوم على ابغا ملك الططر ولا يسعني التاخر عنه الا بسبب
مانع عن المسير فاذا عدت من عندي تتفق مع الامرا وتكون كتبكم متواترة الي
بان صاحب مصر قد قصد بلاد الروم وتحرضوني على الرجعة وتحثوني على
السرعة فتوجه البرواناه الى مخيمه ولما رجع صاحب اماصية الى
قيسارية رجع عسكر الروم الذين كانوا بابلستين اليها ايضا ولم يتاخر منهم
بها سوى صاحبها ابي بكر جندر بك واعتمد تلك الامرا ما اشار به اميرهم
البرواناه فكاتبوه على مكاتبات بان صاحب مصر قاصد بلاد الروم
بعساكره وانك ان لم تسرع العودة الينا والا اخذ البلاد الروم من ايدينا
فارسل البرواناه كتبهم الى ابغا ملك الططر فاعطاه دستورا ليعود الى الروم
وجرد ثلاثين الف فارس اعيان المغل الى الروم ايضا ليكونوا امدادا له وفي اثنا
ذلك اختلف الامرا الروميون فيما بينهم وقتل اثنان منهم وتخالف بعضهم
على طاعة صاحب مصر والانحياز اليه وبرزوا اخبامهم وسيروا رسلا
اليه يخبرونه بخروجهم لقصد نصرته واتفاقهم على طاعته فحضر هولا الامرا
الى عينتاب ثم اجتمعوا بالسلطان صاحب مصر وسالوه ان يجهز معهم ايضا
عسكرا ليحضروا اليه صاحب الروم وبقية امراييه فجرد صاحب مصر معهم امرا
فبعد عودهم من عند صاحب مصر وصل البرواناه نايب الروم الى قيسارية
وصحبته مقدام الططر بعساكرهم فحالوا بينهم وبين مقصدهم فرجعوا الى
صاحب مصر من النهر الازرق فجهزهم وحريمهم الى الديار المصرية واقام البرواناه
بقيسارية الى انقضا هذه السنة وجهز جماعة من امرايه على الهرب الى الديار
المصرية واللحاق بصاحبها الملك الظاهر فحضروا في اول السنة التي تليها ثم عاد
السلطان الملك الظاهر الى الديار المصرية في منتصف رجب كما ذكرنا ثم جرى ما نذكره
وفيها وفد على الملك الظاهر شكندة بن عم داود ملك النوبة السودان
متظلما من ابن عمه المذكور واخبر الملك منه فجرد السلطان معه جيشا
بامبرين فوصلوا الى الدو وغاروا على قلعتها ونزلوا جزيرة ميكائيل
وهي راس جنادل النوبة فقتلوا واسروا وغنموا وكان بها قمر الدولة ابن

صاحب الخيل فآمنوه وقرروه على ولايته ثم وصلوا الى دنقلة والتقوا بالملك داود وعساكره فلقيهم في جمع من السودان واقتتلوا فانهزم السودان وقتل منهم جماعة كثيرة واسر منهم ما لا يقع عليه الحصر وقتل منهم الوف ولما انكسر ملكهم داود هرب وترك اخاه واخته وامه فاخذوا جميعهم اسرى واستمر هو في هربه الى الابواب وهي فوق بلاده فالتقاه صاحبها فقاتله وقتل ولده واكثر من كان معه وامسكه وارسله الى السلطان اسيرا فاعتقل بالقلعة الى ان مات في السجن فيما بعد ورتب الامرا المذكورون في مملكته ابن عمه شكندة عوضه وقرروا عليه في كل سنة قطيعة يؤديها وهي على كل راس دينار وثلاثة افيلة وثلاث زرافات وخمسة فهود ومائة اصهب جياد واربعمائة راس بقر وان يكون البلاد مشاطرة النصف منها للسلطان والنصف لعمارتها وحفظها وان يكون بلاد العلي وبلاد الجبل للسلطان خاصا لقربها من اسوان ويحمل ما يتحصل منها من التمر والقطن مع ما تقرر من القطيعة والجزية وهي دينار واحد من كل واحد من البالغين العقلا الى ابواب السلطان واستحلفوه على ذلك الايمان التي يحلفها النصارى وعادت العساكر الاسلامية بالغنائم والسبي فابيع بمائة الف درهم فضة وعشرة الاف واما هناك فكان كل راس يباع بثلاثة دراهم واما شكندة اخو داود ملك النوبة فانه لما اسر اسلم وحسن اسلامه ورتب في جملة المماليك السلطانية وقررت له ولولده جامكية وكان ولده محمدا وكان متدينا يكثر من تلاوة القران الى ان توفي وكان اول من غزا بلاد النوبة في الاسلام عبد الله بن ابي السرح الصحابي سنة احدى وثلثين في خلافة عثمان رضي الله عنه ثم في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان ثم غزاها يزيد بن ابي صفوان ثم غزاها ابو منصور من برقة في عام واحد ثم غزاها كافور الاخشيدي نائب مصر ثم غزاها ناصر الدولة بن حمدان في دولة العبيديين ثم غزاها شاهنشاه بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين يوسف كما ذكرنا ثم هذه

وفيها في اواخرها ركب السلطان خفية بعد ان زوج ولده بابنة الامير قلاوون وتوجه الى الكرك على الهجن في جماعة قليلة على طريق البرية تحت جبل يعرف بنقب الرباعي فلما وصلها جمع رجالها وعسكرها من الاكراد القيمرية وعدادهم ستمائة نفر فامر بشنقهم فشفع فيهم فاطلقهم ونفاهم لما بلغه عنهم انهم يريدون قتل نائبهم ويقيمون ملكا عليهم وانقضت السنة والسلطان هناك ثم سافر منها الى دمشق لما سنذكره وفيها وجد رجل وامراة في حمام في نهار رمضان على فاحشة ببغداد فرجما ولم يرجم بها قبلهما احد منذ بنيت وهذا غريب جدا وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد اخلاط وديار بكر وهدمت منها شيا كثيرا من الدور والاسواق والخانات وغيرها اللهم احسن العاقبة

وفي خمس وسبعين وستماية

وفي سنة خمس وسبعين وستمائة كان وصول السلطان الملك الظاهر من الكرك الى دمشق كما ذكرنا فبلغه قدوم الامرا الروميين المهاجرين الى ابوابه فتوجهوا الى جهة حلب فورد عليه منهم نحو العشرين اميرا من امرا الروم باولادهم واهليهم ومنهم من امرا الططر ايضا فاحسن السلطان اليهم وجهز حريمهم واولادهم الى الديار المصرية واجرى عليهم الارزاق وكان منهم صاحب ابلستين الامير سيف الدين ابو بكر بن جندر بك ومعه ولده الامير حسين صاحب الجامع وبلغ السلطان ان الططر وصلوا الى كوك صو وهو النهر الازرق ثم ان السلطان كانت له ضرورات ومهمات اكيدة عاد بسببها الى الديار المصرية سريعا وعمل وليمة عرس ولده الملك السعيد على بنت نائبه الامير قلاوون واحتفل به احتفالا زايدا وركب المماليك خمسة ايام في الميدان يلعبون ويتطاردون وهم يلبسون السلاح كاملا ويحمل بعضهم على بعض ورتب لهم لعب القبق فلعب السلطان بالميدان الاسود تحت القلعة ولبس السلطان جوشنا وخوذة وتقلد ترسا والبس فرسه العدة الكاملة وساق تحت القبق ورماه باليد اليسرى فاصابه واخطاه غيره باليمنى بغير لبس وغير ذلك وانعم على كل من اصابه من الامرا بفرس مسرجة ملجمة وزينته من الفضة ومن اصاب من المماليك خلع عليه ثم خلع على اصحاب المناصب فبلغ جملة ما خلع الف وخمسمائة خلعة بمصر وجاء من اسيمهم الى الشام بالخلع على اهلها ايضا وكان السماط عاما للوارد والشارد وصادف حضور رسل ملوك الارض فكان وقتا مشهودا ثم سافر السلطان في اواخر رمضان لغزاة الططر فدخل دمشق بالعساكر والجنود فاقام بها ثلاثة ايام ثم خرج منها الى حلب فاقام بها يوما ورسم لنائبها ان يخرج بعساكرها ليقيم على شط الفرات لحفظ المعابر ثم سار السلطان من حلب ولما وصل الى النهر الازرق تحرك من به من مقدمي عساكر الططر الذين اختارهم ملكهم ابغا للملك فجرد السلطان ايضا الجاليش ومقدمة العساكر صحبة الامير سنقر الاشقر فوقع في اثنا الطريق على الف فارس وقيل ثلاثة الاف من المغل الططر فانهزموا بين يديه حتى لحقوا الدايرة عليهم

ذكر وقعة ابلستين

وفتح قيسارية الروم ثم ان السلطان الملك الظاهر قطع الدربند في نصف يوم وصعد مع العسكر الجبال فاشرفوا على صحرا الابلستين فراوا الططر قد رتبوا عساكرهم وكانوا احد عشر الف مقاتل وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم وكان الحاكم بالروم يومئذ الامير معين الدين سليمان البرواناه وكان يكاتب صاحب مصر من الباطن كما ذكرنا فلما وصل صاحب مصر الى الابلستين بعساكره

يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة

فلما تراءى الجمعان التقوا ووقع بينهم القتال فحملت ميسرة الططر فصدمت
سناجق السلطان ودخلت طايفة منهم فشقوها وساقت الى الميمنة
فلما راى السلطان ذلك اردف المسلمين بنفسه ومن معه ثم لاحت منه
التفاتة فراى الميسرة قد كادت ان تتحطم فامر جماعة من الامرا بارداقها
وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وصبر المسلمون صبرا عظيما فانزل الله نصره
على المسلمين وباسه على الملحدين فاحاطت بهم العساكر من كل جانب فقتلوا
منهم خلقا كثيرا واسروا منهم جماعة كثيرة وصاروا امرا بالممالك الاسلامية
منهم الامير قبجق والامير سلار وقتل من المسلمين ايضا جماعة واسر جماعة ايضا
من عسكر الروم منهم ابن البرواناه المذكور ومن اقاربه وصاحب سيواس
وصاحب سنوب وصاحب ملطية وصاحب كركر وقاضي قضاه الروم وهو
القاضي حسام الدين الحنفي الذي صار قاضي الديار المصرية وامرا يكثر عددهم فمما
منهم الامرا احسن اليه السلطان وانعم عليه واما البرواناه حاكم ممالك الروم
فانه نجا مع جماعة من عسكر الروم في طلب واحد مع عدة من اطلاب الططر
وكانوا اثني عشر طلبا فبادروا بالفرار والهزيمة وولى هو واصحابه مدبرين
ثم لما فرغ السلطان من هذه الوقعة سار الى قيسارية واستولى عليها واخذ
اكابرها معه وتوجه الى توقات ونزل قريب الكهف والرقيم وعبر
على خان قرطاي واقام السلطان على قيسارية سبعة ايام ينتظر حضور
البرواناه المذكور اليه فانه كان يظن انه يقدم عليه على ما كانا اتفقا عليه
في الباطن فارسل اليه مملوكا له كان مع ولده وكتب اليه كتابا على يده يحثه
على الحضور ليقرر معه قاعدة ينتظم بها مصالح المسلمين لدفع اعدائهم من الدين
فابى البرواناه عن الحضور لما اراد الله من هلاكه بيد الططر كما سنذكره
فلما ايس السلطان من امره رحل عن قيسارية عايدا بعد ان خطب له
بها ورتب له فيها نايبا وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاد الاقوات
والعليق حتى عدمت غالب خيولهم وكتب الى اولاد قرمان
يحرضهم على الحضور اليه ايضا ولما رحل السلطان من قيسارية في اواخر ذي القعدة
الى الصحرا قريب بازار بلو ومنها الى مرج حارم وصحبته جماعة الروم
واقام السلطان بمرج حارم شهرا ثم رحل عند انقضا السنة الى دمشق
ولما بلغ خبر هذه الوقعة الى ابغا ملك الططر جا بنفسه حتى شاهد مكان
المعركة ومن فيها من قتلى المغول فاغتم لذلك وعظم عليه وحنق على البرواناه
نايبه بالروم اذ لم يعلمه بجلية الحال وكان البرواناه قد تلقاه وسار في
خدمته واتفق في ذلك الوقت ان شخصا هرب من عسكر صاحب مصر وتوجه الى

لان السلطان كان قد ضرب

لان السلطان كان قد ضربه فوجد في نفسه وتوجه مقفرا الى ملك الططر ابغا
فاطلعه على امر البرواناه وانه كان الباعث لصاحب مصر على هجوم ممالك الروم
بتكرار كتبه وتواتر رسله فوجد ابغا على البرواناه ولما راى القتلى جميعا
من عسكر الططر وليس فيهم من عسكر الروميين احد تحقق مخامرة البرواناه
وتخاذل عسكر الروم فاستشاط غضبا فامر بنهب بلاد الروم من قيسارية
الى ارزنكان وقتل المسلمين الذين بها فخاضت عساكر الططر في بلاد الروم
تنهب وتهتك وتقتل فقتلوا من المسلمين خلقا لا يحصون كثرة خصوصا العلما
ولم يتعرضوا الى اهل الذمة من اليهود والنصارى في تلك البلاد على عادتهم وامتد
غاراتهم مسافة سبعة ايام ورسم ملك الططر على البرواناه نايبه على الروم
واستصحبه معه هو وبقية اكابر الدولة من الوزرا حتى تسلم من نوابهم بقية قلاع
الروم الى اخرها من قلعة كغونية وارزنكان وكماخ وبابرت وخرج منها شيخ
وقال اريد من القان الامان لا تكلم بين يديه كلمتين فقال له ملك الططر قل ولك
الامان فقال يا ملك البسيطة عدو لك حضر الى بلادك يعني صاحب مصر وما
تعرض للرعية ولا اسال لهم محجمة دم وانت وجدت العدو وجبت في
طلبه فلما فاتك انحنت على رعيتك فقتلتهم ونهبت بلادهم وخربتها فمن هو
من الخانات الذين تقدموك من اسلافك سن هذه السنة واعتمد هذه
الياساق فاغتاظ ابغا ملك الططر لذلك وغضب على الامرا الذين اشاروا
عليه بنهب بلاد الروم فاهانهم واطلق كل من كان قد اخذ اسيرا من الروم
فكانت عدتهم اربعماية الف نفس ثم سار ملك الططر الى الاردو وقتل
البرواناه نايبه على الروم كما ذكرنا وقتل معه من خواصه قريب اربعين نفسا
والبرواناه لقب له ومعناه الحاجب بالعجمي واسمه الامير معين الدين سليمان بن
الخواجا مهذب الدين علي محمد حسن اصله من الديلم الى ان صار منه ما ذكرنا رحمه الله تعالى
وفي سنة ست وسبعين وستماية في يوم تاسوعا دخل السلطان الملك
الظاهر بيبرس دمشق بعد رجوعه من بلاد الروم وكسرة الططر على
الابلستين وفتحه قيسارية وخطب له بها في جوامعها السبعة ونهب بها
وغير ذلك حاشرجنابه فنزل بداخل دمشق بالقصر الابلق الذي بناه
غربي دمشق بين الميادين الخضر وتواترت الاخبار عليه ايضا
بان ابغا ملك الططر قد عزم على قصد الشام المحروس لاخذ ثار عساكره
فامر السلطان عند ذلك بجمع الامرا وضرب مشورة فاتفق مع الامرا على
ملاقاته حيث كان وتقدم بضرب الوطاق على القصير ثم جا الخبر بان ابغا
عاد الى بلاده فرسم السلطان برد الوطاق واقام بالقصر الابلق يجمع عنده
الامرا والدولة في اسر حال ثم لم يفرغ عليه الشهر حتى جاه الموت الذي ساوى بينه وبين غيره

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر ابو الفتح الاسد الضاري بيبرس
البندقداري الصالحي الايوبي كان القمر قد كسف في ذلك الشهر كسوفا كاملا
اظلم له الجو وتاول ذلك المنجمون بموت رجل جليل القدر نبيه الذكر
وشاع ذلك بين الناس فلما بلغ السلطان هذا الارجاف حذر على نفسه
وخاف فقصد ان يصرف التاويل الى غيره لعله يسلم من شره وكان بدمشق
شخص من اولاد الملوك الايوبية الاكراد يقال له الملك القاهر عبد الملك
من اولاد الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب فاراد السلطان
قتله لما ذكرناه فاحضره في مجلس شرب فامر الساقي ان يسقيه كاسا من خمر
كان ممزوجا بسم فسقاه الساقي ذلك الكاس فاحس منه بالباس فخرج
من المقام وقد علقت به مخاليب الحمام وغلط الساقي لاصابة المقدور
وملا على اثر الكاس المذكور وادار والدايرات تدور فوقع في نوبة
السلطان فشربه ولم يشعر لسكره حتى احس بالنيران فكتم امره من الاطبا
واخفى حاله من الاحبا ومكث اياما يشكوا في الليل والنهار من توقد وهج
النار ثم اضطر الى اطلاع الطبيب بعد استحكام دايه طمعا منه في دوايه
فلم ينجع العلاج فيه من جزا بما اراده من قبيح فعله واما القاهر الذي ذكرناه
فانه حمل الى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته وتمرض السلطان بعده اياما
يقاسي سكرات الموت حتى كانت وفاته في اخر يوم من المحرم من هذه السنة
بالقصر الابلق فكان ذلك يوما مشفقا على امرايه وبلغ عمره قريب الستين سنه
فكانت مدة ملكه سبعة عشر سنة وشهرين وعشر ايام لانه ملك في
سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمايه الى هذه الغاية وخلف ثلاثة
بنين وثلاث بنات ولما مات كتم مملوكه ونايبه بدر الدين بيليك الخازندار
موته وحضر نايبه بدمشق عز الدين ايدمر وكبار الامرا والدولة فحملوا على
سرا ووضعوه في تابوت وصبروه ورفعوه الى القلعة في بيت من بيوت
مماليكه الى ان كملت تربته بدمشق فنقل اليها في رجب ولما كتموا موته لم يعلم جمهور
الناس الى بعد شهرين وارحل مملوكه بيليك المذكور بالعساكر الى الديار المصرية
ومعهم المحفة مظهرا ان السلطان متمرض فيها ورتب حضور الاطبا وعمل
الادويه والاشربه على العادة وسافروا ولا يجسر احد ينطق بموته
فوصلوا القاهرة فاشيع موته وكان السلطان في حياته قد حلف العساكر
لولده الملك السعيد محمد بركه خان وجعله ولي عهده فلما وصلت العساكر
اليه استقر عوض ابيه وجددت البيعة له مصرا وشاما ولما ظهر موت
السلطان حزن الناس عليه وترحموا وكان يوما شديدا وجات التقاليد
للنواب بالممالك من ابنه وكان يحكم بها وجرد بنفسه نحو ثلاثين سفرة الى الشام

وخلف من الاولاد

وخلف من الاولاد الملك السعيد ناصر الدين محمد بركه خان والملك المسعود نجم الدين
خضر والملك العادل بدر الدين سلامش وثلاث بنات وكان شهما
شجاعا سخيا على مماليكه عالي الهمة بعيد الغور مقداما جسورا معتنيا
بامر السلطنة متخليا لها له قصد صالح في نصرة الاسلام واهله واقامة
شعار الملك وجمع بين ملك الديار المصريه والبلاد الشاميه كما قدمنا ذكره
واكثر من الفتوحات وارسل جيشا فاستولوا على النوبه وفتح في ايامه
الفتوحات الجليلة الكثيرة مثل قيسارية وارسوف ويافا والشقيف
وصفد وانطاكيه وبغراس وسبيس وطبريه والقصير وبلاطنس
وحصن الاكراد وحصن عكار وحصن عكا والقرين وصافيتا وغير ذلك
من الحصون المنيعة التي بايدي الفرنج والمرقب وصهيون ومصياف
ولم يبق مع الاسماعيلية شيا من الحصون وناصف الفرنج على المرقب وبانياس
وبلاد انطرسوس وسائر ما بقي بايديهم من البلاد والحصون وفتح قيسارية
من بلاد الروم على ما ذكرنا وكسر التتار على ابلستين وقتل اكابرهم
واستعاد من صاحب سبيس بلادا كثيرة ايضا واسترد من ايدي
المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى وحمص وصرخد وعجلون والصلت
وتدمر والرحبه وتل باشر والكرك والشوبك وغيرها وفتح بلاد النوبه
بكمالها واخذ بلادا كثيرة من التتار منها شيزر والبيرة واتسعت
مملكته من الفرات الى اقصى بلاد النوبة فكان اول فتوحاته قيسارية
الشام بالسواحل واخر فتوحاته قيسارية الروم واما عدة فتوحاته
فكانت تزيد على اربعين حصنا وكان بنى ايضا بمصر والشام نحو
الخمسين قلعة وكان ملكا جليلا شجاعا مهيبا حسن السياسة كثير
التخيل وكان عسوفا جبارا كثير المصادرات للدواوين والمدركين
خصوصا لاهل دمشق واصله مملوك قفجاقي الجنس وقيل برجغلي
وكان اسمر ازرق العينين جهوري الصوت حضر هو ومملوك اخر
مع تاجر الى حماه فاستحضرهما صاحبها المنصور محمد ليشتريهما فلم
يعجبه واحد منهما وكان ايدكين البندقدار الصالحي مملوك الملك
الصالح ايوب صاحب مصر قد غضب عليه الصالح المذكور فتوجه
الى جهة حماه فارسل السلطان من قبض عليه وحبسه بقلعة حماه
فتركه صاحبها في جامع القلعة واتفق ذلك عند حضور بيبرس المذكور
صحبة التاجر فلما قلبه صاحب حماه ليشتريه فلم يعجبه ارسل ايدكين
البندقدار المذكور وهو محبوس فاشتراه وبقي عنده ثم افرج عنه

السلطان الصالح فسار من حماه ومعه مملوكه بيبرس المذكور فبقي مع استاذه
البندقدار المذكور مده ثم اخذه الملك الصالح من البندقدار فنسب
بيبرس الى الملك الصالح دون استاذه الاول وكان يخطب له وينقش
على الدنانير والدراهم الظاهر بيبرس الصالحي وعاش استاذه البندقدار
الى ان تسلطن هو فجعله نايبه بالشام ثم نقله وعاش ايضا الى بعد موته
قريب العشرين سنه وله المدرسه بالقاهره البندقداريه قريب الصليبه
وقد عمر الملك الظاهر المذكور شيا كثيرا من الحصون والمعاقل والجسور
على الانهار وبنى دار الذهب بقلعة الجبل وبنى قبه على اثنى عشر عمودا
ملونه مذهبه وصور فيها صور خاصكيته واشكالهم وحفر انهارا كبارا
وخليجات ببلاد مصر منها بحر السردوس وبنى قناطر بني منجا وبنى جوامع
كثيره ومشاهد عديده وجدد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حريقه
ووضع فيه الدرابزينات حول الحجره الشريفه على ساكنها افضل الصلاه والسلام
وعمل فيه منبرا وسقفه بالمذهب وجدد المارستان بالمدينه النبويه ايضا
وجدد قبر الخليل عليه السلام وزاد في رواتبه ومصارفه وبنى قبه على قبر موسى
عليه السلام وجدد بالقدس اشيا حسنه ورمم شعث الصخره وبنى قبه السلسله
وبنى فيه خانا هايلا سبيلا ووقف على وجوه البر ونقل اليه باب قصر العبيديين
وبنى على قبر ابي عبيده بالقرب من عمتا مشهدا وعمر جرد اميه وجدد عمارة
قبر جعفر الطيار بالكرك وجدد قلعه صفد وجامعها وجدد جامع الرمله
وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد عدت عليها وبنى بحلب دارا هايله
وبدمشق القصر الابلق والمدرسه الظاهريه وقبره بها وبالقاهره ايضا المدرسه
الظاهريه وجامع الحسينيه وله من الاثار والماثر ما لم يبن في زمن الخلفا
وبني ايوب ووقف على وجوه الصدقه والبر اشيا في المواضع المتعدده
واستخدم جيوشا كثيره وورد اليه نحو من ثلاثة الاف من التطر فاقطعهم
واكثر كبرا منهم وكذلك من الروم وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك عسكره
وهو الذي انشا الدوله الخلافه العباسيه بالديار المصريه بعد انقطاعها من بغداد
وبقا المسلمين بلا خليفه اربعه سنين وهو الذي جدد من كل مذهب قاضيا مستقلا
وكان متيقظا بنفسه ساعيا لا يصحو ليلا ولا نهارا من مجاهدته الاعدا ونصرة
الاسلام وقد جمع له كاتب سره القاضي محي الدين عبد الظاهر سيره
مطوله في مجلد كبير وكذلك عز الدين محمد بن علي ابراهيم بن شداد ايضا وكان وزيره
الصاحب بها الدين علي بن محمد سليم بن حنا ورثاه ابن عبد الظاهر بقصيده منها قوله

يا ظاهرا قلع القلاع فاصبحت ۝ سكانها ولها الحصون جبام ۝
هذا الذي قهر التتار فاصبحوا ۝ ولهم اذا ناح الحمام حمام ۝

السلطان الخامس بمصر

الثامن [illegible]

السلطان الخامس بمصر من ملوك دولة الترك ۝

هو السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركه قان ابن الملك الظاهر بيبرس
البندقداري استقر في السلطنه بعد وفاة والده في ربيع الاول من هذه السنه
وعمره يوميذ قريب العشرين سنه واستمر الامير بيليك الخزندار في نيابه السلطنه على ما
كان عليه فلم تطل مدته ومات عن قرب وعوضه في النيابه سنقر الفارقاني استاد الدار
وكان حادا وضم اليه اقواما ثم ان السلطان الملك السعيد خبط في دولته واراد تقديم الاصاغر
وابعاد الامرا الاكابر فامسك منهم اميرين سنقر الاشقر وبيسري وهما من اكبر
امرا والده وكانا جناحيه ففسدت نيات الامرا عليه وبقي الامر كذلك الى ان خرجت
السنه فلما اختلفت عليه اكابر الامرا دخل خال السلطان الى اخته ام السلطان وقال لها
ان ولدك قد اسا التدبير وامسك مثل هولا الامرا وعول على الصغار النافصي الارا
والمصلحه ان ترديه الى الصواب لبلا يفسد نظامه ويخرج الملك عنه فبلغ السلطان
كلام خاله فغضب وحبسه فقامت والدته عليه وحذرته حتى افرج عن الامرا
المحبوسين وقد تمكنت العداوه في قلوبهم فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم في شي
يفعلونه معه فاجتمعوا وطلعوا الى السلطان في مماليكهم والزامهم ومن انضم اليهم
من العسكر فامتلا بهم الايوان والرحبه وارسلوا اليه يقولون انك قد افسدت
الخواطر وغيرت علينا الضماير فما لم ترجع عن ذلك والا كان لنا ولك شان
فلاطفهم السلطان واخذ خواطرهم وتقرر الصلح وسكن نايرة الشر وحلفوا كلهم
فرضي الامرا بذلك وانصرفوا واستقر الحال قليلا ثم ان الخاصكيه حركوا اسا كنا ايضا
وحصل خباط كثير وتقدم شخص من المماليك وغلب على السلطان وضم اليه جماعه من الخاصكيه
واستمالهم بالخشداشيه واخذ لهم الاقطاعات فكان كلما انحل اقطاع كبير اخذه
لمن يختار وينافس الاكابر في ذلك ففسد الحال اكثر مما كان ودبت بينهم عقارب
الشرور وبقوا احزابا فكان هذا الاختلاف موجب لتغير الدوله كما سنذكره
فكانوا كما قيل كن القايم وما الوفا لهم ۝ تقوى وبالتقوى تكون الوفا ۝
ان السهام اذا انفردن فكسرها ۝ سهل وتصعب ان جمعن الوفا ۝

وفيها عم النيل البلاد ورخصت الغلات رخصا لم ير مثله في الدولة التركية
حتى بيع القمح بخمسة دراهم الاردب والشعير بثلاثه دراهم والحبوب بدرهمين
حتى حكى بعض التجار انه احضر الى مصر بلتمايه اردب فول فابيعت بخمسين
درهم نقره فاصرف منها اجرة المركب والكلف التي عليها وبقي له خمسه وثمانون
درهما وفيها في رمضان طلعت سحابه عظيمه بمدينه صفد لمع منها برق شديد
وسطع منها لعسان نار وسمع صوت شديد هايل ووقع على منارة صفد
صاعقه شقتها من اعلاها الى اسفلها شقا يدخل فيه الكف وفيها وصلت

الهدايا من القنش ملك الفرنج مع رسله الى الديار المصريه وفيها كان حروب شديده بين
ملوك المغرب بالاندلس وبين الفرنج فكانت الكسرة على الفرنج فجمع المسلمون
روسهم وجعلوها تلاً فبلغت اربعة وعشرين الف راس وصعد الموذن
عليها واقام الاذان فوقها وفي سنه سبع وسبعين وستمايه
سافر السلطان الملك السعيد الى الشام واسقط عن اهل دمشق المكس الذي
كان ابوه قد احدثه على بساتينهم فاحبوه ودعوا له وبني لوالده تربة بدار
كانت تعرف بدار العقيقي دار الامير نجم الدين ايوب اصل بني ايوب الملوك الاكراد
ثم ان السلطان جرد العساكر وفرقهم فرقة صحبة الامير البيسري الى جهة قلعة الروم
وفرقه صحبة الامير قلاوون الالفي وصاحب حماه الى بلاد سيس وسير معه
خزانة برسم نفقات العساكر فانفق فيهم بحلب ثم ساروا الى سيس
وسار البيسري الى قلعة الروم وكان القصد بتفريقهم التمكن من التدبير
عليهم فلما ابعدوهم الى هذه الجهات وفرقوهم بحجة الغارات قرروا مع السلطان
القبض عليهم عند عودهم واخذ اقطاعاتهم وموجودهم وعينوا اقطاع كل
واحد لواحد منهم هذا والامير نايب السلطان مطلع عليهم فلما انقضت العوده
من الغارة على بلاد سيس وقلعة الروم واخذ الغنايم رجعوا الى دمشق واجتمع الامرا
بالمرج ليدخلوا دمشق بالاطلاب والترتيب على العادة فارسل نايب السلطنه
اليهم سراً فعرفهم بما اتفقت الخاصكيه عليه في امرهم فاستروا ذلك في انفسهم
فخرج نايب السلطنه لتلقيهم واعلمهم بالقضيه مشافهة فتحققوا الخبر لعلمهم
بميل السلطان الى اراء الصبيان فاقاموا بالمرج ولم يدخلوا دمشق الى
السلطان واتفقوا على خلافه وخلعه من السلطنه لسوء تدبيره فبعثوا يقولون
له ان شخص من الخاصكيه احتوى على امر السلطان انه قد غلب عليك في الامور
ونايب السلطنه شكى الينا منه شكاوى كثيره وانا مقيمون بالمرج ولابد
لنا من الكشف عنها فيسير السلطان الينا لنسمع كلام كل منهما وننصف
بينهما فلم يعبا السلطان بقولهم ولا ارسل اليهم الذي طلبوه وارسل الى الامرا الظاهريه
الذين معهم بان يفارقوهم ويعبروا دمشق وارسل الكتب اليهم مع قاصد فوقع
به اصحاب نايب السلطنه فاحضروه اليه فاحضره الى الامرا فوقفوا على ما
معه من الكتب فتحققوا سوء رايه فيهم فرحلوا من وقتهم ونزلوا على الجسورة
من جهة داريا واظهروا الامور الداله على الخلاف وبينوا للسلطان انه قد فرط
واسرف في سوء التدبير فبادر بارسال الامير سنقر الاشقر والامير الاستادار
الى عند الامرا المخالفين يستعطفهم ويطلب منهم الرجوع فابوا فعاد الاميران
بالجواب على السلطان فسير اليهم والدته تتخضع لهم فلم يسمعوا لها واستمروا سايرين

الى الديار المصريه

الى الديار المصريه فسارع السلطان وسبقهم وطلع الى قلعة القاهره وسنذكر ما وقع بينهم ايضا
وفي سنه ثمان وسبعين وستمايه اتفق فيها امور عجيبه وذلك انه وقع
الخلف بين الممالك كلها اختلفت الططر فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير
واختلفت الفرنج الذين في السواحل وقتل بعضهم بعضا وكذلك الفرنج الذين هم في
جزاير البحور اختلفوا واقتتلوا واقتتلت قبايل الاعراب بعضهم في بعض
قتالا شديدا وكذلك وقع بين العشير من الحوارنه بعضهم على بعض وقامت
الحرب بينهم على ساق وهكذا وقع الخلف بين العساكر المصريه الظاهريه كما ذكرنا
في العام الماضي ثم ان العساكر الخارجين عن طاعة السلطان الملك السعيد بركة
كما ذكرنا وصلوا الى الديار المصريه في ربيع الاول ونزلوا تحت الجبل الاحمر فاتصل
بالامرا المقيمين في القلعه خبر قدومهم وكان بها الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحي
وغيره فامروا والي القاهره بغلق ابوابها فاغلقت وبني خلف اكثرها حيطان
فراسلهم الامرا في فتح ابواب المدينه ليدخل العسكر الى بيوتهم ويتفقدوا احوال
اولادهم فان عهدهم بعيد بهم فنزل الامير عز الدين ايبك الافرم المذكور ومن معه
الى الامرا ليجتمعوا بهم ويطلعوا على احوالهم فبادروا بالقبض عليه ومن معه فارسلوا
الامرا ففتحوا ابواب القاهره ودخل الناس الى بيوتهم باثقالهم وحمل هولاء الامرا
المقبوض عليهم الى الدار السلطانيه التي كانت سكن الامير قلاوون فاعتقلوا بها
واما القلعه فانه كان بها الامير استادار الدار فاستوثق من ابواب القلعه
واغلقها فتقدم الامرا لحصارها منهم الامير بيسري والامير علا الدين ايدكين
البندقدار في جمع كثير واحاطوا بالقلعه ومنعوا من بها الما والزاد فبينما هم
على ذلك جرى ما نذكره واما السلطان الملك السعيد فانه لما راى نفار الامرا والعساكر
عنه ومسيرهم الى الديار المصريه دونه جمع من كان بدمشق من بقايا العساكر المصريه
ومن حوته من العساكر الشاميه واستدعى العربان ومن ينضم اليهم من الفرسان
وانفق فيهم بدمشق وخرج منها وسار الى الديار المصريه فلما وصل الى غزة
تسلل اكثر العربان وتفرقوا فلما وصل الى بلبيس لم يبق معه من العساكر
الا ضبابه لا ترجى بها اصابه وراى انه لا ينتفع بهم فاعطى الشاميين منهم
دستورا فعادوا من هناك صحبة نايب الشام ولما وصل المذكور دمشق
اجتمع اكابر الامرا الذين بدمشق وقبضوا عليه ثم ارسلوه الى الديار المصريه مقيدا
واما الملك السعيد فلم يبق في صحبته الا نفر يسير من مماليكه ومن الامرا الكبار غير
الامير سنقر الاشقر خاصه فلما وصلوا الى قريب المطريه فارقه واعتزل عنه
ولم يلم بالامرا بل اقام في مكان الى ان كان منهم ما كان وبلغ الامرا المخالفين المذكورين
رحيل السلطان عن بلبيس وقيل لهم انه يجي من خلف الجبل الاحمر ويطلع القلعه

ركبوا وتوجهوا الى الجبل الاحمر ليحولوا بينه وبين القلعة لئلا يستقر بها فتصير له
منعة ويتسع عند العساكر الشنعة وكان يوما قد ترادف سحابه وتراكم
ضبابه وحجب وجه الشمس نقابه فكان الانسان لا يبصر رفيقه
وهو يسايره ولا ينظر زميله وهو يسامره وكان ذلك لطفا من الله تعالى
بالمسلمين وحقنا لدمائهم فانه لو تراءى الجمعان ووقع العيان على العيان
لكان بينهم سفك دما كثير فاستتر السلطان الملك السعيد عن العيون
وطلع القلعة ففتح له مماليكه الابواب فبلغ ذلك الامرا فشدوا واغلبه بها
الحصار فوقع التشاجر بين الخاصكيه والاستادار الذي حفظ القلعة
كما ذكرناه واسمعوه غليظ الكلام ونسبوه الى التقصير وسوء التدبير فتوعر
خاطره وساءت ضمايره وترك القلعه ونزل الى الامرا مخامرا وتسلل
بعده مماليك السلطان واحدا بعد واحد وخامروا عليه وكان الامير سنجر
الحلبي معتقلا بالقلعة فاخرجه السلطان واستشاره في امره فقال الذي
لن تعطيني هولا المماليك الذين بقوا عندك فانزل بهم اليهم واهجم عليهم وافرق
شملهم فلم يوافقه السلطان على ذلك وتمادى الامر اسبوعا وهو محصور
فلما راى الملك السعيد ذلك ارسل الى الامرا انه مستعفيا فما اعتنوا واستمروا
على محاصرته فقال لهم انا اعطيكم جميع الشام فابوا الا خلع نفسه من السلطنة
فارسل الى الاميرين الكبيرين قلاوون والبيسري يطلب منهما الكرك
فاجابوه الى سواله وانزلوه من القلعه على حاله وخلعوه وحلفوا له انهم
لا يوذونه في نفسه ولا يغيرون عليه مغيرا وحلفوه انه لا يتطرق الى
غير الكرك ولا يكاتب احدا من النواب ولا يستميل الى جهته احدا من الجند
ولا من الاعراب الى غير ذلك من الشروط التي اشترطوها عليه وسفروه لوقته
صحبة جماعة من الامرا يوصلونه الى الكرك فوصلها وتسلمها من النايب الذي بها
وتسلم ما بها من الاموال والذخاير والغلال وكان خروجه من المملكه
في ربيع الاول من هذه السنة فكانت مدة سلطنته من حين وفاة ابيه
الملك الظاهر بيبرس سنتين وشهرا واياما واستمر في الكرك الى ما سنذكره
فطلع الامير قلاوون ومن معه من الامرا الى القلعه على الاثر وتصرف
في التدبير ونهى وامر ولم يسفك في هذه الحركة الا دم رجل واحد بسبب
اخر وهو انه كان بين اثنين من المماليك مشاجرة فضرب احدهما الاخر
فقتله ولم يجر شي سوى ذلك ولم يغن عن الملك السعيد كثرة ماله وكثرة
مماليك ابيه بل كانوا بالا عليه وكان انتقاض امره بارايهم الناقصة
وعزايمهم الناكثة الناكصة ثم انعقدت الارا على سلطنة اخيه سلامش كما نذكر

السلطان السادس من عصر

السلطان السادس بمصر من ملوك دولة الترك

هو اخو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش بن السلطان
الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولما جرى ما ذكرناه من خلع الملك السعيد
وارساله الى الكرك عرضت السلطنة على الامير الكبير قلاوون فقال له الامرا
الاكابر مثل البيسري وغيره انت اولى بتدبيرها واحق بتقلد امورها
فامتنع وقال انا لم اخلع الملك السعيد شرها الى المملكة ولا طمعا في السلطنة
لكن حفظا للنظام وانفة لجيوش الاسلام ان يتقدم عليهم الاصاغر ويضيعوا
مصالح العساكر والاولى ان لا تخرج السلطنة من ذرية الملك الظاهر
فاقام ولده بدر الدين سلامش المذكور وله من العمر سبعة سنين وشهور
واجلس في السلطنة ولقب الملك العادل وخطب له وضربت السكة باسمه
وذلك عقب خلع اخيه في ربيع الاول من هذه السنة واستقر الامير الكبير قلاوون
في الاتابكية وهو المتصرف في المملكة على الحقيقة فعزل وولى وجهز الامير سنقر
الاشقر وجعله نايب السلطنة بالشام فان العسكر كانوا قد قبضوا على
نايب دمشق كما ذكرناه فتولى تدبير دمشق بعض من الامرا فلما قدم
الى دمشق سنقر الاشقر فوض الى المذكور نيابة السلطنة بحلب واستقر
الحال على ذلك مدة يسيرة ثم تغيرت الدولة واختلفت النواب كما نذكره قريبا
وكان ايضا قضاة الديار المصرية قد توقفوا في ثبوت قضية الملك السعيد
فعزلوا ثم لما انفرد قلاوون بتدبير المملكة تعلقت اطماعه بالاستقلال بالسلطنة
فخلع الملك العادل سلامش من السلطنة لصغره فكانت مدته مايه يوم
وسنذكر ما جرى له فانه صادف يوم عيد موت اخيه الملك السعيد بالكرك

السلطان السابع بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك المنصور قلاوون الالفي الصالحي النجمي الايوبي لما حكم قلاوون
تدبير الامور وسياسة الجمهور مدة اتابكيته اجتمع اكابر الامرا والاماثل
ذوي الارا على انه لا فايدة في بقا ذلك الصبي الصغير لانتشار الشنعة في البلاد
وامتهان الحرمة بين العباد ولان الراي استقلال الامير قلاوون بالسلطنة
فاجابهم لذلك ولقب بالملك المنصور وخلع الصغير وكان جلوسه في
الطالع الاسعد الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة وخطب له
وارسلت البيعة الى البلاد الشامية فوافق نوابها على ذلك وحلفوا له الا
نايب دمشق سنقر الاشقر فانه لم يحلف مع الناس ولم يرض بها ووقع وكان
داخله الحسد من قلاوون وضربت السكة باسمه وخطب له بمصر والشام
وجمع الوزارة الى كاتب السر بالديار المصرية مجد الدين ابن لقمان ولما تولى قلاوون

[illegible] وخليل بن قلاوون [illegible]

السلطنة دفع قدر عتقايه والزامه وصيرهم ولاة ونوابا وامر مماليكه في زمن امرته
كتبغا ولاجين وبيبرس وهولاء الثلاثه تسلطنوا بعد كما نذكره في محله
ومماليك اخرون صاروا اكابر الامرا وتولوا النيابات بالممالك والفتوحات
واما من ملك بعد السلطنة من المماليك المنصوريه فانهم انتهوا في اخر دولته الى
قريب السبعة الاف مملوك وغالبهم تامروا وافتتح دولته بابطال
مكس الدولبة وقد كانت اجحفت بالرعية فابطلها ومحى ارتفاعها من وجوه
الاملاك وكانت عبارة عن انه يوخذ من كل من عرف عنده مال زكاته ولو
هلك ماله او مات يوخذ من ورثته بالضرب والحبس الى غير ذلك من القبايح
ولما استقر في السلطنة افرج عن الامير عز الدين ايبك الافرم الصالحي ورتبه في نيابة
السلطنة فباشرها مدة يسيرة ثم استعفى منها فاعفي وعوضه بحسام طرنطاي
وفيها جرد السلطان الملك المنصور من الديار المصرية الى الشوبك اميرا بعسكر
لان الملك السعيد كان لما خلع قد شرط السلطان عليه شروطا انه لا يكاتب
احدا من النواب ولا يستفسد احدا من العساكر ومستحفظي القلاع واخذ
عليه بذلك الايمان والعهود فلما استقر بالكرك لعب بعقله من كان معه من
المماليك وحسنوا له ان يسيرهم لياخذوا الشوبك وبلاد الشام اولا واولا
ثم بعد ذلك يقصدون الديار المصرية فمال الى موافقتهم وحسنوا له ان
يكاتب النواب ويراسلهم ففعل ذلك فبلغ الملك المنصور ذلك فكاتبه
وعذله فلم يغن ذلك شيا وسير الامير [redacted] الى الشوبك فاقام فيها
وتغلب عليها فجرد السلطان اميرا بعسكر فنزل عليها بمن معه وضايق اهلها
فتسلمها في ذي القعدة منها ورتب فيها نايبا عز الدين ايبك الموصلي وعاد عنها

ذكر سلطنة سنقر الاشقر نايب الشام بها وما جرى له

لما كان اواخر ذي القعدة منها ركب نايب دمشق الامير سنقر الاشقر
من دار السعادة بعد عصر يوم الجمعه وبين يديه جماعة من الامرا والجند وهم
مشاة وقصد باب القلعة الذي يلي المدينة فهجم منه ودخلها واستدعى
بالامرا فبايعوه له وتسلطن وحلفهم ولقب بالملك الكامل
واقام بها ونادت المناديه بدمشق بذلك فلما اصبح استدعى بالقضاة
والاعيان والعلما ورؤسا البلد واكابر الدولة الى مسجد ابي الدردا بها
فحلفهم وحلف له بقية الامرا والعسكر وارسل العسكر الى غزة لحفظ الاطراف
واخذ الغلال واوهم امرا الشام واكابرها ان السلطان المنصور قلاوون
قد قتل على شرب القمز فاعتقدوا ذلك ثم ركب بشعار السلطنة مدة
وسنذكر سيرته وما ال اليه امره قريبا وخرجت هذه السنة على ذلك

ذكر وفاة السلطان

الملك السعيد ناصر الدين ابو المعالي محمد بركة خان
بن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي المتقدم قريبا
كان قد بايع له ابوه الامرا في حياته فلما توفي ابوه وفوا له بالعهد وبويع
بالملك وله قريب العشرين سنه ومشت الامور في اول الامر على السعاده
ثم انه غلبت عليه الخاصكيه فجعل يلعب معهم في الميدان الاخضر
فانكرت اكابر الامرا ذلك وانفوا ان يكون ملكهم يلعب مع الغلمان فراسلوه
ليرجع عن ذلك فلم يقبل فخلعوه كما ذكرنا وولوا اخاه الملك العادل سلامش قليلا
ثم خلعوه ايضا وولوا الملك المنصور قلاوون كما ذكرنا ثم كانت وفاة هذا الملك
السعيد بالكرك بعد وصوله اليها بمدة يسيرة في حادي والعشرين من ذي القعدة منها
وكان سبب موته انه لعب بالاكرة في ميدان الكرك فتقنطر به فرسه فمرض
اياما ومات وحمل الى دمشق فدفن في تربة ابيه الملك الظاهر ويقال انه سم
وكان قد دفن اولا عند قبر السيد جعفر الطيار رضي الله عنه واصحابه بموتة
ثم نقل كما ذكرنا سنة ثماني وستماية وهو مصبر في تابوت مدة فلما توفي السعيد
المذكور اتفق جماعته بالكرك واقاموا موضعه اخاه الثالث نجم الدين خضر
ولقب بالملك المسعود وشرع المماليك الذين حوله في سوء التدبير وفرط التقدير
فانفقوا ما بالكرك من الاموال واستخدموا على زعمهم الرجال طمعا في استرجاع
الغايب واستدراك الفارط هيهات وقد اراد الله تعالى نقض القواعد
الظاهرية باظهار الدولة المنصورية وتوجه منهم جماعة الى الصلت فاخذوها
وارسلوا الى صرخد فلم يقدروا عليها وكاتبوا المتغلب على دمشق سنقر
الاشقر وراسلوه في الاتفاق معهم فجرد اليهم السلطان الملك المنصور قلاوون
نايبه الامير ايبك الافرم الكبير الى الشام وصحبته بعض العسكر لينازل
الكرك على طريق الارهاب فخرج في اواخر هذه السنة من الديار المصرية سالكا
على طريق الكفربين وتمريس وادنحا ثم اتفق لهم ما سنذكره في السنة بعدها
وفي سنة تسع وسبعين وستمايه وملك الديار المصرية الملك المنصور قلاوون
وبعض بلاد الشام ايضا واما دمشق واعمالها فقد استحوذ عليها نايبها الملك الكامل
سنقر الاشقر وصاحب الكرك الملك المسعود خضر بن الظاهر بيبرس
ففي مستهلها ركب الملك الكامل سنقر الاشقر المتغلب على دمشق من قلعتها
الى الميدان الاخضر وبين يديه الامرا والاجناد يمشون وعليهم الخلع
والقضاة والاعيان فسير في الميدان ساعة ثم رجع الى القلعة وقدم الى
خدمته الامير عيسى بن مهنا ملك العرب فقبل الارض بين يديه وجلس الى
جانبه وهو على السماط وقام له الكامل سنقر وكذلك جا الى خدمته ملك اعراب

الحجاز وامر الكامل سنقر ان تضاف البلاد الحلبية الى ولاية قاضي الشام وغير ذلك
فلما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من امر سنقر الاشقر بالشام ارسل اليه
جيشا كثيفا وكان من امرهم ما ذكرنا ان السلطان الملك المنصور قد جرد الامير
ايبك الافرم الى الشام في عسكر ليرهب بذلك علي الدين بالكرك ليقصروا عن الاسباب
التي اعتمدوها ويسدوا ابواب الشرور التي فتحوها فلما بلغ سنقر الاشقر
وصوله توهم انه واصل لحربه وقتاله فكتب اليه كتابا ينهاه عن المسير اليه
مضمونه اني مهدت الشام وفتحت القلاع وبذلت من خدمة السلطان
ما لم يبذله احد وكان شرطي معه ان اكون حاكما من الفرات الى العريش فخالف
فاستناب بحلب وصفد وبلبان الطباخي بحصن الاكراد وآخر الحال
يرسل الي من يمسكني فلا تقطع العقبة ولا تدن من البلاد واتبع كتابه
بتجريد من كان الى ان يبدأ بحفظ الطريق فارسل الامير ايبك الافرم كتابه هذا
الى السلطان طي مطالعته فكتب السلطان الى سنقر الاشقر من جهته ومن
جهة خوشداشيته يقبحون عليه هذا الفعل الذي يفرق الكلمة ويوهي
الامة وارسل اليه الكتب صحبة البريد ثم جهز اليه الامير بلبان الكزي العلائي
خوشداشه ليرجعه عما هو عليه فلم يسمع منه ولا صغى اليه واما
الامير ايبك الافرم المذكور فانه عند ورود كتاب سنقر الاشقر اليه
رجع الى غزة اذ لم يكن معه جمع يقابل عسكر الشام فلما وصلها وافاه الامير
بيليك الايدمري عائدا من الشوبك بعد اخذها بمن معه من العسكر فاجتمع كلاهما
على غزة فجمع سنقر الاشقر ايضا العساكر من حلب وحماه وحمص وصفد
والعربان من البلاد وجهز من عسكر الشام جماعة وقدم عليهم اميرا فساروا
الى غزة والتقوا مع الامرا المصريين الافرم والايدمري المذكورين على غزة
فكانت الكسرة على العسكر الشامي واستظهر العساكر المصرية عليهم واسروا
منهم جماعة من الاعيان غير يسير وهم الى الابواب السلطانية فاحسن السلطان
اليهم وخلع عليهم فلم يعنفهم على ما جرى منهم ولما عاد فل عسكر الشام اليه
واخبروه بما اسر منهم شرع في تجريد الاهتمام واجتهد في الاستخدام وخرج
بنفسه ونزل بظاهر دمشق وكاتب الامرا المصريين الذين بغزة يستميلهم
اليه واعطى كلا منهم قلعة من القلاع ووعدهم وعودا تمتد الى مثلها الاطماع
واتفق ان العسكر الذي معه تجرد السلطان ايضا الامير علم الدين سنجر الحلبي
ومعه بكتاش امير سلاح ومعهما عسكر لقتال سنقر الاشقر فاجتمعا هما
والامير بن ايبك الافرم وبيليك الايدمري المذكورين فتكاثر العسكر المصري
وسار بهم الامير علم الدين سنجر الحلبي طالبين دمشق فوصل الى الكسوة ورتب الاطلاب

فوجد الامير المذكور

فوجد الامير المذكور سنقر الاشقر ايضا في عساكر الشام مطلبا واقفا
على الجسورة فالتقى الجمعان والتحم القتال فساق الامير سنجر الحلبي على
سنقر الاشقر فلما صدمه هزمه فتوجه طالبا طريق الرحبة ومعه
الامير عيسى بن مهنا ملك العرب وكانت هذه الكسرة في العشرين من صفر منها
وثبتت العساكر المصرية اثقال العساكر الشامية وكان الملك المنصور لما ولى
لما فوض نيابة الشام الى سنقر الاشقر المذكور فوض ايضا نيابة قلعة دمشق
الى حسام الدين لاجين السلحدار احد مماليكه وهو الذي صار سلطانا ايضا بعد
فلما تغلب سنقر الاشقر على الممالك كما ذكرنا قبض على لاجين المذكور واعتقله
لكونه لم يوافقه مع عسكر الشام فلما انكسر سنقر الاشقر وهرب كما ذكرنا
وبشر الامرا المصريين السلطان المنصور بالنصر استقر لاجين المذكور المنصوري
نايب السلطنة بدمشق ايضا ودام عليها مدة حياة استاذه في سلطنته
الى ان جرى له ما سنذكره ثم ان الامرا المصريين ارسلوا الى السلطان الماسورين من
الامرا الشاميين المذكورين فعاملهم بالعفو واعادهم على اقطاعاتهم ايضا
وارسل الامرا المصريين نحو ثلاثة الاف في طلب الامير سنقر الاشقر المذكور
وجا قاضي الشام ليسلم على الامرا المصريين فاعتقلوه لكونه الذي سلطن سنقر
ثم جا مرسوم السلطان بالعفو عنه وعن غيره وباستقراره على عادته في القضا
فقضا عقيب الادعية للملك للسلطان واما سنقر الاشقر فانه لما انهزم الى
الرحبة وكان معه امير العرب كما ذكرنا تفرق عنه اكثر من كان معه وتركوه
وتراجع اكثرهم الى السلطان لما علموا انه اغمد سيف الانتقام واسبغ
سحب الحلم والانعام وراى سنقر الاشقر نفسه قد بقي وحيدا فطلب
من النايب بالرحبة تسليمها اليه فابى وامتنع فكاتب عند ذلك الملك ابغا
بن هلاوون ملك التتار يعرفه ان كلمة الممالك قد تفرقت وحلة الالتيام قد
تمزقت ويطمعه ويحثه على المسير الى البلاد الشامية ليتملكها ويعده المناصرة
عليها والمساعدة اذا جا اليها وكتب معه ايضا امير العرب بمثل ذلك
وجهز اليه قصادا فكان ذلك باعثا له على حضوره على ما نذكره في السنة تليها
فارسل السلطان الى سنقر المذكور يستميله ويتلطف به ليعود الى الطاعة فابى
الا الا تماديا في علواء جهالته والاسترسال في ميدان ضلالته وكان عند تغلبه
على الشام قد كاتب النواب الذين بالقلاع فمنهم من لم يطعه ومنهم من اطاعه
فكان ممن اطاعه صهيون وبرزية وبلاطنس والشغر وبكاس وحصن
عكار وشيزر وحمص وفامية فلما ضاقت به رحاب الرحبة بقي حائرا
في امره وجرد اليه السلطان جيشا فبادر هو وعيسى بن مهنا امير عرب الشمال

بالهروب الى صهيون وذلك في جمادى الاولى من هذه السنة وكان له بها اولاده
وحواصله فاستولى عليها وعلى البلاد المذكورة وصارت هذه البلاد لسنقر
الاشقر الى ان جرى له ما سنذكره بعد سبعة سنين وعند ذلك عاد العسكر المصري لمحله
وفيها جرد الامير ايبك الافرم لحصار شيزر وبها الامير كرجي فبينما هو
محاصر لها وردت الاخبار بوصول الططر على بلاد شغرق فرقة من جهة الروم
وفرقة من جهة الشرق مع صاحبي ماردين وآمد والفرقة الثالثة وفيها
معظم العسكر وشرة المغل صحبة منكوتمر بن هلاون وتواترت الاخبار
بذلك وتداركت القصاد مخبرين بتقربهم من بلاد الروم ولمن صاحب
سيس خرج اليهم من طريق الدربساك وكتب السلطان متواترة الى الامير
سنقر الاشقر في صهيون يستميله عن سوء رايه ويقبح عليه ما ظهر
من غدره ومناصرته الكفرة على الاسلام آخر عمره ولما تحقق الامير ايبك
الافرم مقاربة الططر الفرات رحل عن شيزر وكتب الى سنقر الاشقر
بمثل ما اشار به اليه السلطان من التعنيف والتخويف والترهيب والترغيب
فجنح الى سلم الاسلام واصاخ الى التوبيخ والملام ونزل من صهيون الى
الحراص على عزم انجاد المسلمين والرجوع الى مظافرة الدين وجفل
عسكر حلب وحمص وحماه وتاهب السلطان للسفر وفوض السلطنة
لولي عهده ولده السلطان الملك الصالح علي لكنه مات قبل ابيه بقليل
ولما عزم السلطان على المسير الى الشام للقاء الططر عمل المهم لولاية ولده المذكور
وشرع في السفر الى البلاد الشامية فتوجه وصحبته العساكر الاسلامية المنصورة
ووصل الى غزة وكان الططر قد وصلوا الى مدينة عينتاب وبغراس
والدربساك وتقدموا الى حلب فوجدوها خالية من العسكر وقد جفل
اهلها منها فاحرقوا الجوامع والمساجد والدور والمنازل وعاثوا
وافسدوا وذلك في العشر الاوسط من جمادى الآخر من هذه السنة فلما بلغهم
وصول السلطان تفرقوا الى مشاتيهم فعاد السلطان الى الديار المصرية
لاستحقاق ربيع الخيول وامنه على الشام بانسداد الطرق اليه بالثلج
والسيول وجرد عسكرا الى حمص وعسكرا صحبة ايدكين البندقدار الصالحي
الى الساحل لحفظ البلاد من الفرنج بحكم انه لم يكن بعد قرر معهم هدنة
يحتمى لمن تجددوا في تلك الفترة للفرصة مكنة فيحدثوا حدثا او يثيروا
فتنة وفيها تسلل الامرا الذين كانوا عند سنقر الاشقر قاصدين الى الابواب
السلطانية وكان الامير ايبك الافرم بحماه فلحقوا به وهم نايب صفد ونايب
شيزر وغيرهم وبقي معه قوم من الظاهرية الذين كانوا مجردين بالقلاع التي انحازت اليه كما ذكرنا

وفيها كان الفرنج الذين بحصن المرقب

وفيها كان الفرنج الذين بحصن المرقب لما بلغهم هجوم الططر على بلاد الشام
وانجفال العسكر من حلب طمعوا واعتمدوا الفساد وتطرقوا الى اذية المسلمين باطراف
تلك البلاد فارسل الامير بلبان الطباخي المنصوري وهو حينيذ نايب السلطنة
بحصن الاكراد ومامعه يستاذن السلطان في غزوهم لقرب المرقب اليه
وهون على السلطان امرهم فاذن له في ذلك فسار وجمع معه جيش الحصون وامرا
التركمان ورجالة تلك النواحي واستصحب المجانيق والالات وتقدم الى ان
وقف قريبا من حصن المرقب وهو عالي المرام لا تصله من اسفله السهام
واخفى اهله امرهم ولم يتحركوا في مبدا الحال فازداد العسكر فيهم طمعا فلما
صاروا بحيث تبلغ اليهم السهام ارسلوا عليهم الجروخ فنالت فيهم السهام
فاضطرب من كان معه من جنود المسلمين فلما راى اضطرابهم استشار بعض من
عنده من الامرا في التاخر شيا يسيرا بحيث تمتنع وصول النشاب اليهم ثم تاخر
راجعا وثنى عنانه للرجعة مسارعا والناس لا يعلمون ان ذلك التاخر براي وتدبير
فظنوها الهزيمة فولوا الادبار فلما راى الفرنج ما كان من هروب المسلمين
ففتحوا ابواب الحصن وجاوا من كل مكان فقاتلوا ونالوا من المسلمين وجرحوا
منهم جماعة ونهبوا ما امكنهم واسروا من الرجالة جماعة فبلغ السلطان ذلك
فانكره واكبره وازمع حينيذ سفره ليتدارك هذه الاحوال فتوجه الى الشام
وكان سفره في اواخر هذه السنة وهي سفرته الثانية واستخلف بالقاهرة ولده
الملك الصالح علي ورتب الامير سنجر الشجاعي في استخراج الاموال وشد الدولة
فوصل السلطان الى ارض الشام ونزل بعساكر الاسلام تجاه مدينة عكا
فخافت الفرنج منه خوفا كثيرا وراسلوه في طلب تجديد الهدنة فانه كان
قد انتهى امدها قبلها واقام بهذه المنزلة الى اول سنة ثمانين فكانت فيها
الهدنة وغيرها على ما سياتي بيانه وجا الامير عيسى بن مهنا امير العرب
الذي ذكرنا انه كان هاربا من بلاد العراق الى خدمة السلطان الملك المنصور
وهو بهذه المنزلة فتلقاه السلطان بنفسه فاكرمه واحترمه وعامله بالصفح
والعفو والاحسان وفيها في يوم عرفة وقع ببلاد مصر بردكبار اتلفت
شيا كثيرا من الغلات ووقعت صاعقة بالاسكندرية واخرى في يومها
تحت الجبل الاحمر على حجر فاحرقته فاخذ ذلك الحجر وسبك فخرج منه من
الحديد اواقي بالرطل المصري وفيها غير السلطان الوزير والقضاة الاربعة
في يوم واحد وكانت الوزارة مع كاتب السر الفخر بن لقمان فاعيد البرهان السنجاري
واعيد الى القضا تقي الدين ابن رزين عوض صدر الدين ابن بنت الاعز واعيد الحنفي القاضي
معين الدين نعمان واعيد المالكي نفيس الدين ابن شكر وولي الحنابلة عز الدين المقدسي ٥

وفي سنة ثمانين وستمائة دخلت والسلطان نازل بالروحا وانعقدت
الهدنة بين اهل عكا والمرقب وبين السلطان الملك المنصور على ان يكون لهم
مناصفة الربض وبلنياس على ان يردوا كل من عندهم من اسرى المسلمين الذين
اخذوهم في الفسخ وكانوا جماعة كثيرة وحلف السلطان لهم ونودي بالصلح
وسير اميرا ليحلف الفرنج فحلف ملكهم على ما انعقد عليه الصلح وبلغ السلطان
وهو على الروحا المذكورة ان جماعة من الامرا الظاهرية قد ازمعوا الغدر به
والوثوب عليه فاحضرهم اليه وعنفهم واتفق وصول كتب من عكا
بالفرنج من جهة من كان له فيها من المناصحين مضمونها ان تحترز على نفسك
فان عندك جماعة من الامرا قد اتفقوا عليك ليقتلوك وقد كاتبوا الفرنج
وقالوا لهم لا تصالحوه ولو اعطاكم ما اعطاكم فلما بلغه هذا الخبر احس
الامرا الذين اتفقوا عليه بذلك فاضطربوا وعزموا على انهم يركبوا في الليل
وياتون الى الوطاق باتفاق بينهم وبين بعض الظاهرية الجوانية فاذا
قربوا من الوطاق يقطعون اطناب الخيم ويفعلون ما اتفقوا عليه
فان ظفروا بامل والا ركبوا حمية واحدة وطلبوا جهة الامير سنقر الاشقر
بصهيون الذي ذكرنا قصته فنقل هذا الخبر الى السلطان فسير الى طرقات الشام
بان يحفظ عليهم المسالك من غير ان يعلموا ورتب حول الخيام جماعة من المماليك الصالحية
واتفق مع الامرا الكبار على التحرز الى ان يحصل الدخول الى دمشق والتمكن منهم وفعل
ما يجب فعله ثم رحل السلطان من منزلة الروحا ونزل اللجون فجا الخبر بانهم احسوا
بتيقظه لهم وكان بينهم وبينه نهر الشريعة ومتى قطعت لا يلحق هاربهم وربما
توجه بعضهم الى الكرك وبعضهم الى الامير سنقر الاشقر فركب السلطان من
اللجون طالبا حمراة بيسان وساق بينهم يومه ذلك يطارحهم الحديث ليطمنهم
ويلاطفهم ويخادعهم الى ان وصل الحمرا فلم يشعروا الا وهم قبالة الوطاق فرسم
بان ينزلوا ليشربوا سويقا فانه كان يومئذ شديد الحر فنزلوا وشربوا
السويق فدعى جماعة من هولاء الامرا الظاهرية وقال لهم انتم تعلمون انني ما
طلبت الملك ولا قصدته ولا رغبت فيه وانما انتم لما خامرتم على ابن
استاذكم وخرجتم الي وانا داخل من سيس وامسكتم ذيلي وقلتم نطلب
حسبك فسيرت اشفع فيكم فلم تقبل شفاعتي فوافقت هواكم وسيبت
زوجي واولادي ومالي لاجلكم وعلم الله نيتي فاعطاني ما اعطاني واحسنت
اليكم وزدتكم وبذلت لكم الاموال وآخر الامر تكاتبون الفرنج على قتلي فقالوا
اخطانا وقد فعلنا كلما بلغ السلطان عنا فقال يا امرا اعلموا انما اقروا به
وامر بامساكهم في وسط الخيمة فامسكوا وسيروا الى الخيم فامسك كل من كان موافقا لهم

من المماليك البرانيس

من المماليك البرانيس والجوانيين وكانوا ثلاثة وثلاثين نفسا وخاف جماعة فهربت
فساق العسكر خلفهم فاحضروا بعضهم من جبال بعلبك وبعضهم من ناحية صرخد
ولم يستقر السلطان بحمراة بيسان غير تلك الليلة وعبر الشريعة واما بعض
الامرا الممسوكين فاعدمهم واما باقيهم فاعتقلهم بقلعة دمشق وهرب جماعة
وتوجهوا الى صهيون ولحقوا بالامير سنقر الاشقر فجرد السلطان خلفهم عسكرا
فلم يدركوهم ورحل السلطان الى دمشق ودخلها في ليلة العشرين من المحرم من السنة
ونزل القلعة وقد زينت له البلد وجلس بدار العدل فحكم وانصف المظلومين
ثم جرد السلطان الامير ايبك الافرم في عسكر وبعده اميرا اخر بعسكر اخر فتوجهوا
الى شيزر على انهم يعملوا اعمالا او يوثروا اثرا وهي لسنقر الاشقر وجرى بينهم مناوشة
وحصل وخم وضعف الامير الافرم ومات من الامرا ثم ترددت الرسل بين
السلطان وبين الامير سنقر الاشقر المذكور واحتاج السلطان الى مصالحته
لقوة اخبار هجوم التتر ووقع بينهم الصلح وطلب منه السلطان تسليم
شيزر فطلب هو عوضها الشغر وبكاس وكانت قد اخذت منه من مدة
ورتب السلطان الامير بلبان الطباخي نايبا فيها وطلب معها كفرطاب
وبلادها فاجيب الى ذلك وتقرر ان يقيم على هذه البلاد قريب الف فارس
لنصرة الاسلام وان الامرا الذين هربوا اليه ان اقاموا عنده يكونون من
امرايه وان حضروا الى السلطان يكونون امنين ولهم الاحسان ولا يواخذون
وحلفوا على ذلك وسال سنقر الاشقر من السلطان ان يلقبه بلفظة الملك
فامتنع وكتب له تقليدا بالبلاد ونعت فيه بالامير وانعم عليه بالقماش
فانتظم بينهم الاتفاق وانقطع حبل الشقاق **وفيها** ترددت رسل الملك
المسعود خضر بن الملك الظاهر بيبرس المتغلب على الكرك يطلبون من السلطان
الصلح وزيادة على الكرك وان يكون له ما كان بيد صاحبها الملك الناصر داود
فلم يجبه السلطان الى ذلك ولا الى الاقامة في الكرك بل يقول لهم في جواب
كل رسالة انا اعطيكم قلعة غير الكرك فلما تقرر الصلح مع سنقر الاشقر
كما ذكرنا خافوا الغايلة وعلموا انهم لا طاقة لهم بالمقابلة فاجابوا الى الطاعة
السلطان على انه يبقيهم بالكرك واعمالها من الموجب الى الحسا فاجابهم السلطان
اليه وحلف لهم عليه والتمسوا اشرطا منها تجهيز الاخوة الذكور والبنات
اولاد الملك الظاهر من القاهرة الى الكرك ورد الاملاك الظاهرية عليهم
فتم الصلح على ذلك وسيذكر ما جرى لهم اخرا في موضعه وكوتب كما يكاتب
صاحب حماه **وفيها** ضمن الخمر والزنا بدمشق وجعل ديوان ومشد لذلك
فقام جماعة من العلما والعباد في ذلك فابطل بعد عشرين يوما واريقت الخمور واقيمت الحدود

المغول

وفيها وردت الاخبار على السلطان بدخول مقدم الططر الى الروم في عساكر
وانه قد نزل ببر قيسارية وابلستين والاخبار تتواتر بذلك فتوجه كشافة
من عينتاب للكشف فوقعوا بفرقة من الططر فظفروا منهم بشخص قد توجه
لكشف المروج والمراعي فاحضروه الى السلطان الى دمشق فسأله عن خبرهم
فذكر انهم في عدد عظيم يزيد على ثمانين الف فارس من المغول والحشود
وانهم يقصدون بلاد الشام جزمًا ويركبون من منزلتهم في وقت كذا
فلما سمع السلطان كلامه ارسله الى مصر هو ومن اسر معه ثم بعد مدة قريبة
قوي الخبر وزاد وتنقلوا من منزلتهم الى ابلستين ودخلوا الدربند وهم
يسيرون هينة ثم توجهت منهم الى الرحبة فرقة صحبة ملكهم ابغا بنفسه
وصاحب ماردين فنازلوها فسير السلطان صاحب مصر اميرا ومعه
مايتا فارس جرايد الى جهة الرحبة كشافة وخرج السلطان من دمشق
في جموع وعدد وحشود وكان قد قدم قبل خروجه الامرا ومع كل امير
جماعة على حمص وحلب ثم ورد الخبر بان فرقة الططر العدو التي جاءت من
جهة الروم قد نزلت مرعش وتقدمت الى مدينة عينتاب فتقدم وطاق
السلطان الى عيون القصب ووصل العدو المخذول الى حازم وملكوا البلاد
فراسل السلطان الامير سنقر الاشقر عدة مراسلات حتى تقرر انه ينزل من
صهيون ويقف حيث يقف المسلمون هو ومن عنده من الامرا بشرط عوده
الى مكانه اذا انقضى المصاف فنزل بمن عنده من الامرا واجتمع بالسلطان بحمص
ثم ورد الخبر بان الططر ملكهم ابغا بعد ان سار نحو الرحبة سير جيوشه الى جهة الشام
وقدم عليهم اخاه منكوتمر ابن هلاكو فسار على حماه ومعه عساكر الططر في
ثمانين الفا منهم خمسون الفا من المغل وباقيهم من فرنك وكرج وروم وارمن وفرنج
وانه قد فر اليهم مملوك من عسكر مصر فدلهم على عورات المسلمين واخبرهم بعددهم
فرحلوا عن حماه ورتبوا جيشهم فكان طرف ميمنتهم حماه وطرف ميسرتهم سلمية
وساقوا طالبين اللقا فرتب ايضا السلطان جيش الاسلام ميمنة
وميسرة وقلبا وجناحين عليهما نصفه وبات المسلمون على ظهر لابسين عدة
الحرب واتفق ان شخصا من عسكر الططر قفز ودخل الى حماه وقال للنايب بها
اكتب الساعة الى السلطان على جناح الحمام وعرفه ان القوم ثمانون الف مقاتل
تحت القلب منها اربعة واربعون الفا مغلا وهم طالبون القلب والميمنة التي هم
قوية جدا فيقوي ميسرة المسلمين ويحترزون على السناق فقرا السلطان الكتاب
وركب عند الصباح لتقوية الميسرة بارح منتصف رجب منها فرتب الاطلاب
وساق بنفسه على الجيوش وطيب خواطرهم وحثهم على الصبر والثبات فشرعوا في القتال

وقعة حمص

وقعة حمص رتب السلطان عساكر المسلمين على هذا الترتيب الميمنة فيها
الامير الكبير ايبك الافرم ونايب الشام لاجين السلحدار والامير بيسري
وصاحب حماه الملك المنصور والعسكر الشامي والحموي وفي راس الميمنة الامير
عيسى مهنا امير العرب وال فضل وال مرى وعربان البلاد الشامية
ومن انضم اليهم والميسرة الامير سنقر الاشقر وامير سلاح ونايب حلب
ومعهم امرا الالوف وفي راس الميسرة التركمان بجموعهم وعسكر حصن الاكراد
ومقدمة القلب نايب السلطنة حسام الدين طرنطاي والحاجب
وبقية المماليك السلطانية ووقف السلطان تحت الصناجق السلطانية
وحوله مماليكه والزامه وهو ثابت فاشرفت كراديس الططر
متراكمة واقبلوا من كل فج وكان الملتقى بوطاة حمص بالقرب من مشهد السيد
خالد بن الوليد رضي الله عنه حيث مركز الرماح ومهب الرياح وهو المكان
الذي لم يزل بلا المسلمين فيه محمودا ونصر خالد يزداد لديهم خلودا
والتقى الجمعان في الساعة الرابعة من النهار المذكور وتواجه الخصمان وكان
عسكر الططر في قريب المائة الف فارس وعسكر المسلمين على النصف من ذلك
او يزيد قليلا والجمع فيما بين مشهد خالد بن الوليد الى الرستن فاقتتلوا
قتالا عظيما لم ير مثله من اعصار متطاولة فاستظهر الططر في الاول
فكسروا الميسرة والميمنة وانكسر جناح القلب الايسر فثبت بنفسه
السلطان الملك المنصور ثباتا عظيما جدا في جماعة قليلة وقد انهزم كثير من
المسلمين والططر في الاثار حتى وصلوا وراهم الى بحيرة حمص ووصلوا
الى حمص وهي مغلقة الابواب فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم واشرف
المسلمون على خطر عظيم ثم ان اعيان الامرا من الشجعان تراموا فيما بينهم مثل
سنقر الاشقر والبيسري ولاجين وطرنطاي وامثالهم لما راوا ثبات
السلطان ردوا على الططر وحملوا عليهم حملات متعددة صادقة ولم
يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى انزل الله نصره على بقية المسلمين وكسر
بحوله وقوته الططر وجرح كبيرهم منكوتمر وجاء عليهم امير العرب
من ناحية العرض فصدم الططر فاضطرب جيشهم لصدمته فركبوا
المسلمين اقفيتهم فتمت عليهم الهزيمة والحمد لله رب العالمين فقتلوا منهم مقتلة
عظيمة جدا فتبعوهم يقتلون ويأسرون فلما رجعت طايفة الططر الذين
كانوا خلف من انهزم من المسلمين وجدوا السلطان ثابتا في مكانه تحت
السناجق وما معه الا نحو من الف فارس فطمعوا فيه فقاتلوه فثبت لهم
ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلحقهم فقتل اكثرهم فكان ذلك تمام النصر

ولما انهزم الططر افترقوا فرقتين اخذت فرقة الى ناحية سلمية والبرية والاخرى
الى ناحية حلب والفرات فارسل السلطان من ابعد في اثارهم من يتبعهم وعاد
السلطان الى موضع الوقعه وعاين القتلى به وتمت فرحة المسلمين بالنصر
وقد كان السلطان فرق على مماليكه اكياسا مما كان في خزانته في كل كيس الف
دينار ليحملوه الى من يتخلى الوقعه فلما نهبت الصناديق وجدت فارغة من
المال فلم يعدم منه مثقال وكانت جملته مائتي الف دينار فسلم من النهب
ونطقت البطايق الى الحصون القريبة من مسالك الططر التي سلكوها للفرار
مثل البيرة وعينتاب وبغراس والدربساك والراوندان وابي قبيس
وشيزر وبان باخذ والهم المراصد فصار العشرة منهم يقتلهم من المسلمين واحد
وحفظ اهل البيرة عليهم المعابر من الجهات الفراتيه والمخايض الى الجهة
الشرقية فعبر اكثرهم من غير خبير فهلك اكثرهم غرقا وقتل منهم في الهزيمة
اكثر ممن قتل عند اللقا واما درب سلمية فان فرقة منهم فيه سلكوا فهلكوا
وكان على الرحبة طايفة مع ملكهم ابغا تحاصرها فلما وصلتهم البطايق وضربت
بها البشاير احرقت الططر الصليحة فولوا هاربين وولى ابغا هاربا وسار
نحو بغداد طالبا خوفا من ان ياخذه اهل البلاد ثم اعطى السلطان الدستور
للعساكر الشمالية الحلبي والحموي وجهز الامير بيليك الايدمري ليمهد البلاد
وترتيبها وعاد الامير سنقر الاشقر المتقدم ذكره ايضا الى مكانه صهيون
واما بعض الامرا الذين كانوا عنده فانهم رغبوا في العود الى خدمة السلطان
وعاد السلطان الى دمشق والاسرى تساق قدامه في القيود ورؤس القتلى
بين يديه فكان يوما مشهودا وكثرت ادعية الرعية ومحبتهم ثم رجع من دمشق
الى الديار المصرية منصورا في اواخر شعبان واسارى الططر ايضا مقيدين
بين يديه ورؤس قتلاهم على رماحهم وبعض الاسارى حاملها بسناجقهم المكسورة
وعملت التهاني فيها قصيدة نظمها الامير بيبرس الفارقاني طويلة ومنها

وصار النصر للمنصور عونا ○ بهمة خالد بن الوليد ○
فسايل ابن هلاون عن قلاون ○ وسايل للبرنس وللكنود ○

فلما استقر السلطان بالديار المصرية قدمت عليه رسل صاحب اليمن المظفر يوسف
بن عمر بن علي رسول بهدية جليلة وطلب امانا من السلطان فقبل هديته وما طلبه
وهو انه يرسل له قميص امان مكتوب عليه ذلك بخط السلطان وابنه الصالح
فاجيب الى ذلك فكتب عليه هذا امان الله تعالى وامان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وامان نبينا لاخينا السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي صاحب اليمن
اننا راعون له ولاولاده مسالمون من سالمهم ومعادون من عاداهم ونحو ذلك وجهز ذلك

اليه مع هدية فيها تحفا وامتعة وقطعة من الزمرد الاخضر وخيلا من خيل الططر
الكاديش وشيا من اسلابهم وعددهم والعجلات التي احضروها معهم مع امير
وفيها هلك مقدم الفرقة من الططر الذين قاتلوا مع المسلمين كما ذكرنا وهو منكوتمر
اخو ملكهم ابغا بن هلاون بجزيرة ابن عمر مكمودا عقيب كسرته على وقعة حمص
فكان موته من تمام هذا النصر العظيم والعجب من هذا انه مات اخوه ملكهم
ابغا المذكور ايضا بعده بقليل في المحرم من السنة التي تليها ومدة ملكه نحو عشرين سنة
وفيها وصلت رسل الملك الاشكري صاحب القسطنطينية بهدايا كثيرة الى
السلطان الملك المنصور وسال من السلطان يمينا يتمسك بها فحلف له وسير
رسلا للخليفه وفيها وصل صاحب سنجار الى دمشق مفقرا من الططر داخلا
في طاعة الملك المنصور باهله وماله فتلقاه نايب السلطنة وسيره الى السلطان
مكرما وفيها اخرج السلطان جميع آل الملك الظاهر بيبرس من القاهرة من النسا
والولدان والخدام من الديار المصرية الى الكرك ليكونوا في كنف الملك المسعود
نجم الدين خضر بن الظاهر الى الجرح كما سنذكره وفيها اخذت الفرنج جزيرة جربة
من المسلمين وهذه الجزيرة من عمل قابس مسافتها اليها يوم واحد ودورها ستة
وسبعون ميلا وهي مشحونة بالبساتين والاعين والانهار ولها مخاضة
تتصل ببر قابس ولم تزل في ايدي المسلمين واهلها بها امنون الى ان اخذت
هذه السنة وفي سنة احدى وثمانين وستمائة جرد السلطان المنصور
عسكرا الى جهة الموصل للاغارة على تلك البلاد وافساد من يتمكنون منه من
اهل الفساد فساروا حتى بلغوا ابواب سنجار وفيها توجهت الغارة
من حلب الى الروم في ستمائة راكب فصادفوا قافلة خارجة من بلد
سيس الى الروم موسقة سكرا وصابونا ورصاصا وقطنا وفستقا
فنهبوها فبلغ ذلك الامرا الذين بالروم فركب منهم واحد في ثلثمائة راكب
فالتقته الغارة وقاتلوه وقتلوا جماعة من اصحابه وجرحوا
اكثرهم وانهزم قدامهم حتى وصلوا اركليا فهرب النايب الذي بها
وحضر اليهم من اصحاب الامير فخر الدين كناري بن قرمان
جماعة صحبة امير بن قرا عيان اصحابه فاجتمعوا جميعا وتوجهوا
الى جبال البغرا وهي فوق منذس وعادوا سالمين من جبال سيس
وبلاد الروم وفيها وصل شخص من جهة الامير طرنطاي صاحب
الماسيه والدسنان الدين الرومي الى السلطان وكان هذا وصل من جهته
شريف تاجر مترددا الى الابواب السلطانية بجلب المماليك وغيرهم
فارسله يسال الاذن لولده ليتوجه اليه ويبذل عنه ما احب السلطان

من مماليك وغيرهم وكان ابغا ملك الططر قد اذن له ولزوجته في ذلك فلما وصل
الشريف التاجر بهذه الرسالة احضر السلطان سنان الدين الرومي
واذن له في التوجه الى والده لرتاي براً ولريث بحراً فاتفقت وفاة
والده ببلاد الروم وعاقته العوايق عما يروم ثم ان والدته جهزت بعد
وفاة ابيه هدية الى السلطان فيها قماش كثير مثمن فدية عن ولدها هذا
فاقتضت المقادير اقامته بالديار المصرية الى ان ادركته المنية بها

وفيها وصل رسول من عند الفونش احد ملوك الفرنج ومعه تقادم كثيرة
من خيل وبغال وغير ذلك فاكرمه السلطان واعاده مشمولا بالاحسان

وفيها استقر الامير شمس الدين سنقر الاشقر المنصوري في نيابة السلطنة بحلب
وارسل يستاذن السلطان في عمارة القلعة والجامع فان الططر كانوا قد
عند دخولهم البلد خربوهما واحرقوا اخشابهما فاذن له السلطان فاجتهد
في عمارتهما واعادتهما على احسن مما كانا عليه وانفق فيهما اموالا جمة وجملا

وفيها استقرت بين السلطان وبين المقدم افريركلياوم دي باجول مقدم
بيت الداوية بعكا والساحل والداوية الذين بانطرسوس الهدنة
لمدة عشر سنين كوامل اولها المحرم من هذه السنة الموافق لنيسان من سنة
الف وخمسمائة وثلاثة وتسعين للاسكندر على بلاد السلطان
صاحب مصر وما حوته مملكته

وفيها بلغ السلطان ان ملكا من
ملوك الكرج خرج من بلاده ليحضر الى القدس الشريف ويعود خفية
واسمه بوناسوطا بن كلباري ووصفت له صفته وتقدير عمره
اربعون سنة واسم بلده جقندود ومعه رفيق يسمى طيبغا بن انكوار
وانهما ركبا المركب من ساحل بوط فحفظت عليه الطرقات من كل
جهة فلم يصل الى مكان الا وخبره قد سبق الى السلطان فلما وصل
الى القدس الشريف امسك هو وترجمانه واحضر الى الديار المصرية
فاعتقلا بها

وفيها في ليلة الحادي عشر من رمضان وقع حريق عظيم
بدمشق باللبادين وحضر نايب السلطنة اذ ذاك الامير حسام الدين
لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الامرا وكانت ليلة هايلة جدا فوقى
الله شرها واستدرك بعد ذلك امرها القاضي محيي الدين ابن النحاس ناظر
الجامع فاصلح الامر وسدد واعاد البنا احسن مما كان

وفيها في المحرم
هلك ابغا بن هلاون بن طلو بن جنكز خان ملك الططر وخلف
من الولد ارغون وهو اكبر اولاده مقيما بخراسان ولما مات ابغا المذكور
ملك بعده اخوه سلطان احمد بن هلاون فلما جلس في الملك اظهر دين الاسلام

وتسمى باحمد

وتسمى باحمد واشاع ذلك وكتب الى بغداد كتابا يخبر فيه بانه من المسلمين
وانه قد اعتقد عقيدة الموحدين ثم بعث رسلا الى صاحب
الديار المصرية وهم الشيخ قطب الدين محمود الشيرازي صاحب التصانيف
احد تلاميذ الخواجا النصير الطوسي وكان اذ ذاك قاضي سيواس
ومعه اتابك السلطان مسعود صاحب الروم ومن صاحب ماردين
وكان مضمون رسالتهم اعلام السلطان باسلام احمد المذكور ورجوعه
الى الحق ويطلب منه المصالحة وحقن الدما فيما بينهم فاحتفل السلطان
على الرسل ولم يمكن احدا من الاجتماع بهم واجاب السلطان المنصور
سوالهم وكتب المكاتبات بذلك وجهزهم الى بلادهم ثم جرى ما سنذكره

وفي سنة اثنتين وثمانين وستماية طلع السلطان بالعسكر المصري
ومعه صاحب حماه لحفر الخليج الذي لجهة البحيرة يعرف بالطيرية
وحضر السلطان العمل بنفسه واصحابه فكان نجاز هذا الخليج في عشرة
ايام وطوله ستة الاف وخمسماية قصبة وعرضه ثلاث قصبات
وعمقه اربع قصبات

وفيها رسم السلطان لنايب المملكة الحلبية
بان يوجه وجه الغارات الى سيس واعمالها نكاية في حق صاحبها
لما كان قد ارتكبه في نوبة وقعة حمص من الفساد في حلب واحراق
جامعها

وجرد جماعة من عسكر مصر والشام لذلك فتوجهوا جميعا
اليها ودخلوها بالسيف وقصدوا مدينة اياس فقتلوا من اهلها
جماعة ونهبوها وخربوها وباتوا قريبا منها واصبحوا عازمين على
الخروج فلما وصلوا الى المنتب عاد اليهم كشافة كانوا قد وجهوهم
للكشف فاخبروهم بانهم شاهدوا سوادا عظيما مقبلا نحوهم فلما
صاروا بالقرب من باب اسكندرونة اذا هم بعسكر سيس قد
اقبل في طلبهم فثبتوا ونشبوا القتال فكسرهم عسكر المسلمين واقتلعوا
جماعة من خيالتهم وساقوا خلفهم الى تل حمدون وخرجوا سالمين

وفيها جرد السلطان عسكرا الى الكرك صحبة امير سلاح وذلك
لما بلغه عن اولاد الملك الظاهر بيبرس من الامور التي لا تنبغي مع ما عاملهم
به من الاحسان وارسال اهلهم اليهم واطلاق املاكهم بالشام ومصر
فكتب السلطان اليهم اولا ينهاهم عن الامور الفاسدة ويحذرهم عواقب
البغي فلم يقبلوا ذلك فجرد اليهم هذه التجريدة واوصاهم بالمضايقة
لهم لعلهم يرجعون واقاموا على المنازلة الى ان توجه السلطان بنفسه
الى الشام فكان ما سنذكره فنظر في مصالحها ورجع الى الديار المصرية قريبا

ذكر فتوح تونس

ذكر فتوح تونس بشعار صاحب مصر وذلك انه لما عاد الملك المنصور
من غزاة حمص وجد بمصر رسلا قد جاوا من جهة الامير مرغم بن صابر
امير العربان بطرابلس المغرب وبلادها ومعهم هدية من الخيل
العراب وعلى ايديهم كتاب يعرض على السلطان فتوح المغرب
ويساله ان ينفذ اليه صنجقا شريفا بفتح البلاد ببركته فاجاب
السلطان سواله وجهز اليه خلعا نفيسة فلما عادت اليه رسله
بذلك قويت عزيمته واتفق مع شخص من اولاد ابي زكريا يحيى
صاحب تونس كان يعرف بالفضل بن المخلوع وجمع جمعا كثيرا من
الاعراب وسار بهم نحو تونس فلما وصلوها البس الفضل بن صاحبها
المخلوع خلعة السلطان المسيرة اليه ونشر صنجقه بين يديه فانهزم
صاحب تونس المسمى ابا اسحق وكان ولده ابو فارس ببجاية فتوجه
اليه ودخل الفضل ومرغم تونس برغمه ونشروا عليها لوا صاحب مصر
ولما انهزم ابو اسحق الى ولده ببجاية حشد العساكر وخرج فيمن خرج
معه من الجنود فسار اليه مرغم ومن معه والتقيا فكانت الكسرة
على ابي فارس وما اغنى عنه ما حشده من راجل وفارس وقتل
هو وابوه واحضرت روسهما الى تونس وعلقت على باب من ابوابها
يسمى باب المنارة وتم امر الفضل بن المخلوع في تونس واعمالها واحسن
الى مرغم بن صابر وكناه ابو الوفا والى ابي مروان بن مكي شيخ فارس
وكتب لمرغم منشورا بطرابلس الغرب فلم يزل بها حاكما الى ان مات

وفيها وصلت رسل من جهة ملك الفقفجاق يخبر باسلامه وهو من فقها الفقفجاق
وحضر على ايديهم كتاب من جهة ملكهم بالخط المغلي فعرب فكان مضمونه
الاعلام باسلامه والوصية بالفقها الواصلين وان يساعدوا على
الحج الذي جاوا بقصده وسال من السلطان ان يبعث نعتا يسمى به
من اسما المسلمين وعلما خليفتيا وعلما سلطانيا يقاتل بهما اعدا
الدين فجهز السلطان الفقها المتوجهين الى الحجاز الشريف وقدم سفرهم على احسن حال

وفيها خرج صاحب قبرس في جماعته عازما على قصد بلاد الساحل
وركب البحر فرمته الريح الى جهة بيروت فخرج منها وقصد الاغارة
على تلك الجهات وكان السلطان لما بلغه حضوره قد تقدم امره الى
النواب بتلك البلاد بحفظ جميع الاماكن عليه فلما حصل في جهة
بيروت كمن له اهل جبل الخروب وخرجوا عليه فقتلوا واسروا
من جماعته نحو ماية رجل واخذوا له شيا كثيرا من مال وخيل وبغال

فركب البحر وتوجه الى صور

رابع ملوك مصر

فركب البحر وتوجه الى صور ولم يلبث ان هلك واراح الله منه المسلمين

وفيها رسم السلطان بتعيين مكان يليق ان يبنى فيه مدرسة وتربة ومارستان
بوسط القاهرة فلم يوجد لذلك الا دار تعرف بالقطبية بين القصرين فاشتراها
السلطان من وكيل بيت المال وعوض من كان ساكنا بها بالقصر المعروف بقصر الزمرد
واحضر الالات من جميع الجهات وجمع الصناع من مصر والشام واخرب
قلعة الروضة واستعان بما فيها من الاصناف لعمارة هذا المارستان وفرغ
في مدة سنة

ذكر فتوح قلعة قطينا

ذكر فتوح قلعة قطينا وهذه القلعة ثغر عظيم وحصن
حصين كانت في الزمان الاول محسوبة من جملة قلاع آمد ثم صارت
في يد ملوك الروم ثم صارت الى الططر وفيها نوابهم وهي معاقد قتالهم
وما اخذت بمحاصرة قط وكانت كثيرة المضرة على مدينة كركر ولما
تحقق السلطان مصر تهاب هذه الثغور فكر في مضايقتها واضعافها
وكان النواب يستميلون من بها تارة بالملاطفة والمحاسنة ومرة بالمنافرة
والمخاشنة فلما تحقق من بهذه القلعة قد خلت من غلة جرد اليها من
كركر رجالة فضايقوها وكانوا يبيتوا ويغدون عليها فسال اهلها المراحم
الشريفة من صاحب مصر فحصلت الاجابة الى ذلك وتسلمها نواب السلطان
واحضر اليها جماعة من الرجال من البيرة وعينتاب والراوندان
وجهز له كلما يحتاجه من الغلة والعدة والسلاح والاقوات وغير ذلك
وشرفت التشاريف الى اكابرها وصارت من حصون الاسلام المانعة

ذكر فتوح كختا

ذكر فتوح كختا وهذا الحصن من اعظم الحصون واحصنها واتقنها
على صخر شاهق لا يلحقه رام ولا تصل الى اعاليه سهام وله باشورة
لاصقة به وبه دار لنايب السلطنة الذي يحكم فيه وحوله آدر
وطيارات ومساكن نحو سبعين مسكنا وهي ثلاث طبقات طبقتان
مقبية وطبقة مسقوفة وبها اهرا الغلات وصهاريج المياه وعدة
ابراجها الى القلعة والباشورة ستة ابرجة وعشر بدنات طول
البدنة ثمانية عشر ذراعا يغلق على الجميع باب صغير عال عن القلعة
بعشرين درجة ثم ينزل الى القلعة الكبرى وطولها من تحت القلعة
الى اخرها المسماة القلعة الجديدة ماتيان وخمسون باعا وبها
بيوت ومساكن نحو ماتين وسبعين بيتا وهي ثلاث طبقات ايضا
الجميع على الصخر العالي الشاهق ليس له قرار وفي واد عميق به الماء
ومنه ينزل سراب في قبو معمول بابرجة وشراريف ينزل الى الماء ولما
كانت هذه القلعة على هذه الصورة في الحصانة والمنعة اشتد عمل السلطان

على تحصيلها الى ان اتفقوا وعملوا على الشجاع موسى النايب بها وقتلوه وتبوا
شخصا بها وارسلوا الى نايب السلطنة بحلب المحروسة يعرفونه الصورة
ويبذلون به تسليم القلعة المذكورة فجهز امرا ومعهم التشاريف والخيل
والخزانة فحلفوا من بالقلعة للسلطان ولولده وتسلموها وسيروا
الذين كانوا فيها جماعة بعد جماعة الى الابواب السلطانية بالقاهرة
فاحسن السلطان اليهم واقطع من يستحق الاقطاع منهم وجهزت اليها
الزردخانات والالات واستقرت في المملكة الاسلامية وصارت
غصة في صدر البلاد الارمنية وحصل بها الاستظهار على الكفار
والتمكن من الغارات عليهم انا الليل واطراف النهار وفيها جا سيل
عظيم بدمشق والسلطان المنصور قلاون بها واخذ ما مر به من
العمارات وغيرها واقتلع الاشجار واهلك الخيول وخلقا كثيرا وذهب
من العسكر النازلين على جوانب نهر بردى من الخيل والجمال والخيم والالات
ما لا يحصى وفيها حصل تغير لملوك الططر وقتل سلطان احمد وانتزع منه
ابن اخيه ارغون بن ابغا بن هلاون فقرر ولديه قازان وخربندا
بخراسان واستوزر يهوديا واستحكم امره فاتصلت هذه الاخبار
للسلطان الملك المنصور وهو في دمشق وان فرقة من الططر نقدير
اربعة الاف فارس حضرت مقفزة طالبة نحو الشام ثم جرى ما ذكر
وفيها وصل الى صاحب مصر رسول ابن نكبا ملك سيلان ومعه كتاب
في حق من ذهب بخط ملكهم فطلب من يقراه فلم يوجد فسيلوا عن مضمونه
فقالوا مضمونه ان سيلان مصر ومصر سيلان وانه قد ترك مصاحبة
صاحب اليمن مرة واحدة في محبة سلطان مصر وقال اريد رسولا
من جهة السلطان يحضر الى صحبة رسولي ورسولا يقيم في عدن فان
الجواهر والياقوت واللولو عندي كثير والمراكب والقماش من البز
وغيره عندي وعندي البقم والقرفة وجميع ما تجلبه الكارم والرماح
نشابها عندي وعندي الفيول ولو طلب السلطان كل سنة
يحمل عشرين مركبا اسيرتها اليه ونطلق تجار السلطان للبلاد
ورسول صاحب اليمن اتاني فرددته محبة في مولانا السلطان وانا
لي نحو ثلاثين قلعة مملوة خوابيها جواهر وياقوت والمغاصات
لي وكلما يحضر منها فهو لي فاكرم السلطان هذا الرسول وكتب جوابه
وجهزه فعاد وفيها مات ملك عرب آل مري احمد حجي بمدينة بصرى وصاحب
حماه الملك المنصور محمد وصاحب الروم وصاحب القسطنطينية وملك الططر [illegible]
ثم الامير عيسى بن مهنا امير آل فضل واكبر امرا عربان الشام فكان اتفاقا غريبا

وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة

وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة قدم السلطان الملك المنصور قلاون
الى دمشق من الديار المصرية في وسط السنة ورجع الى الديار المصرية بعد
ثلاثة ايام وفيها كملت عمارة المارستان والمدرسة المنصورية بين القصرين
وفيها وقعت فتنة بمكة وذلك انه جرى بين امير الحاج وبين امير مكة كلام
اقتضى ان اغلقوا ابواب مكة ولم يمكنوا احدا من الدخول اليها فلما كان
يوم التروية زحف العسكر من باب الحجون واحرقوا الباب ونقبوا
السور وهجموا على البلد فهرب جميع الشريف ابي نمي اميرها اذ ذاك
ولم يبق معه الا اولاده فدخل الناس مكة ووقع بينهم الصلح على
يد الصاحب برهان الدين خضر السنجاري وكان حج في هذه السنة
وهو الذي كان وزيرا فعزل وتولى عوضه فخر الدين بن لقمان كاتب السر

وفي سنة اربع وثمانين وستمائة كان فتح حصن المرقب

فسار السلطان الملك المنصور بعد وصوله الى دمشق بالعساكر المصرية
والشامية ونازل حصن المرقب في اوايل ربيع الاول وهو حصن
الاسبتار وهو في غاية العلو والحصانة لم يطمع احد من الملوك الماضين
في فتحه ولما زحف العسكر عليه واخذت الحجارون في النقوب ونصبت
عليه عدة مجانيق كبارا وصغارا طلب اهلها الامان فاجابهم السلطان
الى ذلك رغبة في بقا عمارته فانه لو هدمه واخذه بالسيف
حصل التعب في اعادة عمارته فاعطا اهله الامان على ان يتوجهوا
بما يقدرون على حمله غير السلاح وصعدت السناجق السلطانية
على حصن المرقب المذكور وتسلمه في الساعة الثامنة من نهار الجمعة
العشرين من ربيع الاول منها فكان يوما مشهودا وامر السلطان
بحمل اهل المرقب الى مامنهم ولما ملكه قرر اموره ورحل عنه الى الوطاة
بالساحل واقام بمروج بالقرب من موضع يسمى مرج القرقيص
ثم سار ونزل تحت حصن الاكراد ثم سار ونزل على بحيرة حمص وهي بحيرة
قدس وردت عليه البشاير بمولد ولد السلطان الملك الناصر محمد
بن المنصور قلاون فتضاعف سروره بهاتين الفرحتين وحكى بعضهم انه
ليلة ولادته ظهر كوكب عظيم له ثلاث ذوايب طوال الى جهة المغرب
فتعجب الناس من ذلك فاخبر بعض المنجمين انه يدل على انه يولد في هذه الليلة
مولود سعيد يملك مصر والشام والعراق وتطول مدته فكان كذلك
فانه مكث في المملكة نحو خمسين سنة كما سنذكره في موضعه ولما فرغ السلطان
من فتح المرقب كما ذكرنا اعطى العسكر الدستور ورجع الى الديار المصرية سالما
وانشا في هذا الفتح القاضي الشهاب محمود الحلبي الكاتب مكاتبة نحو الورقة

فيه عرف بالاستغراق

وفي سنة خمس وثمانين وستمايه ارسل السلطان نايبه الامير حسام الدين
طرنطاي الى الكرك وجرد معه عسكرًا كثيفًا وامره بمنازلة الكرك فتوجه
اليها ونزل عليها واحضر الات الحصار من البلاد الشامية والحصون الاسلامية
وشرع في مضايقتها وقطع الميرة من ساير الجهات عنها فاستدعى بعض
رجالها وطيب قلوبهم فمالوا اليه فتسلل اكثر الرجال اليه فلما راى اصحاب
الكرك الملك المسعود جمال الدين خضر واخوه الملك العادل سلامش
اولاد الملك الظاهر بيبرس انهما بقيا وحدهما مع انقطاع الميرة عنهما
بذلا الطاعة وطلبا خاتم الامان من عند السلطان فكتب الامير المذكور
بذلك الى السلطان فامنهم ونزلوا من قلعة الكرك الى عند الامير المذكور
فتلقاهما بالاجلال والاكرام فركب صبيحة ذلك اليوم الى الصيد فركبا
معه وتصيدوا يومهم ذلك وعادوا الى الوطاق ورتب الامير المذكور
في نيابة الكرك الامير عز الدين ايبك الموصلي المنصوري من جهة السلطان
نقله اليها من نيابة الشوبك فانه كان نايبا بها منذ تسلمها السلطان ايضا
ورتب الامير احوال الكرك وخلع على جماعتها ورجال القلعة والمدينة
وامرا العربان ورحل عايدًا الى الديار المصريه وصحبته اولاد الملك الظاهر
بيبرس المذكورون فلما وصلوا الى قريب القاهرة ركب السلطان والامرا
والعساكر في موكب حافل وتلقاهما واقبل عليهما واطلعهما القلعة
ووفى لهما بالامان ولم يتعرض لهما بسوء واحسن اليهما واعطى كلا منهما
امرة مائة فارس واستمرا يركبان معه في المواكب ويلعبان مع ولديه
في الميدان ونزلهما منزلة اولاده وشرط عليهما ان يسلكا ما يجب من الادب
ويتجنبا مناهج الريب فلبثا على ذلك برهة في ارغد عيش واهنى معيشة
ثم بلغه عنهما امور انكرها فقبض عليهما واعتقلهما وبقيا في الاعتقال
الى ايام ولده الملك الاشرف خليل فسيرهما الى القسطنطينية وكان
من امرهما ما سنذكره في موضعه وفيها خرج السلطان الى الشام
فنزل على غزة ثم عطف الى الكرك جريدة متصيدًا وترك العساكر مقيمة
على غزة فوصل اليها ونزل على ظاهرها وطلع الى قلعتها ونظر في احوالها
وحفر البركة التي في باب النصر وكانت قد اهملت وارتدمت وغير
نايبها فاستناب بها بيبرس صاحب التاريخ المشهور ونقل نايبها المذكور
اولا عز الدين ايبك الموصلي منها الى نيابة غزة فاقام بها مدة يسيرة
ثم نقله منها الى قلعة صفد نايبا بالقلعة خاصة فاقام بها مدة سنين
ولما قرر السلطان امور الكرك رحل عنها وتوجه الى غابة ارسوف لاجل الوخم

اصاب العسكر بغزة

اصاب العسكر بغزة واقام نازلًا على الغابة الى ان هجم الشتا ووقع الثلج فامن
حركة العدو وعاد الى الديار المصريه وفيها عزم السلطان على تجريد العساكر
مع نايبه الى جهة صهيون فخرجوا من القاهرة في اواخر السنة فكان ما سنذكره
وفيها كتب الامير بكتوت العلايي وهو مجرد بحمص الى نايب دمشق
الامير لاجين انه انعقدت زوبعة في سابع صفر بارض حمص ثم
ارتفعت في السما كهيئة العمود او الحية العظيمة وجعلت تختطف
الحجارة الكبار فتصعد بها في الجو كانها سهام النشاب وحملت
شيا كثيرًا من الجمال باحمالها والاثاث والخيام ففقد الناس شيا كثيرا
من رحالهم وامتعتهم وفي سنة ست وثمانين وستمايه
كان السلطان قد جهز عسكرا مع مملوكه نايبه الامير حسام الدين طرنطاي
ففي اوايل السنه ركبت العساكر صحبته ونايب الشام حسام الدين لاجين
ايضا فحاصروا صهيون ونصب عليها المجانيق وضايقها بالحصار
فاجاب صاحبها الامير سنقر الاشقر الى تسليمها بالامان وحلف له
النايب طرنطاي فنزل سنقر الاشقر الى طرنطاي الى اللاذقية وكان
فيها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فدك طريقا في البحر بالحجارة
اليه وحاصره وتسلمه بالامان وهدمه وبعد تسلمه لصهيون توجه
الى الديار المصريه وصحبته سنقر الاشقر بعدما اكرمه غاية الاكرام
ولما وصلا الى قرب قلعة القاهرة ركب السلطان المنصور قلاوون
والتقى مملوكه طرنطاي وسنقر الاشقر واكرمه ووفى له بالامان فبقي
سنقر الاشقر مكرما محترما مع السلطان الى ان توفي السلطان وتملك
بعده ولده الملك الاشرف خليل فقتل سنقر في سنة تسعين وستماية
وفيها جهز السلطان عسكرا من الامرا والاجناد وعربان البلاد وغيرهم
صحبته متولي القاهرة وصحبة متولي الاعمال القوصية لغزو بلاد
النوبة فساروا اليها ووصلوا دنقلة واغاروا عليها وعلى اعمالها
وسبوا ونهبوا وغنموا وجلبوا شيا كثيرًا من الرقيق وعادوا سالمين
وفيها وقع ببلاد الغربية من الديار المصريه في زمن الحصاد برد
فضرب كثيرا من الزرع القايم وفيها وقع بين ملوك الططر حرب
فصادف تمكن الشتا وتكاثر الثلوج واستصعبت الطرقات
فسار بعضهم يعتسف البلد المتوعر والفيافي المتعسرة فتاه عن جادة
الطريق وناله وعسكره غاية الضنك والضيق وهلك اكثرهم من شدة
البرد وعدم القوت ولم يسلم منهم الا القليل بعد ان اكلوا خيولهم ودوابهم

وفيها مات الشيخ الصالح المعمر عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل
الحراني الاصل ثم البغدادي سمع الحديث الكثير واستوطن القاهرة حتى مات
وقد قارب المائة وممن سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل الى مصر
وحكى عنه من الغرائب انه شهد جنازة ببغداد فتبعهم نباش
فلما كان الليل جا الى ذلك القبر ففتح عن الميت وكان شابا قد اصابته
سكتة فلما فتح القبر نهض الميت جالسا فسقط النباش ميتا في
القبر وخرج الشاب من قبره وحكى انه كنت مرة بقليوب وبين يدي
صبرة قمح فجا زنبور فاخذ واحدة ثم جا فاخذ اخرى ثم جا فاخذ
اخرى اربع مرات فذهبت فاتبعته فاذا هو يضع الحبة في فم
عصفور اعمى في تلك الاشجار التي هناك وحكى ان بعضهم شهد جنازة مرة
فاذا عبد اسود معهم فلما صلى الناس لم يصل هو فلما حضروا الدفن
نظر الي وقال انا عملته ثم القى نفسه في القبر فنظرت فلم ارى فيه شيئا
وفي سنة سبع وثمانين وستمايه وقعت الحرب بين ملوك الططر
فاحتال بعضهم مكيدة وحيلة فكمن بعضهم الكمين وسار مع جماعة قليلة
فلما التقى العسكران طمع العسكر الكثير فيهم لقلتهم وحملوا عليهم فما ثبتوا
لحملتهم فانهزموا قدامهم راجعين فتبعوهم طامعين حتى اذا انجاوزوا
مكان الكمين خرج عليهم الكمين فكسروهم اشد كسرة وقتلوا منهم خلقا
كثيرا ونهبوا من نسائهم وصبيانهم وجلب من ذلك السبي جماعة الى الديار المصرية
وفيها عزل السلطان المنصور قلاوون الامير سنجر الشجاعي المنصوري عن الوزارة
وصادره واخذ امواله وذلك لظلمه للناس وكثرة الدعا على السلطان
بسببه والشجاعي هذا هو اول من ولي الوزارة من الترك ارباب السيوف
فلما عزله السلطان ولى عوضه الوزارة الامير بيدرا المنصوري ايضا
وكان استادار فنقل الى الوزارة وهو ثاني الوزرا من الترك واحسن
فيها السيرة ولم يزل مستمرا الى ان انقضت الدولة المنصورية واقبلت
الدولة الاشرفية فنقل الى نيابة السلطنة فقتل السلطان ثم قتل هو
وفيها وقع بالشام في شهر رمضان كبس نصراني وعنده امراة مسلمة
وهم يشربون الخمر في نهار رمضان فامر نايب السلطنة بالشام بتحريق النصراني فبذل في نفسه اموالا جزيلة فلم يقبلوا منه وحرقه
بسوق الخيل وفيها لما حج الناس بادر الامير ابو نمي صاحب مكة
على امير الحاج وامسكه باتفاق مع الحجاج وسيره الى السلطان فارسله
الى الكرك فاعتقل فيها مدة ثم اطلق فيما بعد واسمه بلبان الدكاجلي يعرف بالشحنة

مز الحبة

وفيها مات

وفيها مات الشيخ العارف بالله ابو العباس احمد بن عمر المرسي من اصحاب
الشيخ ابي الحسن الشاذلي الاوليا المشهورين افردت مناقبهم بالتصنيف
وفيها مات الملك الصالح علي بن الملك المنصور قلاوون وهو الذي ذكرنا انه
جعله ولي عهده وسلطنه في حياته وخطب له معه على المنابر من سنين
فوجد ابوه عليه وجدا عظيما وبنى له تربة هايلة بقرب مشهد السيدة
نفيسة تعرف بالمدرسة الصالحية وخلف ولدا اسمه موسى
فجعل السلطان ولاية العهد بعده الى ابنه الملك الاشرف خليل كما سنذكره
واما موسى المذكور فانه عاش مدة في كنف عمه الناصر محمد وسنذكر ما جرى له
وفي سنه ثمان وثمانين وستمايه كان فتح طرابلس
الشام وذلك ان السلطان الملك المنصور قلاوون قدم بالجيوش المصريه
الى طرابلس وصحبته خلق من المتطوعة منهم قاضي الحنابلة نجم الدين ابن الشيخ
وخلق من المقادسة وغيرهم فنازلها في يوم الجمعة مستهل ربيع الاول منها
وحاصرها بالمجانيق حصارا شديدا وضايقوها عظيما ونصب
تسعة عشر منجنيقا فلما كان يوم الثلثا رابع جمادى الاخرة فتحت
طرابلس في الساعة الرابعة من النهار عنوة وشمل القتل والاسر جميع من
فيها وغرق كثير منهم في المينا ونهبت الاموال وسبيت النسا
والاطفال واخذت الذخاير والحواصل وقد كان لها في ايدي الفرنج من
سنة ثلاث وخمسمايه الى هذا التاريخ وقد كان الملك صنجيل الفرنجي
حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا وكانت قبل ذلك بايدي
المسلمين من زمان معاوية رضي الله عنه فانه فتحها سفين بن مجيب
لمعاوية فاسكنها معاوية اليهود ثم لما كان عبد الملك بن مروان
جدد عمارتها وحصنها واسكنها المسلمون حينيذ وصارت مطمينة
ثم استولى عليها اولاد عمار وبها ثمار الشام ومصر فانه يجتمع فيها الجوز
والموز والثلج والقصب وقد كانت قبل ذلك كله ثلاث مدن
متقاربة ثم صارت بلدا واحدا ويحيط البحر بغالب هذه المدينة
وليس عليها القتال في البر الا من جهة الشرق وهو مقدار قليل فلما
نازلها السلطان نصب عليها عدة مجانيق كبارا وصغارا ولازمها
بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها عنوة كما ذكرنا وقال النويري
مدة لبث الفرنج عليها من يوم استولوا عليها نحو مايه سنه وخمس وثمانين سنه
وشهورا وكان فتحها عنوة يوم الثلثا رابع ربيع الاخر وهرب اهلها الى المينا
فنجى اقلهم في المراكب وقتل غالب رجالها وسبيت ذراريهم وغنم منها المسلمون

غنيمة عظيمة وكان في البحر قريبا من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة تسمى كنيسة
سنطماس وبينها وبين طرابلس الميناء فلما اخذت طرابلس هرب الى
الجزيرة المذكورة عالم عظيم من الفرنج رجال ونسا فاقتحم العسكر الاسلامي
البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة المذكورة وقتلوا جميع من بها
من الرجال وغنموا ما بها من النسا والصغار والاموال وصار الناس لا
يستطيعون الصعود اليها من نتن جيف القتلى ولما فرغ حصار
طرابلس المذكور امر بها السلطان فهدمت ودكت الى الارض ثم حولت
من موضعها فان السلطان بعد ان امر ان تهدم هذه البلدة بما فيها من العماير
والادر والاسوار وان يبنى على ميل منها بلدة غيرها امكن منها واحسن
ففعل ذلك فهي هذه التي هي الان جعلها الله دار امان ثم عاد السلطان
الى دمشق واعطى صاحب حماه والعسكر الدستور فعاد الى بلده
ودخل السلطان دمشق في منتصف جمادى الاخرة ثم سافر السلطان في
ثاني شعبان بجيشه الى الديار المصريه فدخلها في اخر شعبان منها **و**ممن
استشهد في فتح طرابلس من الامرا الامير عز الدين معان امير شكار
فاز بالسعادة ونال درجة الشهادة **و**الامير ركن الدين منكبرس الفارقاني
استشهد بها ايضا **وفيها** فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب وكركر
وتلك النواحي وكسرت طايفة من التطر هناك وقتل مقدمهم جرمنداء
نايب التطر على ملطيه **وفيها** سلطن السلطان ولده الملك الاشرف
خليل وركب من القلعه وشق القاهره بشعار السلطنة ثم جرى ما سنذكره
وفي سنة تسع وثمانين وستمايه اتصل الخبر بالسلطان ان
الفرنج الذين في عكا قد عاثوا وافسدوا وانتهوا الى ان وصل الى المدينه
تجار من المسلمين ومعهم مماليك قاصدين بهم الابواب السلطانيه
فاحتاطوا عليهم وقتلوهم واخذوا ما معهم من المماليك والبضاعة
فلما سمع السلطان ذلك وجد وجدا عظيما وصمم على قصدهم وتجهز للسفر
وخرج من القلعه وخيم على مسجد التبن في اواخر شوال واستخلف بالقلعة
ولده الملك الاشرف خليل والامير زين الدين كتبغا نايب السلطنه
والامير سنجر الشجاعي وقد اعيد الى الوزارة وخرجت العساكر ولما
لم يبق الا الرحيل عاقه القدر عما يرومه وادركه امر الله فتوفي في
السادس من ذي القعده منها وهو بالوطاق بمسجد التبن كما سنبينه
الان وجلس موضعه ولده الملك الاشرف خليل بعهد من ابيه
فقتل نايبه حسام الدين طرنطاي واستقل بتدبير الامور كما سنذكره مفصلا

ذكر وفاة السلطان

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي التركي كان جنسه من
خالص القفجاق من القبيلة المعروفه ببرج اغلي ولما جلبته التجار الى
هذه الديار في الزمن الذي ذكرنا فيه استيلا التطر على تلك الاقطار
اشتراه الامير علا الدين اقسنقر الكاملي بالف دينار وغالى في قيمته
لحسنه وجنسه فصار يعرف بالالفي لذلك فاتفقت وفاة
استاذه المذكور في الدوله الصالحيه فارتجع هو وجماعة من خوشداشيته
الى المماليك السلطانيه فكلهم يعرفون بالعلايية وذلك في سبع واربعين وستماية
وكان من جملة البحرية وتسحب معهم الى البلاد الشاميه وجرى له ولهم من
الخطوب ما ذكرناه ثم عاد هو ورفيقه الملك الظاهر بيبرس البندقداري
من عندهما في الايام المظفرية الى الديار المصريه وعبرا معا على الشيخ علي
المعروف بالبكا بمدينة الخليل عليه السلام واخبره بانتقاله الى هذه الرتبة
وقد ذكرنا ذلك وارتفعت في دولة الظاهر مرتبته وارتفعت درجته
وفي نفس الملك الظاهر لان الملك بعده اليه صاير فاراد الاعتضاد لولده به
والمظاهرة فكان منه ما ذكرنا من اختياره للمصاهرة فما اجمل الملك
السعيد معه الصحبه ولا رعى له حق القربه فقطع بينهما بقلة الانصاف
وعامله بما كان سببا للخرافة فكان كما قال **القايل**

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

وقال ابن كثير اشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل
ابن ايوب بالف دينار فلذلك سمي بالالفي وكان من اكابر الامرا عنده وبعده
ولما تزوج الملك السعيد بن الملك الظاهر بابنته غازية خاتون عظم
شانه جدا وما زال يترقى في الدوله حتى صار اتابك الملك العادل سلامش
ثم رفعه من البين واستقل بالملك كما ذكرنا وكان اقتنى مماليكا كثيرة
حتى بلغت عدتهم اثنى عشر الفا وقيل سبعة الاف وهو الاصح
وكان قد افرد منهم قريب اربعة الاف مملوك من جنس الاص والجركس
فجعلهم في ابراج القلعه وسماهم البحرية واقام نوابه في البلدان من
مماليكه الذين نشاهم فجعل نايبه بمصر منهم طرنطاي وبدمشق لاجين
وبحلب قراسنقر وبالساحل طرابلس واعمالها بلبان السلحدار الطباخي
ومماليكه هم الذين غيروا ملابس الدول الماضيه ولبسوا احسن الملابس
لان في الدولة الصالحيه كان الجميع يلبسون كلوتات صفرا مضربة
بكلبندات بغير شاشات وشعورهم مظفورة دبابيق في اكياس
حرير ملون اصفر واحمر وكان في خواصرهم موضع الحوايص بنود ملونة

غالي
او بعلبكية واكمام اقبيتهم ضيقة على زي ملابس الفرنج واخفافهم بر
او سقامين ومن فوق قماشهم كمران بحلق وابزيم وصو الفهم كبار
بسع كل صولق نصف ويبه او اكثر ومنديلهم كبير طوله ثلاثة
اذرع فابطلت المنصوريه كلك كلها باحسن منه وكانت الخلع للامرا
المقدمين مخصص للملك المنصور من الاحرا يلبس الطرد الوحش
اربعة وهم خشداشينه وهم سنقر الاشقر وبلبسري والايدمري
وايبك الافرم وباقي الامرا الخاصكيه والترابيين يلبس المرو زكش
والطبلخانات بالملون والعشرات يلبس العتابي وفتح السلطان
من القلاع التي بيد الفرنج المرقب وطرابلس وجبلة واللادقية وصهيون
وبحتا واخذ من اولاد الظاهر الكرك والشوبك وابطل مظالم كثيرة
منها زكاة الدولبة كان يوخذ من كل من عرف عنده مال زكاته ولو
هلك ماله او مات يوخذ من ورثته بالضرب والحبس ومنها كان
يوخذ من اهل الذمه عن كل واحد دينار غير الجالية برسم نفقات الجند
فابطله ومنها كان يوخذ من التجار عند سفر العسكر للغزاة عن كل
تاجر دينار فابطله ومنها كان يجبي من الناس على قدر معايشهم
اذا حضر مبشر باخذ حصن او بنصرة المسلمين فابطل الاجرم لمن الله
جزاه في ذريته وحاشيته بالحسنى ومكث الملك فيهم اكثر من ماية سنة
وقد ذكرنا انه خرج قاصد الغزو عكا فابتدا مرضه بعد نزوله في المخيم
بمسجد التبن ظاهر القاهره وتزايد به المرض حتى توفي في المخيم بتاريخ
اوايل ذي القعده من السنه المذكوره ودفن في تربته التي انشاها بين
القصرين التي ليس بمصر ولا بالشام مثلها فان بها تربه ودار حديث
ومارستان وقبه ودروس مذاهب الايمة الاربعه كما ذكرناه
وكانت مدة ملكه قريب تنتي عشر سنه فان جلوسه في الملك في اواخر
رجب من سنه ثمان وسبعين وستماية وخلف ولدين وهما الملك الاشرف
خليل والملك الناصر محمد وحفيده المظفر موسى بن الصالح علي كما ذكرناه
وكان وسيما جسيما حسنا قسيما تاما نبيلا بهيا جميلا من احسن
الاتراك صورة واكثرهم هيبة تعلوه جلالة وحشمه وتقاربه
مهابه وحرمة وكان حليما عفيفا عن سفك الدما مقتصدا في العقاب
كارها للاذى والله اعلم وكان شجاعا فتح الفتوحات الجليلة مثل المرقب
وطرابلس التي لم يجسر احد من الملوك مثل صلاح الدين بن ايوب وغيره على
التعرض اليهما لحصانتهما وكسر جيش التطر على حمص وكانوا في غاية الفرسان
يوم الخميس

السلطان الثامن

السلطان الثامن بمصر من ملوك دولة الترك

هو ولده السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك
المنصور قلاون الالفي التركي الصالحي النجمي لما توفي ابوه الملك المنصور جلس هو
على سرير السلطنه في السابع من ذي القعده من سنه تسع وثمانين وستماية وقد ذكرنا ان
وفاة ابيه كانت بالوطاق خارج القاهره فوقف نايب السلطنه الامير حسام
الدين طرنطاي المنصوري بنفسه فنقله الى القلعة ونقل الخزاين بسرعة وامر
الولاة والنواب بحفظ الشوارع والابواب ونادى مناديه بان من تفوه
بما لا يعنيه حل به ما لا يرضيه واصبح الملك الاشرف متحكما مستقلا ولم
يختلف فيه اثنان ولا تحركت شفة ولا لسان وكان ابوه لما احتضر قد
استدعاه الى الوطاق واوصاه بان يحفظ مماليكه ويحافظ عليهم ويبالغ
في الاحسان اليهم ويستمر بهم على اقطاعاتهم ووظايفهم بمصر والشام
وكان مماليكه والذين هم العمال والنواب بالاعمال بالمملكه المصريه والشاميه
فاطاعوه جميعا فكانوا دعايم بنيانه وقواعد اركانه فالامرا الذين
كانوا اليهم الامر بالديار المصريه هم الامير حسام الدين طرنطاي نايب
السلطنه واتابك العساكر والامير زين الدين كتبغا نايب السلطنه من الغيبة
والامير علم الدين سنجر الشجاعي متولي الوزارة والامير بدر الدين بيدرا استاد
الدار والامير عز الدين ايبك الخزندار واما الامرا الذين يلون الممالك
الشاميه فالامير حسام الدين لاجين السلحدار نايب السلطنه بدمشق
والامير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار نايب السلطنه بالممالك الحلبية
والامير سيف الدين بلبان الطباخي السلحدار نايب السلطنه بالحصون
الساحلية والامير بلبان الجوكندار نايب السلطنه بالاعمال الصفديه
والامير كيكلدي العلاي المنصوري نايب السلطنه بالبلاد الحمصية والامير
كيدغدي المنصوري نايب السلطنه بغزة والاعمال الرملية والامير بيبرس
الدوادار صاحب التاريخ المشهور نايب الكرك واعمالها ولما استقر
الملك الاشرف خليل في المملكه وقف الامير حسام الدين طرنطاي النايب
على العادة بين يديه معتقدا انه يعتمد عليه ويفوض الامور كما
كانت في حياة والده اليه وكان في خاطر الاشرف منه اثرة قديمة
من زمن والده وكان يتوهم فيه انه يمنعه اكثر مقاصده مما يتفوه
به الوشاة وكان ايضا النكبي على الوزير بكرهه لما جرى عليه بسفارته
من العزل الذي ذكرناه واتفق مع ذلك نفار الخاصكيه منه فراوا
السلطان نافرا من جهته فحسنوا له القبض عليه فلما كان بعد جمعة من تملكه

استدعى السلطان الامير طرنطاى النايب المذكور الى بين يديه فدخل آمناً
مطمينا لكونه لم يصدر منه ما يغضب السلطان ولم يدر بما نصبت له من اشراك
النايبات فلما مثل بين يديه وضعت الايدى عليه وحمل على الاعتقال
على اسوء حال وندب الشجاعى للحوطة على امواله وحواصله فاخرج من بيته
ستمايه الف دينار عين وماية واحد وسبعين قنطارا بالمصرى فضة
واما الاوانى الفضة والكفت والخيل والبغال والهجن والجمال والابقار
والحواصل فهى اكثر من ان تذكر ومن الغلال ماية الف اردب ومن القماش
شى كثير من جملته قريب خمسماية ثوب اطلس ومن اصناف السلاح
اربعماية قرقل وماتين جوشن مسقط وخمسماية بركستوان وثلثماية
طارقة ومن المواشى اربعة الاف راس من الغنم والفين راس من البقر
فى الدواليب والمزدرعات ومع هذا كان عبرة اقطاعه اربعين الف
دينار وكان له من الاولاد اثنان احدهما اعمى ولما مسك المذكور وهو طرنطاى
النايب واعتقل كان اخر العهد به وكان محبسه بقلعة الجبل وبقى ثمانية
ايام ميتا لا يدرى به فلف فى حصير على خربة وكفن كاحاد الفقرا
هذا وقد اخذ من حواصله ما ذكرناه فسبحان الفعال لما يريد فكان قصته كما قيل
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى ۝ عليهم الدهر بالافات والمحن ۝
وهو صاحب المدرسه بالقاهره فى ظهر المدرسه الابوبكرية بسوق الرقيق
وفوضت وظيفته نيابة السلطنة الى الامير بدر الدين بيدرا المنصورى
فتحدث فيما كان يتحدث فيه طرنطاى وهو العجب لان بيدرا هذا هو الذى
قتل الملك الاشرف كما سنذكره فى موضعه واخذت الوزاره من الشجاعى
وتولاها شخص تاجر شامى يسمى شمس الدين ابن السلعوس وجرى له ما سنذكره
وفيها احترقت دار صاحب حماه وذلك انه وقع فيها نار فى غيبته
فلم يتجاسر احد يدخلها فعملت النار فيها يومين فاحترق كل ما فيها
وفيها اخذ الفرنج جزيرة جربة من صاحب تونس من عمل ملوية
وفيها وقع حرب بين ملوك بلاد المغرب ابى يعقوب المرينى وعماله
وفى موت السلطان المنصور قلاوون قال بعض الشعرا يرثيه ويهنى
ابنه الملك الاشرف خليل بقصيدة طويلة فمنها قوله من ابيات
لئن اوجع الدهر القلوب واحزنا ۝ فلقد تدارك بالمسرة والهنا ۝
خطب عظيم جانا من بعده ۝ فرح ازال صباحه ظلم العنا ۝
بمنية المنصور شاهدنا الردى ۝ لكن شهدنا فى ابنه كل المنى ۝
فلين اسا الدهر فيه فانه ۝ بالاشرف الملك المويد احسنا ۝

وفى سنة تسعين وستمايه

الحاكم بامر الله

وفى سنة تسعين وستمايه استهلت والخليفة ابو العباس احمد العباسى
وسلطان البلاد الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون كما ذكرنا
ونايبه بمصر الامير بيدرا ونايبه بدمشق حسام الدين لاجين السلحدار
وفى اولها تصدق السلطان عن ابيه المنصور باموال كثيرة جدا من الذهب
والفضة وانزله ليدفن فى تربته ليلة الجمعة فدفن فيها تحت القبة ونزل القبر
نايب السلطنة المذكور وفيه قبض السلطان الاشرف على خشداشه والده
الامير سنقر الاشقر وحبسه وافرج عن الامير كتبغا وكان قد مسك
مع طرنطاى النايب **فتح عكا** وجعلها دكا ارسل البريد الى البلاد الشاميه
لتجهيز الالات بسبب حصار عكا ونودى للغزاة وبرزت المجانيق
الى ناحية الجسوره وخرجت العامة والمطوعة يجرون فى العجل حتى
الفقها والمدرسون والصلحا وخرجت العساكر الاسلاميه المنصوره
بين يدى نايب الشام وخرج فى اخرهم النايب حسام الدين لاجين السلحدار
وصاحب حماه الملك المظفر بن المنصور وخرج الناس من كل صوب من
المتطوعة وغيرهم واتصل بهم عسكر طرابلس وركب السلطان الملك
الاشرف خليل من الديار المصرية بعساكره قاصدا عكا فوافى الجيش هناك
وساقوا من حصن الاكراد منجنيقا عظيما حمل ماية عجلة وكان المسير
بالعجل اواخر فصل الشتا واتفق وقوع الامطار والثلوج بين
حصن الاكراد ودمشق فحصل بسبب ذلك شدة عظيمة والحاصل انه اجتمع
على عكا من المجانيق الصغار والكبار ما لم يجتمع على غيرها وكان نزول
العساكر الاسلاميه عليها فى اول جمادى الاولى فنازلها السلطان ونصب
عليها المجانيق من كل ناحية يمكن نصبها واجتهدوا غاية الاجتهاد فى محاصرتها
والتضييق على اهلها واشتد عليهم القتال ولم تغلق الفرنج غالب ابوابها
بل كانت مفتوحة وهم يقاتلون فيها وفى محاصرة عكا وقع تخبيط من
نايب دمشق حسام الدين لاجين فتوهم ان السلطان يريد مسكه وكان
قد اخبره بذلك بعض الامرا فركب هاربا فرده بعض الامرا بالمسالمة
وجابه الى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه ثم امسكه بعد ثلاثة
ايام وبعثه الى قلعة صفد واحتاط على حواصله ورسم على استاذ داره
ثم ضايق السلطان الحصار ورتب الكوسات ثلثماية حمل وكان تحضر
المراكب المقببة بالخشب الملبس جلود الجاموس والفرنج من تحتها
يرمون بالنشاب والشروخ واحضروا بطسة وفيها منجنيق يرمى
على المسلمين وعلى خيامهم من جهة البحر حتى اتفق فى بعض الليالى هبوب رياح

قوية فارتفع المركب والخط بسبب الموج فانكسر المنجنيق الذي في المركب
والخط وكان المسلمون قد قاسوا منه شدة عظيمة وخرج الفرنج في اثنا
مدة الحصار بالليل وكبسوا العسكر فهزموا اليزكية واتصلوا الى الخيام
وتعرقلوا بالاطناب ووقع منهم فارس في جورة مستراح لبعض الامرا
فقتل هناك وتكاثرت عليهم العساكر فولى الفرنج منهزمين الى البلد وقتل
من عسكر جماعة عدة فلما اصبح الصباح علق عدة من روس الفرنج
في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر منهم واحضر ذلك الى السلطان
الملك الاشرف واشتدت مضايقة العسكر لعكا وزحف عليها
سحر يوم الجمعة منتصف جمادى الاخرة ودقت الكوسات جملة واحدة
عند طلوع الشمس وطلع المسلمون على الاسوار مع طلوع الشمس فنصبت
السناجق الاسلامية فوق الاسوار فولت الفرنج عند ذلك الادبار
وطلبوا الفرار وركبوا هاربين في مراكب البحار وقتل منهم خلق كثير لا يعلم
عددهم الا الله عز وجل وغنم المسلمون من الامتعة والرقيق والبضايع
شيا كثيرا جدا وفتحها الله يوم الجمعة بالسيف وامر السلطان بهدمها
وتخريبها بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك فتيسر لله فتحها في نهار الجمعة
كما اخذها الفرنج في نهار الجمعة جزا قصاصا وكان بداخل البلد
عدة ابرجة كبار عاصية بمنزلة قلاع داخلها عالم عظيم من الفرنج
فيها الداوية والاسبتار والارمن فتحصنوا بها وعصت تلك الابراج
فحاصرها المسلمون حول عشرة ايام اخر فاستامن منهم ما ينيف على
عشرة الاف نفر ولم يجدوا منزلا ففرقوا على الامرا ليقتلوهم فقتلوهم
عن اخرهم وابقى السلطان جماعة من اسرايهم وارسلهم الى الحصون وكان
هذا الفتح العظيم اخر الفتوحات الساحلية واستنقذ الله عكا من ايدي
الفرنج على يد الملك الاشرف صلاح الدين خليل كما كان فتوحها اولا
على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واقامت بايديهم
مائة سنة وثلاث سنين لم ينهض احد من الملوك الايوبية ومن بعدهم من
ارباب الدولة التركية باسترجاعها وكان استيلا الفرنج عليها في الايام
الناصرية في سبع وثمانين وخمسمائة ولما اضرمت فيها النار وتهدمت
وتساقطت عمل القاضي الشهاب محمود الحلبي كاتب الانشا هذين البيتين وهما
مررت بعكا بعد تخريب سورها ⁘ وزند اوار النار في وسطها واري
وعاينتها بعد التنصر قد غدت ⁘ مجوسية الابراج تسجد للنار
وقال فيها ايضا قصيدة طويلة وعمل فيها ايضا القاضي ابن عبد الظاهر كاتب الانشا

ولم تزل النصارى

ولم تزل النصارى يعظمون هذه المدينة لاجل قرية الناصرة وهي القرية التي
خرج منها المسيح عليه السلام وفيها ايضا عين تسمى عين البقر يزورها
المسلمون والنصارى واليهود يزعمون ان البقرة التي خرجت لادم
للحرث خرجت من هذه العين **فتح صور وصيدا وعثليث**
وبيروت ونحوها لما فتحت عكا القى الله الرعب في قلوب
الفرنج الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الامير
سنجر الشجاعي الذي ولي نيابة دمشق عن قريب عوضا عن نايبها لاجين
وكان تسلمها في اواخر رجب وكذلك هرب اهل مدينة صور فارسل
السلطان وتسلمها ثم تسلم عثليث في مستهل شعبان ثم تسلم انطرطوس
في خامس شعبان جميع ذلك في هذه السنة وارسل السلطان الى مدينة صور
اميرا فهدم اسوارها وعفى اثارها وقد كان لها في ايدي الفرنج من
سنة ثمان عشر وخمسمائة واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق
لغيره بفتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب وامر بها
فهدمت عن اخرها وتكملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية
الاسلامية وكان امرا لا يطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من
الفرنج الطغام بعد ان كانوا قد اشرفوا على ملك الديار المصرية وعلى ملك دمشق
وغيرها من الشام فلله الحمد والمنة على ذلك وكان ابتدا استيلا الفرنج على هذه
البلاد وعلى بيت المقدس من حين خرجوا ثايرين على هذه الممالك في تاريخ حدود
سنة تسعين وخمسمائة فكانت مدة ذلك مائتين سنة سوا فلله الامر
وكان سبب استيلايهم على هذه البلاد ضعف شوكة الملوك خصوصا
حكام الديار المصرية العبيديين المعروفين بالفاطميين لقلة حرمتهم عليهم
حتى جرى ما تقدم ذكره ولما تكاملت هذه الفتوحات رحل السلطان
الملك الاشرف عنها ودخل دمشق في وسط السنة في ابهة عظيمة وفي صحبته
الجيوش والعساكر واستقر في نيابة دمشق سنجر الشجاعي عوضا عن لاجين
ثم رجع السلطان في اواخر رجب نحو الديار المصرية فدخلها في تاسع شعبان
في ابهة عظيمة وكان يوما مشهودا وافرج عن الامير بيسري وعن نايب
دمشق لاجين ومن معه من حبس قلعة صفد ونقل بيبرس صاحب التاريخ
من نيابة الكرك للقاهرة وولاها عوضه للامير اقوش الاشرفي فعرف بنايب
الكرك **وفيها** امر السلطان بعمارة الرفرف الظاهري الذي بقلعة الجبل
وتوسيعه ورفع سمكه وتزيينه فوسع وشيد وزخرف وصورت فيه امرا
الدولة وخواصها وعقدت له فيه على العمد وبنى مجلسا للسلطان ولمن بعده

من ملوك الزمان يشترف على سوق الخيل والميدان الاسود والمدينة
وفيها توجه السلطان الاشرف من ولدي الملك الظاهر بيبرس وهما الملك
المسعود نجم الدين خضر والملك العادل بدر الدين سلامش الذي كان تولى
السلطنة اوقاتا ما خطرت بباله ابعادهما عن البلاد الاسلامية
واخراجهما من الديار المصرية فاخرجهما وامهما معهما الى الاسكندرية صحبة
الامير عز الدين ايبك الموصلي استاد الدار السلطانية وصارا بطرابلس
فسفرهما في البحر المالح الى مدينة القسطنطينية من بلاد الروم فلما وصلا
اليها احسن الاشكري صاحبها اليهما وامر بانزالهما واجرى عليهما ما يقوم
بهما فاما العادل سلامش فادركته الوفاة فمات هناك وصبرته
والدته وصيرته في تابوت الى ان اتفقت عودتها فاعادته معها
الى الديار المصرية ودفنته بها وقد ذكرنا انه كان قد بويع بالملك بعد اخيه
الملك السعيد لما استنزل عن الملك وجعله المنصور قلاون موصلا
ثم استقل قلاون بالملك وارسله واخوته الى الكرك وضبطوا فيها فانتزعها
منهم واعادهم الى القاهرة ونعوا فيها مكرمين ثم بلغه عنهم ما يشوش
فحبسهم ثم سفرهم الاشرف في اولاد ودولته الى القسطنطينية فمات سلامش
هناك كما ذكرنا وقد كان شكلا حسنا بهي المنظر افتتن به خلق كثير
من الناس وشبب به الشعراء من ذلك قول بعضهم يا عاذلي في العادل
وكان عاقلا رئيسا مهيبا وقورا وبلغ من العمر نحو العشرين سنة كما تقدم
واما اخوه خضر المذكور فانه عاش بعدهم مدة طويلة بالقاهرة الى ان مات
بعد حوادث في سنة ثمان وسبعمائة وذريته هم الموجودين الان ما بقي من
اولاد الملك الظاهر وفيها تكملت عمارة قلعة حلب وكان بانيها قراسنقر
قد شرع في عمارتها في ايام السلطان المنصور قلاون فتمت في ايام ولده الاشرف
وكتب عليها اسمه وكان قد خربها هلاون لما استولى على حلب التتر
سنة ثمان وخمسين وستمائة كما ذكرناه فكان لبثها خرابا بلا بناء ثلاثين
سنة تقريبا وفيها عمل السلطان بالمدرسة المنصورية ختمة عظيمة لوالده
انفق فيها اموالا كثيرة ونزل بنفسه وفرق في الفقهاء والقراء على جميع اهل
المدارس والزوايا والربط نحو خمسين الف درهم والف قميص ولما نزل السلطان
الى المدرسة نزل معه الخليفة وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة حرض
فيها على غزو بلاد العراق واستنقاذها من ايدي التتر وقد كان الخليفة قبل
ذلك محجبا فراه الناس جهرة وركب في الاسواق بعد ذلك ثم لما كان يوم الجمعة
رسم السلطان للخليفة الحاكم بامر الله ان يخطب هو بنفسه الناس يوم عيد ولم

يذكر في خطبته

يذكر في خطبته انه قد ولى السلطنة للاشرف خليل بن المنصور قلاون
فلبس الخليفة سوادا وخطب الناس بالخطبة التي كان خطب بها
في الدولة الظاهرية وكانت من انشاء الشيخ شرف الدين المقدسي وكان بين
الخطبتين ازيد من ثلاثين سنة وذلك بجامع قلعة الجبل مرة واحدة
وفيها شرع في عمارة قلعة دمشق وبناء الادر السلطانية والطارمة والقبة
الزرقاء حسبما رسم السلطان الاشرف لنائبه سنجر الشجاعي واعيد للقلعة
نائبها ارجواش وفيها هلك ملك التتار ارغون بن ابغا بن هلاون
بن طولو بن جنكزخان وخلف ولدين هما قازان وخربندا وكانا
بخراسان فتملك بعد ابيهما اخوه كيختا وكان فاسقا سيء السيرة والفحش فيهم في
اللواط باولادهم فابغضوه على ذلك وفسدت نياتهم عليه فقتلوه كما ياتي
وفي سنة احدى وتسعين وستمائة في اواخر المحرم وقع حريق عظيم
بقلعة الجبل ببعض الخزائن واتلف شيئا كثيرا من الذخائر والنفائس
والكتب فتح قلعة الروم في ربيع الاخر توجه السلطان الاشرف خليل
الى البلاد الشامية لفتح قلعة الروم فخرج من الديار المصرية بالعساكر
فاستعرض الجيوش بدمشق وانفق فيهم اموالا كثيرة وجمع عساكر
البلاد المصرية والشامية فلما اجتاز السلطان بحماة نزلها وتفرج في محاسنها
وتصيد بها فصاد شيئا كثيرا من الغزلان وحمير الوحش واما العساكر
فسارت على السكة الى حلب فلحقهم السلطان بها وتوجه منها الى
قلعة الروم ونازلها في اوائل جمادى الاخرة وهي حصن على جانب الفرات
في غاية الحصانة ونصب عليها المجانيق واشتدت مضايقتها ودام
حصارها حتى فتحت بالسيف في حادي عشر رجب وقتل اهلها
ونهبت ذراريهم واعتصم خليفة الارمن المقيم بها في القلعة وكذلك
اجتمع بها من هرب الى القلعة فرسم السلطان ان يرمى عليهم بالمنجنيق
من راس الجبل المطل على القلعة من شرقيها لاشرافه عليها فلما ترك المنجنيق
ليرمي عليهم طلبوا الامان من السلطان فلم يؤمنهم الا على ارواحهم
خاصة وان يكونوا اسرى فاجابوا الى ذلك واخذ خليفة الارمن
وجميع من كان بقلعة القلعة اسرى عن اخرهم ورتب السلطان الامير
سنجر الشجاعي نائب الشام لعمارتها وتحصين قلعتها واصلاح ما خرب
منها وما يعود على مصالحها وامر بان تخرب ربضها ويبعد عنها
وجرد معه لذلك جماعة من العسكر فقام الشجاعي فعمرها وحصنها الى
الغاية وامر السلطان بان يمحى عنها اسم الرومية وان تسمى قلعة المسلمين الاشرفية
وفي فتحها عمل القاضي الشهاب محمود الحلبي كاتب الانشا قصيدة طويلة طنانة

ورجع السلطان الى حلب وعزل نايبها قراسنقر عنها واستصحبه معه
وولى موضعه على حلب الامير بلبان المعروف بالطباخي وكان المذكور
نايبا بالفتوحات الساحلية وكان مقامه بحصن الاكراد لكونها
قلعة فلما نقل ولى موضعه الفتوحات والحصون لطغريل الايغاني
ثم عزله بعد مدة وولى موضعه عز الدين ايبك الخزندار المنصوري
وكان مقام السلطان على حلب بقية رجب وشعبان ثم رحل الى دمشق
وصام بها رمضان وعيد وفي ليلة العيد هرب الامير حسام الدين
لاجين الذي كان نايبا بدمشق وكان السلطان قد اعتقله وهو
على حصار عكا في السنة قبلها كما ذكرنا ثم افرج عنه في اوايل هذه السنة
وسار مع السلطان الى قلعة الروم وعاد معه الى دمشق فلما وصل اليها
استوحش من السلطان فهرب منه الى جهة العرب فقبضوه
واحضروه الى السلطان فبعث به الى الديار المصرية فحبس بها هو وجماعة
وعزل السلطان ايضا نايب دمشق سنجر الشجاعي وولاها لايبك الحموي
الظاهري ثم عاد السلطان الى الديار المصرية ودخلها في ابهة عظيمة
فلما استقر في القلعة قبض على الامير سنقر الاشقر وعلى امرا اخرين
وعجل باعدامهم فخنقهم عن اخرهم وقصد قتل لاجين ايضا فسلمه الله
لامر قدره وسنذكره وكان صورة الحال انه لما قبض تلك الامرا عاقبهم
فاعترفوا بانهم ارادوا قتل السلطان فسالهم عن لاجين فبراوه عن معرفة
قصدهم وانه ليس معهم فخنقهم واطلقه بعدما كان الوتر في حلقه
فكان له اجل لا بد منه فانه صار ممن قتل هذا السلطان الاشرف
وتسلطن هو بعد ذلك كما سنذكر في موضعه واما سنقر الاشقر
المذكور فقد ذكرنا قصته مفصلا وانه تسلطن بدمشق ثم امن للملك
وفي سنة اثنين وتسعين وستماية ظهرت نار بارض المدينة
النبوية الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام نظير ما كانت
في سنة اربع وخمسين وستماية كما ذكرناها على صفتها الا ان هذه بعلو
لهيبها كثيرا وكانت تخرق الصخر ولا تحرق الصخر واستمرت ثلاثة
ايام كذا ذكر في تاريخه ظهير الدين الكازروني وفيها افرج السلطان
عن الامير بيسري من الاعتقال وكان له فيه نحو ثلاث عشر سنة واعطاه
امرة ماية فارس واتخذه لمنادمته وكان يانس الى دعابته ويضحك
من مجانته وبقي كذلك الى ان كان منه ما نذكره وفيها عزم السلطان على التوجه
الى الوجه القبلي متصيدا فتقدمه وزيره لتجهيز التقادم والاقامات من العربان

والولاة والاعيان فكتب اليهم بالاهتمام والاستعداد التام واقام الامير
بيدرا نايب السلطنة بالقلعة وخرج السلطان متوجها الى الوجه القبلي
فلما تحدث الوزير مع الاعمال لتحصيل الاموال وتقرير التقادم من
الخيل والجمال وجد لنايب السلطنة بيدرا عدة من البلاد محمية
باسمه وله بها كثير من الحواصل والغلال مع شغور الشون السلطانية
ووجد نوابه الذين بكل جهة يدافعون عنها فاوحى الى السلطان
من امرهم ما غيره عليه فبلغ ذلك الامير بيدرا فحصل في قلبه تغير
فلما قضى السلطان الوطر من الصيد ووصل الى قوص عاد الى القلعة
فاهتم له الامير النايب المذكور بضيافة عند عودته وضرب له
بالعدوية خيمة من الاطلس الاحمر باطناب من الابريسم الملون وعمد
صندلية محلاة بفضة مطلاة منقوشة بانواع النقوش مفروشة
ببسط من الحرير وعمل له ضيافة بالغ فيها لينال في سعاية الوزير
ان امكن نيلا فيها فنزل السلطان في الخيمة قدر ساعة ثم ركب الى
القلعة ولم يظهر بشاشة لقبولها ولا استحسانا لها لحرير ما تذكر
وفيها ارسل السلطان واحضر صاحب حماه على البريد الى الديار المصرية
فوصل في جمعه وعنده خوف عظيم بسبب طلبه على البريد فلما وصل
لم يتعرض له بسوء بل اكرمه ثم خرج السلطان على الهجن الى الكرك
فسار من طريق البرية وسارت العساكر على الجادة الى دمشق
فلما وصل السلطان الى الكرك والشوبك قوى نايبها ثم سار الى دمشق
فالتقته العساكر فيها في نصف السنة ثم سار من دمشق نحو حمص
وسلمية ومعه اكثر الجيش واخذ وجه البرية متصيدا او وصل
الى الفرقلس وهو جفار في طرف حمص من الشرق ونزل عليه وحضر
الى خدمته هناك مهنى بن عيسى امير العرب واخواه محمد وفضل
وولده موسى فقبض السلطان على الجميع وارسلهم الى مصر فحبسوا
في قلعة الجبل ووصل السلطان الى القصير ثم عاد الى مصر بعد ان
جرد عسكرا ليقيم بحمص صحبته ثلاثة من المقدمين فاقاموا بها ثلاثة
اشهر ثم رسم السلطان للعسكر المجردين هناك بالمسير الى حلب
والمقام بها لما في ذلك من ارهاب العدو فسارت العساكر اليها
واقاموا بها الى اخر السنة ولما عاد السلطان الى مصر شفع نايب السلطنة
الامير بيدرا في الافراج عن الامير لاجين من الاعتقال على ما ذكرناه
فقبل فيه شفاعته وافرج عنه واعطاه امرة ماية فحقد عليه ما فعله

وفي اواخرها رسم السلطان للعساكر بالتاهب للعرض فاهتموا بالعدد الجميلة
من القرقلات والجواشن والخود والبركستوانات وكان الباعث له على
ذلك ان زوجته كانت حاملا مقربا فاهتم بذلك عند قرب ولادتها
مومّلا ان يكون المولود ذكرا ليحيي به ذكره وتجملت العساكر تجملا
لم ير مثله وغالوا في اثمان العدد حتى بلغ الجوشن الذي قيمته مائة
الفا وفوق ذلك ففي اليوم الثاني من لعب القبق هبت رياح
عاصفة وثار من العجاج ما ملا الفجاج فصار النهار كالليل وكان
قد امر باتخاذ الاطعمة والاكثار من انواعها وتجهيز الخمر والفواكه
واصناف الحلوا فكان المولود بنتا فلم يتم له ما رام ولا انشرح لهذا
الاهتمام وفيها لما كان السلطان في دمشق امر بتجهيز العساكر الى بلاد
سيس فحضرت رسل صاحب سيس يسالون العفو وان يسلموا
للسلطان ثلاث قلاع وهي بهسني ومرعش وتل حمدون ولها ضياع
كثيرة فاجابهم السلطان الى ذلك وارسل معهم اميرا ليتسلم منهم القلاع
المذكورة فتوجه صحبة الرسل وتسلمها وفيها سير السلطان الامير
ايبك الافرم الى قلعة الشوبك ليخربها فهدمها وحكى انه وجد بقلعتها
اربعة الاف خيمة وخطوط منسوبة مذهبة وربعات كثيرة كذلك
وكتبا عظيمة مدخرة من عهد بني ايوب وزردخانة عظيمة القدر
ووجد من جملة ذلك سيفا عرضه شبر واربعة اصابع مفتوحة
وطوله اربعة اذرع قيل انه سيف السيد خالد بن الوليد رضي الله عنه
وقيل هو صمصام عمرو بن معدي كرب وفيها ختن السلطان الاشرف
اخاه الناصر محمد بن قلاون وابن اخيه المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح علي
وعمل لهم مهما لم يسمع بمثله وركب الجيش كله الا بسبيل احمرا حتى الغلمان
ولعب السلطان بالقبق وتمت فرحة هائلة كانت كالوداع لسلطنة
الاشرف من الدنيا فلم يمض بعدها شهر الا وقتل السلطان كما سنذكره
وفيها سير السلطان الامير ايبك الخزندار الى الساحل باعمال طرابلس بابا
عوضا عن نائبها طغريل الايغاني وفيها زلزلت ناحية الكرك فسقط
من قلعتها اماكن كثيرة وفيها مات الامير سنجر الحلبي الذي كان نائبا
المظفر قطز على دمشق وهو اول نوابها بعد بني ايوب فلما بلغه سلطنة
الظاهر بيبرس دعى الى نفسه بالسلطنة فبويع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر
وهرب ثم اجاب الى خدمة السلطان فحبسه ثم اطلقه مرات وعمر فبلغ الثمانين
وكان في اثنى عمره زايدا وياكل خروفا بكماله ويلعب بقنطار به محشو برصاص
وعمود حديد زنته قنطار فيلفه به يمينا وشمالا وغير ذلك وقد تقدم ما جرى له من حمله

وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة

وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة في اوايلها تجهز السلطان الملك الاشرف
خليل بن المنصور قلاون للصيد بالوجه البحري وعدى الى بر الجيزة وسار
قاصدا التوجه الى الاسكندرية والحمامات الغربية فتقدمه الوزير الى
الثغر المحروس ليجهز الاقمشة وتحصيل الامتعة واستخراج المال وترتيب
الاحوال بين قدوم السلطان فوجد نواب الامير بيدرا نايب السلطنة
الذين بالثغر قد استولوا على المتاجر وادخروا منها ما ليس في الحواصل
السلطانية فارسل الوزير يعرف السلطان بذلك فاستشاط السلطان
غضبا على الامير بيدرا واستدعاه بحضور الخاصكية والامرا واغلظ له في
الكلام وتوعده باشد الوعيد وتهدده ابشع التهديد حتى خاف ان يسطو
في ذلك الوقت عليه فتلطف حتى خرج من بين يديه فجمع خوشداشيته
الاعيان واطلعهم على ما في باطن السلطان من الشنان وهم الامير
حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري الذي عزله عن نيابة دمشق وفي
قلبه ما فيه من الاهانة التي نالته والنكبة التي اصابته والامير شمس الدين
قرا سنقر المنصوري وهو واجد ايضا لعزله من الممالك الحلبية واحضاره
في غير شي الى الديار المصرية وغيرهما من الامرا الذين كانوا مطلعين على سره
وما منهم الا من هو متغير النية لتاخيرهم وتقدم صغار الخاصكية
فاتفقوا على الوثوب والفتك بالسلطان قبل ان يثب عليهم وكان السلطان
لما طالعه الوزير بقلة الحواصل بالثغر اعطى الامرا دستورا ليتوجه
كل منهم الى اقطاعه وكذلك المقدمين والمفاردة ولم يترك معه الا المماليك
الخواص وفي اثنا ذلك ركب السلطان في نفر يسير من خواصه ليتصيدوا
قريبا من الوطاق وكان اذ ذاك نازلا على تروجة فاخبر الامير بيدرا
ومن عنده من الامرا انه قد ركب منفردا وقالوا هذا وقت انتهاز الفرصة
فشدوا اثر اكيشهم وركبوا الخيول وهم الامير بيدرا المذكور والامير لاجين
والامير قرا سنقر المذكورين واخرون ومن انضم اليهم وكان دون السلطان
مخاضة فخاضوها فلما اقبلوا عليه عصبة واحدة احس منهم بالشر
وظهرت له علامات الغدر فعجلوه عن الكلام وعاجلوه بالكلام وعلوه
بالحسام فقيل ان بيدرا ضربه اولا فجرحه ثم ضربه لاجين فقطع
يده والزحمة فيها وثنى عليه باخرى فانجدل صريعا ثم تخاطفته سيوف
الامرا المذكورين وتركوه صريعا يتخبط دما نجيعا وكان بتروجة الوالي
فحمل السلطان على جمل من الموضع الذي قتل فيه الى ساحل البحر وحمل في مركب
الى القاهرة فدفن بتربته بالمدرسة الاشرفية بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها
وبلغ عمره اكثر من ثلاثين سنة وقيل والحق بيدرا نايبه فكافاه بان قتله

ذكر قتل السلطان الملك الاشرف خليل المنصور قلاون

الصالحي النجمي

وكان مقتل هذا السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون الالفي الصالحي النجمي
في التاريخ المذكور اول السنة المذكورة وكان شهما شجاعا مقداما حسن الصورة مهيبا
حسن المنظر عالي الهمة فتح في مدة ملكه وكانت ثلاث سنين عكا والسواحل
ولم يبق للفرنج بها معقل لاحد وقلعة الروم وبهسنى ومرعش وانطاكية
وتل حمدون وغير ذلك وقد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد
من ايدي الططر واستعد لذلك ونادى به في بلاده وانفق على الجيش
في هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات الاولى في اول جلوسه في السلطنة
من مال طرنطاي النايب والثانية عند غزوه لعكا والثالثة عند غزوه
لقلعة الروم وكان قبل ولايته يؤخذ بدمشق عند باب الجابية عن كل
حمل خمسة دراهم مكسا فاول ما تسلطن ابطل هذا وكتب من سطور المرسوم
نعلم العلامة ولتسقط عن رعايانا هذه الظلامة ويستجلب لنا الدعا من
الخاصة والعامة ولما قتل قتل ايضا وزيره المذكور شر قتلة بانواع العذاب
وهو شمس الدين ابن السلعوس كان من تجار الشاميين فكان يعامل الاشرف المذكور
قبل سلطنته فلما تملك بعد ابيه كما ذكرنا استدعاه من الحج وولاه الوزارة فبقي
يتعاظم على اكابر الامرا ويسميهم باسمايهم ولا يقوم لهم فلما قتل سلطانه المذكور
تسلمه الامرا بالضرب والعقاب واستصفوا امواله وتولى عقوبته من بينهم
الامير سنجر الشجاعي وكان بينهما عداوة شديدة فكان بعض خواصه حذره منه فقال

تنبه يا وزير الارض واعلم ** بانك قد وطيت على الافاعي
وكن بالله معتصما فاني ** اخاف عليك من نهش الشجاعي

فكان الامر كما قال فانه مات من نهشة الشجاعي التي لم يجد لها ترياقا فضربه
ما تجاوز الف مقرعة واحتيط على جميع موجوده فهذا عاقبة الظالمين

ذكر سلطنة الامير بيدرا

ولما قتل السلطان الاشرف كما ذكرنا اجتمعت الامرا الذين قتلوه في الوطاق وقرروا بينهم ان يكون
السلطنة لبيدرا فانه كان نايب السلطنة فملكوه ولقبوه بالملك
القاهر وقيل الملك الرحيم واتفقوا ان يبادروا لاخذ القلعة
ليملكوها بسرعة فتتم له المنعة فركبوا وامسكوا الامير بيسري الصالحي
والامير بكتمر السلحدار وربطوهما وساقوهما معهم وارادوا قتلهما مرارا
وبعضهم يشفع فيهما فلم يقتلوهما وكان في الوطاق الامير بيبرس الجاشنكير
والحسام لاجين الاستادار والمماليك السلطانية الذين كانوا متوجهين
صحبة السلطان للصيد فركب الامرا المذكورون على اثارهم وكان الامير
زين الدين كتبغا نايب الغيبة في الصيد فبلغه الخبر فلحقهم ولحق بهم المماليك الذين كان

السلطان قد اعادهم

السلطان قد اعادهم الى القلعة قبل وقت مقتله وصاروا اكتيفا واحدا
وجدوا في اتباع الامير بيدرا ومن معه من الامرا فلحقهم الامير كتبغا
على الطرانة في منتصف المحرم فلما التقى الجمعان اطلق بيدرا الامرا المذكورين
الذين ربطهم مثل بيسرى وبكتمر السلحدار ليكونوا عونا له على كتبغا
ولما التقى الجمعان واقتتل الفريقان تسحب الامير بيسرى والامير
بكتمر السلحدار والحاج بهادر وانحاز عنه جماعة ممن كان قد انضم اليه
والتف عليه ولما راى العربان ان الذين مع بيدرا قد تقللوا وتسللوا
هربوا هم ايضا وطلبوا البر فلم يبق معه الا نفر يسير فدهمهم الامرا
وعاجلوهم فلم يتمكنوا من مراسلة ولا مخاطبة فما كان باسرع من ان
هزموهم وقتل بيدرا في الوقعة ولما خر صريعا وثب اليه بكتمر السلحدار
سريعا وفقر بطنه واستخرج كبده ولاك منها فلذة وابتلعها حنقا
عليه وحز راسه وحمل الى القاهرة على رمح وطيف به بالقاهرة ومصر
ودفنت جثته بالطرانة وتمزق من كان وافقه من الامرا وتفرقوا في
الاقطار فاما الاميرين لاجين وقرا سنقر فانهما دخلا القاهرة خفية
واستترا فيها مدة واما من سواهما فكل منهم شرد الى مكان واستتر بعضهم
في الضواحي واطراف البلدان وكان بالقلعة الامير سنجر الشجاعي
مقيما فاحترز على المعادي والمعابر وامر ان لا يعدي باحد من الجند من بر
الجيزة ووصل الامير زين الدين كتبغا والامير بيبرس الجاشنكير والامير
حسام الدين الاستادار والامرا الخاصكية وغيرهم من المماليك السلطانية للقلعة

السلطان التاسع بمصر من ملوك دولة الترك

هو اخو السلطان الملك الناصر ناصر الدين ابو المعالي محمد بن السلطان
الملك المنصور قلاوون الالفي الصالحي النجمي التركي فلما حمل الامير كتبغا على الامير
بيدرا وكسره وقتله كما ذكرنا ورجع الى القلعة وبها الامير سنجر الشجاعي
اتفقوا وقرروا ان يكون السلطنة لاخي السلطان وهو الناصر محمد قلاوون
فجلس في السلطنة ثالث يوم قتل اخيه وهو سادس عشر المحرم من هذه السنة
وحلفوا له وكان صغيرا عمره قريب العشر سنين وتقرر ان يكون الامير زين
الدين كتبغا نايب السلطنة والامير سنجر الشجاعي وزيرا ومدبرا والامير
بيبرس الجاشنكير استادار واستقر الحال على هذا النظام اياما
وصادف قدوم التجريدة التي كانت على ارض حمص كما ذكرنا في السنة قبلها
ثم ان السلطان انفق في العساكر واستحلفوا له فحلفوا وطلب الامرا الذين
وافقوا بيدرا على فعله فوقع ببعضهم فضربت رقابهم واحرقت جثثهم وقطع
ايدي بعضهم وصلبهم وطيف بهم على الجمال وماتوا شر ميتة جزاء بما فعلوا بمليكهم

ذكر قصة الامير سنجر الشجاعي قد ذكرنا انه لما قتل الاشرف كان هذا الامير
مقيما في القلعة وانه لما رجع الامير كتبغا والامرا المذكورون تقرر الحال على ان
يكون الشجاعي محكما في الوزاره فتحدث فيها ونفذ امره فلما كان في شهر صفر
منها خرج الامرا على عادتهم في يوم موكب وجلسوا على باب القلعة كالعادة
ينتظرون فتوح باب القلعه ليركبوا الموكب في خدمة نايب السلطنه
الامير كتبغا فلم يشعروا الا وقد خرجت رسالة على لسان امير جاندار
يطلب اقوام معينين الى السلطان فدخلوا وقام الامرا للركوب ولم
يعلم نايب السلطنه كتبغا بما جرى لهم فبينما هم يسيرون تحت القلعة
اذ جا اثنان من الزام الامير سنجر الشجاعي المذكور فاخبرا الامير كتبغا
بان الامرا الذين استدعوا الى داخل القلعة سحرا قد اعتقلوا وان الامير
الشجاعي قد دبر الحيلة عليك وعلى الامرا اذا طلعتم الى القلعه ودخلتم
الى السماط ان يقبض عليكم ايضا كما فعل بالذين قبض عليهم سحرا وقصد السلطنه
فاستدعى كتبغا الامرا الذين في الموكب وعرفهم القضيه وهو واقف
على سفح سوق الخيل فتوقفوا عن الطلوع الى القلعه وتوهموا ان الامير
الشجاعي اتفق على ذلك مع الامرا المنصوريه والمماليك السلطانية وكان
بالموكب الامير بيبرس الجاشنكير الاستادار وغيره فامسكوهم في
موقفهم ثم جابكوا ذيب الظنون وركنوا الى ما نقل الواشون وارسلوهم
الى الاسكندريه فاعتقلوا بها الى ان علم براتهم فافرج عنهم ورفع قدرهم وكان
ما سنذكره منهم وعند امساك بيبرس حصل التجاذب في الكلام بين بعض
الامرا اللابذين بالامير كتبغا وبين سنجر الشجاعي فجرد سيفه فقتل عن
مكانه بسوق الخيل وتوجه الامير كتبغا ومن معه من الامرا الى الباب
المحروق وخرجوا امنه ونزلوا ظاهر السور وامروا مماليكهم واجنادهم
والزامهم بان يلبسوا سلاحهم ويجتمعوا حولهم وارسل الامير كتبغا
النقيب الى الحلقه والمقدمين فاحضرهم اجمعين وارسل الى السلطان
في طلب الامير سنجر الشجاعي وقال له ان هذا قد انفرد برايه في القبض
على الامرا وبلغنا عنه ما انكرناه ونختار حضوره ليدافع عن نفسه
ويوضح لنا باطن امره فامتنع الشجاعي عن الحضور اليهم ثم ان السلطان طلع
الى البرج الاحمر ونادى للامرا فقبلوا له الارض من مواقفهم وقالوا له
نحن مماليك السلطان ولم نخلع يدا عن طاعته ولا لنا قصد الا في حفظ نظام
دولته وازالة الفساد عن مملكته وهذا الشخص قد احدث حدثا رديا
يفرق الكلمه ويخرق الحرمه ولا بد لنا منه ثم انهم حاصروه سبعة ايام فكان

الشجاعي ينزل اليهم ومعه

الشجاعي ينزل اليهم ومعه طايفة من الامرا الذين اقاموا معه بالقلعة مثل
بلغمر السلحدار وغيره ممن يلوذ به من المماليك لابسين وبينا هو في القتال
فلما راى الذين معه انه لم يغن شيا تركوه وفارقوه وصاروا ينزلون
عشرة بعد عشرة ويلحقون بالامير كتبغا ومن معه من الامرا الكبار
كالامير بيسري وغيره فلما تحقق سنجر الشجاعي خمود ناره وخمود اعوانه
خرج بنفسه وكر على الامرا فما اغنت كرته ففر عايدا وقال ان
كنت انا الغريم المطلوب وقد طلبوني بهذه الذنوب فانا اصير
الى الحبس طوعا مني وحضر الى باب الستارة السلطانية وحل سيفه
بيده وذهب نحو الحبوس فوثب عليه مماليك بعض الامرا وكانوا قد
مضوا به نحو البرج الجواني ليحبسوه فضربوه بالسيوف وحزوا
راسه وارسلوها الى الامرا فطيف بها القاهره ومصر وضواحيهما
وكان فيه عسف وجبروت وعمر نحو الثلاثين وعمل نيابة دمشق قليلا
ثم جرت المراسلات بين الامير كتبغا النايب والامرا وبين السلطان
وتقررت الايمان والعهود وتاكدت ثم طلعوا الى القلعة واشار
الامير النايب بالنفقة فانفق في العساكر قاطبة نفقة شاملة
واصلح الامرا والمقدمين بالزيادات والاقطاعات وترتيب النظام
وانزل من كان في الابراج والطباق من المماليك الذين اتهموا بانشا الشقاق
فاسكنت طايفة منهم في مناظر الكبش وطايفه في دار الوزارة وطايفه
في مناظر الميدان الصالحي والظاهري واعتقل منهم جماعه لاعترافهم
ثم ظهر الاميران لاجين وقرا سنقر المنصوريين من الاستتار وقد ذكرنا
انهما كانا قد اختفيا في وقعة بيدرا واقاما في القاهرة مدة مختفيين
ثم اعلم الامير النايب كتبغا بموضعهما فشفع فيهما عند السلطان
وعفا عنهما واقطعهما واكرمهما وشق السلطان القاهره وهو اول ركوبه
وفي شوال اشتهر ان الامير مهنى امير عرب الشام خرج عن طاعة السلطان
ولحق بملك التتر **واقعة** بدمشق من نصراني شهد عليه بسب الجناب
الرفيع فاستجار بامير العرب احمد بن حجي فاجتمع من علما دمشق بنايبها
وكلموه في امره فاجابهم اليه وطلبه وخرج العلما من عند النايب ومعهم خلق
كثير من الناس وقد احضر النصراني ومعه رجل فقال هو يعني به النصراني
خير منكم فرجمه الناس بالحجارة واصابوا النصراني ووقعت خبطة عظيمة
فطلب النايب بعض العلما المذكورين وضربه وحكم عليه وقدم النصراني فاسلم
وعقد مجلس بسببه واثبت بعضه وبين الشهود وعليه عداوة وحقن دمه فاتفق انه قتل بعد

وفيها اشتهر ان في غيطة بدمشق تنينا عظيما ابتلع راسا من المعز كبيرا صحيحا

وفي سنة اربع وتسعين وستمايه

استهلت والخليفة الحاكم بامر الله والسلطان هو الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون وهو صغير ابن عشر سنين ومدبر المملكة واتابك العساكر الامير كتبغا فلما كان يوم عاشورا انتهض جماعة من مماليك الملك الاشرف خليل وخرقوا حرمة السلطان وارادوا الخروج وجاوا الى سوق السلاح فنهبوا ما فيه واحتاطوا على ما في الاصطبلات من الخيل وهجموا خزانة البنود ومشهد الحسين واخرجوا من كان مسجونا بها من خوشداشيتهم ثم ركب الامرا الذين في القلعة وقصدوهم فتصافوا تحت القلعة ثم ادركهم الامير بهادر الحاج الحاجب فادركوهم واحتاطوا عليهم فمنهم من صلبت ومنهم من شنق وقطع ايدي اخرين منهم والسنتهم وكانوا قريبا من ثلثماية او يزيدون وكان هذا سببا لحركة الامير كتبغا وركوبه في السلطنة التي لم تتم له امرها

السلطان العاشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا التركي المنصوري وذلك انه من حوله من المماليك والصبيان حسنوا له ان يستبد بالسلطنة وحملوه على ذلك فاصبح في الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير السلطنة بالقاهرة وخرج من دار النيابة التي كان مقيما بها فركب فرس النوبة بالرقبة الملوكية ودخل من باب القلة راكبا وخلع الملك الناصر محمد بن قلاوون والزمه بيت اهله ولا يخرج منه وبايعه الامرا على ذلك وهنوه ومد السماط وسارت البريدية بذلك الى الاقاليم فبويع له وخطب له مستقلا وضربت السكة باسمه وزينت البلاد ولقب بالملك العادل وكان عمره اذ ذاك نحو الخمسين سنة فانه من سبي وقعة حمص الاولى التي كانت في ايام الملك الظاهر بيبرس في حدود الستين وستماية بعد وقعة عين جالوت وكان من المغل الغورانيه وهم طايفة من الططر ثم صار من كبار الامرا المنصورية واستناب في الديار المصرية خوشداشه الامير حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري الذي تكرر ذكره في هذا الكتاب فكان هو بين يديه مدبر المماليك واشترى كبرا مماليكه وكان منهم مملوك يسمى بكتوت الازرق لقب بذلك لامر عجيب فيه وهو انه كان احدى عينيه زرقا والاخرى سودا وهذا هو الاخيف في لغة العرب قاله العيني في تاريخه ثم ركب السلطان الملك العادل في ابهة الملك وشق القاهرة ودعى له الناس وكسر النيل السنة عن نقص كبير فخاف الناس وغلت الاسعار وجرى من الغلا ما سنذكره

وكان عمره اذ ذاك نحو خمسين

وفيها قبض السلطان

٩٢

وفيها اخرج الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد خلعه الى الكرك ليقيم بها فاقام اربع سنين ثم اعيد

وفيها قبض السلطان الملك العادل كتبغا على الامير عز الدين ايبك الخزندار النايب بطرابلس واعتقله ببرج الساقيه وافرج عن الامير عز الدين ايبك الموصلي وولاه طرابلس ومن غريب الاتفاق ان الملك العادل كتبغا قبض على ايبك الموصلي اولا واعتقله ببرج الساقيه واقام فيه نحو ماية يوم واخرجه الى طرابلس وقبض على ايبك الخزندار من طرابلس واعتقله ببرج الساقيه فاقام ايضا نحو ماية يوم نظير المدة التي كانت لايبك الموصلي وهذا ايبك وهذا ايبك والولاية واحدة ومدة السجن واحدة ثم افرج عن ايبك الخزندار كما ذكرنا

وفيها طلع النيل بمصر وبلغ ستة عشر ذراعا ثم هبط من ليلته ولا عاد فاعقبه الغلا العظيم المشهور حتى اكل الناس الميتات جهارا والكلاب والقطط والحمير وقيل ان بعضهم اكل لحم بعض وان امراة اكلت ولدها ثم عقبه الفنا والموتان فكان يموت بمصر والقاهرة كل يوم الوف ويبقى الموتى طرحى في الازقة والشوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنهم لاشتغال الاصحا بامواتهم والسقما بامراضهم وكان اكثر من يموت يلقى في حفاير الكيمان بغير غسل ولا اكفان واكلهم الكلاب ثم اكل الناس الكلاب ففنيت وفني اكثر الدواب وكان عدة من مات في ذي الحجة بديار مصر نحو من عشرين الف ثم رسم السلطان بتوزيع الفقرا على الامرا والاجناد فوزعوا بالقاهرة ومصر ليقوموا بهم من امر الطعم

وفيها قتل ملك الططر كيختو ابن ابغا ابن هلاون قتله ابن عمه بيدو وجرت بعده وقعات فاخر الحال صفا الملك للملك قازان بن ارغون بن ابغا بن هلاون بعد عمه المذكور واستقر في سلطنة الططر وترك اخاه خربندا مقيما بخراسان فلما تملك هذا قازان اسلم واظهر الاسلام باشارة نايبه نوروز ونثر الذهب واللولو على الخلق وكان يوما مشهودا ولقنه نايبه شيا من القران وصام رمضان وتسمى بمحمود ودخل اكثر الططر في الاسلام وخرب كنايس كثيرة وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة بالعراق وشهد الجمعة والخطبة وغيرها

وفيها ورد البريد من الشام يخبر انه قد وصل الى الفرات بالرحبة من عسكر الططر مقدار عشرة الاف بيت بحريمهم واولادهم ومواشيهم وانهم من عسكر الملك الذي قتل وخافوا من قازان الذي ولي وقصدوا بلاد الاسلام راغبين في الاسلام ومعهم زوج بنت هلاون فارسل السلطان الملك العادل اميرا يتوجه للقايهم لانهم من جنسه فتوجه سنقر الاعسر اليهم

وعاد الى دمشق وصحبته من مقدميهم واعيانهم ماية وعشرين فارسا
فخرج لملتقاهم نايب دمشق واحتفل الناس لدخولهم وانزلهم
بالقصر الابلق ثم حضر الامير بهادر الحاج يستدعيهم الى السلطان
فتوجهوا مع الامير الاول ثم ورد المرسوم بان ينزل بقيتهم من ارض
الساحل في مدينة عثليث فعبر بهم على دمشق من على المرج ولم
يمكن احد منهم من دخول دمشق وفيها ختن الملك المجاهد ولد الملك العادل كتبغا
واهل بيته وتصدقوا بصدقات كثيرة من الحرم وعاش بعد ابيه مدة
وفيها مات صاحب اليمن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول ملكها نحو خمسين وملك ابنه المويد
وفي سنة خمس وتسعين وستماية استهلت والسلطان الملك
العادل كتبغا واستهلت والغلا والقحط والفنا المفرطات مستمرة
بديار مصر شديدًا وقد تفانى الناس به وكانوا يحفرون الحفاير حتى
يدفنون فيها الميات من الناس والاسعار والاقوات في غاية القلة
والغلا المفرط فمات بها في شهر صفر ماية الف وثلاثون الفا واشتد
الغلا ببلاد مصر حتى ابيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما
وبالقاهرة بعشرين والبيض كل ثلاثة بدرهم وفنيت المواشي الخيل
والبغال والحمير والكلاب ولم يبق شي من هذه الحيوانات يلوح الا
اكلوه وآل حال اهل القاهرة الى التلف من المرض ان هلوا والموت العام
وابيعت البطيخة الواحدة بماية درهم وبلغ الاردب من القمح ماية
وستين درهما والخبز كل رغيف بدرهم واكل الناس الميتات والجيف
من الادميين والدواب والكلاب حتى ان متولي القاهرة وجد
جماعة وبين ايديهم صبي سباعي قد قطعوا اطرافه وشووه وهم
ياكلونه مع بقل وليمون مالح فقررهم فاعترفوا انهم بالامس
فعلوا بصبي اخر كذلك فشنقوا على باب زويلة فلم يصبح منهم شي
بل اكلهم الناس ووصل الخبر ان القمح بلغ سعره بالمدينة اكثر من الف
مصرية وقل الناس وفنوا ومكث الناس على ذلك الى ان فرج الله
عنهم هذه الشدة في السنة القابلة وانصلح الامر وانحط السعر
وكان الغلا بدمشق بلغت الغرارة ماية وخمسين درهما ثم بلغت
ماية وثمانين درهما وغير ذلك مما يطول شرحه حتى صار يضرب به المثل
واتفق في جمادى الاولى منها انه ولي قضا الديار المصرية للشافعية الشيخ
الامام الحبر الرباني تقي الدين المعروف بابن دقيق العيد عوض قاضي
تقي الدين بنت الاعز وفي ذلك الشهر انحط السعر ببركته وزال الضر والجوع

وفيها وقعت صاعقة

وفيها في رجب وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت موذن المسجد الحرام
كان يوذن على سطح القبة المذكورة وفيها في اواخر شوال خرج السلطان الملك
العادل كتبغا من الديار المصرية قاصدًا الى الشام فقدمها في نصف ذي القعدة
وقد زينت له البلد وتلقاه اهلها ودعوا له ونزل بالقلعة وكذلك نزل نايبه
لاجين واكابر الامرا بالقلعة وضيف القلندرية السلطان بسفح جبل
المزة واعطاهم السلطان نحو من عشرة الاف وقدم صاحب حماه الى خدمته
ولعب معه الاكرة بالميدان وزار المصحف العثماني وصلى الجمعة بالمقصورة
وعزل نايب دمشق وعاتبه عتابا كثيرا على اشيا صدرت عنه ثم عفى عنه وامر
بالمسير معه الى الديار المصرية واستناب عوضه على دمشق احد مماليكه
اغزلو العادلي ثم حضر السلطان دار العدل وكان عادلا كاسمه وكان
اسمر مغليا قصيرًا في دقنه شعرات قليلة وعنقه قصير ويوصف بالشجاعة
والاقدام والدين التام وسلامة الباطن بعون راي وحزم ثم بعد ان
عيد بدمشق خرج منها واجتاز على حرستا ثم اقام بالبرية اياما ثم عاد منزلة
حمص وجا اليه نواب البلاد وجلس بدار العدل وتناول من الناس
قصصهم بيده وزار قبر هود ومغارة الدم ثم عاد نحو الديار المصرية
واتفق الامرا الكبار على خلعه والايقاع بمماليكه المنسوبين وصنيعهم
الى صنيعه فلما دخل الى ما العوجا ركبوا عليه على الصفة التي نذكرها في السنة
بعدها على الاختلاف الذي وقع بين المورخين كما نبه عليه القاضي العيني في تاريخه
وفي سنة ست وتسعين وستماية كان السلطان الملك العادل
كتبغا كما ذكرنا في نواحي حمص يتصيد ومعه نايب الديار المصرية حسام الدين
لاجين السلحدار المنصوري واكابر الامرا ونايب دمشق اغزلو مقيم بدمشق
ثم عاد السلطان الى دمشق من ارض حمص في ثاني المحرم وتصدق بجملة من المال
ثم خرج السلطان في اواخر المحرم من دمشق عايدا الى الديار المصرية ومعه العساكر
ففي اخر يوم من المحرم منها تحدث الناس بينهم بوقوع تخبيط بين العسكر وخلف
وتشويش فغلق باب القلعة وركب طايفة من الجيش وكان السلطان
لما وصل الى ما العوجا ركبوا عليه وكان الخلف الذي وقع بينهم بوادي فحمة
وذلك ان الامير لاجين نايب السلطنة المذكور قد واطى جماعة من الامرا في
الباطن على السلطان الملك العادل كتبغا وهم الامير بيسري الصالحي
والامير قراسنقر المنصوري وبهادر الحاج ومن انضم اليهم وتونتو لاجين
منهم وكان اشار على العادل حين خرجوا من دمشق ان يستصحب معه الخزانة
وذلك ليلا يتقوى بها ان رجع اليها وتكون قوة له في الطريق على ما عزم عليه من الغدر

فلما كانوا بالمكان المذكور ركب النايب لاجين واستصحب معه الكوسات
وساقوا الى الوطاق ومن بخيمة امير من مماليك العادل كانا جناحيه
فقتلهما فلما سمع العادل بالحركة ركب ايضا فحمل لاجين والامرا عليه واخذ
الخزانة من بين يديه وعسكره وقصد الديار المصرية على الصفة التي نذكرها
واما السلطان الملك العادل فانه لما لم يبق معه احد خرج من الوطاق
وركب فرس النوبة وساق جريدة الى دمشق وتبعه خمسة او ستة من مماليكه
فقط وعدى القنطرة التي على ما العوجا فدخل دمشق ونايبها مملوكه اغزلو
فلما وصل الى القلعة جا اليه الامرا وضربت البشاير وكان قد زالت دولته
فاحضر القضاة وجدد تحليف امرا دمشق ثانيا فحلفوا له فخلع عليهم
وامر بالاحتياط على نواب الامير لاجين المتقدم ذكره وحوا اصله ثم
العادل مقيما بالقلعة مدة ايام بنصف شهر ثم صحت بدمشق الاخبار
بسلطنة لاجين فارجع اليه امرا دمشق وادعن العادل له بالطاعة
وسلم نفسه فاعتقلوه في مكان بالقلعة الى ان تقرر له يقيم بصرخد فتوجه
اليها على ما نذكره قريبا ثم نقل لنيابة حماة الى ان مات بها في سنة ثلاث وسبعماية

السلطان الحادي عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو خوشداشه الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري
قد ذكرنا هزيمة الملك العادل كتبغا في طريق مصر واما النايب لاجين المذكور
فانه لما انتصر عليه واخذ الخزاين والعساكر ركب تحت العصايب السلطانية
في دست السلطنة وساق بهم نحو الديار المصرية وبايعوه واشترطوا عليه
شروطا فالتزمها وحلف لهم عليها منها انه يكون كاحدهم ولا ينفرد براي عنهم
ولا يبسط يد احد من مماليكه فيهم فقالوا له نخشى انك اذا جلست في
المنصب تنسى هذه الشروط وتقدم الصغير من مماليكك على الكبير وتحكم
مملوكك منكوتمر في التدبير فتنفصل وكرر الحلف فاتفقوا على ذلك كله
وكان ممن كان من اعيان الامرا في هذه المشورة بيسري وقرا سنقر وبهادر
الحاج الحاجب وكرد ولاجين الاستادار وايبك الخزندار وبكتمر السلحدار
وسلار وقبجاق فاتفقوا على انه سلطانا ولقبوه بالملك المنصور
واستمروا قاصدين الديار المصرية فلما وصلوا دخلها المنصور لاجين
في ابهة عظيمة وبايعه الامرا وملكوه عليهم وجلس على سرير الملك
يوم الجمعة عاشر صفر من السنة المذكورة وزينت البلد ودقت البشاير
وخطب له على المنابر وذهبت الى المماليك الشامية واستقر قرا سنقر
وقوي امر الملك المنصور وضعف امر الملك العادل بدمشق فلما راى انحلال امره

قال الامرا دمشق

قال الامرا دمشق هو خشداشي وانا وهو شي واحد وانا سامع له مطيع
وانا اجلس في اي مكان من القلعة حتى تكاتبوه وتنظروا ماذا يقول
وقال ايضا مملوكه اغزلو الذي هو نايب دمشق انا السلطان حسام
الدين هو الذي عينني لنيابة دمشق والا فاستاذي استصغرني عن ذلك
فاظهر السرور له وحلف له الامرا وجات البريدية بالمكاتبات من الملك
المنصور لاجين بامر بالاحتياط على قلعة دمشق وعلى الملك العادل
وبقي الناس في هرج واقوال مختلفة وابواب دمشق مغلقة سوى باب واحد
والعامة حول القلعة حتى سقط منهم جماعة في الخندق فمات بعضهم غرقا
ثم اعلن باسم الملك المنصور لاجين ودقت البشاير بالقلعة بدمشق ودعي له
المودنون بالجامع وتلوا قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الاية فاصبح الناس
فاجتمع القضاة وامرا دمشق وعزلوا الملك العادل بدار السعادة
وحلفوا للمنصور ونودي بذلك في البلد وفتح الناس دكاكينهم ورحل عن
دمشق نايبها اغزلو العادلي الى الديار المصرية يعلم بوقوع التحليف على رسمه
هو والقضاة مطلوبين وقدم الامير حسام الدين لاجين الاستادار
من جهة السلطان الى دمشق ومعه امرا وهما فدخلوا على الملك العادل كتبغا
الى القلعة ومعهم قاض فحلفوه ايمانا موكدة بعد ما طال بينهم الكلام
بالتركي وذكر في حلفه انه راض بما يعينه له السلطان من البلدان اي
بلد كان فوقع التعيين بعد اليمين على قلعة صرخد ودخل على نيابة
دمشق الامير قبجاق وكانت مدة مملكة العادل كتبغا سنتين سوا
فانتقل الى صرخد هو واهله واستمر بها الى وقعة قازان ملك التتر
سنة سبعماية فنقل منها الى نيابة حماة قليلا ومات بها سنة ثلاث وسبعماية كما سبق
ولما استقر المنصور لاجين استناب بمصر قرا سنقر قليلا ثم امسكه واستناب
مملوكه منكوتمر الحسامي فتغير عليه الامرا حتى كان سبب القتل كما سنذكره
ثم قبض على سنقر الاعسر الوزير وعلى الامير بيسري وبهادر الحاج الحاجب
واستقر حاجبا عوضه الامير كرد وظهرت حرمة نايبه منكوتمر النايب وسلم اليه
استاذه قياده وتدبير مملكته وامر السلطان جماعة من مماليكه وافرج عن
الامير بيبرس الجاشنكير وتوجه الامير سلار بامر السلطان المنصور
بالملك الناصر محمد بن قلاوون الذي خلع قبلها فذهب به الى الكرك ليقيم بها فعامله
نايبها اقوش الاشرفي المعروف بنايب الكرك بما يليق به من الاجلال والاكرام
فبقي هناك سنتين الى ان قتل السلطان لاجين فاعيد الناصر محمد الى السلطنة
كما سنذكره في موضعه وقدمنا قول الملك الذي بعثه الى الكرك انما هو العادل كتبغا
كذا وقع هذا الاختلاف بين المورخين منهم القاضي بدر الدين العيني وابن حجر في تاريخهما فليحرر

وفيها امر السلطان الملك المنصور لاجين بتجديد الجامع الطولوني وترميم ما
تشعث من جدرانه واصرف له عشرين الف دينار وجدد له اوقافا وعمل ما
يحتاج اليه من الائمة والمؤذنين والفقها والقرا والمدرسين واضاف الى هذا
المعروف الاحسان الى الخليفة الحاكم بامر الله احمد فاخرجه من البرج
الذي كان مقيما فيه بالقلعة وانزله بمناظر الكبش واجرى له ارزاقا
ورواتبا ووصله بصلات جزيلة له ولاولاده وصار يركب معه في المواكب
ويخطب له في الجمع واذن له في الحج وحج من وفيها ارسل السلطان الى صاحب
القسطنطينية ليرسل اولاد الملك الظاهر بيبرس الى الديار المصرية
فانهم كان ارسلهم الملك الاشرف خليل كما ذكرناه فجهزهم صاحب القسطنطينية
في مركب من مراكب البحر الى ثغر الاسكندريه وخرجوا من ظلمة البلاد الرومية
الى نور البلاد الاسلامية وهم نجم الدين خضر واخواته وامه وام اخيه
سلامش واما سلامش فانه كان قد توفي بتلك البلاد كما ذكرناه فحضرته
امه مصبرا ودفنته بقرافة مصر وسال نجم الدين خضر التوجه الى الحجاز
فاجيب سواله وجهز بما يحتاجه مما يليق به ولما عاد سكن القاهرة الى ان مات

وفي سنة سبع وتسعين وستمايه كان الروك الحسامي بالديار المصرية
وكان ابتداوه في جمادى الاولى فربكت البلاد وكتبت الامثلة وفرقت
وجلس نايب السلطنة لتفرقتها على العساكر فكان كل من وقع له مثال
لا سبيل له الى المراجعة فيه فمن الجند من سعد ومنهم من شقي ومنهم من خاب
وافرد للخاص السلطاني بلاد الاعمال الجيزيه ونواحي الصفقة الاطفيحية
وثغري دمياط والاسكندريه ونواحي معينة من البلاد القبلية
والبحرية وعين لنايب السلطنة منكوتمر من النواحي المعروفة ما اختار
لنفسه واصحابه وكان الحكم في تعيينه لدواوينه والاختيار فيه لكتابه
الا انه لم ينتفع بما شرع فيه ولا تملى به بل قتل هو وسلطانه فلله در القايل

اقنع تجل ولا تطمع تذل ۝ ولا تكثر تقل ولا تغتر بالامل ۝

وكان فراغ هذا الروك في ذي الحجة وكان الذي باشر هذا العمل الحاجب
وغيره وفيها تقنطر السلطان الملك المنصور لاجين بالميدان فانكسرت
يده وانقطع اياما ثم عوفي وركب في صفر وفيها ظهر بالديار المصرية واعمالها
فار عظيم فاتى على الزروع والغلات فكان يسابق المزارعين الى
الحصاد ولم يحصل من المغل الا النزر اليسير وافنى الفار منه الكثير
وفيها قلت المياه بدمشق جدا وغلا سعر الثلج بالبلاد جدا واما نيل
مصر فانه كان في هذه السنة في غاية الزيادة والكثرة وفيها وفد جماعة
من عسكر الططر خوفا من قازان ملكهم الى الديار المصرية فاكرمهم صاحب مصر واحسن اليهم
الاويراتية

وخبرهم في المقام

وخبرهم في المقام بمصر ليرسلوا الى الشام فذكروا انهم تركوا وراهم عيالهم
واطفالهم وسالوا من السلطان تجريد عسكر معهم ليحضروهم فرسم بان يجهز
معهم من عسكر حلب من يساعدهم على ما طلبوا من السلطان تجريد النايب
بحلب ومعه عسكرا وقدم عليه من امرا حلب فساروا الى بلاد سيس
فلما وصلوا اليها شعر بهم صاحب سيس والططر الذين ببلادها
فاخذ عليهم مضايق الدروب وعاجلهم بالحروب عن الهروب فقتل
مقدم عسكر حلب ومن معه من جمع القليل فكان سببا لما سنذكره
وفيها جرد السلطان تجريدة من مصر فيها بكتمر السلحدار وتجريدة من
دمشق صحبة نايبها قبجاق وتجريدة من صفد صحبة نايبها البكي واجتمع
هولا مع نايب حلب بلبان الطباخي وتوجهوا الى بلاد سيس
فشنوا الاغارة على اهلها واوقعوا بهم وفتحوا عدة بلاد منها
تل حمدون والمصيصة وحموص وقلعة نجيمة وقلعة مرعش
وسرفندكار وحجر شغلان وعادوا من هذه الغزاة الى مدينة حلب
فاقاموا بها الى ان جرى ما سنذكره وفيها قصد السلطان ان يجهز عسكرا
مع الحكام والاستادار لفتح اليمن فشرع في عمل الزوايا والقرب والات
السفر وكان امر الله غير ذلك فقتل السلطان وفيها فوض السلطان
للامير تمر بغا نيابة طرابلس فتوجه اليها واقام بها الى ان توفي
بها وفيها توفي الامير عز الدين ايبك الموصلي نايب السلطنة بالفتوحات
وسير اليها عوضه الامير كرد امير اخور وحاجب فاقام بها برهة
واتفقت وقعة حمص على ما سنذكره فقتل فيها فسير عوضا عنه
الامير قطلبك على ما سنذكره وخرجت السنه والتجريدة على حلب

وفي سنة ثمان وتسعين وستمايه توحشت نفوس اهل
الدولة مما يفعله منكوتمر نايب السلطنة من امساك الكبار ونفي
بعضهم وكان قد ذهب نايب دمشق فلحق بالعساكر المجردة
فنزلوا بارض حمص فلم يشعروا الا وقد وصل قاصد من الديار المصرية
بكتاب المنصور لاجين الى بلبان الطباخي النايب بحلب يامره
بالقبض على الامرا المجردين وهم راكبون في الموكب فلما وقف الدكور
على المراسيم لم يسعه الا اعتمادها فطلب الامرا واستدعاهم لينزلوا
ويدخلوا معه دار العدل ويحضروا السماط وياكلوا وكانوا قد وقع
لهم بعض الخبر وخامرهم الخوف فامتنعوا من الحضور وتحققوا
مكر منكوتمر وخيانته ومضوا الى خيامهم فجهزوا احوالهم وركبوا

نايب طرابلس

من رفقتهم وجاوا الى حمص الى الامير قفجق نايب الشام لانه كان بها مع عسكر دمشق فلما اطلعوه على الاخبار وانفقوا معه على القراز وكان من جملة الامرا هنالك بكتمر السلحدار ونايب صفد وعزاز الصالحي وطايفه من المصريين فتكلموا في مصلحتهم ولان منكوتمر لا يغفر عنهم شيا فشيا فعند ذلك انفقوا على المسير الى قازان ملك الططر لعلمهم بسلامه فساروا من حمص ولم يستطع نايبها منعهم ولا امكنه صدهم ولا استصحبوا معهم من بوطا واخذوا على ناحيه سلميه وعدوا الفرات مجدين وقصدوا بلاد الططر فلم يمض بعد غير ايام من مسيرهم الا وجا الخبر بقتلة السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ومعه مملوكه منكوتمر على ما نشرحه وعلم الامرا المخامرون بقتلهما وهم بارض سنجار ففات الامر فلحقوا بقازان ملك الططر واقاموا عنده الى ان كان منهم ما كان فتزوجوا من الططر وتزوج قفجق باخت زوجة قازان واقاموا جميعا الى ان حضر قازان الى الشام لقصد بلاد الاسلام فحضروا معه ثم فارقوه واستقروا بالديار المصرية على ما سنذكره واما بقية الامرا الذين كانوا في تلك التجريدة فمنهم من مرض ومات ومنهم من عاد منهم ضنا وقال الناس انهم اغتيلوا هنالك والله اعلم

ذكر مقتل السلطان

الملك المنصور حسام الدين لاجين السلحدار المنصوري قد ذكرنا ما اعتمد نايبه مملوكه منكوتمر من سوء التدبير واهلاك العسكر وخلك انه كان قد فوض اليه جميع الامور فاستقل بوظايف الملك ومهماته وانتهى حاله معه الى انه صار اذا رسم مرسوما او كتب لاحد توقيعا ولبس هو باشارة منكوتمر يمزقه في الملا ويرده ويمنع استاذه منه فاستقل الناس وطاته حتى انه كان امير من خواص استاذه وممن كان اعانه ووازره على السلطنه فعاداه منكوتمر وسعى في ابعاده فلما ورد الخبر مع البريد مخبرا بامر فتوح القلاع التي فتحها العسكر ببلاد الارمن حسن منكوتمر لاستاذه ان يرسل المذكور ليقيم بها فوافقه عليه واتفق ايضا ان منكوتمر فاوض بعض الخاصكيه بسبب واغلظ عليه فاجتمع هولا الامرا وتشاكوا اسوء سيرة منكوتمر وقالوا هذا متى طالت مدته قويت شوكته وعمل علينا واحدا بعد واحد واستاذه مطيع ومتى لم نبدا باعدامه ما ننال من مملوكه قصدا والحيلة ان نبدا باستاذه قبل وامر فنوا كيدهم فيما بينهم فركب السلطان يوم الخميس وهو صايم فلما كان ليلة الجمعه الحادي عشر من ربيع الاخر وهو قاعد على السجاده بعد

العشا يلعب بالشطرنج مع قاضي الحنفيه القاضي حسام الدين الرازي هجم عليه بعض الامرا فلم يشعر الا وقد دخلوا عليه فبادروا الى السلطان شرعة جمهرة وقطعوه قطعا وتركوه ملقا حكى القاضي المذكور قال رفعت راسي فاذا اسيعه اسياف نازلة على السلطان وخرجوا الى دار النيابه في طلب منكوتمر فلما اتوا الى بابه استدعوه للنزول فاحس بالشر فنزل والقى بنفسه بين يدي بعض كبار الامرا واستجار به من القتل فاجاره وامر بحبسه في الجب فلما انزل الى قعر الجب عرفه الامرا المعتقلون فظنوا ان استاذه نقم عليه واعتقله فسالوه عن امره فاخبرهم بقتله فثاروا اليه وشتموه وضربوه واهانوه لما في نفوسهم منه وقيل انهم وجدوا عليه رايحة النبيذ ثم ان الامرا استدركوا الفارط وقالوا نحن قتلنا استاذه وما اسا الينا وانما قتلناه لاجل هذا الشيطان فكيف نتركه حيا فعادوا الى الجب واطلعوه بعد ساعه وذبحوه من قفاه ثم جرى ما سنذكره وكان هذا السلطان الملك المنصور لاجين روميا اشقرا طويلا مهيبا موصوفا بالشجاعة والاقدام وفيه دين وعقل وكان عمره نحو الخمسين سنة وكانت مدة دولته سنتين وثلاثه اشهر وكان دينا متقشفا كثير الصوم قليل الاذى قطع اكثر المكوس وقيل انه عاش لا ترك مكسا واحدا حكى القاضي مجد الدين الحرحري وكيل بيت المال انه كان السلطان متزوجا بنت الملك الظاهر بيبرس وكانت دينه عفيفه فحكت انها رات في المنام ليلة الخميس قبل قتل السلطان بليلة كان السلطان جالس في المكان الذي قتل فيه وكان عدة غربان سود على اعلى المكان وقد نزل منهم غراب فضرب عمامة السلطان فرماها عن راسه وهو يقول كرج كرج فلما اصبحت ذكرت ذلك للسلطان وقلت له اقم الليلة عندنا فقال ما ثم الا ما يقدر لسبيه نعم ذكر هذا النويري في تاريخه

ولنعد الى ما جرى بعد قتله فاصبح الامرا الذين قتلوا السلطان ونايبه في ليل واحد يعتقدون ان الحكم قد صار اليهم والزمام قد بقي بيديهم وجلس كبيرهم في شباك النيابه وقعد الامرا حوله ودبوس الجيش قدامه وامروا ونهوا معتقدين ان الرقاع قد حلت لهم البنادق قد تقررت وكان بالقلعه من الامرا الكبار الاميرين سلار وبيبرس الجاشنكير والحسام الاستادار وايبك الخزندار وكرد الحاجب فاجتمعت اراوهم على احضار الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وارسلوا اليه الامير ... الملك الجوكندار وسنجر الجاولي لاحضاره على البريد فوصل

وهو صاحب المدرسة داخل باب القنطرة بالقاهرة

ذكر عودة الملك الناصر محمد قلاون الى السلطنة مرة ثانية

فلما حضر من الكرك على البريد فوصل في الطالع السعيد وكان طلوعه
الى القلعة في منتصف جمادى الاولى من هذه السنة وهو في سن البلوغ
في اثنا السنة الخامسة عشر من عمره فجلس في السلطنة وكان سبب ذلك
انه لما قتل السلطان الملك المنصور لاجين ونايبه منكوتمر اختلفت الامرا ثم
اتفقوا على ان يكون الذين قتلوا السلطان هم المتحدثون في السلطنة واقام الامر
كذلك خمسة ايام فاتفق في تلك الايام قدوم الامرا المجردون الذين كانوا ببلاد
حلب ومن معهم من العسكر ومقدمهم امير سلاح بكتاش الفخري كما ذكرنا قبل
فخرج الامرا من القاهرة لتلقيهم وحسنوا للذين قتلوا السلطان الخروج معهم
لذلك فامتنعوا تكبرا فجرى بينهم كلام وقالوا لهم ان عادة الملوك جارية
بلقا الامرا اذا رجعوا من التجريد فلم يزالوا بهم الى ان وافقوا على الخروج
لتلقيهم فلما التقوا بهم وتحادثوا فيما جرى فاتفقت الارا على قتل الذين
قتلوا السلطان فبادروهم بالسيوف وقتلوهم في مكانهم وحملوهم في مزبلة
على حمار واتم العسكر السير الى القلعة ثم اتفقوا على احضار الملك الناصر
محمد بن قلاون من الكرك فاحضروه واعادوه الى السلطنة كما ذكرنا وبقي الامر
شورى بين ثمانية امرا لا ينعقد امر الا بهم ولا يخرج مرسوم الا بخطهم جميعا
وهم بيبرس الجاشنكير وسلار وايبك الخزندار وبكتمر امير جندار وكرد
الحاجب واقوش الافرم والحسام الاستادار واستقر سلار نايب السلطنة
وبيبرس استادار الدار والامير قطلبك حاجبا وسنقر الاعسر وزيرا
وارسل اقوش الافرم الى نيابة دمشق وارسل الامير كرد الحاجب الى
الحصون نايبا بطرابلس واخرج قراسنقر من حلب وولي قلعة الصبيبة
ثم نقل الى نيابة حماة وفي تلك الايام مات الامير بلبان الصالحي وكان كبير
الشان موصوفا بالشجاعة وممن يذكر للسلطنة مات بالقاهرة وعمره سبعين
وقد ذكرنا قصة هروب نايب الشام قبجق الى ملك الططر قازان
فاجتمع به واكرمه وحاشيته وكان ذلك سببا لحركة قازان الى قصد البلاد
الشامية فتواترت الاخبار بذلك فجرد لهم السلطان الملك الناصر محمد
بنفسه وامرايه وخرج من القاهرة في اواخر السنة وسنذكر وقعته معهم

وفي سنة تسع وتسعين وستماية كان السلطان الملك الناصر محمد
سايرا من الديار المصرية متوجها الى الشام لغزو قازان ملك الططر وذلك
انه لما علم بقتل السلطان لاجين واضطراب الامور فاقبل في جيش عظيم وعدى
الفرات وكان النايب بحلب يوميذ بلبان الطباخي وهجم قازان ملك الططر على البلاد

وما نزل السلطان

وما نزل السلطان على منزلة تل العجول انفقت جماعة من الاويراتية الوافدين الى
الديار المصرية في الايام العادلية كما ذكرناه مع واحد من المماليك السلطانية كان
قد تقدم عند السلطان يدعى كتبغا ولاجين فاجتمع مع كبير الاويراتية المذكورين
على ان يفعلوا مكيدة عند المصاف فعلم بهم السلطان وقتلهم وصلبهم ثم
امسك الاويراتية ومن كان منهم مجردا في الثغور وسجنوا ثم دخل السلطان
الى دمشق يوم الجمعة تاسع ربيع الاول وكان يوم مطر شديد ووحل كثير
فنزل بالطارمة وانفق في العساكر وخرج للقا الططر

وقعة قازان

لما خرج السلطان من دمشق بالجيش في السابع عشر من ربيع الاول ولم يتخلف احد من
الجيوش وخرج معهم خلق كثير من المطوعة وتواترت الاخبار بقدوم الططر
ووصولهم الى وادي الخزندار عند سلمية فسار العسكر اليهم ليهجموا عليهم
وقطعوا الثلاث مراحل في مرحلة واحدة فلما اشرفوا على مجمع المروج
ركبت الططر وطلبوا وكان ملكهم قازان فيهم وصحبته الامرا المتوجهين
اليه وهم قبجق وبكتمر السلحدار والبكي وعزاز الصالحي فوقع المصاف
في التاريخ المذكور بوادي الخزندار على ثلاثة فراسخ من حمص وكانت وقعة
عظيمة قتل فيها فوق عشر الاف من الططر ولاحت امارات النصر وثبت
السلطان ومماليكه ثباتا كليا فحملت الميسرة الاسلامية على ميمنة الططر
فهزمتها وضعفت الميمنة عن لقا ميسرتهم فلما عاين قازان انهزام
ميمنته اعتزل في نحو الف فارس واخذ عن جيشه جانبا ثم ركبت
اخرياتهم الذين كانوا لم يركبوا في الصدمة الاولى وردفوهم وقووهم فعند
ذلك انكسرت ميمنة المسلمين وخذلوا فانا لله وانا اليه راجعون وكان
العدو ثلاثة اضعاف المسلمين واستشهد منهم فيها جماعة فازوا بالثواب
منهم الامير كرد الحاجب نايب السلطنة بالفتوحات والامير بلبان التقوكي
وكان من امرا طرابلس والامير سيرس العلمي وكان نايبا بالمرقب والامير
ازبك الطغريلي وكان نايبا ببلاطنس واخرون ونحو الف نفس من الاجناد
منهم من كان استشهد في المعركة ومنهم من اصابته فيها جراحة فمات بعدها
وفقد في المعركة قاضي الحنفية حسام الدين الرازي ونهبت الططر
الخيول والجمال وما كان مع العسكر من العدد والاثقال واسروا عامة
الجند والاتباع والغلمان والرعاع وهرب السلطان الملك الناصر محمد
فرجع في طايفة قليلة ممن ثبت معه وساروا على ناحية البقاع وبعلبك
واستمر منهزما الى الديار المصرية فدخلها في اسوا حال واستولى قازان
على البلاد وقضي الامر فزحف قازان الى حمص واخذ بها الخزاين السلطانية مدحن

قازان
فسلمها اليهم واليها من غير ممانعة وفتحها بغير مدافعة واخرج المفاتيح الى قازان
فتسلمها بالامان ورحل عنها طالبا دمشق فنزل بالغوطة وكان اكثر اهل
دمشق من اعيانها وغيرهم وقضاتها قد رحلوا عنها الى الديار المصريه وبقيت
دمشق شاغر ليس فيها حاكم ولا رادع سوى نايب القلعة ارجواش
وهو مشغول عن البلد بالقلعة فكسر المحبوسون بباب الصغير باب
السجن وخرجوا منه قريبا من مايتي راجل فنهبوا ما قدروا عليه من الناس
وعاثت المفسدون في البلد وفي خروج قازان من حمص وزحفه على دمشق
ونزوله بالغوطة تعرض الارمن الذين معه الى جبل الصالحيه فخربوا ما
فيه من الجوامع والمساجد والمعابد والمساكن والبساتين ثم هجمت
الططر دمشق وسبوا اهلها فاجتمع علما البلد واعيانها وكان من علمايها
الشيخ تقي الدين ابن تيميه العالم المشهور في مشهد علي رضي الله عنه واتفقوا
على المسير الى قازان لتلقيه واخذ الامان منه لاهل دمشق فتوجهوا
اليه واجتمعوا به عند النبك وكلمه الشيخ ابن تيميه كلاما قويا فيه مصلحه
عظيمه عاد نفعها على المسلمين ودخل المسلمون لدمشق من جهة قازان
فاغلقت ابواب المدينه سوى باب واحد واتفق يوم جمعة فخطب الخطيب
بالجامع ولم يذكر سلطانا في خطبته وبعد الصلاه قدم امير من قازان
واحضر الفرمان بالامان فقرى بالجامع وطيف به في البلد ثم امر قازان
لتجبى الاموال فشرعوا في مصادرة المسلمين ونهبهم والعسف بهم وجلس
ديوان الاستخلاص ودخل الامير قبجق الذي ذكرنا قصة هروبه قبل
فنزل بميدان دمشق وافترق جيش الططر في نواحي البلد وقتل
جماعة وكثر العبث وقلت الاقوات وضاق الحال واخذ قبجق في
محاصرة القلعة وكان بها نايبها سنجر المنصوري المعروف بارجواش
قد حفظها وحصنها فاظهر العزم في منعها ونصبت عليها المجانيق فما هاله
امرها بل نصبر وتجلد حتى رحل قازان ولما اشتد الحصار على القلعة
خاف اهلها ان يتوصلوا اليها من الاماكن والمساكن حولها فهدم جميع ما
حولها من العماير والبيوت واحرق دار السعادة والمدارس قريبها
وخربت تلك الناحيه كلها وصارت دكا واذن قازان في نهب دمشق وتخريبها
وحرقها وسبي اهلها فاخربوا المدارس والمساجد والربط والمحاريب
وقتلوا وطغوا وصار باب البريد اصطبلا وكان قدر المال الذي اخذ ممن
كان بها من الاعيان نحو من خمسة الاف الف دينار وقتل غالبهم من التعذيب
على المال ومن سلم فاسيرا من الضعف والجوع والعري والبرد المفرط ما لا يوصف
وولى قازان في نيابة دمشق قبجق فبقي يظهر الكراهه وانه في تعب عظيم معهم ثم جرى له ما نذكره

ولما عجزوا عن القلعة

ودعوا بكلمة الحلول ؟

ولما عجزوا عن القلعة ترحل الططر عن دمشق وسبوا من اهلها خلقا كثيرا النوفا
من اولاد المشايخ ونسايهم ورحل قازان عنها وترك نوابه بها في ستين الفا
من المقاتله وارسل كتابا يقول فيه انا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين الفا
وفي عزمنا العود في زمن الخريف لاجل الديار المصريه وفتحها ودامت الططر
بالشام نحو اربعة اشهر وحين خرج الامير قبجق لتوديع الططر فرح
الناس برحيلهم ولم تفتح القلعه وارسل نايبها الرجال القلعيه الى الجامع
فكسروا اخشاب المنجنيقات المنصوبه التي جعلتها الططر للرمي على القلعه
ثم عاد قبجق الى دمشق ومعهم الامرا الذين هربوا معه بكتمر السلحدار والبكي الظاهري
وكان رحيل قازان عن الشام في جمادى الاولى وقد جعلها في اسوء حال وولى قطلغ
على نيابة الشام قبجق وعلى حلب وحماه وحمص بكتمر السلحدار فعمل قبجق
بدمشق الامور العجيبات وركب بالعصايب والشاويشيه ومشى فيها
مشي الملوك فصادرهما قبل خلاك الحق فبعضهم واصفري وانتشرت الططر
في اعمال دمشق وبلادها فقتلوا من اهلها ما وصلوا اليه وشنوا الغارات
وانتهت غاراتهم الى القدس الشريف وغزة وبلد الخليل عليه السلام
كل هذا ونايب قلعة دمشق ثابت على تحصينها وحفظها ومنعها عنهم
ونادى في البلد بان العساكر المصريه واصلة اليكم فعند ذلك ترحل من
كان بدمشق من الططر وتشمروا عن البلد وساروا على عقبة دمر فعاثوا
في تلك النواحي ولم يدخل شهر رجب وفي حواشي البلد منهم احد ثم جرى ما نذكره
ورتب السلطان الامير قطلوبك نايبا بطرابلس والفتوحات والسواحل
عوضا عن نايبها الامير كرد الذي استشهد في وقعه وادي الخزندار

ذكر قدوم العسكر المصري الى الشام صحبة الامرا والنواب

قد ذكرنا ان السلطان وعساكره لما انكسروا من قازان في الوقعة المذكوره
تفرقوا هاربين في الطرقات وقد ذهبت اموالهم واثقالهم وخيولهم
فوصلوا الى القاهرة ففتح السلطان الخزاين والحواصل وانفق في العساكر
المتراجعة المصريه والشاميه والحلبيه والحمويه فانهم توصلوا الى القاهرة من
طرق مختلفة حتى ان الامير بلبان السلحدار المنصوري المعروف بالطباخي
نايب السلطنه بالممالك الحلبيه وصل وصحبته العسكر الحلبي وكان عبورهم
على جانب الساحل من جهة طرابلس فصادفوا المضيق وقاسوا مشقه
عظيمه من وعر الطريق وخرج عليهم الجبليه ونهبوا منهم جماعه وقتلوا جماعة
ووصل نايب الشام اقوش الافرم ونايب صفد كراي المنصوري والعادل كتبغا
من صرخد وبقيتهم واجتمعوا بالقاهرة فشملتهم النفقات فجددوا اعدادهم وسلاحهم
واعفى السلطان الامير بلبان الطباخي عن نيابة حلب وولاها لقرا سنقر الجوكندار نيابا

يقتسم بالوعر ؟

ثم جرد السلطان العساكر ممن كان مقيما بالقلعة ممن لم يسافر ولا شهد الوقعة
وكان اول رحيلهم من السلطان والاميرين سلار وبيبرس وخرجوا بالعساكر فلما
وصلوا الى الصالحية وتحققوا رحيل الططر عن الشام اقام السلطان بالعساكر
وسار الاميران المذكوران بالعسكر لتمهيد البلاد الشامية واستصحبوا
معهم نواب الممالك الشامية ليرتبوا كلا منهم في بلده وحلوا وراسلوا
الامير قفجق وبكتمر السلحدار والبكي في الحضور والعود الى الطاعة
فاجابوا الى ذلك فصفح عنهم السلطان واعطى قفجق الشوبك فسكن الحال
واحسن اليهم السلطان ورجع عايدا الى القلعة واما الاميران الكبيران
سلار وبيبرس الجاشنكير فانهما دخلا دمشق بالعساكر ورتبا احوال
تلك البلاد واعادا اقوش الافرم الى وظيفته نيابة دمشق وجعلا العادل
كتبغا في نيابة حماة وقطلوبك في نيابة طرابلس والفتوحات والسواحل
عوض عن كرد المستشهد في الوقعة وقراسنقر في نيابة حلب عوضا عن الطباخي
واعادا كل قوم الى وظيفتهم وطيبا خواطر نواب الحصون ومهدا البلاد
واعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر بعدما كان يخطب بها لملك الططر غازان
فيما مائة يوم سوا ويوم دخول نواب البلاد لدمشق دخلوا في تجمل عظيم
وهم الافرم نايب دمشق وقراسنقر نايب حلب وقطلبك نايب طرابلس
واستقرت الاحوال على اجمل اوضاعها وعاد العسكر المصري اليها في
ايام عيد الفطر ومقدمهم الاميران سلار وبيبرس ثم جرى بعده ما سنذكره
واما الامير بلبان السلحدار المنصوري المعروف بالطباخي الذي ذكرنا انه كان
نايب طرابلس ثم بحلب ثم استقر في هذه السنة مقدما بالقاهرة فانه
في اول السنة التي بعدها سبعمائة خرج مع السلطان في التجريدة الى الشام
فمات في صفر فدفن عند قبر ابنيامين بن يعقوب عليهما السلام فنعم الجار
وورثه السلطان الملك الناصر بالولا وصارت اليه امواله واملاكه ومماليكه
وفيها كانت حروب بين ملوك الططر بالبلاد الشمالية فالذين انكسروا
منهم سببت دراريهم وجلبوا الى الديار المصرية فاشتراهم السلطان والامرا
وكان قد ارسل بعض ملوكهم الى الملك التي هو في صدها رسولا واصحبه ثلاثة اشيا
محراثا وسهم نشاب وقبضة من تراب فلما وصل الرسول وعرض ما معه على الملك الذي
ارسل اليه قال الملك لرسول هذه الرسالة خبرا ولهذا الرموز اثر فجمع كبار قومه
ومشورته وقال ما عندكم في هذه الثلاثة اشيا فقال كل منهم مقالا فقال ما اصبتم القصد
وانا اخبركم بمراده اما المحراث فهو يقول لن تزيلكم الى اسفل الارض اطلعتكم بهذا المحراث
واما النشاب فيقول ان طلعتم الى الجو انزلتكم بهذا السهم واما التراب فيقول اختاروا الكم
ارضا يكون فيها الملتقى فعلموا انه اصاب في تاويله فاعاد الرسول وقال قل للملك ان رحيلنا قد عظمت
ونريد ان نسبقها عزما نمركم فعاد الرسول بالجواب فاستعد كل منهم للقتال وجرى ما جرى ذكره

وفي سنة سبعمائة اول القرن الثامن

وفي سنة سبعمائة اول القرن الثامن استهلت والخليفة هو الحاكم بامر الله
احمد العباسي اعلم بمصر والسلطان الملك الناصر ناصر الدين ابو المعالي محمد بن الملك المنصور قلاون
ونايبه بمصر الامير سلار وشريكه الامير بيبرس الجاشنكير ونايب دمشق الامير اقوش
الافرم وحلب قراسنقر المنصوري وبطرابلس والساحل قطلوبك الكبير وبصفد كراي
وبحماه كتبغا الملك العادل وبالكرك اقوش الاشرفي المعروف بنايب الكرك وغير ذلك
وصاحب مكة الشريف نجم الدين ابو نمي محمد بن ابي سعد حسن بن علي بن قتاده بن ادريس الحسني
وصاحب المدينة الشريف عز الدين جماز بن شيحه بن هاشم بن قاسم الحسيني وصاحب
اليمن الملك المويد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن رسول التركماني وصاحب
المغرب ابو يعقوب المريني وسلطان بلاد العجم ملك الططر محمود غازان
وفيها اختلف عربان من بلاد البحيرة وهم طايفتان جابر ومرديش اختلافا
انشا بينهم حربا وافنى بعضهم بعضا وكانت مرديش هي المستظهرة على جابر
فاتصل خبر ذلك بالسلطان فندب الامير بيبرس صاحب التاريخ المشهور
لاخماد فتنتهم واطفا جمرتهم وجرد معه من امرا الطبلخانات عشرين اميرا
وانهي الى السلطان انهم متصافون وعلى القتال عاكفون وذلك على طاهر تروجة
فسار اليهم العسكر سيرا حثيثا فوجدهم قد اقتتلوا وافترقوا فتبعهم العسكر
فانهزموا وقصدوا واجهة اللبونة وغربي الاسكندرية فاخذوا مواشيهم
من الجمال والاغنام وسيقت الى ابواب السلطان وفيها في مستهل صفر وردت
الاخبار بقصد الططر العود الى بلاد الشام فانزعج الناس وازدادوا ضعفا
على ضعفهم وشرع الشاميون في الهرب الى مصر والى الكرك والى الحصون المنيعة
فبلغت المكارة الى مصر خمسمائة وابيع الجمل بالف والحمار بخمسمائة وابيعت الامتعة
بارخص الاثمان واخسها وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية بمجلسه بجامع دمشق
فحرض الناس على القتال وتلى عليهم الايات والاحاديث الواردة في ذلك
ونهى عن التسرع في الحركة ونودي في البلد ان لا يسافر احد الا بمرسوم السلطان
فتوقف الناس عن السفر وسكن جاشهم ولما بلغ ذلك الى السلطان قصد السلطان
واكابر الامرا التوسع بشي يعين على كلف العساكر فرسموا بتقرير مال على
الاملاك والاطيان والتجار وارباب المعايش والاسباب بالقاهرة ومصر
فقبض وتولاه الامير سنقر الاعسر ومتولي القاهرة فاستخرج منه حول مائة الف
دينار وسمي مقرر الخيالة وسار السلطان والعساكر في صفر ووصل الى غزة ثم
نزل بتل العجول وهو ما العوجا وعبر الططر الفرات وجاوا الى بلاد حلب
فتربص السلطان بالمنزلة المذكورة لامتناع المسير وانقطاع الطرق بالمطر
الغزير وتعذر على العسكر جلب التبن والشعير ولما عاين السلطان والامرا

تشدد الحال الجاهم ذلك الى الترحال فرحلوا عن المنزله وعادوا الى الديار المصريه
فوصل السلطان القلعة في العاشر من جمادى الاولى وكان العود احمد واولى من جرده
عسكر صحبة الامير بكتمر السلحدار ارهابا للعدو وتسكينا للرعية في الامن والهدو
ولما وصلت الاخبار الى الشام بان السلطان صاحب مصر قد رجع عايدا الى
مصر كثر الخوف واشتد الحال وكثرت الامطار جدا وخرج كثير من الناس من
خفافا وثقالا يتحملون باهاليهم واولادهم والمدينه خير لهم لو كانوا يعلمون
ثم قويت الاراجيف بوصول الططر وتحقق اهل الشام عود السلطان الى
مصر ونودي بدمشق من الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق فتصايح
الناس والنسا والولدان وبقي على الناس ذلة وخمدة وزلزل الناس زلزالا
شديدا وغلقت الاسواق وتيقن الناس انه لا ناصر لهم ودخل كثير من الناس
الى القلعة ولم يبق في دمشق من الاكابر الا القليل وهرب قضاتها الى الديار المصرية
وجاءت الاخبار بوصول الططر الى سرمين وخرج مشايخ دمشق فيهم ابن تيمية
الى نايب دمشق الافرم فقووا عزمه على ملاقاة العدو واجتمعوا ايضا بالامير
مهنى امير العرب واجابوا الى السمع والطاعه وقويت نياتهم على ذلك وخرج
طلب الامير سلار من دمشق الى ناحية الجيش بالمرج واستعدوا للحرب والقتال
بنيات صادقة وكان الشيخ ابن تيمية ايضا قد سافر لمصر واجتمع بالسلطان والامرا
وحرضهم على دفع العدو فاجابوه واشتد الغلا جدا حتى انه ابيع خروف
بخمسماية درهم واشتد الحال فاتفق بالامر المقدر ان جاءت الاخبار بان ملك الططر
قد خاض الفرات راجعا عامه ذلك لضعف جيشه وقلة مدده بالاقوات
فطابت الاخبار وسكن الناس ورجعوا الى منازلهم مستبشرين امنين والحمد لله رب العالمين
وعاد نايب دمشق من المرج بعد ان كان فيه مخيما مدة اربعة اشهر متتابعة وكان هذا
من اعظم الرباط وتراجع الناس من الحصون حول دمشق الى اوطانهم ثم عاد الططر
في السنة بعدها كما سنذكره وفيها استقال الامير كراي السلحدار من نيابة صفد فاقيل
واستعفى الامير قطلوبك المنصوري من نيابة طرابلس والحصون فاعفي عنه وعوض
فيها من دمشق الامير استدمر الكرجي واعيد قطلوبك الى دمشق فاستقر من امرايها
وفيها اصاب الفنا الابقار دون غيرها من المواشي حتى تعطلت الدواليب
والسواقي وغلت اثمانها غلوا لم يسمع بمثله وبيع الراس البقر بالف درهم
وما حولها واستعمل الناس الخيل والجمال والحمير عوضا عنها فما اجدت في
الحرث والكرب ولا اغنت عنها فتعذرت الاقصاب وتعطلت وترك
زراعة اكثرها وابطلت فارتفعت قيمة القنود وبلغت عشرة دنانير
القنطار ولقد حكى عن شيخ من اهل الفلاحة ببلد اشمون انه كان يملك من الابقار

الخيسية السارحة

الخيسية السارحة في تلك الجزاير ما جملته الف راس واحدى عشرة راسا
فهلكت في هذا الفنا اولا فاولا حتى لم يبق له منها غير ثمانية لا سواها وقس على ذلك
وفيها جرد الامير سنقر الاعسر الى الصعيد للكشف والتمهيد ورسم له بحسم مادة
العربان فانهم تظاهروا بالنفاق والعصيان فاجتمع العسكر بمنفلوط
واحضروا اعيان العربان وقررت عليهم جباية من المال والخيل والجمال والرقيق
والسلاح وجبيت فكانت الف الف وخمسماية الف درهم والف راس خيل
والفي جمل وعشرة الاف راس غنم وفيها الزمت السلطنة المعظمة طايفتي
اليهود والنصارى بديار مصر والشام بلبس العمايم الغيار فالبس النصارى
عمايم زرقا واليهود عمايم صفرا والسامرة بالشام عمايم حمرا واغلقت كنايسهم
ثم فتح بعضها اولا فاولا وفيها وصل من جهة قازان ملك الططر رسل الى البلاد الشامية
قاصدين الابواب السلطانية فارسل الامير كراي السلحدار لاحضارهم فاحضرهم
وكان من جملتهم القاضي كمال الدين ابن يونس قاضي الموصل من البيت العالي الفقه المشهور بين
فاحضروا واحضر بين يديهم كتابا من جهة مرسلهم المورخ في العشر الاوسط من شهر رمضان منها
بجبال الاكراد فعرض هذا الكتاب على المواقف السلطانيه وابلغ الرسل
مشافهتهم وانزلوا بدار الضيافة واجريت عليهم الاقامة ثم جهزوا للرجوع
وفيها كانت حروب بين ملوك الططر بالبلاد الشماليه وتجددت ملوك اخرون
وفيها من الحوادث ان جزيرة جربة كانت قد خرجت من ايدي المسلمين كما ذكرنا في سنه
ثمانين وستماية واقامت بيد المراليا نايب الافرنسي بصقلية تجبى اليه خراجها
كل عام فهلك في هذه السنة اعني سنة سبعماية فاغتنم اهلها الفرصة بهلكه
فارسلوا الى صاحب تونس يعلمونه بذلك ويستنجدونه فجهز اليهم ابن عمه ابا زكريا
يحيى وجهز معه نيفا وعشرين قطعة من المراكب وثلاثة الاف فارس
وعشرة الاف راجل فتوجه اليها ونزل عليها وبلغ ذلك ولد صاحب صقلية
فتجهز في طواغيته وجاءهم بجماعته فلما اقبلت شوانيه خرجت شواني تونس عنها
واقلعت منها وعاد ابو زكريا يحيى اللحياني ولم ينل منها ولا شيا واما فدخلها
الفرنج وتملكوها وامنوا اهلها واقاموا بها الى سنة ست وسبعماية كما سنذكره
وفيها مات الامير بلبان السلحدار المنصوري المعروف بالطباخي فورثه السلطان
الملك الناصر محمد بالولا وصارت اليه امواله ومماليكه واملاكه وكانت وفاته
وهو في البيكار الذي خرج فيه السلطان الى حمص ان خرج في احد الربيعين ودفن
عند قبر ابنيامين بن يعقوب عليهما السلام فنعم الجار وقد ذكرنا حاله انه
كان نايبا بطرابلس والفتوحات وهو اول نوابها ثم نقل منها الى نيابة حلب
ثم اعيد الى القاهرة على امرة بها فلم يقم الا قليلا وخرج في تجريدة السلطان فمات

وفي سنة احدى وسبعمايه حصل الاهتمام باعادة جواب قازان ملك الططر
وارسال رسله وسلم صاحب مصر اليه فجهز اليه اميرو والقاضي عماد الدين ابن
السكري من اعيان القضاة والكبرا وكتب الجواب على يديهما فجرى ما ذكره
وفيها اعتزل سنقر الاعسر من الوزارة سفر الى الشام لكشف القطاع وترتيب
ما يتعلق بها من الضياع **وفيها** قتل الفتح احمد بن البققي من اهل حماه بالديار المصرية
حكم بقتله قاضي المالكيه زين الدين علي بن مخلوف لما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة
المطهرة واستهزايه بالايات المحكمات ومعارضه المشتبهات بعضها ببعض
وانه يحل المحرمات من اللواط والخمر لمن يجتمع به من الفسقه من الترك وغيرهم من الجهلة وغيره
من الزندقة هذا وقد كان لديه فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ولبسة
جيدة ولما اوقف عند شباك دار الحديث الكاملية بين القصرين بالقاهرة استغاث
بقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وقال ما تعرف مني فقال انما
اعرف منك الفضيلة ولكن حكمك انما هو الى قاضي المالكية فامر القاضي للوالي
ان يضرب عنقه فطيف براسه في البلد هذا اجزا من طعن في الله ورسوله
وفيها شنق بواب الظاهرية على بابها بسبب انه اعترف بقتل شيخ عالم مقيم بها
وفيها ورد كتاب من حماه يخبر فيه انه وقع في هذه الايام بباربن من عمل حماه ثلج
وبرد على صور حيوانات مختلفة منها سباع وحيات وعقارب وطيور
ومعز وبلشون ورجال في اوساطهم حوايص ولن ذلك ثبت بمحضر عند قاضي
الناحية ثم نقل ثبوته الى قاضي حماه حكاه الحافظ علم الدين البرزالي في تاريخه
وفيها حصل بالشام جراد عظيم اكل الزروع والثمار وجرد الاشجار حتى صارت
مثل العصا ولم يعهد مثل هذا **وفيها** عقد مجلس بالشام لليهود الخيابرة
والزموا باداء الجزية اسوة امثالهم من اليهود فاحضروا كتابا معهم يزعمون
انه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وضع الجزية عنهم فلما وقف عليه العلما
تبينوا انه كذب مفتعل لما فيه من الالفاظ الركيكة والتواريخ المخبطة واللحن
وحاققهم عليه الشيخ تقي الدين ابن تيمية وبين لهم خطاهم وكذبهم وانه مزور
مكذوب فانابوا الى اداء الجزية وخافوا من ان يستعاد عليهم بالسنين الماضية
قال الحافظ عصره عماد الدين ابن كثير وقد وقفت انا على هذا الكتاب بعد ذلك
فرايت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خيبر وقد توفي قبل ذلك بنحو من ثلاث
سنين وشهادة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن اسلم اذ ذاك وانما اسلم بعد
ذلك بنحو من سنتين وفيه كتب علي بن ابو طالب رضي الله عنه وهذا لحن لا يصدر عن
امير المومنين علي انه ينسب اليه علم النحو من طريق ابي الاسود الدؤلي عنه وقد جمعت
فيه جزا مفيدا وذكرت ما جرى فيه ايام القاضي الماوردي من كبار علماينا في ذلك العصر انتهى

ذكر وفاة الخليفة

ذكر وفاة الخليفة الامام الحاكم بامر الله امير المومنين ابي العباس احمد بن محمد بن الحسن
بن ابي بكر بن الحسن علي القبي بن الخليفة الراشد بالله الهاشمي العباسي البغدادي
ثم المصري قد ذكرنا انه بويع بالخلافة في الدولة الظاهرية بيبرس البندقداري
في اول سنة احدى وستين وستماية فاستكمل اربعين سنة في الخلافة وكانت
وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى من هذه السنة بالمناظر المعروفة بالكبش
بمرض عراه وصلي عليه العصر بسوق الخيل وصلى عليه الشيخ كريم الدين عبد الكريم
الاملي شيخ الصوفية بخانقاه سعيد السعدا ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة
رضي الله عنها ومشى الامرا والكبرا والقضاة والحكام والاعيان في جنازته اكراما
لمحله وخلف من الاولاد سليمان وهو اول من دفن بمصر من الخلفا العباسيين
ذكر خلافة ولده المستكفي بالله امير المومنين ابي الربيع سليمان بن الحاكم
بامر الله ابي العباس احمد المذكور قريبا بويع له يوم وفاة ابيه في التاريخ المتقدم
وخطب له على المنابر واستمر في صحبة السلطان والركوب معه كانهما اخوان
وسارت البريديه بذلك في جميع الاقطار والامصار والممالك الاسلامية وكان
ابوه عهد اليه وكتب له تقليدا بذلك وقري بحضرة السلطان والدولة في اواخر
هذه السنة وكان يوما مشهودا ولم يزل محمودا وجميع خلفا مصر الى الان من ذريته
واتفق فيها ايضا موت صاحب مكة الشريف ابو نمي محمد واختلف اولاده بعده في شي كرم
وفيها اظهر عربان الوجه القبلي الفساد والعصيان ومنعوا حقوق الاجناد
وقطعوا الطريق فسار الامير سلار نايب السلطنة ورفيقه الامير بيبرس
الجاشنكير وهما كفيلا الممالك ومشيراها في جموع من العساكر الناصرية
وفرقا العسكر ثلاث فرق ليحيطوا بهم برا وبحرا فتوجهت فرقة من البر
الشرقي وفرقة من البر الغربي وفرقة من الحاجر وضربوا على البلاد حلقة
كحلقة الصيد فبقي العربان جميعا في حلقتهم وحصلوا في قبضتهم فما افلت
منهم احد واخذوا ما كان لهم من خيل وابل وبقر وغنم ومنعوا ان يركب احد
من العربان فرسا او يحمل سلاحا وكان الذي اخذ من موجودهم وحواصلهم
خمسة الاف فرس وعشرين الف جمل ومايه الف راس غنم سوى الابقار
والحمير وعاد العسكر فخلع عليهم السلطان **وفيها** جرد امير سلاح بكتاش
الفخري وايبك الخزندار ومضافوهما من الامرا والمفاردة والمقدمين والحلقة
الى جهة سيس ففتحوا بلادا واخربوا سيس عنوة ثم قدم الجيش الى القاهرة سالمين
وفيها حج بالناس الامير بيبرس الجاشنكير المتحدث في الممالك في جماعة من الزامه
وكان ركبا كبيرا حج فيه ثلاثون اميرا وجعلوا ركبان ثلاثة يتعاقبون في
المنازل والمراحل فلما وصلوا الى مكة وجدوا اولاد صاحبها قد مات واختلفوا

فحضر اثنان من اولاد الشريف نجم الدين ابي نمي عطيفة وابو الغيث وشكوا الامير
الحاج بحضرة تلك الامرا من اخويهما الكبيرين زميثة وحميضة لانهما لما مات ابوهم
في هذه السنة وثبا عليهما واسا اليهما واعتقلاهما ظلما وبغضا فتحيلا وهربا
من مكان سجنهما وتوجها الى بني عمهما اولاد ادريس بن قتادة واقاما عندهم لذلك
وسالا انصافهما من اخويهما فاتفقت الامرا بامساك زميثة وحميضة
وتاديبهما بالسجن والعزل لاساتهما على اخويهما وغير ذلك من امور نقلت عنهما
فامسكا ورتبت احوال المذكوران عطيفه وابو الغيث عوضا عنهما بمكة واحضرا
هذان الى الابواب السلطانيه فاعتقلا مدة ثم جرى لهما ما سنذكره في محله
وفي سنة اثنين وسبعمايه في اولها جهزت الشواني والمراكب المنصورة
للسفر الى غزو جزيرة ارواد وهي جزيرة قبالة انطرسوس في البحر المالح
وكان قد اجتمع فيها جمع من الفرنج الذين جلوا من الساحل وسكنوها واحاطوا
بها سورا وحصنوها وكانت من اضر الاماكن على السواحل فجهزت الشواني
لقصدها وجرد فيها جماعة من الجند لاخذها ولما تجهزوا وتكملوا ولم يبق الا
سفرهم ركب مقدم الاجناد الذين يسفروا فيها في الشيني الكبير ومعه جماعة
وخرجوا قبالة مقياس مصر ليلعبوا ويتجدروا فانقلب الشيني في
خروجه فغرق المقدم المذكور واكثر من كان فيه فجهزوا عوضا عنه اخر
وسفر بالشواني فوصلوا الى الجزيرة المذكورة واوقعوا باهلها واخذوا
ما كان فيها واحضروا منها عدة اسرى وعبروا بهم عند وصولهم الى القاهرة
المحروسة وكان فتح جزيرة ارواد في ثاني صفر وقتلوا منها نحوا من الفين فرنجي
وكانت الاسرى قريبا من خمسمايه وفيها عاد امير سلاح بكتاش الفخري
وغيره من العسكر الذي كان مجردا ببلاد سيس كما ذكرنا في السنة قبلها
وفيها وصلت رسل قازان ملك الططر وكتبت اجوبتهم وامروا بالعود
ومنع قازان رسل السلطان الذين ذكرناهم في السنة قبلها من العود بسبب
ما نذكره ولما هلك قازان قريب عادوا في ايام اخيه خربندا وفيها وصل قازان
ملك الططر بجيوشه الى الرحبة ونازلها فخرج نايبها الى قازان بالاقامات
وقال له هذا البلد قريب الماخذ فالملك يقصد المدن الكبار التي هي
ممتنعة عليه فنحن لا نمتنع عليك فرجع قازان عايدا الى بلاد الشرق
وجهز نايبه قطلوشاه في اثني عشر تومانا لقصد الشام فتوجهوا نحو
الشام ووصلت منهم طايفة الى القريتين وبها جمع من التركمان باموالهم
واولادهم فاوقعوا بالتركمان ونهبوهم فبلغ الامير اقوش الافرم نايب
دمشق فجهز طايفة من عسكر دمشق صحبته الامير قطلبك المنصوري نايب طرابلس كان

ومعه امير العرب

ومعه امير العرب فتوجهوا الى بلاد صرمين فوجدوا الططر قد فاروا فعاد
العسكر ولم يظفروا بهم ثم اجتمع الامير اسندمر الكرجي النايب
بطرابلس وجماعة من امرا دمشق وتوجهوا في الف وخمسماية فارس طالبين
الططر لاخذ الثار فلما وصلوا الى مكان يسمى عرض وجدوا الططر نازلين
هناك وكانوا عشرة الاف من المغل فلما راهم الططر اطلقوا ما كان معهم من
الاسرى والكسب ليشغلوا المسلمين به فلم يلتفت المسلمون اليه وحملوا
على الططر فانهزمت الططر وقتل منهم خلق كثير واسر جماعة من اعيانهم
واحضروا الى دمشق وذلك في شعبان وقدمت طايفة كبيرة من جيش المصريين
فيهم الامير بيبرس الجاشنكير والحسام الاستادار ثم قدمت بعدهم طايفة
اخرى فيهم بكتاش امير سلاح وايبك الخزندار وقويت القلوب ولكن الناس في
جفل عظيم من بلاد حلب وحماه وحمص وتلك النواحي وتقهقر الجيش الحلبي
والحموي الى حمص ثم خافوا ان يدهمهم الططر فاقترب مجيهم وانزلوا
بالمرج في اواخر شعبان فدخل الططر الى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك الاراضي
فسادا وقلق الناس قلقا عظيما وخافوا خوفا شديدا واختبط دمشق
لتاخر قدوم السلطان ببقية الجيش وقال الناس لا طاقة لجيش
الشام مع هولا المصريين بلقا العدو لكثرتهم وتحدث الناس بالاراجيف
فاجتمع الامرا بالميدان الاخضر وتحالفوا على لقا العدو وشجعوا انفسهم
ونودي في البلد لا يرحل احد فسكن الناس قليلا وجلس قضاة الشام
بالجامع وحلفوا جماعة من الفقها والعامة على حضور الغزاة وتوجه الشيخ
تقي الدين ابن تيميه الى العسكر الواصل من حماه فاجتمع بهم فاعلمهم بما تحالف عليه
الامرا والناس من لقا العدو فاجابوا الى ذلك وحلفوا معه ايضا
وكان الشيخ ابن تيميه يحلف للامرا والناس انكم منصورون في هذه الكرة
على الططر ثم يقول ان شا الله تحقيقا لا تعليقا وكان يتاول في ذلك
اشيا منها قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله ان الله لقوي عزيز ولما كان اواخر شعبان خرجت العساكر الشامية
فخيمت على الجسورة ومعهم القضاة ثم ساروا الى ناحية الكسوة وقد وصلت
الططر الى قارا وامتدوا الى القطيفة فانزعج الناس لذلك شديدا ولم يبق
حول دمشق من القرى والحواضر احد وامتلات القلعة وازدحم الناس
في المنازل والطرقات وبقي البلد ليس فيه حاكم وعاثت المفسدون وانقطع
الطريق الى الكسوة وظهرت الوحشة ويتعجبون من امر الجيش مع كثرتهم اين
ذهبوا ولا يدرون ما ذا فعل الله بالناس فانقطعت الامال وكثر الدعاء والابتهال
وخرج الشيخ ابن تيمية مع اصحابه ليشهد القتال بنفسه فلاقى العسكر وبشرهم بالنصر

فلما كان آخر النهار دخل امير لدمشق فبشر بخبر السلطان انه قد وصل وقد اجتمعت
العساكر المنصورة المصرية والشامية وتاهبوا وارسلوا الكشف دمشق هل
طرقها احد من الططر وكالي يدخلها احد منهم وذلك ان الططر عرجوا عن دمشق الى ان
العساكر ولم يشتغلوا بالبلد لانهم كانوا يظنون ان غلبوا فالبلد لهم وان
غلبوا فلا حاجة لهم به وكان خروج السلطان من مصر في شعبان فتحير وطوله
الى العساكر ان فيه اتفق هجوم الططر في ساعة واحدة كقطع الليل المظلم

وقعة شقحب

لما وصل السلطان كما ذكرنا رتب العساكر على العادة
ميمنة وميسرة وقلبا وكان الخليفة المستكفي بالله سليمان بن الحاكم بامر الله احمد
مع السلطان في هذه المعركة وكانت في يوم الجمعة مستهل رمضان والتقى الفريقان
بمرج الصفر نصف النهار فاضطربت ميمنة المسلمين واستشهد جماعة من الامرا وانهزم
بعضهم الى دمشق واردف القلب الميمنة فردت الططر عنها واما الميسرة
فثبتت وحملت على ميمنة الططر فولوا منهزمين وتبعهم المسلمون وكان لما
اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتا عظيما ويقال انه امر
بجواده فقيد حتى لا يهرب وبايع الله تعالى في ذلك الموقف وجرت خطوب
عظيمة وقتل جماعة من اكابر الامرا يومئذ منهم الامير حسام الدين لاجين بن اسنادلر
وثمانية من المقدمين معه والملك صلاح الدين من اولاد بني ايوب وخلق من كبار
الامرا ثم نزل النصر قريب العصر من يوم السبت واستظهر المسلمون عليهم وحجز
الليل بينهم فالتجا الططر عند الظلام الى اقتحام التلول والجبال فاحاطت
العساكر الاسلامية بهم يحرسونهم من الهروب ويرمونهم عن قوس واحد
الى وقت الفجر وضايقوهم اشد مضايقة الى الصباح وكان السيف يعمل فيهم
ليلا ونهارا فركنوا الى الفرار ثم افرج لهم الامير اسندمر الكرجي نايب طرابلس
فرجة من راس الميسرة فخرجوا منها وادبروا على اعقابهم وتبعهم العساكر
الاسلامية فابادوهم قتلا واسرا وغنموا منهم خيلا عظيمة وقتلوا منهم ما لا
يعلم عدده الا الله عز وجل ولم يسلم منهم الا القليل فامسى الناس وقد استقرت
خواطرهم وفي ثاني يوم رجع الناس من ناحية الكسوة وابيعت خيل الغنيمة كل
اكديش بخمسة دراهم وكان الشيخ تقي الدين ابن تيميه اجتمع بالسلطان وبشره بالنصر
وحلف له على ذلك وافتى الناس بالفطر يومئذ وافطر وبقي يدور على الاطلاب
فياكل من شي معه في يده فياكل الناس ويتاول في الشاميين قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم انكم ملاقوا العدو غدا والفطر اقوى لكم بعزم عليهم في الفطر
عام الفتح كما في حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ثم رجع السلطان الى دمشق
[illegible] مويدا منصورا وقدامه الخليفة وبين يديه الغنائم ورؤوس الططر
فنزل بالقصر الابلق ثم تحول الى القلعة وخلع على النواب وامرهم بالعود الى مماليكهم وانقضى الا

وعاد السلطان الى الديار المصرية

وعاد السلطان الى الديار المصرية بمن معه من الجيوش المنصورة ودخل القاهرة اخر شوال
مويدا منصورا وزينت له البلد وكان يوما مشهودا وعن قريب هلك قازان ملك الططر
وفيها في جمادى الاخرة ظهرت دابة عجيبة الخلق من بحر النيل الى ارض المنوفية
وهذه صفتها لونها لون الجاموس بلا شعر واذانها كاذان الجمل وعيناها وفرجها
مثل الناقة يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ورقبتها
مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل الكوبان ولها اربعة انياب
اثنان من فوق واثنان من اسفل طولها دون الشبر وعرض اصبعين وفي
فمها ثمانية واربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يديها من
باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل اظافر الجمل
وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر
قدما وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها احمر وزفرته مثل السمك وطعمه كلحم الجمل
وغلظ جلدها اربع اصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة
اجمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل واحضروه الى القلعة المعمورة
بحضرة السلطان الملك الناصر محمد وحشوه تبنا واقاموه بين يديه وهذه هي
التي تسمى فرس البحر كانت تطلع ترعى في البر ثم تعود الى البحر فرصدها الصيادون
وصادوها بالمنوفية وهي سودا قدر البغل باظلاف كاظلاف البقر وذنب قصير
ولما سلخت وحمل جلدها الى القاهرة وحشي تبنا فتعجب منه الناس كثيرا
ذكره الحافظ علم الدين البرزالي والقاضي شهاب الدين النويري ونقله عنهما القاضي العيني
وفيها في اخرها حدثت الزلزلة العظيمة بكرة النهار بالقاهرة ومصر وساير
اعمالها وفي الاسكندرية اشد وكانت عظيمة جدا مهولة حتى ان الجدران تساقطت
والمباني تهدمت والصخور تقطعت والمياه من خلال الارض تفجرت
وخرجت النسا حاسرات الى الطرقات وظن الناس انها الساعة قد قامت
فلطف الله بالناس وسكنها ولو دامت ثلاث ساعات من النهار لم يبق على
الارض دار وكانت قوتها بالاسكندرية فهدمت اكثر الابراج والاسوار حتى
انه فاض البحر المالح واغرق قماش القصارين وكسر قوارب البحارين وقطع
مراسي المراكب الفرنجية فخرج اهلها من باب السدرة هاربين ووقعت
ايضا في البلاد الغربية والجزاير البحرية والجهات الفرنجية وحدثت ايضا
في تلك الساعة ببلاد الكرك والشوبك والسواد وتلك الاقطار وحكي ان شخصا
من الباعة يبيع اللبن في بعض الحوانيت بالقاهرة سقط في الزلزلة حانوته عليه
وظن الناس انه قد مات واقام ثلاثة ايام ولياليها تحت الردم ثم نظف التراب
ووجد سليما واخرج حيا لانه تشبكت فوقه الاخشاب وحملت عنه الطوب

والتراب وسلمت له من جانونه جبن لبن فكان يقتات منهما الى ان نظف عنه الردم
ووقع في هذه الزلزلة جانب من قلعة صفد واسوارها وبرج الباب فرممت
في السنة القابلة وتهدم جانب من جامع بني امية واعيد ترميمه وجزر البحر
من الاسكندرية ثم رجع فاتلف اموالا عظيمة للتجار وغرق جماعة كثيرين
وانكشف البحر بساحل عكا فظهر في قاعه شي كثير مما القاه اهل عكا في مدة
حصار عكا فتبادر الناس لاخذه فرجع البحر عليهم فغرق منهم من اخذهم وغير ذلك
وفيها مات السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري في حماه وهو
نايب عليها بعد صرخد كما ذكرنا وكانت وفاته يوم الجمعة وكان يوم عيد الاضحى
ونقل الى تربته بسفح قاسيون غربي الرباط الناصري وله عليها اوقاف دارة
على وظايف من قراءة وغيرها وكان من كبار المنصورية وقد ذكرنا انه تملك مصر
بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور قلاوون ثم عزله عنها لاجين وتسلطن هو
وحوله الى صرخد فبقي بها حتى قتل لاجين وعاد الملك الى الملك الناصر محمد بن قلاوون
فاستنابه بحماه بعد موت صاحبها من بني ايوب فاستمر نايبها حتى كانت وفاته
بها كما ذكرنا وكان من خيار الملوك واعدلهم واكثرهم برا رحمه الله ورتب بحماه عوضه
الامير قبجق الذي ذكرنا ما جرى منه فتوجه اليها وولي النيابة فيها وكان نايبا
بالشوبك ومن عجيب ما حكي من امر العادل كتبغا المذكور انه لما فتح هلاوون الشام
واستولى التطر عليها كما ذكرناه في سنة ثمان وخمسين وستمائة احضر هلاوون منجما حاذقا
يقال له النصير الطوسي الحكيم المشهور فقال ابصر من يملك مصر من مقدمي عساكري
فقد قيل الي لا املكها فنظر فلم يجد من الاسما من يملكها الا اسم كتبغا وكان صهر
هلاوون يسمى كتبغا نوين فظنه هلاوون اياه فانفذه على العسكر الذي
خذله الله على عين جالوت على يد الملك المظفر قطز كما ذكرناه ثم لما تسلطن
الظاهر بيبرس وكسر التطر ايضا في وقعة حمص كان كتبغا العادل المذكور
ممن سبي فيها فوقع في سهم الامير قلاوون الالفي فلما تسلطن ترقى عنده ومن بعده
الى ان تسلطن كما ذكرنا فكان بين وقعة هلاوون المذكورة وبين تملك كتبغا هذا
مصر مدة خمس وثلاثين سنة وملك صاحب هذا الاسم لكنه ليس من اصحاب
هلاوون فسبحان عالم الغيب ولما تسلطن العادل كتبغا اقام في المملكة مدة
سنتين فقط ووقع في ايامه ذلك الغلا الكبير المشهور الذي اكل الناس فيه جميع
الكلاب حتى الادميين وعم القحط وكان معه الوبا وتفانى به الخلق حتى
عجزوا عن دفن الاموات حتى كان عدة من مات في شهر واحد بالديار المصرية اكثر
من مايه الف وغير ذلك ثم ان العادل اختلف عليه امراوه في عوده في طريق مصر
فانتزع المملكة منه لاجين كما ذكرناه وحين مات كان عمره نحو الستين وكان شرع في مدرسة
بين القصرين فعزل ولم يكملها فلما عاد الناصر محمد اخذها واكملها ونسبها اليه وهي الناصرية المعروفة و

وفي سنة ثلاث وسبعمايه

وفي سنة ثلاث وسبعمايه كملت عمارة المدرسة الناصرية المستجدة بين القصرين
بالقاهرة وهذه كان الملك العادل كتبغا قد شرع في عمارتها وابتدى انشاها فلم تطل
مدته لتمام بنائها وعزل وبعد عود الملك الناصر محمد الى مملكته ثانية اكملها وزينها
ونسبها اليه وقرر فيها الدروس على المذاهب الاربعة فكان اول مدرسي الشافعية
بها العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل ومن الحنفية القاضي شمس الدين السروجي شارح الهداية
ونقل السلطان امه فدفنها بقبة هذه المدرسة وجعل نظرها لقاضي الشافعية بمصر
وفيها افرج عن الشريفين رميثة وحميضة ابني الشريف ابي نمي صاحب مكة من اعتقالهما واعيدا
الى امرة مكة وعزل اخواهما عطيفة وابو الغيث وسير صحبتهما امير فاستمرا في الامرة مدة
وفيها امر السلطان بتجريد العساكر الى بلاد سيس وسببه ان طايفة من العسكر
الحلبي دخلت بلاد الارمن غارة فكبستهم التطر ببلاد سيس وسلموا
فجرد السلطان امير سلاح بكتاش الفخري ومعه عدة من العسكر المصري ثلاثة
الاف فارس فتوجهوا الى البلاد الشامية واضيف اليهم الغازي من دمشق ايضا
وساروا فاخذوا معهم نايب حمص ونايب حماه ولاقاهم اسندمر نايب طرابلس
وانضاف اليهم نايب حلب قراسنقر وانفصلوا كلهم عنها فافترقوا فرقتين فرقة
سارت صحبة نايب حماه الى ناحية ملطية وقلعة الروم والفرقة الاخرى
صحبة نايب حلب دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة
بعد حصار طويل ثم وقع الاتفاق مع صاحب سيس على ان يكون للمسلمين من جيد
نهر جيهان الى حلب وللارمن من النهر الى ناحيتهم وان يحملوا الحمل سنتين ووقعت
الهدنة على ذلك بعد ما قتل خلق من امرا الارمن ورؤسايهم وتاخر امير
سلاح في حلب عن هذه الغزوة لمرض عرض له وكان تل حمدون لما فتحوها
كان جماعة من نواب القلاع المجاورة لها تقبض مال فلما اطلقهم الملوك وصل
رسول صاحب سيس يقول ان هولا الذين بتل حمدون هم ملوك القلاع وكلما
اردت بذل الطاعة وارسال الحمول للسلطان الملك الناصر خالفوني فيه
وعصوني فان انتم امسكتموهم سلموا اليكم القلاع والاموال فارسل الامرا
من ادركهم قبل وصولهم الى مامنهم وكانوا ثمانيه فقتلوهم كلهم الا واحد منهم
صاحب قلعة نجيمة فانه لما شاهد الموت اسلم وقال انا اسلم قلاعي الى
السلطان والتزم له فتح سيس بالفي فارس فعادت العساكر الى الديار
المصرية ووصلوها في اول السنة بعدها وفيها وفد الى السلطان الامير جنكلي
المعروف بابن البابا احد مقدمي التطر ومعه حرمه والزامه فقبل عليه السلطان وامره
امير ماية وكان رهفانه ببلاد آمد وكان يكاتب السلطان بالنصيحة فلهذا اعظمت نعمته
فاستمر بالقاهرة قريب الخمسين سنة حتى انه اتابك العسكر وراس المشورة الى ان مات بها
واليه ينسب بالقاهرة درب ابن البابا وحمام ابن البابا بقنطرة السباع وغيرهما

وفيها وصل رسول من جهة الريدا كون البرشنوني احد ملوك الفرنج برسالة تتضمن الشفاعة في النصارى الذين بالديار المصرية ليجروا على عوايدهم وينعم عليهم بفتح كنايسهم على عادتهم فقبلت شفاعته وفتحت لهم كنيستان بالقاهرة كنيسة لليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين للملكية وعاد الرسول الى بلاده وسير صحبته امير فلما وصلا الى الاسكندرية وركبا منها في البحر نقفا وضا منفا وضة ادت الى ان رسول البرشنوني طرح الامير رسول السلطان من المركب الى القارب الذي خرج من المينا ليشيعهم هو وغلمانه واقلع من فوره فرجع رسول السلطان الى مصر فكانت قضية شنيعة لم يوجد لها تاذ

وفيها وقع الموتان في الخيول بالشام وحلب واعمالها فقيل ان الذي هلك منها يقارب ثمانين الف راس وفيها اهتم الاميران الكبيران سلار نايب السلطنة بعمارة جامع عمرو بن العاص بمصر وكذلك الامير بيبرس الجاشنكير بعمارة الجامع الحاكمي بالقاهرة فانفقا فيهما اموالا جزيلة وشيدا مبانيهما وجددا معالمهما ومساجد راتبهما واكثرا اوقافهما واصلحاهما وكانا تهدما من الزلزلة العظيمة

وفيها حج الامير سلار النايب وحج صحبته من الامرا نحو عشرين اميرا ثم عادوا

وفيها هلك ملك الططر قازان بن ارغون بن ابغا بن هلاون بن طلو بن جنكزخان وكانت وفاته بالقرب من همدان من نواحي الري وقد ذكرنا ما حصل منه من الضرر والاذى للمسلمين حين اخذ البلاد الشامية فيما تقدم مفصلا وكان لما ظهر الاسلام تسمى بمحمود وكانت مدة تملكه ثمان سنين وعشر اشهر وجلس في الملك بعده اخوه خربندا بن ارغون بن ابغا بن هلاون وتسمى بمحمد ولقب غياث الدين وخطب له على منابر العراقين وخراسان وتلك النواحي وسند كرمونة وتملك ولده ابو سعيد بهادر

وفي سنه اربع وسبعمايه عاد الامير قطايا بن سيف امير بني كلاب والامير سلطان وجماعة من مشايخهم الى الديار المصرية وكان قد خرج عن الطاعة وهرب الى بلاد الشرق فاحسن اليهم السلطان ولم يواخذهم وعادوا الى حلب

وفيها وصلت رسل ملك الططر بالبلاد الشمالية فاكرموا غاية الاكرام وانزلوا بمنظرة الكبش ثم جهزوا بانواع التحف والهدايا وسفر صحبتهم امير رسولا الى السلطان

وفيها عادت رسل السلطان الذين كانوا قد ارسلوا الى قازان وعوقهم كما ذكرنا ومن جملتهم القاضي عماد الدين ابن السكري وحضر صحبتهم رسول خربندا ملكهم برسالة مشتملة على طلب الصلح وكف الغارات من الجهتين فاحسن السلطان الى رسول خربندا واعاده وارسل صحبته رسولا وقاضيا فذهبوا وعادوا ومعهم رسول خربندا ايضا وفيها وصل من جهة ابي يعقوب المريني صاحب الغرب رسول وصحبته هدايا جليله وتحف كثيرة وخيل عربية وبغال وجمال وقماش وجملة كثيرة من الذهب العين على سبيل الامداد والهدية ومعه ركب حجاج فحجوا وعادوا الى بلادهم

وفيها وصل متملك دنقلة

وفيها وصل متملك دنقلة وبلاد النوبة واحضر معه هدية من الرقيق والهجن والجمال والابقار والنمار والشب والسنباذج فانزل بدار الضيافة وقبلت هداياه وشرف بالخلع الملوكية والتشاريف السلطانية وسال ان يجرد معه عسكر لينهض به على اضداده فجرد معه جماعة من اجناد الامرا وجند الولايات وعربان الصعيد وجعل الى قوص مقدما عليهم

وفيها توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية ومعه جماعة الى مسجد النارنج بدمشق فاحضر جماعة من الحجارين وقطع صخرة هناك كان الناس الجهلة يزورونها وينذرون لها وكان لهم فيها افك وبلا كثير فازالها واراح الناس

وفيها حكم قاضي المالكية بدمشق باراقة دم كمال الدين محمد ابن الشيخ العالم جمال الدين عبد الرحيم الباجريقي بمقتضى ما ثبت عنده مما يرمى به من العظايم والزندقة فهرب واختفى وفيها ادعى بدمشق نجم الدين ابو بكر بن بهاء الدين ابن خلكان انه حكيم الزمان وانه يخاطب بكلام يشبه الوحي وادعى انه قد اطلع على علوم كثيرة وطلسمات عظيمة منها طبل اذا ضرب به انكسر العدو وانهزم وغير ذلك وادعى انه ارسل الى السلطان بمصر وانه اذا اجتمع به عمل له طلسمات عظيمة في فنون شتى فعقد له مجلس بدمشق بحضرة النايب الافرم وطولب باقامة البرهان على صحة دعواه فلم ينهض بشي فاستتيب واطلق على انه لا يعود فاقام مدة ثم عاد الى دعواه فمسك ايضا واستتيب ثم عاد وتكرر ذلك منه مرات متعددة ودخل مصر وهو على دعواه فامسكه الامير الدوادار ايضا ولم ينفد فيه شي ولم يزل مصرا على دعواه وكان هذا الرجل قبل هذه ينوب عن الحكام فتنازيه هذا الحال واستمر حتى مات

وفي سنه خمس وسبعمايه اعيدت رسل صاحب الغرب وجهز صحبتهم رسل وهدية من التحف الثمينة اللايقة وجملة من المماليك وشي من السلاح التي غنمت في وقعة شقحب وغير ذلك وفيها وصلت رسل صاحب اليمن المويد داود ومعهم الهدية اليمنية من البهار والقنا والشاشات والتحف فقومت هديته فكانت اقل قيمة من الهدايا الجارى بها عادة ابيه فصدرت اليه الامثلة السلطانية بالانكار والتهديد فعاد رسوله بغير جواب فوجب الاهتمام بقصد اليمن كما سنذكره وفيها جرد الامير قراسنقر نايب حلب عسكرا الى بلاد سيس ليغيروا عليها وذلك ان صاحبها اخر حمل المال المقرر عليه وقطع القطيعة فتوجه العسكر الحلبي ودخلوا تلك البلاد وشنوا الغارات على الارمن وكان بعض مقدمين الططر باطراف بلاد الروم في ثلاثة الاف فارس من الططر فارسل اليهم صاحب سيس وبذل لهم مالا جزيلا وكان عنده جمع من الفرنج ايضا فاجتمعوا

على

هم والططر في سنة الاف مقاتل فلما بلغ العسكر الحلبي اجتماعهم اشاروا على
مقدمهم بالرحيل بالغنايم قبل ان يدركهم العدو فلم يرجع الى رايهم وقال
انا وحدي القى هذا الجمع ففارقه بعض الامرا في نحو ربع العسكر وساقوا
تلك الليلة كلها فنجوا وبقي بقية العسكر هناك فادركهم الططر ومن انضم
اليهم من الفرنج والارمن فانهزم العسكر الحلبي من غير قتال واسر
الططر منهم اربعة امرا وجماعة من الجند وارسلوهم الى ناحيتهم وما سلم
من العسكر الحلبي الا جماعة فوصلوا الى حلب ثم ان صاحب سيس ندم وخاف
العاقبة فكتب الى نايب حلب يبذل له الطاعة والاموال ويسال
العفو فكاتب النايب السلطان الملك الناصر في ذلك فاجيب سواله واقتضى
الحال ان يجرد عسكر الى حلب ويكتب لصاحب سيس بانه اجيب الى ما طلبه
فان فعل بما قال والا فكانت الجيوش قريبة من ارضه فجرد عسكر
اربعة الاف فارس وجماعة من الامرا المقدمين وامرا الطبلخانات
والمانين صحبة امير سلاح بكتاش الفخري فكتب نايب حلب الى صاحب سيس
يخبره بالصورة وينذره بحركة العساكر المنصورة فارسل يبذل الاذعان
والطاعة فاخذ رسله نايب حلب وبعث بهم الى السلطان فاقتضى الحال
رجوع العساكر وكانوا وصلوا الى غزة فعادوا الى السلطان وكان امير سلاح
بكتاش المذكور قد كبر واسن وضعفت حواسه فسال من السلطان الاعفا من
الخدمة والامن لكبره وعجزه فاجيب واذن له بالانقطاع واجرى له كفايته
وفيها وصلت رسل ملك الكرج وصحبتهم رسل صاحب القسطنطينية يشفعون في
النصارى بالديار المصرية ان يعاد عليهم كنيسة معروفة بهم بالقدس الشريف
تسمى المصلبة وكان الشيخ خضر الصوفي قد انتزعها منهم في الدولة الظاهرية
وجعلها زاوية فاعيدت اليهم بمقتضى فتاوى العلما بعد نحو الاربعين سنة
واذن لهم في الاستوا في الركوب وكانوا قبل ذلك يركبون عرضا من ناحية
واحدة وفيها توجه العساكر الشامية الى جبال الكسروان قرب طرابلس
وكانت اهلها روافض وقد طغوا واشتدت اذيتهم وتطرقوا الى اذى
العسكر عند انهزامه في وقعة قازان على راس القرن وتراخى الامر وحصل
الاغفال فزاد طغيانهم وخرجوا عن الطاعة فتوجه اليهم الشريف زين الدين
عدنان نقيب الاشراف ثم بعده الشيخ تقي الدين ابن تيمية وبعض الامرا فوعظوهم
فلم يفد فيهم فعند ذلك رسم بتجريد العساكر اليهم من كل مملكة من الممالك الشامية فتوجه اليهم
الامير الافرم نايب دمشق بعسكرها وصحبته من الرجالة نحو خمسة الاف وتوجهوا الى
جبال الكسروان والبقاع والجرديين وطلع اليهم ايضا الامير اسندمر الكرجي
النايب بطرابلس من اصعب المسالك فاجتمعت عليهم العساكر من التراكمين والابطال

فاوقعوا بهم في شهر المحرم فابادوهم قتلا وتشتيتا في البلاد وسبيت نساوهم
وبيعت اولادهم واستخدم اسندمر المذكور منهم جماعة بطرابلس وانقطع
اثرهم من الجبال وعاد العسكر الى دمشق في منتصف صفر واقطع جبال
الكسروان لجماعة من امرا التركمان وغيرهم وفيها حضر جماعة كبيرة من
الفقرا الاحمدية الرفاعية الى نايب دمشق وحضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية
فسالوا من النايب بحضرة الامرا ان يكف الشيخ ابن تيمية الانكار عليهم وعنهم
وان يسلم لهم حالهم فقال هذا ما لا يمكن ولا بد لكل احد ان يدخل تحت
الشريعة قولا وفعلا ومن خرج عنها وجب الانكار عليه على كل احد فارادوا
ان يفعلوا شيا من الاحوال التي يتعاطونها في سماعاتهم فذكر ابن تيمية ان هذا
كله من باب الحيل والبهتان ومن اراد منكم ان يدخل النار فليدخل الحمام
وليغسل جسده غسلا جيدا ويدلكه بالخل ثم بعد ذلك كله يدخل النار
ان كان صادقا ولو فرض ان احدا من اهل البدعة دخل النار فانه لا يدل
على صلاحه بل هو من الاحوال الدجالية المخالفة للشريعة المحمدية
اذا كان صاحبها على غير الطريقة السنية فابتدر شيخ من تلك الرفاعية
وقال نحن احوالنا تنفق عند الططر ما تنفق عند الشرع فضبط عليه
هذه الكلمة الامرا والحاضرون وكثر الانكار عليهم من كل احد ثم اتفق
الحال على انهم يخلعون الاطواق الحديد وان من خرج منهم عن طريق السنة
ضربت عنقه وصنف ابن تيمية جزءا في طريقة الاحمدية واهل سلوكهم
وما في ذلك من مقبول ومردود بالشرع وفيها خرج مرسوم السلطان الى دمشق
بالكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين ابن تيمية بسبب فتياه في الطلاق والثلاث
وان يحمل الى الديار المصرية وكذلك قاضي دمشق فتوجها على البريد الى الديار المصرية
ووصلا الى القاهرة وعقد لابن تيمية مجلس بالقلعة واراد ان يتكلم فلم يمكن
على عادته وحبس ببرج اياما ثم انزل الى الجب هو واخوانه ثم خرج
مرسوم السلطان الى دمشق فيه الحط على ابن تيمية ومخالفته في العقيدة
وان ينادى بذلك في البلاد الشامية والزم اهل مذهبه الحنابلة بمخالفته
وكذلك وقع بمصر قام في ذلك الامير بيبرس الجاشنكير وشيخه الشيخ نصر
المنبجي وساعدهم طايفة كثيرة من علما القاهرة وغيرهم وجرت فتنة منتشرة
وحصل للحنابلة بالديار المصرية اهانة كثيرة جدا وكان في ضمنهم عالم عاقل
وهو شرف الدين الحراني ولولا هو لنال اصحابه اذى كثير فلطف الله بهم اذ كان
هذا في ضمنهم ثم جرى لابن تيمية خطوب كثيرة وحبس مرات في بلاد متعددة
في مصر والاسكندرية وقلعة دمشق فاستمر فيها محبوسا حتى مات بعد اكثر عشرين من هذه
وسنذكر كل واقعة له في موضعها وكانت امورا شنيعة كما ستعرفه اللهم سلم

وفيها في مصان جا كتاب من شيخ الخدام بالحرم النبوي عليه الصلاة والسلام
يستاذن السلطان في بيع طابقة من قناديل الحرم النبوي على صاحبه افضل
الصلاة والسلام ففيه قنديلان من ذهب زنتهما الف دينار والمصروف
ذلك في بنا مادنة عند باب السلام الذي عند المطهرة فرسم له بذلك
وشرع في بنايها وولي خطيبها العالم سراج الدين عمر السويدا وكان قضاها
مع الخطابة فشق ذلك على الروافض وكان قضاوها مع اولاد سنان
وفي سنة ست وسبعمايه عادت رسل صاحب مصر الملك الناصر محمد
من عند ملك الططر وصحبتهم رسول من جهته فبولغ في اكرامه واعيد بجواب رسالته
وجهز معه امير رسولا ايضا وفيها وصلت رسل صاحب سيس بالقطيعة الى
السلطان واطلق من اسرى المسلمين نحو بلثمانة اسير واوصلهم الى مدينة حلب
وفيها وردت كتب من حماه تتضمن حدوث امر عجيب يتعجب منه وفيها محضر مثبوت
ان باراضي حصن الاكراد من عمل طرابلس جبلين بالقرب من بارين من بلاد حماة
بينهما وادي يجري الما فيه فانتقل نصف الجبل الواحد من موضعه وتعدى الوادي
والتصق بالجبل الاخر ولم يسقط في الوادي الذي بينهما شي من الحجارة وبقي ما
انسلخ منه منقعرا في الجبل كهيئة محراب والما جاري على العادة وكشفه
النايب بحماه بقاضي الحكم ببارين وعمل به محضرا وكان طول النصف الذي
انتقل من الجبل مايه ذراع وعشرة اذرع وعرضه خمسة وخمسون ذراعا
ومسافة الوادي الذي بين الجبلين مايه ذراع واسم الجبل بنبابه واسم
القرية القريبة منه وزانه وفيها في اول المحرم ظهرت الوحشة بين السلطان
الملك الناصر محمد وبين الامير الكبير بن سلار النايب وبيبرس الجاشنكير
الاتابك وكان السلطان قد امتنع من العلامة على المراسيم زمانا حتى ظنه
الناس مريضا ثم عبر اليه في بالث الشهر فتنكر لهما وسبهما فاستعطفاه
والانا له الكلام حتى رضي وخلع عليهما ولما خرجا قويت نفوسهما واظهرا
ما في نفوسهما ورسما بان يركب جماعة من العسكر وتقف تحت القلعة
فركب الامير سنقر الاعسر بعد العشا مظهر السلاح وشق القاهرة الى ان
وقف تحت القلعة وكذلك ركب اخوة سلار وهم داود وسمول وجبا
فخرج اليهم بعض الوشاقية فراسلوهم بالنشاب ووصل بينهم سمول اخو
سلار الى الشباك الذي يجلس فيه السلطان وبات الامرا تلك الليلة
على مساطب الدركاة بباب القلة ولما اصبحوا ترددت المراسلة بينهم
وبين السلطان على لسان الامير اقوش الموصلي والامير كراي السلحدار والامير
بعقوبا الشهرزوري وسالوا رضى السلطان والتمسوا منه بعض الخاصكية
الذين هم سبب اثارة هذه الفتنه فسيرهم اليهم بعد ان استحلفهم انهم لا

يتعرضون لهم بمكروه وهم بيبغا التركماني وكان من خواص السلطان وهو صاحب
الوقف المنسوب اليه بالديار المصرية سوق جملون التجار وغير المشهور
وغير من الخاصكية فارسلوهم من وقتهم الى القدس الشريف وانتظم الصلح بينهم
ولما بلغ ذلك نايب الشام اقوش الافرم ارسل يلوم الامرا ويعنفهم على ما
وقع منهم في حق هذه المماليك وبسال اعادتهم والاحضر هو بنفسه فاعادوهم
فلم يسكن الامير بيبغا التركماني المذكور بالقلعة بل سكن بسويقة العزي
ثم لم يلبث ان مرض ومات في السنة المذكورة وفيها ابتدا الامير بيبرس الجاشنكير
الاتابك في عمارة الخانقاه والتربة تجاه خانقاه سعيد السعدا وذلك موضع
دار الوزارة فعمرت واوقف عليها اوقافا جليلة وقرر فيها اربعماية رجل صوفي
ومات قبل فتحها فاغلقها الملك الناصر محمد مدة ثم فتحها ورتب فيها جماعة من
الصوفية وبعض الاوقاف التي كانت لها وارتجع الباقية واما التربة
فاستمرت مغلقة الى اخر سنة خمس وعشرين وسبعمايه كما سنذكره في موضعه
وفيها في يوم الخميس تاسع جمادى الاولى دخل الشيخ براق العجمي الى دمشق وفي صحبته
مايه فقير كلهم محلوقون لحاهم قد وفروا شواربهم عكس ما وردت به السنة
وعلى روسهم قرون لبابيد ومعهم اجراس وكعاب وجواكين خشب فنزلوا
بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الحنابلة ثم توجهوا نحو القدس الشريف
فزاروا ثم استاذنوا في الدخول الى الديار المصرية فلم يوذن لهم فعادوا الى دمشق
فصاموا بها رمضان ثم انشمروا اجمعين راجعين الى بلاد الشرق اذ لم يجدوا
بدمشق قبولا ولا منزلا ومقيلا وقد كان شيخهم براق المذكور روميا
من بعض قرى توقات وهو من ابنا الاربعين وقد كان له منزلة عند الملك
قازان سلطان الططر وذلك انه سلط عليه نمرا افترسه فانهزم منه وخطى
عنده وصارت له عنده مكانة واعطاه في يوم ثلاثين الف درهم ففرقها
كلها ومن طريقة اصحابه انهم لا يقطعون الصلاة ومن ترك صلاة
ضربوه اربعين جلدة وكان يزعم انه انما سلك هذا الزي ليخرب به على
نفسه ويرى انه في زي المسخرة وانما المقصود الباطن ونحن انما نحكم بالظاهر
والله متولي السراير وفيها في اخر يوم من رمضان احضر بباب السلطنة بمصر
سلار القضاة وجماعة من العلما كالباجي والجزري وغيرهما وتكلموا في اخراج
الشيخ تقي الدين بن تيمية من السجن فاشترط بعض الحاضرين شروطا عليه في ذلك
وارسلوا اليه ليحضر فامتنع من الحضور وصمم وتكررت الرسالة ست مرات
فلم يجب فطال عليهم المجلس فتفرقوا وفيها قتل السلطان ابو يعقوب يوسف
بن يعقوب المريني صاحب المغرب وهو محاصر لتلمسان وتملك بعده حفيده
ابو عامر ثابت بن عبد الله بعد حروب وقتل عميه ابا سالم ويحيى ثم اختلف عليه بعض امرايه

ثم ان ملك الططر خربندا اخو قازان ارسل الشيخ براق
الى اهل كيلان يبلغهم عنه رسالة فقتلوه
واراحوا الناس منه وقتل من اصحابه الذي يليه

وفي سنة سبع وسبعمائة في يوم الجمعة نصف صفر اجتمع قاضي الشافعية
بالديار المصرية القاضي بدر الدين محمد بن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي
وهو محبوس في الجب بقلعة القاهرة وكان اجتماعهما في دار الاوحدي من القلعة
وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة وابن تيمية مصمم على عدم الخروج من السجن
فلما كان يوم الجمعة في اواخر ربيع الاول جا امير العرب حسام الدين مهنا بن
عيسى امير البيت المشهور الى السجن بنفسه واقسم على ابن تيمية ليخرجن اليه
فلما خرج اقسم لا يعود حتى ياتي معه الى دار سلار النايب فاجتمع به بعض
العلماء في دار سلار وجرت بينهم بحوث كثيرة ثم فرق بينهم صلاة الجمعة
ثم اجتمعوا الى المغرب وبات ابن تيمية عند النايب سلار ثم اجتمعوا يوم الاحد
بمرسوم السلطان النهار ولم يحضر احد من القضاة بل اجتمع هناك من الشافعية
الفقيه نجم الدين ابن الرفعة وعلا الدين الباجي وتقي الدين بن بنت ابي سعد
وعز الدين النمراوي وشمس الدين ابن عدلان وصدر الدين ابن الوكيل كلهم شافعية
وانفصل المجلس على خير وبات ابن تيمية عند نايب السلطنة وكان امير
العرب المذكور يريد ان يستصحبه معه الى الشام فاشار سلار النايب
باقامة الشيخ مدة بمصر ليرى الناس فضله ويجتمعوا به وكتب ابن تيمية
كتابا الى الشام بمضمون ما وقع من الامور ثم عقد له مجلس بالمدرسة الصالحية
بعد ذلك كله ونزل ابن تيمية بالقاهرة بدار ابن شقير واكب الناس على
الاجتماع به ليلا ونهارا وفي شوال اجتمع نحو خمسماية من الصوفية وفيهم
شيخ خانقاه سعيد السعدا كريم الدين الآملي الى الحاكم الشافعي فاشتكوا
على ابن تيمية من كثرة ما ينال من ابن عربي فلم يثبت من ذلك شي وجرى كلام فيما
يتعلق بمسالة الاستغاثة فعنفه الحاكم وقال هذا تعزير مثله كافي
ثم خيره الدولة بين المسير الى الاسكندرية او الى الشام بشروط وبين الحبس
فاختار الحبس على ذلك ثم اشار عليه بعض اصحابه بالشام فاختار الشام
فاركب على البريد فلما انفصل لحقه بريدي اخر فرده ثم احضره الى
الحاكم الشافعي فقال له الدولة لا ترضى الا بحبسك واستناب القاضي
لشمس الدين التونسي المالكي فقال ما ثبت عليه شي وامتنع ان يحكم فاستناب
لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ايضا فقال ابن تيمية انا امضي بنفسي
الى السجن من غير حكم للمصلحة فحبس في حبس القاضي في المكان الذي كان فيه
قاضي الشافعية تقي الدين ابن بنت الاعز حين حبس وجعل عنده من يخدمه
وكل ذلك باشارة الشيخ نصر المنبجي فاقام ابن تيمية في السجن مدة سنين يستفتيه
الناس ويزورونه ويسالونه ويجيبونه ثم اخرج منه ثم حبس بقلعة الشام حتى مات
وفيها قتل مقدم الططر صاحب سيس بحيله ثم قتل هو ايضا بسبب بنا مدرسة ببلاد اذنه ه

وفيها سار خربندا

وفيها سار خربندا ملك الططر الى بلاد كيلان واغار عليها فنهب من بها من العجم
والاكراد وقتل منهم خلقا يتجاوز الاعداد وسبي النسوان والاولاد وباعوهم
بتبريز مجازاة لما فعلوا من كسر عسكره وقتل نايبه فانه كان بعث اليهم
جيشا كثيفا ستين الفا فلما توسطوا بلادهم ارسلوا عليهم خليجا من البحر
ورموهم بمدافع النفط فغرق كثير منهم واحترق اخرون وقتلوا بايديهم
طايفة كثيرة فلم يتفلت منهم الا القليل فاشتد غضب خربندا عليهم وبادرهم
وفيها وقع عزم ولاة الامر بمصر على تجهيز عسكر الى اليمن لان صاحبها
يوميذ الملك المويد هزبر الدين داود بن الملك المظفر يوسف بن رسول التركماني
قطع الهدية التي كانت العوايد جارية بارسالها الى سلطان مصر
فبرز مرسوم السلطان على ان كل مقدم الف منهم يعمر مركبا كبيرا يسمى جلبة
وقياسة لطيفة تسمى فلوة برسم حمل الازواد والالات وتسفيرها الى
جهة الطور والسويس على الظهر لتركب هناك وترمى البحر وتسفر لليمن
فاشترك كل مقدم الف ومضافيه في مركب وقارب وندب الامير
ايبك الشجاعي المشد الى قوص لعمارة هذه المراكب وانقضت هذه السنة
والاجتهاد مستمر في ذلك على انه اذا انجزت الاشغال توجه العسكر المجرد
صحبة الامير سلار النايب فسال الاعيان تجار الكارم الامهال الى ان
تتوجه الرسل الى صاحب اليمن وتعود بالجواب فامهلوا وارسل القاضي
شمس الدين ابن عدلان الشافعي والامير سنقر السعدي صاحب المدرسة بالقاهرة
رسولا الى اليمن وفيها وردت الاخبار عن طقطاي ملك الططر بانه نقم على
الفرنج الجنوية الذين بقرم وكفا والبلاد الشمالية لامور نقلت عنهم منها
استيلاوهم على اولاد الططر واستجلاوهم الى هذه الاقطار وغير ذلك
فارسل جيشا الى مدينة كفا وهي مستقر روسهم فاحسوا بوصولهم فهربوا
في المراكب في البحر وركبوا وساروا الى بلادهم فلم يظفر الططر منهم باحد
فنهب ملك الططر اموال من كان معهم بمدينة صراي وما يليها وفيها
مات الامير الكبير بيبرس العجمي الصالحي النجمي المعروف بالجالق احد الامرا
البحرية وقد اسن فكان اخر البحرية وخاتمة الامرا الصالحية النجمية من الدنيا مطلقا
وفي سنة ثمان وسبعمائة وصلت الاخبار بحركة الططر
فرسم بتجهيز جماعة من العساكر للتجريد لاجل الاحتياط والارهاب فعين
مقدمان من مقدمي الالوف وجماعة من امرا الطبلخاناه وامرا العشرات
فلما اخذوا في التاهب وصلت الاخبار المحققة من جهة الناصحين بتاخير العدو
بسبب حروب وقعت بينهم فاشتغلوا بانفسهم وكفى الله المومنين القتال ه

وفيها وصلت رسل صاحب سيس بالحمل المقرر عليه وهدية من جملتها طشت ذهب
وابريق مرصع بالجواهر بديع المنظر وفيها في رجب جات جماعة من التطر
الذين في شرقي الفرات فاغاروا على بلاد كركر وكان هناك احد مماليك
قراسنقر نايب حلب فنداته نايب القلعة وتوجه بجماعة من الرجالة
وكبسوا على التطر واوقعوا بهم واستظهروا عليهم واخدوا عدة من خيولهم
واسروا بعضهم وعادوا وحضر مملوك نايب حلب الى السلطان بهذا الخبر
وفيها في ربيع الاول اخرج السلطان الامير نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس
الملقب بالملك المسعود من البرج بقلعة القاهرة وسكن بمصر على شاطي النيل
بدار الامير ايبك الافرم وكانت اشتريت له فلم تطل حياته فانه توفي
في خامس رجب بالقاهرة بدار الجلبي وهو اخر بني الظاهر ومات معه ابنه
وفيها خرج السلطان الملك الناصر محمد الى الجيزة وخيم عند الاهرام من الربع
العاشر من جمادى الاخرة ولم يزل مخيما بها مترددا الى الصيد حولها قريب ثلاثة
اشهر وذلك انه كان قد قصد ان يخرج من الديار المصرية بالكلية ويخلي السلطنة
لما فيه من التشويش والضجر من تغلب المتغلبين وجعل اظهاره قصد الحج
وسيلة الى ما اراده في ضميره فسأله الامرا تاخير الحركة فلم يسمع وشرع في
التجهيز وتعيين من يسافر معه فلما كان في نصف رمضان جمع الامرا
ارباب المشورة واوصاهم بالاتفاق والانتظام وخلع على نوابهم
ومماليكهم الذين احضروها اليه ثم ركب

ذكر مسير السلطان

الملك الناصر محمد المنصور قلاون الى الكرك وخلع نفسه عن السلطنة
ولما كان الخامس والعشرين من رمضان ركب من القلعة وركب اعيان العساكر
والامرا الاكابر لتوديعه فسايرهم قليلا واذن لهم في الرجوع فرجعوا وتوجه
معه من الامرا المقدمين عشرة وبعض الخاصكية والخدم والغلمان فسار
الى الصالحية وعيد بها عيد الفطر ورحل بكرة فوصل الكرك في عاشر شوال
فلما مر على جسر المشي الذي على الخندق داخلا الى القلعة ومماليكه ماشون
في ركابه انكسرت اخشاب الجسر من تحت ارجلهم بعد ان تقدمت يدا
فرس السلطان وصار راكبا على سفح الجبل فسلمه الله من الزلل والخلل
وسقط بعض من كان في الركاب من المماليك فلم يمت احد وانما انصدع بعض
المماليك وصح بالجبار وسقط اكثر الخاصكية في الخندق وسلموا كلهم الا اثنين
احدهما مات لوقته والاخر انقطع نخاعه وبطل نصفه وعاش سبع سنين الى ان مات
وكان عرس السلطان قد فرقتهم ولم يسقط الا من كان وراه وكانوا خمسين نفرا اربعة
وتمتشم اكثرهم في الوادي تحته وبقي نايب السلطنة بالكرك وهو الجمال اقوش المشهور خجلا
يتوهم ان يكون هذا عن قصد وكان قد عمل ضيافة غرم عليها اربعة عشر الف فلم تقع الموقع

لاستغفال السلطان بهم

لاستغفال السلطان بهم وما جرى له ثم خلع على النايب واذن له في الانصراف
الى الديار المصرية فسافر واستقل السلطان بتدبير المملكة بالكرك وحدها فبقي
يحضر دار العدل ويباشر الايام بنفسه وقد كان قرر سفر حريمه واولاده
مع الركب المصري صحبة الامير خضر بن الامير نوكيه وعاجوا من العقبة الى
جهة الكرك فوصلوها ودخلوا القلعة فعند ذلك تقدم السلطان الى الامرا
الذين معه بالعود الى الديار المصرية وعاد خمس نه هجين من الهجن التي استصحبها
وحضر الامير الملك الجوكندار والامير بيبرس الاحمدي والامير مبارك
الامير اخور على الهجن الى الديار المصرية واحضروا كتابا انه صادر عن السلطان
الى الموالي الامرا يتضمن رغبته عن الملك وتركه والاقامة بالكرك والاذن
لهم باقامة من يصلح لهذا الامر من بينهم الى غير ذلك من كلام طويل وورد
مكاتباته بذلك الى القاهرة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من هذه السنة
وذكر انه وجد بالكرك من الاموال ثلثماية الف دينار عينا والف الف وسبعماية الف درهم

السلطان الثاني عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قلاون
ولما وصلت كتب السلطان الملك الناصر محمد قلاون وهو مقيم بالكرك برغبته عن الملك
كما ذكرنا اجتمع الامرا على الامير الكبير بن سلار النايب بحاف سلار وحشي
العاقبة واختار الامرا ركن الدين بيبرس الجاشنكير الاتابك وكانت الترجية
تختار وبويع له بالسلطنة بعد ان اثبت كتاب الملك الناصر محمد على القضاة
بالديار المصرية وكانت البيعة له بالسلطنة في الثالث والعشرين من شوال من السنة
وكان ذلك يوم السبت بعد العصر بدار الامير سلار النايب من القلعة
اجتمع اعيان الدولة من الامرا وغيرهم وبايعوه وخاطبوه بالملك المظفر
ثم ركب الى القلعة ومشوا بين يديه وجلس على سرير المملكة ودقت البشاير
وسارت البريد بذلك الى ساير البلدان وحضر الخليفة المستكفي بالله
ابو الربيع سليمان بن الحاكم بامر الله احمد فقلده السلطنة وكتب له عهدا
شمله خطه وكان من جملة عنوانه انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
ثم جلس بلانه امرا الاستحلاف الامرا والعساكر وكتب الى نواب الممالك
بذلك وتوجه الامرا الى البلاد الشامية بالاعلام وخطب له بالقاهرة ومصر
في اخر الشهر المذكور وصدر الجواب الى الملك الناصر محمد بالكرك عن كتابه المذكور
وكتب له تقليد بالكرك ومنشور بما عين له من الاقطاع وسير ذلك اليه
ثم في بكرة سابع ذي القعدة ركب السلطان بشعار السلطنة لابسا خلعة الخلافة
وسير في الميدان الاسود وقبلت العساكر له الارض طوعا وكرها ثم بعد ذلك

بايام قلايل خلع على الامير سلار النايب جلعة النيابة وفوضها اليه مستمرا
واستوزر الصاحب ضيا الدين ابا بكر النشاي الفقيه الشافعي بدل البغيط
وغيره وخلع على ارباب الدولة ويقال وصلت الخلع يوميذ الى الف خلعة
وماتي خلعة وكان يوما مشهودا او رجعت تلك الامرا من الكرك عند الناصر
ولما وصل الخبر بذلك الى الشام اجتمع نايب الشام والامرا والقضاة والاعيان
بالقصر الابلق فقرى عليهم كتاب الملك الناصر محمد الذي ارسل الى مصر كما ذكرناه
وانه قد ترك الملك واعرض عنه فابكته القضاه وامتنع الحنبلي من ابنائه
وقال ليس احد يترك الملك مختارا ولولا انه مضطهد ما تركه فعزل
وولي غيره ثم استحلفهم النايب للسلطان الملك المظفر بيبرس وكتبت
القايمه على القلعه ويحالف المملكه ودقت البشاير وزين البلد ولما قرى
كتاب الملك الناصر محمد على الامرا بالقصر الابلق اني صحبت الناس عشر
سنين ثم اخترت المقام بالكرك تباكى الناس وجماعه من الامرا
ثم بايعوا المظفر بيبرس كالمكرهين وخطب له بساير المملكة الشامية ثم
بعد ايام وقعت الوحشة بين السلطان الملك الناصر محمد والملك المظفر
بيبرس المذكور وذلك ان الناصر لما دخل الكرك سال نايبها اقوش الاشرفي
عن الاموال الحاصلة بها فاحضر النايب بها اوراقا بماتي الف درهم لا غير
خوفا ان يطلعه على المال فياخذه كله فلما اخرج نايبها منها كما ذكرنا الى مصر
وقنع هو بالكرك حتى خطب للملك المظفر بجامع الكرك وتادب معه
حتى كان اذا كاتبه يكتب له المملوكي المظفري وقصد بذلك سكون الاحوال
فلما كان بعد استقراره في الكرك بقليل ارسل الملك المظفر بيبرس يطلب من الناصر
اعادة الخيل والمماليك الذين استصحبوه والاموال التي بالكرك فبعث اليه
الناصر محمد بماتي الف درهم وانه لم يجد بها الا هذا القدر فاعاد الملك المظفر
الجواب بتجديد طلب الخيول والاموال والتهديد فاهان الناصر الرسول
وامر باخراجه ماشيا الى الغور واخذ من هذا الوقت في التحفل وكان ما سنذكره
وفيها ملك الفرنج جزيرة رودس من يد صاحب مدينة القسطنطينية الاشكري
واستقر بها الاستبار وتعطل لذلك ورود مراكب التجار الى هذه الديار

وفي سنة تسع وسبعماية كان السلطان هو الملك المظفر بيبرس الجاشنكير
ونايبه سلار وفي ليلة صفر اخرج تقي الدين ابن تيمية من القاهرة الى برج بالاسكندرية
ثم بعد مدة مكن من حضور الجماعات وعمل المواعيد وسوال الناس منه والبحث معه على
وكان سبب ذلك ان الشيخ نصر المنبجي شيخ هذا السلطان بيبرس الجاشنكير تمكنت عداوته
من ابن تيمية لكونه كان ينال من هذا السلطان ويصرح بزوال ايامه وقرب انقضا اجله

ويتكلم فيه

ويتكلم فيه فارادوا اخراجه الى الاسكندريه منفيا لعل احدا يبتي سر عليه فيقتله
غيلة فيستريحوا منه ولكن الناس حنوا عليه **وفي** جمادى الاولى برزت مراسيم
السلطان الملك المظفر بيبرس الى نواب البلاد الساحلية طرابلس ونحوها
بابطال الخمور وتخريب الحانات ونفي اهلها ففعل ذلك ففرح المسلمون
فرحا كبيرا **وفيها** ثار صوفية خانقاة سعيد السعدا على شيخهم عبد الكريم العجمي
الاملي وكتبوا في حقه محاضر باشيا قادحة فعزل عنهم وعومل بنظير ما كان يعامل
به الجماعة وولي عليهم عوضه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة بطلبهم له عليهم
وفيها وردت الاخبار بغارة بعض التتر على اطراف هذه المملكة واوقعوا
بالتركمان الذين بعينتاب وغيرها ونهبوهم فرسم بتجريد الامير ابن مقدمين
ومضافيهما فخرجوا الى حلب بالفي فارس وجماعة من امرا الطبلخانات والعشرات
وفيها كانت حروب بين ملوك البلاد الشمالية وتغير ملوكهم **وفيها** عادت رسل
صاحب مصر من عند صاحب المغرب وصحبتهم قاصده نايبه على طرابلس وجماعة
وكان المرسل هدية وكانت جليلة فيها من الخيل العربية والجمال والبغال سبعماية
راس فاخذها العربان في الطريق ووصل قاصده بلا شي وكانت مدة
غيبة رسول صاحب مصر في الغرب ثلاث سنين وربع **وفيها** قصد الفرنج
ابن الاحمر صاحب المغرب فاستنجد بابن المريني فانجده بجيش فالتقى مع
الفرنج ببر الاندلس فكان مما قتل من الفرنج تقدير عشرين الف فارس
وراجل وكان القتلى من المسلمين ايضا خلقا كثيرا ثم كانت الكسرة على الفرنج وانهزموا
وكانت هذه الكسرة على مكان بالقرب من غرناطة **وفيها** كان الوبا بالديار
المصرية ومات فيه خلق كثير وكان الموتات كثيرا من مماليك الامرا زيادة

ذكر اضطراب دولة

الملك المظفر بيبرس وفي مستهل رجب فقز جماعة
من الامرا والمماليك السلطانية بالقلعه والقاهرة قريب اربعين نفرا وذلك
بمباطنة من نايب السلطنة الامير سلار فخرجوا طلبا واحدا بخيلهم وهجنهم
وتركوا اموالهم واهليهم وراهم فلما ظهر امرهم جرد في اثارهم جماعة من الامرا
فساروا اسيرا رفيقا قصدا لعدم ادراكهم وحفظا لسلطانهم وابن
سلطانهم فلم يدركوهم فاقاموا على غزة اياما وعادوا الى القاهرة ووصل
اوليك الهاربون الى الكرك الى عند السلطان الملك الناصر محمد فقبلهم احسن
قبول وكانوا حين عبروا على قطيا اخذوا ما بها من المال ووجدوا ايضا
في طريقهم تقدمة لنايب البيرة فاخذوها بكمالها واحضروا الجميع الى بين يدي
الملك الناصر فلما وصلته الامرا امر بالخطبة لنفسه وكاتب النواب
بالممالك الشامية وامير العرب مهنى بن عيسى فوردت عليه اجوبتهم يبذلون

له الطاعة ويعرضون اموالهم بين يديه الا نايب الشام اقوش الافرم
فانه امتنع من الطاعة وجرد من جهته على الطريق من يحفظها ثم ان
الملك المظفر بيبرس لما سمع بذلك قلق واتهم بعض المماليك السلطانية
بالمواطاة على ذلك فقبض على جماعة منهم فوق ثلثمايه نفر وقطع اخباز
اوليك المتسحبين والمنقطعين في الاعتقال واقطع اقطاعاتهم لغيرهم
ثم جرد صهره زوج بنته مقدما وصحبته ثلاثة من المقدمين الالوف
وجرد معهم من الامرا فخرجوا الى طرف القاهرة ولم يتقدموا بل عادوا بعد اربعة
ايام وكان الباعث على عودهم ان كتب نايب الشام وردت تتضمن
ان الناصر محمد وصل الى البرج الابيض من طفس وعاد راجعا فاطمان وسكن
فكان كما قال الشاعر يهال للشي الذي يروعنا ونرتعي في غفلة اذا انقضى
كثلة ريعت لليث فانزوت حتى اذا غاب اطمانت ان مضى فارسل المظفر
الى تلك الامرا المجردين ليعودوا ثم ارسل المظفر الى الناصر رسالة تتضمن
تتضمن وعيدا وتهديدا وانكارا شديدا فلما وقف عليها الناصر اشتد
غضبه وقبض على الرسل بعد ان اوجعهما بالضرب الشديد ثم كتب الى
امرا الشام وحلب وصفد وحماه وطرابلس والساحل وعرفهم بذلك
وذكرهم بما للوالد الملك المنصور عليهم من التربية والعتق والاحسان
والاكرام ثم خرج للصيد لدفع ما به من الملالة التي تنشا عنده من جهة
كتب الملك المظفر ولما وصل رسوله كتبه الى اصحابها اجابوه كلهم بالسمع
والطاعة الا نايب الشام اقوش الافرم كما ذكرنا **ذكر حركة الناصر**
من الكرك في المرة الاولى سار الناصر محمد الى البرج الابيض من اعمال البلقا فارسل
نايب الشام الافرم الى الملك المظفر يخبره ان الامرا والعساكر قد فسدت
بواطنهم وتغيرت ظواهرهم والملك الناصر قد تحرك وخرج من الكرك
ووصل الى الموضع الفلاني ولا نامن ان تميل اليه العساكر فتنظر في
هذا الامر وتعجل الينا بارسال جيش له منعة فاظهر المظفر بيبرس
الاهتمام بالتجريد وجرد الامرا الذين ذكرناهم انهم خرجوا وعادوا
وجرد معهم اربعة الاف فارس وبرزوا للوقت واسرع المظفر في
النفقة العامة للعساكر كافة وعين جماعة من مماليكه للطبلخانات والعشرات
ولما كان اول رمضان نزلوا الى المدرسة المنصورية ليلبسوا خلع الامرة
كجاري العادة واجتمع لهم الامرا والحجاب والعامة بالاسواق والابواب
ينتظرون طلوعهم الى القلعة وكل منهم لابس الخلعة فاتفق ان منجما
من المنجمين كان بين يدي النايب سلار ذكر ان الطالع غير موافق وهذا الوقت

بركوبهم غير لايق

بركوبهم غير لايق فتاخروا وعادوا على حالتهم الاولى وكثر الهرج في الديار المصرية
وتسلل بعض المماليك السلطانية فجردوا الى البلاد القبلية منهم قوم الى بلاد
البهنسا وقوم الى منفلوط وقوم الى قوص وجردت جماعة الى البحيرة
وكذلك وقع الهرج والخوف بدمشق حتى بقي لم تفتح ابواب البلد الى ارتفاع
النهار وتخبطت الامور واجتمع القضاة والامرا بالقصر الابلق وجددت
البيعة للملك المظفر بيبرس وجا البريد بوصول الملك الناصر محمد الى الخان
فانزعج نايب الشام لذلك واظهر انه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد
ووقف اليه جماعة من امرا دمشق وراح اليه الامير بكتمر الحسامي الحاجب
المشهور يشير عليه بالرجوع وانهم لا طاقة لهم بقتال عسكر المصريين
ولحقه ايضا الامير الحاج بهادر اص يشير عليه بمثل ذلك ثم عاد الى دمشق
واخبر ان الناصر محمد قد عاد الى الكرك فسكن الناس ورجع نايب الشام اليها
وتراجع الناس الى مساكنهم واستقروا وكان من الراي رجوع الناصر الى الكرك
في هذه المرة ولما رجع الناصر الى الكرك ارسل كتبا الى القاهرة فوصلت خفية
الى اربابها فبلغ ذلك المظفر بيبرس فطلب من احضرها وضربه ضربا مولما
وقرره ثم جدد الناصر ايضا المكاتبات الى الامرا الشاميين حتى وثق من
ميعادهم وتحرضا على استعدادهم وكاتب النواب الذين بالممالك مثل نايب
حلب قرا سنقر ونايب حماه قبجق ونايب حمص عز الساقي ونايب طرابلس
اسندمر الكرجي وغيرهم فاعادوا اليه جوابا مرضيا وتحقق الناصر اخلاص
اوليايه والظفر باعدايه على ما سنذكره **ذكر مسير الناصر** محمد من الكرك
ثانيا ودخوله الى دمشق وفي شعبان منها خرج الناصر محمد من الكرك طالبا دمشق
وترك بها مملوكه الامير ارغون الدوادار وترادفت اليه الامرا من دمشق
اولا فاولا ولما كان منتصف شعبان وصل الخبر الى دمشق بقدومه فساق اليه
من كبار امرايها الاميران قطلوبك الكبير والحاج بهادر اص ولحقاه بالكرك
وحرضاه على ذلك فاضطرب نايب دمشق اقوش الافرم وركب هو وجماعة
من اتباعه على الهجن الى شقيف ارنون وهييت بدمشق ابهة السلطنة
والاقامات اللايقة به وركب الناصر من الكرك في ابهة عظيمة وارسل
الامان الى نايب الشام الافرم ودخل الى دمشق وسط النهار العشرين
من شعبان في ابهة عظيمة وبسط له شقق الحرير من عند المصلى الى القلعة
وتلقته اعيان البلد على اختلاف طبقاتهم والجتر على راسه والسلحدارية حوله
والناس يدعون له وكان يوما مشهودا وكان على السلطان يوميذ عمامة
الكلوته وقباء اطلسي ابيض واسود وكان الذي حمل الجتر على راسه يوميذ
الحاج بهادر اص المذكور وعليه خلعة عظيمة مذهبة ثم ولاه نيابة طرابلس عوض اسندمر

ولما وصل السلطان الى باب القلعة نُصب له الجسر وخرج اليه نايبها بهادر
السنجري فقبل الارض بين يديه فاشار اليه الى الآن لا انزل بالقلعة
وسار بفرسه الى جهة القصر الابلق والامرا بين يديه ونزل بالقصر
وخطب له يوم الجمعه بالجامع ودعى الناس له وفي بكرته وصل اليه نواب
البلاد الشامية منهم نايب دمشق اقوش الافرم مذعنا بالطاعة وقبل الارض
بين يدي السلطان فترجل له واكرمه واذن له في مباشرة النيابه على عادته
ففرح الناس بوصوله ثم وصل نايب حماه قبجق ونايب طرابلس اسندمر
الكرجي ونايب حلب قراسنقر ومعه جيشها فخرج السلطان بعساكره لتلقيهم
كما تلقى نايب الشام واعاد قاضي الحنابله الذي ذكرنا انه كان امتنع من اثبات خلعه
ثم خرج وطاق السلطان من دمشق في رابع رمضان هذا صورة ما وقع بالشام وتكملة
واما ماجرى بمصر للملك المظفر بيبرس فانه جرد جماعة يتفرقون ليحفظوا
المسالك ويمنعوا من يهرب من الجند المتسللين سالك فمنهم قوم اقاموا على الجادة
وقوم على سويس وفي منتصف رمضان خرجت جماعة من مماليك السلطان
على الخيل والهجن فاتصل خبرهم بالمظفر المذكور فجرد في اثارهم بعض الامرا
الساكنين في الهلالية تحت القلعة ليدركوهم بسرعة فسبقوا خلفهم
فادركوهم بمراكع موسى وقد وردوا الماء فناوشوهم فكر اوليك عليهم كرة
كانت فيها الكسرة وانكى المماليك السلطانيه فيهم نكاية ظاهرة وجرحوا سمولك
اخا النايب سلار والحاجب وقتل من الفريقين قتلى وخرج المماليك السلطانيه
ظافرين فلما اتفقت حركة هولا نهض من كان بحفظ الطرقات راكبا ليدركهم
فلم يصادفهم لانهم سلكوا غير الطريق التي كان فيها وهموا بالفرار همة لا
يمكن تلافيها ولما رأى ذلك الامير ان القوم لم يدركوا انتشط التسرع فوثب عليه
جماعة من مماليكه وقتلوه وحزوا راسه ونزكوه طرنجا وساروا واخذوا الوطاق
وحملت جثته الى القاهرة فبلغ المظفر بيبرس ذلك فازداد المه وعكسه
وتجمع تلك الليله جموع من العامة والغوغا والسوقه وقصدوا باب الاصطبل
السلطاني تحت القلعه واعلنوا اصواتهم بشتيمة بيبرس الجاشنكير
المذكور وسبه فاخذ بعضهم وادب وشهر وطوف على من العامه
بذلك من يدعون فما ازدادوا الا انحاملا وتعصبا وبغضا ولاح للمظفر
ميل القلوب عنه وانقباض العساكر عنه فخطر بباله تجديد الحلف
فجلس بالايوان واحضر الخليفة المستكفي بالله سليمان وجدد له البيعة
والتولية بحضور الحكام ومن تاخر عنده من الامرا وكتبت نسخة لتجديد البيعة
وقصد ان يقراها الخطبا يوم الجمعه بالجوامع فقامت العوام وصاحوا
وقالوا لا نريد الا الملك الناصر وهموا ان يرجموا الخطبا فبطلت القراة وظهرت

امارات زوال

امارات زوال النعمة ثم صرف المظفر همة الى بذل العطا فاطلق كثيرا من امواله
وغلاله وخيله وبغاله وجماله ونقل جماعة من الاجناد المفاردة الى الامرة
العشرات ورتب ان يخرج كل يوم اربعة من مقدمي الالوف ومضافيهم فلما
كان عشية النهار حضر اليه بعض الامرا واخبره بهروب صهره زوج بنته
الذي كان قد ارصده لحفظ الطرقات هو والامرا الذين معه والعساكر
ولحقوا بالملك الناصر فزاد اضطراب المظفر ووهنت اسبابه ووقت
ذلك في عضده وبات يقلب الافكار ولا يعلم الايراد من الاصدار ذكر
مسير الملك الناصر محمد من دمشق الى الديار المصريه خرج الناصر من دمشق في نصف
رمضان وفي صحبته كبار الشام من الامرا والقضاه والعلما والدواوين وجيش
المملكة الشاميه بكماله من ساير مدنها واقاليمها بنوابها وامرايها ولم يتخلف عنه احد
وندب اميرين ليحفظا الطريق بغزة فوصلاها مقدمة للعساكر المتلاحقة
واجتمع اليهما جموع من التركمان والعربان واتفق ان في بكرة ذلك اليوم بمصر
دخل الامير سلار النايب ومعه اميران الى المظفر بيبرس وقالوا ان الامرا
قد تسحبوا الى جهة الملك الناصر والباقون منهم على مثل رايهم وقد
اعجز الضبط وما بقي يمكن المنع والراي ان تسير رسالة الى الملك الناصر
مع احد من الاعيان انك تتوجه اليه انت وعيالك ومماليكك والزامك
فلعله يجيبك الى المطلوب ومتى لم تبادر بهذا ادركتك العساكر وتوخذ
كرها فقال لهم ومن الذي يسير اليه بهذه الرسالة فاشاروا الذين يكون ذلك
الرسول هو الامير بيبرس الدوادار المنصوري صاحب التاريخ المشهور ويحكي
انه كان قد وصل الى المظفر من عند الناصر الامير الحاج بهادر اص واشار على المظفر
بالمسالمة فاحضرنا المظفر اليه فتحدث هو والامرا المذكورين معنا في المسير
الى الناصر بهذه الرسالة وعين المظفر ثلاثة اماكن وطلب مكانا منها
اما الكرك واعمالها او حماه وبلادها او اما صهيون ومضافاتها وينزل عن
الملك في تلك الساعة واشهد على نفسه من حضر من الجماعة ومن عجيب
الاتفاق ان الساعة التي ركب فيها الملك الناصر من دمشق هي الساعة التي
خلع الملك المظفر فيها نفسه من المملكة ثم قال المظفر اني اخشى ان اقيم
بالقلعة الى ان يرجع الجواب الناصر وغرضي الخروج منها واقيم قرب
اطفيح الى ان يعود الجواب ودخل المظفر في عشية تلك الليلة الى الخزاين السلطانيه
واحتمل جميع اموالها وخرج من القلعة وصحبته مماليكه كافة وعدتهم تزيد
على سبعماية مملوك ومعه ثلاثة امرا مماليكهم ونزل من باب القرافة واخذ
ما كان في الاصطبلات من الخيول وشعرت العامة فتجمعوا وسبوا ورجموا وكادوا

يتعلقون باتباعه لولا خوفهم من اتباعه فقيل انه شغلهم بدراهم نثرها لهم في
الطريق فاشتغلوا بالتقاطها عن تاليهم عليه وسار بمن معه الى جهة
اطفيح وخرج من بقي من المماليك من الامرا والعساكر طالبين محمد وهم الملك الناصر
ولما وصلت رسالة المظفر الى الناصر بما ذكرناه وافق يوم نزوله على عزة
فوقف على ما ذكر من نزوله عن السلطنه وبما طلبه من احدى الاماكن فاجابه
الى ذلك كله واعاد جوابه وكان لما فارق المظفر القلعة اهتم النايب سلار
بحفظها ورتب المماليك السلطانيه فيها وافرج عن الذين كان المظفر سجنهم
وخلص من كان في الاعتقال منهم وكان الناصر محمد يطالعه بما تعقوله
من السعادة والامر الذي جا وفق الارادة وخطب له يوم الجمعة تاسع عشر
رمضان على المنابر ثم جهز للناصر الطلب السلطاني بالسناجق والعصايب
وشعار السلطنه الى الوطاق ورحل الناصر بالاثر قاصدا الديار المصريه
فعيد عيد الفطر ببركة الحاج وخرج النايب سلار الى لقايه وقبل له الارض واقبل عليه

ذكر عودة الملك الناصر محمد المنصور قلاون الى السلطنه

مرة ثالثة وهي الاخيره ودام فيها قريب ثلاثه وثلاثين سنه الى ان مات
لما عيد بالبركه طلع الى القلعه ثانيه في موكب هايل وجلس بالايوان وحضرت
العساكر ونواب الممالك وجدد له الحلف وتكامل السعد ثم طلب سلار
النايب دستورا اما بالاعفا او بالاقامه بالشوبك فانها جاريه في اقطاعه
فاذن له وخلع عليه وخرج من وقته فكانت مدة نيابته احدى عشرة سنة
ثم ان السلطان سير اميرين الى المظفر بيبرس الجاشنكير المتقدم ذكره وبه
لاستحلافه على ما قرر من الامور فوجدوه في اعمال اخميم وقد مسته وحاشيته
الشتات والخنوع من مفارقة الملك والسعادات فقصد ان يقتل قصاد
السلطان اليه فتلطفوا به حتى استخلصوا منه الخزاين والاموال التي كان
استصحبها ونزلوا بالخزاين من شرقي سيوط وحضروا بالمظفر بيبرس انفا
هو ومن معه في البر ومعه امير من جهة السلطان هو الحاج بهادر اص المذكور
ليسير به الى حيث زعم انه يتوجه اليه فعلوا ذلك معه حيلة عليه
ووصلت الاموال السلطانيه المذكوره الى السلطان وشرع السلطان في
تغيير النواب على العادة فنقل نايب طرابلس اسندمر الكرجي الى نيابة حماة
وعوضه في طرابلس الامير الحاج بهادر اص السلحدار المنصوري وما معه من
الفتوحات الساحلية وجرد مع نايب حلب فجق تجريده من العسكر
المصري لحفظ الاطراف والثغور وكان عدة الامرا في هذا التجريد عشرين اميرا
من المقدمين والطبلخانات وجماعة اخرى من امرا العشرات فخرجوا الى حلب احترازا
من حادث يحدث فلما وصلوا ارسم باقامة جماعة منهم بحلب وعاد بقيتهم الى مصر

ثم ان السلطان

ثم ان السلطان لما عزل سلار من النيابة استناب بكتمر امير جندار بالديار المصريه
ثم افرج عن جماعة كانوا في الاعتقال من ايام العادل كتبغا واقطعهم بالشام
ثم امسك جماعة من مماليكه وعدتهم حول عشرين نفرا منهم طبلخانات ومنهم عشرات
منهم الامير تنكز الذي صار نايب الشام ثلاثين سنة ومنهم كستاي وغيرهم
وعزل الوزير ضيا الدين النشائي الفقيه الشافعي واعادها الى طايفة القبط
وفي ثامن شوال احضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية من سجن الاسكندريه فتلقاه واكرمه
واحضره في محفل فيه قضاة مصر والشام واعيان العلما واصلح بينه وبينهم
ثم سكن بالقاهره مدة قرب مشهد الحسين وكان صورة اجتماعه بالسلطان يوميذ
انه نهض له السلطان ومشى له الى طرف الايوان واعتنقا ثم جلسا معا في
صفة فيها شباك الى بستان فجلسا ساعة يتحدثان ثم انتقلا جميعا
ويد الشيخ في يد السلطان فجلس السلطان وجلس ابن تيمية قدامه على طرف
الفرش واتفق في ذلك المجلس ان الذي ولي الوزاره وهو الفخر بن الخليلي
من طايفة القبط كما ذكرناه تكلم مع السلطان في اعادة اهل الذمة الى لبس
العمايم البيض بالعلايم التي غيرت بالغيار من مدة عشر سنين كما ذكرناه
وانهم قد التزموا للديوان بسبعماية الف درهم في كل سنة زيادة على الجاليه
فسكت الناس فتكلم ابن تيمية كلاما غليظا عظيما ورد على الوزير مقالته
فبقي السلطان يتلافاه ويسكنه وهو يبالغ في التشنيع على من يوافق على
ذلك وقال للسلطان حاشاك ان يكون اول مجلس جلسته في ابهة الملك
تنصر فيه اهل الذمة فذكر ان بيبرس الجاشنكير هو الذي جدد عليهم
ذلك فقال ابن تيميه والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لانه انما
كان نايبا لك فاعجب السلطان ذلك واستمر بهم على لبس عمايم الغيار
وجرت في ذلك فصول يطول ذكرها وكان ابن تيميه يذكر ما كان بينه وبين
السلطان من الكلام في الشباك الذي جلسا فيه فحجزه عن الناس انه حرضه
على بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه وهو يستفتيه في قتل بعضهم
ولم يكن حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا في عزله ومبايعة الجاشنكير
ففهم الشيخ ذلك واخذ يعظم القضاة والعلما وينكر ان ينال احد منهم بسوء
وقال له اذا اذهبت هولا لا تجد بعدهم مثلهم فحلم عنهم وصفح انتهى
وكان قاضي المالكيه زين الدين ابن مخلوف يقول ما رايت مثل ابن تيمية
حرضنا عليه فلم نقدر وقدر علينا وصفح وحاجف عنا وفي شوال امسك
السلطان جماعة من الامرا قريب عشرين اميرا اوحشته مملكته فصفى له امره يوميذ
وغير جماعة من وظايف كانوا ولوها في دولة المظفر بيبرس الجاشنكير
فعزل القاضي ابن جماعة من مشيخة خانقاه سعيد السعدا واعادها لعبد الكريم العجمي الآملي وغيره

ذكر مقتل السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري

قد ذكرنا انه سلم الى قاصد السلطان اموال الخزاين وعاد من بلاد اخميم
على انه يعطى صهيون واعمالها ففارقه الامرا الذين معه من بلد اطفيح
وحضروا الى السلطان وحضر صحبتهم اكثر مماليكه الذين تقرر انه يبعدهم
ولا ياخذهم معه وكانوا اكثر من ثلثمايه واحضروا معهم الخيول والبغال
التي كان المظفر اخذها من الاصطبلات السلطانيه فلما وصل الامرا المذكورون
اخلع عليهم وفرقت مماليك بيبرس الجاشنكير على الامرا ثم قبض على
الامرا المذكورين عشية النهار وعند وصول المظفر الى اطفيح تقرر ان
يسفر منها الى السويس ومن هناك يرجع الى الصالحيه ويتوجه الى الشام
الى حيث رسم له وصحبته الامير الحاج بهادر اص المتولى نيابة طرابلس
وعند ثم تفكر السلطان في عاقبة الامر وخاف من اهل الفساد ان يلتفوا
عليه فيحسنوا له العصيان فلما وصل المظفر الى قريب غزه وكان الامير
قراسنقر المتولي نيابة دمشق فاز لا بعد على الشريعة والامير الحاج بهادر
اص المتولى نيابة طرابلس وخرجا معا للصيد فصادفا المظفر وهو
في النفر الذي معه فاحاطا به وقبضا عليه وعلى من معه واحضر الى منزله
الخطارة صحبة الامرا محتاطا عليه وعند وصوله اليها توجه الامير
اسندمر الكرجي المنتقل من نيابة طرابلس الى نيابة حماه فلاقاه من القاهره
ومعه مماليكه فتسلموه واحضر الى القلعه من نصف ذي القعدة من هذه
السنة فاودع الاعتقال فكان اخر العهد به وعاد النواب الذين وصلوا
الى الخطارة الى الشام وكان لما وصلوا بالمظفر الى السلطان اوقفه بين
يديه ووبخه وامر بدخوله الى الحمام وخنق من بقيه النهار ولما مات
المظفر سلم الى اهله ميتا بعد ايام فدفنوه بتربة كانت له قد تمما
بالقرافه وعفي قبره مدة ثم امر بانتقاله الى تربته التي بخانقاته المعروفه
فنقل اليها وكانت له بنت متزوجة كما ذكرنا وفرقت مماليكه على الامرا
واوقعت الحوطه على املاكه وامواله وحواصله ووقف خانقاته
وفوض التحدث في حصر تركته الى الامير اقوش الاشرفي المعروف نايب الكرك
بحكم انه يستحق من تركة المذكور نصيب الولا والعتق وكانت مدة سلطنته
سنة الا شهرا كما كانت دولة الملك المظفر قطز سميه ثم نقل السلطان
بقية الامرا المعتقلين بالقلعه الى الاسكندرية ومنه صفى له المملكه دهرا
واتفق انه مات ايضا يومئذ الاميران المقدمان بالديار المصرية وهما الامير
طغريل الايغاني السلحدار المنصوري والامير ايبك الطويل الخزندار المنصوري
وكلاهما كانا نايبين بطرابلس ثم نقلا منها الى مصر وكان بين موتهما نصف سنة سوا

وفيها اظهر خربندا

وفيها اظهر خربندا ملك التتر الرفض في بلاده وامر الخطبا ان لا يذكروا في خطبهم
الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وولديه واهل البيت وفيها في سادس شوال
وقع بين اهل حوران من قيس ويمن مقتلة عظيمة جدا فقتل من الفريقين نحو
الف نفس بالقرب من السويدا وهم يسمونها يوم السويدا وكانت الكسرة على يمن
وفي سنة عشر وسبعمايه كان السلطان هو الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون
وفي جمادى الاولى اعيد ملك حماه الى احد بني ايوب الاكراد كما كان معهم فاستنيب فيها
الملك المويد عماد الدين اسمعيل بن الافضل علي بن المظفر محمود بن شاهنشاه بن ايوب
احيا للبيته ورعاية لسلفه ونقل نايبها اسندمر الكرجي الى نيابة حلب ثم امسك وقتل
وفي رجب وصلت رسل صاحب القسطنطينيه الاشكري الى صاحب مصر
وصحبتهم رسل الكرج يسالون اعادة الكنيسة المصلبة ببلد القدس اليهم فانها
كان الشيخ خضر الكردي شيخ السلطان في الدولة الظاهريه قد انتزعها من ايديهم
وصيرها زاوية فاعيدت كنيسة بمقتضى فتاوى العلما ووصلت ايضا شفاعه
صاحب القسطنطينيه في اجرا اهل الذمة على عوايدهم وفتح كنايسهم فاجيب
الى بعض مقصده وفتح لهم كنيستان للملكية بمصر والقاهره وكنيسه للقبط
بالقاهره وكنيسة لليهود بمصر ورسم لهم بالركوب على الاستوا وفيها اهتم
السلطان بتجريد جيش لغزو بلاد سيس وقدم عليهم الامير كراي السلحدار
وفيها قدم صاحب حماه الملك المويد اسمعيل المذكور الى السلطان بتقادم هايلة
فاقبل عليه السلطان وامره بلحاق العسكر المجردين الى غزو بلاد سيس كما ذكرنا
وفي منتصف ربيع الاول امسك من القاهره اربعة عشر اميرا ومن الشام سبعة امرا
وفيها نقل الامير جمال الدين اقوش الافرم الذي كان نايب الشام ثم نايب صرخد
الى نيابة طرابلس عوضا عن نايبها الحاج بهادر اص السلحدار بحكم موته بعد نصف سنه
وفي ربيع الاخر بلغ السلطان عن اخوة الامير سلار العلاي الذي كان نايب السلطنه
وعن بعض الامرا الذين كانوا عاكفين عليه امور انكرها فقبض عليهم وعلى اخرين
وكتب الى سلار المذكور وهو مقيم بالشوبك تخبره بذلك ويطلب حضوره الى مصر
لازالة القيل والقال وخدعه في ذلك فحضر سلار فعاتبه السلطان وحبسه بالقلعه
واستخلص امواله وذخايره وكان له من الاموال والاملاك والاسلحة والخيول والمماليك
والجمال والبغال والحمر ايضا والرباع شي كثير واما الجواهر والذهب والفضه
فشي عظيم وكان دخله من الغلال في تلك السنه شي لا يحصر فلما حبسه قصد
تعذيبه فمنعه من الطعام والشراب وبقي كلما يستغيث الجوع يبعث اليه السلطان
بالطبق من الذهب والفضه حتى اكل فردة خفه من الجوع ثم قتل بعد ذلك
ونال من المال ما لم ينله احد ومع هذا كله ما مات الا واكبر شهوته كسرة من رغيف
بعد ان كان يدخل خزانته في كل يوم ماية الف درهم بمعاملة تلك الايام ودفن
بتربته داخل المدرسة اي وليه بالكبش وخلف ابنه عليا وكانت ام سلار تعيش وماتت عقبه بروحتها

وفي ذي القعدة بلغ السلطان عن نايب حلب اسندمر الكرجي المنتقل اليها من نيابة
طرابلس من مدة سنة امور كرهها من الظلم والعسف فجرد اليه الامير كراي السلحدار
المتولي نيابة دمشق ومعه جماعة من الامرا والحاج بها دراص باميرا دمشق جماعة
وجردمر طرابلس ايضا جماعة بنايبها افوش الافرم واجتمعوا كلهم على حمص
ثم توجهوا من حمص ليلة عيد النحر الى حلب واحاطوا بدار النيابة وفيها الامير
اسندمر المذكور فاغلق عليه الباب ثم اخرج فقيد وحمل الى الديار المصرية
واحتيط على جميع موجوده واعتقل بالديار المصرية قليلا ثم حبس بالاسكندرية
حتى مات بعد سنة في ذي القعدة من احدى عشر وقيل مات بسجن قلعة الكرك
وفيها بلغ السلطان ان الامير بتخاص قد حسن لابن اخي السلطان موسى
بن الصالح علي الخروج على عمه الناصر محمد وطلب الملك لنفسه واتفقا على ذلك
واعتضد اكابر مماليك الملك المظفر بيبرس ابي شنكير ومماليك سلار النايب
وكانوا متفرقين في خدمة الامرا وتقرر معهم ان يثب كل مملوك على الامير
الذي هو عنده فيقتله فطلب السلطان الامير بتخاص المذكور وكان ساكنا
بالقلعة ففهم القصد فاغلق داره وامتنع بها وصعدت مماليكه على اعلى
الدار بالقسي للمانعة وقصد هو خلع الشباك الحديد والخروج منه
فارصد السلطان جماعة من الوشاقية وغيرهم ليقفوا تحت تلك الشبابيك
فاخر حاله انه احصر فقبض عليه وسجن ثم طلب السلطان ابن اخيه المذكور
الامير مظفر الدين موسى بن الصالح علي فهرب فاشتد الامر في طلبه واخر
انهم ظفروا به عند الامير بلبان الاستادار بحارة زويلة فقبض عليه وعلى
الذي وجد عنده واحضر الى بين يدي عمه السلطان فسمر الذي اخفاه عنده
وطيف به على جمل فشفع فيه فاطلق وقرر ابن اخيه موسى المذكور وبتخاص ايضا
فاقر فقبض على جماعة من المماليك المظفرية وادخل الامير موسى الى بعض
قاعات القصر واشاع انه سفره الى اليمن ثم اظهر موته في اول صفر من سنة
ثلاث عشرة وامر بعمل عزايه وكان قد اخرجه الى قوص خفية فدس عليه من قتله
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة بدا السلطان بعمارة جامع على شاطى
بحر النيل بمصر العتيقة ورتبه براية في غاية من حسن الاوضاع وفي محلة هناك
وكان مصروفه من مال مصادرة الفخر ناظر الجيش ورتب فيه جماعة من الصوفية
وولى خطابته لقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة فدام مع ذريته ماية سنة وعشرة
وفيها عادت رسل صاحب مصر من عند ملك الططر بالبلاد الشمالية صحبة رسوله الفقا
فاعترضهم الفرنج ببلاد قرم وكفا في بيع الاولاد واسروهم جميعهم وكانوا واتباعهم
تقدير ستين نفرا واوقفوهم على البلاد الساحلية وعرضوهم للبيع وحلفوا الا
ياخذون في فدائهم الاستين الف دينار فلم يشترهم احد فتوجهوا بهم الى جزيرة

المصطكي

المصطكي فامر السلطان بالقبض على تجار الاسكندرية من تجار الفرنج والحوطة
على اموالهم الى ان يحضروا ارسله فتوجه شكران الجنوي لنا جر الى جزيرة
المصطكي وخلصهم وبعثهم الى الديار المصرية ووصلوا بعد سنة من ذلك
وفيها نقل الامير بكتمر الحسامي الحاجب المشهور من الوزارة الى الحجوبية الكبرى
وقبض السلطان على نايب السلطنة وجماعة امرا واستناب بيبرس الدوادار صاحب التاريخ
وفي جمادى الاولى جلس السلطان الناصر محمد بدار العدل لكشف المظالم وحضر عنده
القضاة الاربعة فاستمر ذلك الى وقتنا وكان قبل ذلك يتولى الامر من النواب
وفي رجب حضر الامير ارغون الدوادار على البريد الى دمشق وعلى يده
مكاتبات للامرا بالقبض على نايب دمشق الامير كراي السلحدار المنصوري
وكان في ذلك اليوم ايضا وصل مملوك نايب دمشق المذكور وصحبته لمخدومه تشريف
وحياصة وسيف فاتفق في ذلك اليوم ايضا وصول رسول ملك الططر
فاصبح نايب الشام المذكور ركب الموكب ولبس التشريف ورجع ومد السماط
وكان قد احتفل فيه لاجل التشريف ولاجل رسل الططر فلما اكلوا ورسم
للرسول بالانصراف واحاطت الامرا بنايب الشام واخرجوا له المرسوم
بالقبض عليه فاجاب بالسمع والطاعة وقلع شاش التشريف وضرب
به الارض وقيد من وقته وحمل الى الكرك فاعتقل بها ثم بمصر حتى مات بعد عزيز
وكان لم يكمل في نيابة دمشق نصف سنة وكان سبب مسكه انه لما وليها قرر على اهل دمشق
الف وخمسماية فارس لكل واحد خمسماية درهم فضربت على الاملاك والاوقاف
فتالم الناس بسبب ذلك وسعوا الى خطيب الشام جلال الدين القزويني
فسعى الى القضاة فاجتمع الناس بكرة واحتفلوا في الاجتماع واخرجوا معهم
المصحف العثماني والاثر النبوي والسناجق الخليفتية ووقفوا في الموكب
فلما راهم النايب تغيظ عليهم وشتم القضاة والخطيب وضرب من العلما الشيخ
مجد الدين التونسي الفقيه الشافعي ورسم عليهم ثم اطلقهم بضمان وكفالة
فتالم الناس من ذلك كثيرا فلم يمهله الله الا عشرة ايام فجاه الامر فجاة فقيد
وحبس ففرح الناس بذلك فرحا شديدا فجازاه الله ان استمر في الحبس عشر سنين حتى مات
وفيها اتفق صاحب المدينة النبوية مع صاحب الينبع ولم يتمكن كل منهما من الاخر ورجعا
وفيها نقض السلطان الايوان الاشرفي بقلعة الجبل وجدده على هيئة اقترحها
على صفة حسنة وجلس فيه جلوسا عاما للعدل ورفع المظالم والاحسان للعالم
وفيها وصلت الاخبار بان ملك الططر خربندا قتل شيخ الرافضة الذي كان
ببلده واسمه شرف الدين الاوي بسبب انه لما اتضح له ان الحق هو مذهب اهل
السنة وان مذهب الرافضة ضلال وان متبعه مبتدع ضال فقتله لذلك
وفيها وصلت رسل الملك المويد صاحب اليمن بهداياه الى صاحب مصر فكانت من ماتي جمل
من انواع الغرايب وكثرها لما بلغه ان السلطان قصد التجريد له كما قدمنا ذكره

التمار

وفيها وصل كرنبس النوبي صاحب دنقلة وحمل ما هو مقرر عليه من الرقيق و
وغير ذلك الى صاحب مصر وفيها خطب للسلطان الناصر محمد صاحب مصر
بالمغرب وسببه ان الشيخ ابا زكريا يحيى الذي يقال له اللحياني من اكابر المغاربة
كان ورد الى مصر فاكرمه السلطان وجهزه للحج كما تقدم فلما رجع من حجه
سال توصيله الى بلاده طرابلس الغرب وما معها والتزم انه ان فتح الله عليه
تلك البلاد اقام نفسه فيها مقام غلام ونايب لصاحب مصر فجهزه وجرد
وجرد جندا للتوصيلة فتسامعت به العربان واهل تلك البلدان
وانه واصل بجيش من باب هذا السلطان فعظم في نفوسهم وتمكنت مهابته
في قلوبهم وعقدوا له البيعة بالسلطنة فيما بينهم ووثبوا على صاحب تونس
وبجاية واسمه ابو البقا خالد وقبضوا عليه فاستقام له الامر وتظاهر
بشعار السلطنة ودخل تونس والسناجق السلطانية الناصرية المصرية
قد نشرت عليه فتسارع اليه الخاص والعام وكان ممن اطاعه ابن ابي دبوس
فاستوثقت له مملكته افريقية وبجاية وقسنطينة الهوا وبلاد الزاب
وخطب فيها باسم صاحب مصر الناصر محمد في هذه الممالك كلها على المنابر وذلك في
رجب وفيها ارسل نايب حلب قراسنقر يستاذن في الحج فاذن له واعطي ذهبا
العين دينارا وفوضت نيابة غيبته لشهاب الدين قرطاي الجوكندار الحاجب
فخرج النايب على نية الحج فلما وصل الى اطراف بلاد البلقا بلغه ان السلطان قد
جرد جماعة من مماليكه بالخيل والهجن وظن انهم يقصدونه فرجع الى حلب
فمنع من الدخول الا بعد عوده من الحج او بمرسوم السلطان فطلب موجوده
الذي بحلب فمنع ايضا منه فجا ملك العرب مهنا الى الامرا بحلب في تمكينه
من موجوده وان لم يفعلوا هجم حلب ونهبها فمكنوه من موجوده فاخذه
وقصد البرية وجهز ولده فرج الى الديار المصرية بجملة من امواله فوصل الى
القاهرة في اخر السنة فانعم عليه بامرة عشرة واستقر بها مع اخيه علي ثم ان اباهما
قراسنقر المذكور كاتب نايب طرابلس اقوش الافرم وبذل له الطاعة وان
يكون هو صاحب الامر وبذل له المال اموالا ونايب طرابلس يدافعه
ولما وصل خبر قراسنقر بالسلطان جرد الامير ارغون الدوادار وجماعة
من الامرا فوصلوا دمشق واستصحبوا جماعة من عسكرها وتوجهوا ثم اردف
السلطان هذه العساكر بعساكر اخرى فوصلوا الى حمص واجتمعوا بمرجها ولما
توجهت العساكر توهم نايب طرابلس اقوش الافرم منهم فركب ونزل على راس عين
ووصل اليه بها ثلاثة امرا وذكروا له ان الكلمة قد اجتمعت عليه وكاتب الامرا
بطرابلس فلم يجيبوه فركب وقصد البرية فتبعه امير فلحق اثقاله ولم يلحقه
فاخذها ورجع ولما بلغ نايب حلب مسير نايب طرابلس خلفه فطنه مكيدة فاسرع

فجعل كلما

116

فجعل كلما نزل منزلة يتقدمه منزلة حتى راسل اليه يحلف له ايمانا على
ميعاده فقال ان كان الامر كذلك فليجتمع بي مع مملوكين فركب على الهجن
ولحقه وحلف له فاطمان ثم قال له خفف من هذا الجمع الذي معك فليس
لنا بهم حاجة فاحتال عليهم الافرم حتى رجعوا وتوجه هو وقراسنقر
والثلاثة الامرا الذين كانوا لحقوا بالافرم كما ذكرنا وتبعهم العسكر الناصري
الى الرحبة ثم رجع واستمر اولئك في سيرهم ولما قربوا من بلاد التتر كتبا الى
ملكهم خربندا يستاذناه في الوصول اليه فارسل اليهما الاذن والخلع فوصلوا
اليه فاكرمهم واعطى الامير الافرم همذان فلم يزل بها حتى مات سنة عشرين
واعطى قراسنقر مراغة فاقام عند التتر سبعة عشر سنة الى ان مات بها
في سنة ثمان وعشرين وسبعماية وهو صاحب المدرسة السنقرية تجاه خانقاه سعيد السعدا
وفي سنة اثنتي عشرة وسبعماية في اولها كان هرب الامرا النواب
نايب طرابلس اقوش الافرم ونايب حلب قراسنقر الى عند ملك التتر
كما ذكرناه متواليا في السنة التي قبلها فرحلوا جميعا الى قراسنقر وكان قد سبقهم
الى البرية في خدمة امير العرب مهنا بن عيسى فاحتيط على امواله واملاكه
ثم عدوا الفرات وابعدوا فعادت العساكر المصرية صحبة مقدمهم الامير
ارغون الدوادار من البلاد الشمالية لما حصل الياس من قراسنقر واصحابه
كما تقدم شرحه ثم بلغ السلطان عن جماعة من الامرا انهم كانوا متفقين مع النواب
الهاربين فاستدعى نايب الشام اقوش الاشرفي المعروف بنايب الكرك
فركب من ساعته على البريد الى مصر فاكرمه ولما قصد العود الى دمشق
بلغه عنه ما كرهه فقبض عليه وعلى تلك الامرا المتهمين وهم سبعة مقدمين
في ثاني ربيع الاخر ثم اتبعهم باخرين واستنيب بدمشق عوضه الامير تنكز
الناصري فدام بها قريب ثلاثين سنة ولم يتفق ذلك في الدنيا لاحد غيره
واستنيب بطرابلس ايضا الامير تمر الساقي المنصوري لهروب الافرم منها
وفي اوايل رمضان نازلت التتر مدينة الرحبة فحاصروها الى اخره فقاتلهم
نايبها قتالا شديدا فاشار بعضهم بان ينزل اهلها الى خدمة ملك التتر
خربندا ويهدوا له هدية ويطلبوا منه العفو فنزل قاضيها وجماعة
واهدوا له خمسة روس خيل وعشرة اباليج سكر فقبلها ورجع وكانت
بلاد حلب وحماة وحمص قد اخلوا منها وخرج اكثرها ثم رجعوا لما
تحققوا رجوع التتر عن الرحبة بعد ان كشف السلطان الخبر واستعد
واستخدم الاجناد البطالة واحضر الخيول من الربيع وانفق في العسكر
وبرز الوطاق وخرجوا متتابعين ولم يتاخر بمصر من الجيش احد فلما رجع التتر
رجعت العساكر وقصد السلطان الحج فسار الى دمشق ثم رجع الى الكرك في

ثامن ذي القعدة وسار منها الى الحجاز في اربعين اميرا من خواصه فزار المدينة
اولا ثم حج وتصدق ورجع الى المدينة فزار واتى الكرك ثم الى دمشق ثم
عاد الى مصر كما سنذكره وفيها احتيط على دار الامير قراسنقر التي بالقاهرة
وهو كان نايب حلب وهرب منها كما ذكرناه فوجد له فيها اموال وذخاير
من الذهب العين ثلاثة وثلاثون الف دينار ومايه الف وخمسون الفا
من الدراهم الفضة وسروج ذهب واشباه ذلك فحولت الى خزانة السلطنة
وفي اواخرها اعيد تقي الدين ابن تيمية الى بلده دمشق بعد غيبة سبع سنين
كما ذكرناه من الحبس بالقلعة وبالاسكندرية ثم حبس بقلعة دمشق حتى مات

وفي سنه ثلاث عشره وسبعمايه كان رجوع السلطان من الحجاز
فوصل اولا الى الكرك وزين قدامه بالمجانيق التي عملها وخلع على نايبها ونايب
قلعتها ثم دخل دمشق ولعب الكرة بالميدان الاخضر واعطى العساكر
دستورا فتقدموا لمصر اولا فاولا ثم سار هو نحو القاهرة فوصلها في
منتصف صفر وسير القاضي صدر الدين محمد الوكيل الفقيه الشافعي رسولا الى
امير العرب مهنى بن عيسى برسالة يستعطفه ويستميله للطاعة ثم عاد
وصادر السلطان وزيره امين الملك بن الغنام على بلغ مايه الف دينار وضربه
وفيها كملت عمارة الميدان الذي تحت القلعة بالقاهرة مما يلي سوق الخيل
وفيها اجرى السلطان الما من بحر النيل على قناطر الى قلعة الجبل بالالات
وجرى في دورها وقسم على اماكن وقاعات بها واستمر جاريا بها الى الان
وفيها شرع في روك البلاد الشامية فربكت وتولى ذلك القاضي معين الدين
هبة الله بن حشيش ناظر الجيوش بالشام مع مباشري الجيوش بالديار
المصرية واستدعى الامير سنجر الجاولي من غزة بسببه وتكامل في اخر هذه السنة
ولما انتهى العمل نقلت سنة ثنتي عشرة الى سنة ثلاث عشرة بحكم دور السنين عادة
ثم كتبت الامثلة وفرقت واستقر لذلك معين الدين بن حشيش المذكور صاحب
ديوان الجيوش بمصر وفيها اتصل بالسلطان شكوى المجاورين والحاج بمكة من
امير مكة فجهز اليه جماعة من الامرا فهرب فولى اخوه عوضه وبعد رجوع العسكر
عنه رجع عليه اخوه المنفصل فتقاتلا وارسل تقدمة وبذل الطاعة فسجنت رسله
وفي اوايلها نسحب جماعة من الجند البطالين نحو مايتي فارس الى بلاد المغرب
فسير السلطان في اثرهم فلم يدرك منهم الا واحدا كان قد تاه عن الطريق فسجنه
وفيها امر السلطان بانشا القصر الابلق المطل على الميدان تحت القلعة
فكمل في نحو سنة وعمل فيه سماطا عظيما وفرق في الامرا الف الف وخمسمايه الف
درهم وفيها رسم باجرا الما من بلد الخليل الى القدس فارتفق به الناس ثم بطل
وفيها جهز رسل الى ملك الططر بالبلاد الشمالية فابطاوا فارسل اخرون ثم عاد الجميع

وفي سنه اربع عشره وسبعمايه

١١٧

وفي سنه اربع عشره وسبعمايه في مستهلها الموافق للحادي والعشرين من
شهر برمودة من الشهور القبطية اخضر ما النيل وتغير تغيرا اكثر لونه
وطعمه وريحه حتى شرب اكثر الناس من الابار والعادة ان يكون في مثل
هذا التاريخ في غاية الصفا ثم بعد قليل عاد الى صفرته ولم يحصل شي
وفي ربيع الاول اغارت طايفة من عسكر حلب على مدينة دنيسر وقتلوا
جماعة واسروا جماعة ووصل بعض الاسرى الى دمشق وفي ذي القعدة في يوم
جمعة ثار بالقاهرة رجل اسمه علي بن السابق من الحسينية فركب فرسا
وجرد سيفا وشق المدينة ودخل وجعل يضرب كل من يجده من اليهود او
النصارى فمنهم من قطع يده ومنهم من جرحه ومنهم من شجه ثم امسك فقطعت
يده واطلق وفيها نسحب جند من البطالين الى المغرب وطلبوا فلم يدركوا
وفيها عادت الرسل الذين كانوا ببلاد الططر بالبلاد الشمالية وصحبتهم ايضا
رسل منهم بما اشار اليه ملكهم من امر الصلة والخطبة فحسن ذلك بخاطر السلطان
ثم اكرمهم واعادهم وصحبتهم رسلا من عنده وتردد الحديث في امر المخطوبة منهم
واحضارها فلما وصلوا الى ازبك ملكهم بلغوه الرسالة والهدية فجهز رسلا ايضا
وفيها عزم السلطان على قصد ملطية فجهز اليها جيشا صحبته ستة امرا من
الديار المصرية ورسم لنواب جميع البلاد الشامية بالتوجه معهم فتوجهوا
اليها جميعا وكان من امر فتحها ما سنذكره في محله في السنة بعدها وفيها كانت حرب
في بلاد المغرب بتلمسان وبجاية وانقضت السنة وهم في المحاصرة والمنازلة
وفيها مات الشيخ المعمر محمد المعروف بخيال الله بن محمود بن الحسن الموصلي
بزاويته بسويقة الريش بخط المقس ظاهر القاهرة في ربيع الاول منها
ودفن بالقرافة بقرب الشيخ عبد الله بن ابي جمرة وكان رجلا صالحا وبلغ من
العمر نحوا من مايه سنة وستين سنة فانه سيل عن عمره فذكر انه وصل الى القاهرة
في الدولة المعزية اول الترك وله حينيذ خمس وثمانون سنة ومن ذلك التاريخ
الى وفاته نحو سبعين سنة اخرى وكان مع ذلك جيد القوة حاضر الحس وله شعر حسن
وفيها تجرى نصراني كاتب عند بعض الامرا واسمه موسى بن سمعان الكركي النصراني
واستمال رجلا من المسلمين ونصره فقتل النصراني وفيها دخل دمشق الملك
ديباج صاحب كيلان حاجا فادركه الموت بها وكان معه مال كثير

وفي سنه خمس عشره وسبعمايه في اول صفر بعد خروج العساكر
من الدربندات وصلت البشارة بفتح ملطية بعد محاصرة نحو جمعة
فلما شاهد اهلها كثرة الجيوش راعهم ذلك فسالوا الامان وفتحوا
ابواب المدينة فدخلت العساكر اليها ونزلوا ايديهم في النهب والسبي واخذ
من بها من الارمن والسريان النصارى واما من كان بها من المسلمين فانهم اخرجوهم منها

ونقلوهم الى حلب واضرموا فيها النار وهدموا الابراج والاسوار
ورحلوا عنها في ثالث يوم وجي بصاحبها والاسارى فانعم عليه السلطان
وكان في هذا التجريد من الامرا المصرية والشامية والحلبية والطرابلسية
والحموية والحمصية والصفدية وقتل من الارمن خلق كثير واسر الباقون
واخربت البلد ويقال انه وجد بها قريب عشرين الف نول تعمل الصوف
فنقلوا الى حلب ثم رحل الجيش عنها الى مدينة عينتاب ثم الى دابق ثم
رحلوا الى بلادهم ولما رجعت العساكر عن ملطية وصل اليها جوبان
نايب خربندا ملك التطر عليها فامن من بقي فيها من المسلمين وسد ابواب
منها وابقى لها بابا واحدا وجرد بها الفي فارس يحمونها ويعمرون ما خرب منها
ثم بعد رجوع العساكر المصرية عن ملطية اغارت طايفة من عسكر
حلب على بلاد سيس وسبوا وقتلوا وغنموا ورجعوا وفيها قبض على
الامير بكتمر الحسامي الحاجب المشهور وعزر واعتقل مكرما نحو وخلص
ووجد له اموال عظيمة فاخذ له من الذهب ماية الف دينار وغيرها
وفيها في ربيع الاخر ارسل السلطان امير سلاح الامير بخلبس السلاح دار
على البريد ليقبض على نايب طرابلس الامير تمر الساقي المنصوري
وكان قد خرج الى الصيد فوافاه الامير المذكور بالمخيم وارسل الى
النايب بحمص قرطاي الجوكندار ان يلاقيه بعسكر حمص على المنزلة
فاحاطوا بمخيم نايب طرابلس وقبضوا عليه وعبر الامير على دمشق
فقبض على امير من امرايها وارسلهم الى الكرك فاعتقلهم واحضر نايب
طرابلس تمر المذكور الى الديار المصرية فاعتقل بها وعوض عنه في نيابة
طرابلس الامير كستاي امير سلاح فتوجه اليها على كره وسند كرامن
وفيها وصلت رسل صاحب اليمن الملك المويد وصحبتهم الهدايا والتحف
والخيول والوحوش كما جرت به العادة وزيادة وفيها وصل امير مكة
هاربا من اخيه لاستيلايه على مكة واعتذر من سالف ذنوبه واستانف
الطاعة وسال النجادة على اخيه فقبل عذره وجرد معه جيش عند اوان
الحج صحبته والي قوص فلما وصلوا مكة هرب اخوه فلحقوه وكبسوه
على بغتة وقتلوا جماعة من اصحابه وهرب هو في نفر يسير من اصحابه
الى العراق والتجأ بملك التطر خربندا مستنصرا به فمات خربندا
قبل اغاثته كما سنذكره وفيها في شعبان جردت طايفة من عسكر حلب
الى حصار قلعة ارفس من اعمال امد فوصلوها وتسلموها من غير قتال
واغار العسكر على عدة ضياع للاكراد والارمن وغنموا وسبوا كثيرا وعادوا
وفيها وصل الى السلطان فص يعرف ببنت الكردي كان قد اعطي في ثمنه من الفضة
قريب ثلثماية الف درهم وضيعة من بلاد حماه فبلغت القيمة عليه ستماية الف درهم
وفيها ظهر بالصعيد فار عظيم

وفيها ظهر بالصعيد فار عظيم يخرج عن الاحصا حتى لم يبا شري شونة ام القصور
قرية من اعمال منفلوط فقتلوا في ايام قلايل ثلثماية وسبعة عشر اردبا وثلثي اردب
بالكيل المصري وانهم اعتبروا الاردب منهم فجا ثمانية الاف فار واربعماية فار
كل ويبة الف واربعماية فار وحصل في بني مر زوق بمنفلوط مثل ذلك ايضا
وفيها وقعت نار في البرج المنصوري وطباق السلحدارية بقلعة القاهرة
وعملت الليل كله ثم اطفيت وكان السلطان بالصيد وفيها جردت طايفة
من عسكر حلب ففتحوا قلعة زرنده بقرب ملطية وقتلوا كل من فيها من الارمن
وكانوا نحو الف رجل ونهبوا اموالهم وسبوا نساهم وذراريهم وفيها في رمضان
امر السلطان بروك بلاد الديار المصرية فقيست وربكت وافرد للخاصه
منها بلادا وكاشيته بلادا مفردة وكذا امرا المايتين بلادا مفردة ثم
لارباب الرواتب بلادا مفردة وكتب بالباقي امثلة وفرقها السلطان
بيده واقطع الجوالي وكانت قبل ذلك تختص بها الملوك لما كلهم لحلها ثم انها
عادت كذلك الى الان وابطل السلطان في هذه السنه عند الروك جملة
عظيمة من المكوس منها ساحل الغلال بمصر والقاهرة وكان يتحصل منها
في كل سنة نحو اربعة الاف الف نقرة وضمان السجون ورسوم الولايات
والنواب والمقدمين ومقرر الكوابص والنعال وطرح الفراريج ونصف
السمسرة ومقرر الفرسان ورسوم الافراح وثمن القمح ومقرر الايمان
وحماية المراكب وزكاة الرجالة واسقط وظيفتي النظر والاستيفاء من
ساير اعمال الديار المصرية ورسم بالمسامحة بالبواقي الديوانية والاقطاعية
الى اخر عشر سنين وجعل الروك الهلالي لاستقبال صفر سنة عشر وسبعماية
والروك الخراجي لاستقبال مغل هذه السنة خمس عشرة وسمي التحويل
وفيها رجعت رسل السلطان من عند بركة ملك التطر بالشمال وصحبتهم رسله ورسل
صاحب القسطنطينية الاشكري ايضا يسال دستورا لزيارة كنيسة قمامة
بالقدس فاجيب فجا زارها وعاد وفيها قدموا بابن شيخ حطين الى دمشق
مسمرا على جمل لكونه حرك فتنة الدولة التي اوجبت امساك الامرا وهم
ايدغدي شقير وبهادر اص ونايب طرابلس ايدمر الحاجب كما ذكرناه
وفي سنة عشر وسبعماية في الثالث العشرين من المحرم سمع بالقاهرة هدة
عظيمة تشبه الصاعقة ورعد ووقع مطر كثير وبرد وامطرت بلبيس
حتى غرق كثير من البنيان وفي اوايل صفر وقع بالشام مطر عظيم وسقط معه
برد كبار في قدر النارنجة حتى ملا واديا بين جبلين ووزن بعضه بعد
يومين فكانت رطلا بالمصري وجرى من ذلك المطر سيل عظيم من تلك الجبال
ملا الاودية ومر على قرية حسيل فاقتلعها بجميع ما فيها من الحواصل والغلال
فلم يسلم من اهل القرية غير جماعة انغمسوا فانهم تعلقوا بشوز قد حمله السيل فحملهم الى
ارض جلدة من بقعة فسلموا وحمل هذا السيل عدة كثيرة من خركاوات التراكمين

وارسل اليه ايضا بطرك النصارى الملكية
ويسال السيف [illegible] وجهز معه من انواع الهدايا والتحف والقماش والعقاقير
نحو كثيرة من كحل [illegible] البلسم [illegible]
وكان مع هذه من الاسكندرية [illegible] الى [illegible]

وبيوت العرب والاكراد فاهلكهم ومواشيهم والقاهم ببحيرة حمص وسقط مع هذا
المطر ضفادع وسمك كثير كبار وصغار فاكل الناس وملحوا منهم ذكره العيني
وفيها كان امير العرب مهني بن عيسى امتنع من الوصول الى السلطان لما اسلف من الذنب
من معاونته نايب حلب قراسنقر ومساعدته وهرب الى العراق والتجا بملك الططر
خربندا فاتفق موت خربندا في هذه السنة وولي ابنه بهادر ابو سعيد
فرجع امير العرب المذكور بالقرب من الفرات وارسل اخاه الى السلطان يخبر
برجوعه الى الطاعة وسواله العفو فعفي عنه وكتب له تقليد بعوده الى امرته
وارسل اليه معه جملة كثيرة من المال له ولاخوته فعاد الى حاله اميرا على العرب
وفيها ملك ..... ابن شنبو النوبي النوبة وكان هذا ابن اخت داود ملك
النوبة وكان قد تربى في بيت السلطان بمصر فاسلم وسمي عبد الله فراى السلطان
ان يقدمه في هذا الوقت فجهز عسكرا صحبته الى النوبة وقدم عليهم بعض الامرا
فلما توجهوا اتصل الخبر بذلك بملك النوبة كرنبس الذي تقدم ذكره قبل خمس سنين
فارسل ابن اخته كنز الدولة ملك بني الكنز الى السلطان يسال عوده الى الملك
فاعتقل السلطان قاصده واتم العسكر السير الى دنقلة فهرب كرنبس
واخوه الى جهة الابواب مستنصرا بملكها فقبض عليه ملك الابواب واخبر
العسكر بقبضه ليحضر من يتسلمه فتسلمه العسكر وحمل الى الديار المصرية واخاه
فاعتقلا بها واستقر ابن شنبو في ملك دنقلة كما ذكرنا فعادت العساكر المصرية
فلما اعتقل كرنبس بمصر سال ابن اخته كنز الدولة المذكور الاذن له في العود الى
ثغر اسوان وشكى ضرورات له هناك فاذن له فتوجه الى اسوان ثم الى دنقلة
فلما وصل اليها اجتمع عليه اهل تلك البلاد وملكوه فقصد دنقلة فخرج اليه
ملكها المذكور لقتاله فخذله اصحابه لكونه عاملهم بالغلظة والعسف
والكبر فالتقى مع كنز الدولة فقتل ابن شنبو المذكور وملك كنز الدولة بلاد
النوبة الا انه لم يلبس التاج رعاية لاخواله المحبوسين بمصر فلما وصل خبره
الى مصر اطلق السلطان احد اخواله المذكورين وارسله الى النوبة ووعد ان
ارسل كنز الدولة مقيدا اطلق له اخاه كرنبس فلما توجه المذكور الى دنقلة
استقبل ابن اخته كنز الدولة بالطاعة حيلة فقبض عليه واراد ارساله الى الديار
المصرية فمات القابض عليه بعد ثلاثة ايام فاجتمعوا على كنز الدولة وملكوه
ثانيا وكان منهما سنذكره في محله وفيها جرد العسكر الى برية عيذاب بالصعيد
وذلك لان العرب ببرية عيذاب قد قطعوا الطريق على رسل صاحب اليمن
ومن انضم اليهم من التجار واخذوا جميع ما كان معهم وكان الذي حملهم على هذا
ان والي قوص حبس اميرهم فاخذتهم الحمية فعند ذلك جرد السلطان عدة امرا
سبعة ومعهم خمسمائة فارس وتوجهوا في شوال الى قوص وتجهزوا منها ودخلوا
البرية في اول السنة التي تليها فوصلوا الى عيذاب ثم الى وادي ابرسيم الى اسباب
وهو جبل على شاطي نهر يخرج من النيل ثم الى التاكة ثم الى جبل كسلا وهو اخر حد التاكة
من بلاد الحبشة فوجدوا هنالك امما عظيمة من السودان يقاتلهم هلنكة فاجتمع

السودان لقتالهم

السودان لقتالهم فارسل العسكر اليهم انا لم نات لقتالكم بل جينا في طلب طايفة من العرب
فابوا الا القتال فقاتلوهم فانهزم السودان بعد ان قتل منهم خلق كثير
وقتل اثنان من ملوكهم وحمل العسكر من طعامهم ما قدر عليه ومن الماء ما احتيج اليه
ومن هنالك رجع العسكر ولم يظفروا بالعرب وعادوا الى القاهرة بعد ان صعق
بعد ان قاسوا من المشاق من عدم المياه والاقوات امورا شديدة وهلك
اكثر دوابهم وحكى منهم انهم وصلوا الى بلاد الفيلة فراوا فيلا ميتا قد ذهب
لحمه وبقيت عظامه بهيئته فدخل فارس في بطنه راكبا فرسه لعظم جثته
وفيها وصل جماعة من الططر المغول نحو الف فارس واغاروا على اطراف البلاد
الحلبية الى قرب حلب فنزل اليهم نايب حلب مع مائتي فارس وجمع من
التركمان واقتتلوا فانهزم الططر وقتل منهم خلق كثير واسر منهم ستين
نفسا من اعيانهم واسترجع منهم ما كانوا قد نهبوه وغنم المسلمون ما كان معهم
من الخيل والعدد ووصلت الاسرى الى مصر فيما بعد وفيها حج من مصر من الامرا
المقدمين سبعة وفيها مات نايب طرابلس الامير كستاي امير سلاح
واستنيب بها عوضه الامير شهاب الدين قرطاي الجوكندار العلاي الصالحي
نقلا من نيابة حمص وعوض عنه بحمص الامير ارقطاي القفجقي من امرا دمشق وكان
وفيها في السابع والعشرين من رمضان مات ملك الططر خربندا بن ارغون
بن ابغا بن هلاون بن طلو بن جنكز خان بمدينته التي انشاها وسماها
السلطانية المشهورة في ارض قنغرلان بالقرب من قزوين وكان لما اسلم تسمى
محمدا وكانت مدة ملكه بكرسي خراسان اربع عشرة سنة بعد اخيه قازان
وملك بعده اكبر اولاده الملك بهادر ابو سعيد فدام اكثر من عشرين سنة وسنذكره
وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة في اواخر صفر جا سيل عظيم لم يسمع بمثله حتى
هدم اسوار بعلبك ودورها وسورها من الصخر المحكم فخرق من السور مساحة اربعين
ذراعا في سبعين خمسمائة ذراع ثم تفسخ بعد وانذك وهدم السيل ما مر عليه الى
ان ملا الجامع فخرق حايطه الغربي واذهب الاموال وخنق الرجال والاطفال
ثم اسرع الى الخندق الذي للقلعة فخرق من سور البلد ما مساحته خمسة وعشرين
ذراعا والخط الى البساتين وكان منظرا مهولا فظن انها القيامة وما الخبر
كالعيان وحمل الماء راس عمود حتى القاه على ركن نحو العمود في ارتفاعه ثم
احصى جملة من فقد ممن اهلكه السيل فكان الفا وخمسمائة نفس خارجا عن
من هلك تحت الردم انا لله وانا اليه راجعون وكانت عدة البيوت الخراب
قريب الف بيت ومائة وخمسين حانوتا واربعين بستانا وثلاثة عشر
جامعا ومدرسة ومسجدا وعشر بر فرنا واحد عشر طاحونا وهدم من السور

برجًا كاملًا ذرعه ثلاثة عشر ذراعًا في السفل وخمس ذراعًا في الارتفاع
وفيها في منتصف ربيع الاول وقت العصر ثار بمدينة حلب هوا عظيم
اثار غبارًا عظيمًا واقتلع اشجارًا كثيرة وخرج منه عمود بري مثل شرر من
نار وامتد الى كنيسة الربيعة وهي كنيسة رومية مبنية بحجارة عظيمة
محكمة البنا فاقتلعها من اساسها واحتملها في الجو مقدار رمية سهم
وهي بحالها لم يتغير حجر عن حجر والناس ينظرون اليها ويبكون ويتضرعون
ولما انتهت الكنيسة في العلو الى هذا المقدار انتقضت احجارها منها
وتساقطت فمنها ما غاب في الارض ومنها ما غاص ولم يغب وبقي مكان
الابنية شبه الخنادق واقترن الهوا ببرق ورعد عظيم وظلمة شديدة
حتى تيقن الناس الهلاك ثم امطرت مطرًا عظيمًا وبردًا اهلك خلقًا كثيرًا
من المسافرين واخرب قرى كثيرة خرابًا فاحشًا قيل انه اخرب عشر قرى
بما فيها من الناس والدواب والوحش والطير واجتمع من ذلك المطر سيل
عظيم ملا وادي عسل وغرق ما مر به من الناس والدواب وامتنع
الناس من سلوك ذلك الوادي مدة وخرج من كان فيه وفيها ورد كتاب
امير مكة يخبر ان اخاه الذي كان متوليًا قبله وهرب قد قدم من العراق ومعه
اثنان من اعيان الططر وانه كتب الى اخيه المذكور يستاذنه في الدخول
الى مكة فمنعه الا باذن السلطان فكتب السلطان اليه ان كان حضر على
عزم الاقامة بالديار المصرية فله الامان واما الحجاز فلا يقيم به ابدًا
ثم اذن الى الاثنين الذين معه من الططر بالحضور والامان ثم سير السلطان
اميرين من المقدمين بجماعة من العسكر الى الحجاز لاحضار المذكور ومن معه من
الططر فلما وصلوا الى مكة ارسل المذكور يتعلل بقلة النفقة فبعثا اليه
بنفقة فاخذها وتغيب مختفيًا ولم يحضراه وفيها في اوايل جمادى الاولى
توجه السلطان الى الشام ولم يعلم لاي سبب واستصحب من الروايا الخاص
الف راوية خارجًا عن الامرا وزار القدس ثم عطف الى الكرك ولاقاه بها
نايب الشام الامير تنكز الناصري ثم توجه الى الشوبك وافرج عن الامير
بيبرس الدوادار النايب صاحب التاريخ المشهور وعن امير اخر ثم رجع
السلطان الى الملك ودخل القلعة في منتصف جمادى الاخرة ونقل اميرين من
حبس الكرك الى قلعة القاهرة فاعتقلا بها ونقلت خمسة من امرا الاتابك المصرية
الى الشام متفرقين وفيها طلب من قاضي الحنفية استبدال اسطبل مطل على بركة
الفيل وتعويض الورثة عن الملك الظاهر عنه لاجل الامير بكتمر الساقي فامتنع منه
هذا القاضي فعزل وولي غيره وحكم بصحة ذلك ووصف كل منهما في المسلم وهو مشهور
فعوجل بعد ثلاثة اشهر فمات واعيد الذي كان قبله فعد ذلك من كراماته وزجر الفاعل لذلك

وفيها في اواخر شعبان

وفيها في اواخر شعبان قطع جماعة من الططر الفرات الى جهة الشام ووصل منهم
الى دمشق في اول رمضان امير كبير اسمه طاطي ومعه نحو من مايةٍ فارس باولادهم
ونسايهم وجهزوا من دمشق الى القاهرة ووصلوها في شوال وفيها رسم السلطان
الملك الناصر محمد بروك المملكة الطرابلسية وما اضيف اليها من الاعمال والقلاع
والحصون والثغور وندب لذلك القاضي شرف الدين يعقوب ناظر المملكة
الحلبية فتوجه اليها وحررها وحضر الى الديار المصرية وربكت واستقر
ذلك لاستقبال رمضان سنة عشرين وسبعماية الهلالي والخراجي لاستقبال مغل
سنة تسعة عشر وسبعماية وتوفر بهذا الروك اقطاع ستة امرا طبلخانات
وثلاثة امرا عشراوات ثم رسم باطلاق الافراح والسجون وغير ذلك من المملكة
الطرابلسية وجملة ذلك ماية الف درهم وعشرين الف درهم فضة في كل سنة
تكون الان ستة الاف دينار وفيها عادت رسل صاحب مصر من عند
ملك الططر بالشمال ومن عند صاحب القسطنطينية وصحبتهم بطرك الملكية عايدًا
وصحبتهم رسل تلك الملوك ايضًا وقدموا هداياهم فاما هدية ملك الططر ازبك
فكانت ثلاثة سناقر وستة مماليك وزردية وخوذة من البولاد وسيفًا
وكان صاحب مصر قد ارسل يخطب من ازبك ملك الططر المذكور امراة من بنات
الملوك من بيت جنكزخان وارسل معهم هدية عظيمة فاشتطوا عليه في المهر
وطلبوا الف الف دينار والف فرس والف عدة حرب مكملة وان يحضر
لتسلمها جماعة من الامرا الاكابر ونسايهم فترك السلطان هذه الخطبة وكان من
امره ما سنذكره في محله وفيها رسم ان يبنى بقرى النصيرية من عمل طرابلس وغيرها
بكل قرية مسجد وتفرد من اراضي النصيرية رزقة برسم المسجد وان يمنع
النصيرية من الخطاب والخطاب عندهم هو ان الصبي اذا بلغ الحلم علمه ابوه
او وليه دعوة يجتمعون فيها ياكلون ويشربون ويسكرون ويحلفون
ذلك الصبي اربعين يمينًا على كتمان ما يودع اليه من الذهب ثم يظهرونه
على مذهبهم ويعلمونه له وهو القول بالالهية لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
واستحلال الخمر وتناسخ الارواح وقدم العالم وانكار البعث والنشور والجنة
والنار في غير الحياة الدنيا وان الصلوات الخمس عبارة عن خمسة اسما وهي
علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة ولا غسل من الجنابة بل ذكر هذه الاسما
الخمسة على رايهم يجزيهم عن الغسل من الجنابة والوضو وغير ذلك وان الصيام
عندهم عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امراة يعدونهم في كتبهم وان الهم الذي
خلق السموات والارض هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه وان عليا هو الرب
ومحمدًا هو الحجاب وسلمان هو الباب وانشدوا في هذه العقيدة الكفرية
اشهد ان لا اله الا حيدره ۝ الانزع البطين ۝ ولا حجاب عليه الا ۝
محمد الصادق الامين ۝ ولا طريق اليه الا ۝ سلمان ذو القوة المتين ۝

وعوض نظر المملكة الطرابلسية الى الصاحب امين الدين
بعدما دوادار السنة التي قبلها

وكان للنصيرية في هذا الوقت رئيس اسمه شرف يعتقدون فيه الالهية
ومن طريف ما يحكى عنه ان رجلا منهم مرض ابوه فاتى الى شرف هذا وساله
في ان يعافي اباه فوعده بذلك وقال ان اباك لا يموت في هذه المرضة فاشتد به
المرض فعاوده فاجابه بمثل ذلك ثم مات المريض فجا اليه ولده وقال
لا ادعك الى ان تعيده حيا كما وعدتني فقال له شرف دع عنك هذا فهذه
دولة ظالمة ولا نفتح هذا الباب لئلا يلزمونا باحيا كل من ارادوا احياه ممن
يموت فقنع منه بهذا العذر وفيها في منتصف ذي القعدة ظهر رجل من اهل
قرية قرطياوس من عمل جبلة من عمل طرابلس وادعى انه محمد بن الحسن المهدي
وقال بينما انا قايم احرث اذ جاني طاير ابيض فنقب جنبي واخرج روحي
وادخل في جسدي روح محمد بن الحسن فقصد قوه واجتمع عليه طايفة من
النصيرية تقدير خمسة الاف وامرهم بالسجود له ففعلوا وكان هذا من
النصيرية كثر جمعه بناحية اللاذقية فتارة زعم انه المهدي المنتظر
ومرة قال انه علي بن ابي طالب وتارة انه المصطفى وان الامة كفرت وغاث
في تلك الايام حتى انتدب له العسكر فقتل من جمعه مايه وعشرون نصيريا
وجرت امور ثم قتل لا رحمه الله وكان جبليا حمارا جاهلا مبتدعا واحل
لهم الخمر وترك الصلاة واظهروا القول بانه لا اله الا علي ولا حجاب الا محمد
ورفع رايات حمرا وشمعة كبيرة تتقد بالنهار يحملها شاب امرد وادعى
انه الشيخ ابرهيم بن ادهم وانه احياه وسمى اخاه المقداد بن الاسود الكندي وسمى
اخر جبريل ويغيب قليلا ثم يعود ويقول ذا بينك انت ثم انه هجم على مدينة
جبلة يوم الجمعة العشرين من الشهر المذكور وقتل من اهلها جماعة ونهبوا
الاموال وسبوا الحريم والذراري واعلنوا بقول لا اله الا علي ولا حجاب الا محمد
ولا باب الا سلمان وسبوا الشيخين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فجرد عليهم
نايب طرابلس الامير شهاب الدين قرطاي الجوكندار الصالحي الف فارس
صحبة الاتابك الامير بيليك العثماني فطلعوا اليهم والتقوا معهم بقرية من
عمل جبلة فقتل الدعي المذكور وجماعة من اصحابه وتفرق بقية جمعهم وذلوا
واستامنوا فامنوا وعادوا الى اماكنهم وكان بين خروج هذا الداعي وبين
قتله خمسة ايام وفيها علو بحر النيل مقدار الوفا وكسر الخليج في يوم
تاسع وعشرين شهر ابيب ولم يذكر احد انه راى مثل هذا في هذا العصر
ولا الذي قبله ولما تناهت زيادته ثبت الى وقت الانتفاع به الا انه
انكسر على منية السيرج فغرقت عن اخرها وصارت كلها تحت الما فتلف
للناس بها اموال عظيمه وفيها عاد العسكر المجرد الى بلاد النوبة من الامرا
كما ذكرناه في السنه قبلها صحبة الذي ولي على النوبة وهو من تشكيل المسمى عبد الله وذلك

بعد ان قدر تبوع

بعد ان قدر تبوع ببلد دنقلة ولما عادوا من تلك البلاد ثارت جماعة من السودان
والعربان الذين هناك على من تنكيس هذا فقتلوه هو واصحابه صبرا
وقصدوا الزبعيد واكرنبس وطلبوه من صاحب الابواب وكان السلطان
قد ارسل جندا الاحضار من عنده فسبقوا امرجاء من النوبة في طلبه فاخذوه
واخروه فسجن اياما ثم اسلم فتصدق السلطان عليه واطلقه ووعده باعادته
الى مملكته وفيها حضر الى السلطان اخو امير عرب الشمال مهنى بن عيسى مخبرا
باستمرار اخيه على الطاعة وانه لم يقم ببلاد الشرق فرد السلطان عليه امريته
واقطاعه فغضب لذلك اخوه فضل وخرج مشرقا ثم عاد مغربا وسنذكرهما
وفيها حج من امرا الديار المصرية المقدمين سبعة وحج ايضا فيها امير العرب المذكور
ومعه جمع كبير من عرب آل فضل مقدار اثني عشر الف راحلة ثم رجعوا
وفيها مات الامير ارسلان الدوادار صاحب الخانقاه المعروفة بمنشية المهراني
وفي سنة ثمان عشرة وسبعماية كان تمكن الامير طغاي الناصري من الدولة
تمكنا عظيما وعظم شانه فاخرج الى نيابة صفد اياما ثم ارسل له تقليد نيابة الكرك
ففهم المراد فلم يمتنع بل جا مسرعا فقيد وحبس بالاسكندرية فقتل بها في تاريخه
وفيها قبض على صاحب ملطية لما اشيع عنه انه يكاتب اهل البلاد المشرقية
وفيها في صفر ابتدا السلطان الناصر محمد بتوسيع جامع قلعة القاهرة فكمل
وفيها بعد رجوع الحجاج وثب الشريف حميضة المعزول على اخيه رميثة امير
مكة واخرجه من مكة الى نخل بحلي كان اخوه بها واستولى على مكة وقطع الخطبة باسم
صاحب مصر وخطب باسم ملك التتار بوسعيد بن خربندا فجرد السلطان
اميرين من المقدمين بجماعة من العسكر الى مكة وامرهم ان لا يعودوا الا بحميضة
المذكور ثم جرد بعدهم ايضا امير الحاج ليحج ويقعد بدلا لهولا فتوجهوا ولما مروا
بنخل قبضوا على رميثة وارسلوه الى الديار المصرية واقام العسكر بمكة وكان حميضة
المذكور هرب هروب الابق ثم جرى له ما سنذكره وفيها سالت النصارى
ان يمكنوا من ترميم الكنيسة التي بحارة الروم بالقاهرة التي تسمى كنيسة بربارة
وكانت قد تشعثت فاجيبوا الى ذلك فلم يقتصروا على ترميمها حتى عمروها
ظاهرا بالاسرى والالات العظيمة والمشدين من جند المسلمين فانهى
المسلمون ذلك الى السلطان فامر بهدمها فهدمت في ساعة واحدة وبنوا
بصدرها محرابا وعلقوا فيه قناديل واقاموا فيها شعاير الاسلام
فسعى من سعى في ذلك فرسم بخلوها من ذلك وسد بابها فسد وجعلت مزبلة
تلقي المسلمين فيها قمامتهم فسعى المسالمة في ذلك فرسم باعادة ما هدم منها
وسدها فاعيد ما هدم منها وسدت ثم فتحت واستمرت كنيسة الى الآن

وفيها هبت ريح عظيم ببلاد طرابلس الشام شديدة جدا حتى انها مرت
على زوق من التركمان المقيمين بها يعرف ابرهيم بطرالي فاحتملت ما مرت
عليه من خيل وجمال وابقار واغنام وبيوت وخركاوات حتى اعدال
الدقيق المملوة وغرابر الغلة المحشوة واحتملت الامير المذكور ونسايه
وبنيه ومن كان في تلك المنزلة من الرجال والنسا من تهم نمن يقا فكانت
هذه الريح مهلكة لهولا الاقوام كما اهلكت قوم عاد وكان فيمن طارت به
الريح ولد من اولاد طرالي المذكور فقضى الله بسلامته فسلم وحضر الى باب
السلطان واخبر بالحال وسال خبز والده وتقدمته فاجيب وانعم عليه
بما سال وذكر السبب في سلامته وذلك انه حين طرحته الريح على الارض
سقط على مكان متكاثف العشب والنبات فسلم عند الالقا عليه من
الممات الا انه تهشم وتحطم وشكى الوجع مدة ومرت الريح على عرب بجوار
بيوت طرالي المذكور فاحتملت لهم اربعة اجمال وغابت في الجو ثم عادت
قطعا ووقع بعد ذلك مطر وبرد زنة البردة رطل بالمصري وكانت الريح
لما اتصلت الى بيوت علا الدين طرالي بن البكي المذكور تكونت عمودا اغبر
في هيئة تنين متصل بالسحاب وبقي ذلك العمود يمر على بيوته يمينا وشمالا
فلم يترك بالبيوت شيا الا اهلكته فحكي عن طرالي انه قال يا رب قد اخذت
الرزق وتركت العيال بغير رزق فاي شي اطعمهم فعاد ذلك العمود اليه
بعد خروجه عنه فاهلكه وزوجته وذريته واحد عشر نفسا وجرح
ثلاثة انفس من ملاقات الاخشاب والحجارة وحملت الريح جملين في
الجو ارتفاع عشرة ارماح وطرت القدور والنحاس والصحاف
الحديد بعضها على بعض حكى ذلك القاضي بدر الدين محمود العيني في تاريخه
وفيها كان غلا شديد بديار بكر والموصل واربل وماردين والجزيرة ابن عمر
وميافارقين حتى اكلت الناس اولادها واكلوا الميتة والكلاب وفنوا
وخرب اكثر البلاد واعقب ذلك فنا عظيم فني به اكثر الخلق وفيها
طرد الشيخ ابو يحيى زكريا المعروف باللحياني الذي ذكرناه قبل ذلك
من بلد تونس ولحق بالبادية واستنجد ببعض العرب فجاروه ثم انه
عبر الى جزيرة جربة واقام بها عند الفرنج المستولين عليها ثم عاد الى مصر حين مات
وفيها كانت فتن في بلاد العجم بين الامير جوبان نايب الملك بوسعيد ملك
الططر على خرسان وبين امرايهم فقتل منهم اربعين اميرا بسبب موافقتهم الملك
الططر بالبلاد الشمالية وهم بنو عم ابي سعيد ايضا وعزم كل من الفريقين
على القتال وتاهبوا له فحال بينهم هجوم الشتا والامطار والسيول ثم جرى ما نذكره

وفي سنه تسع عشره وسبعمايه

وفي سنه تسع عشرة وسبعمايه في ليلة مستهلها هبت بدمشق ريح عاصفة
هدمت منازل كثيرة وهلك تحت الردم خلق كثير واقتلعت اشجارا كثيرة
من اصولها ثم سكنت ثم ثارت ليلة العشرين منه ايضا ولم تبلغ مبلغ المرة الاولى
ثم عقب ذلك بدمشق جا سيل عظيم حمل ما كان امامه من الحجارة والقاه من عين
الفيجة حتى سدها يومين ومر بغياض السفرجل فاحتمل مساطيح السفرجل
فانصب الى البحيرة ثم بعد يومين نشف وانقطعت عدة عيون ويبست
الاشجار وفيها جهز السلطان الامير الشريف عطيفة بن ابي نمي الى الحجاز
الشريف وجرد معه من الامرا المقدمين وجماعة من اجناد الامرا اليوصلوه
الى مكة شرفها الله تعالى ويجلسوه بها اميرا فتوجهوا اليها في هذه السنة واقاموا
هنالك ثم افرج السلطان عن اخيه رميثة ليقيم بمصر ثم هرب بعد شهرين الى
نحو الحجاز الشريف على هجن كانت قد اعدت له فاتبع فادركه بمنزلة حقل
قرب عقبة ايلة واحضر فاعيد الى الحبس بالجب ايا ما نادينا لم اطلق
وفيها سار ركب العراق للحجاز ومعهم حلقتان لباب الكعبة الفا مثقال
فما ركبتا بل اخذهما الشريف رميثة امير مكة وفيها عاد امير عرب الشام
سليمان بن مهنى بن عيسى من بلاد العراق بعد ان كان التحق بملك الططر بوسعيد
فلما وصل الى دمشق تلقاه نايبها الامير تنكز ثم وصل الى السلطان وقدم
تقدمة عدة من الخيول المنسوبة وسال العفو فعفي عنه واقبل عليه وانعم
عليه باقطاعه وبخمسة عشر الف دينار يتسلمها من الشام فعاد وتسلمها
واستقر تحت الطاعة وفيها كانت فتن في بلاد العجم بين الامير جوبان وهو
نايب الملك بوسعيد على مملكة خرسان وبين نوابهم على بلاد الموصل وغيرهم
من امرايهم وكان الامير جوبان قد استقل بالامر واستبد بالامور بحيث انه
لم يبق لملكه بوسعيد غير مجرد الاسم فانحصر بوسعيد منه واستشار امراه
في امره واتفقوا على قتله وعملوا له مكيدة فلم يقدروا عليه وسافر الى تبريز
فدخل الوزير علي شاه في الصلح بينه وبين سلطانه فرضي عليه ودام في منزلته حين مات
وفيها كانت الوقعة بين المسلمين والفرنج بجزيرة الاندلس واجتمع من الفرنج
جيوش عظيمة اشتملت على خمسة وعشرين ملكا وامتلات بهم تلك الارض
والتقى الجمعان واحاط الفرنج بالمسلمين كشامة بيضا في ثور اسود فصدق
المسلمون الحملة فانهزم الفرنج اقبح هزيمة واخذتهم سيوف المسلمين وتبعوهم
ثلاثة ايام يقتلون ويا سرون فاستولوا منهم على اموال عظيمة وكانت ملحمة
لم يعهد للاسلام بمثلها فكانت عدة قتلى الفرنج تزيد على خمسين الفا وهلك
منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بسلوكه واما الذين هلكوا في
الجبال وغيرها فعدة لا تحصى وقتل الخمسة والعشرون ملكا بجملتهم ولم تبلغ قتلى
المسلمين عشرة انفس وكان جيشهم الف فقط وجات البشاير بهذا النصر العظيم
عنهم

وفيها حج السلطان الناصر محمد حجة ثانية وصحبته جموع كثيرة من الامرا المقدمين
عشرين ومن مماليكه الخواص طايفة كثيرة ورتب للامرا والمماليك جميعا كل ما
يحتاجون من الزاد والسكر والحلوى والعليق طول الطريق فكان عليق
السلطان في كل يوم الف اردب وقيل الف ومايه واستصحب معه من
الاقامات ما لا جرت عادة ملك بمثله حتى حمل من ما النيل ما يكفيه في مدة
سفره وعوده وكان رحيله في خامس ذي القعدة واستصحب معه صاحب حماه
الملك المويد اسمعيل الايوبي الكردي وتصدق بمكة صدقات كثيرة
واحسن الى اهل الحجاز ورمق بهم وكان اتفق في هذه السنة وصول الركب
العراقي حاجا وفيه جماعة من الططر فاخفوا انفسهم خوفا من القبض عليهم
فامر السلطان باحضارهم فاحضروا فاحسن اليهم وخلع عليهم الخلع
السنية واطلقهم فكان هذا الفعل هو سبب الصلح بين صاحب مصر
وبين صاحب مملكة العجم ملك الططر بو سعيد بن خربندا ولم يقع بعد حرب
ولما رجع السلطان من الحج عايدا الى الديار المصرية تسحب من الخاصكية ثلاثة
مماليك والتحقوا بالشريف حميضة الذي كان امير مكة وهرب كما ذكرناه
ولما راى السلطان ما بالعقبة من الضيق وصعوبة المسالك امر بتوجه
جماعة من الحجارين لاصلاحها فقطعوا ما بها من الصخور المانعة من السلوك
المضيقة على الناس ووسعوها وكان وصول السلطان الى الديار المصرية
في يوم عاشورا من السنة التي تليها كما سنذكره فكانت مدة غيبته نحو الشهرين

وفي سنة العشرين وسبعماية كان السلطان كما راجعا من الحج فوصل في
يوم عاشورا وكان يوما مشهودا وعند وصوله فوض السلطنة بحماه
الى الملك المويد اسمعيل الايوبي الكردي وكان في خدمته في الحجاز وكان قبله
بعشرة سنين نايبا بها كما ذكرناه فاراد السلطان جبر قلبه على قاعدة سلفه
وكانت العادة ان لبس الخلع يكون في المدرسة المنصورية بين القصرين
فالبس منها خلعته وتشريفه وهو اطلس احمر معدني بطرز زركش
وقبا تحتاني اطلس اصفر وشاس بقضبان زركش وكلوته زركش
وسيف وحياصة ذهب وركب من مراكيب السلطان برنادي اطلس
برقبه سلطاني زركش وسرج ذهب وحمل له امير سلاح السلاح وحملت
الغاشية بين يديه وركب بشعار السلطنة على عوايد الملوك وركب في
خدمته جمدارية السلطان والجمدارية والدوادارية ورفعت العصايب السلطانية
والخليفتية على راسه وسار كذلك الى القلعة وقبل الارض بين يدي السلطان
وجلس على راس الميمنة ثم اذن له في السفر الى بلد حماه فدام كذلك حتى مات
وافرج السلطان عن سبعة امرا مقدمين من الحبس واقطع كلا منهم اقطاعا في ناحية

وفيها جرد العساكر الى مكة وهم مقدم الف ومايه فارس بعد بلاغ العسكر الذي
كان السلطان قد خلعه بها خشية من عود الشريف حميضة اليها للفتنة
فجعل هذا باش العسكر بلاطف حميضة المذكور ويستميله الى مراجعة الطاعة
واذا باحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد تسحبوا بمكة ولحقوا بحميضة قد
حضر راكبا على فرس حميضة وادعى انه قتله وهو نايم واحضر سلبه
واخبر السلطان بذلك فعاد العسكر وقتل قاتله المذكور قصاصا بالقاهرة
وفيها جردت العساكر الشامية الى بلاد سيس وذلك لكون ان الهدنة
التي كانت بين صاحب سيس وبين صاحب مصر قد انقضت فسال صاحب سيس
السلطان تجديدها فامتنع السلطان الا ان يرد عليه عدة قلاع كانت
قد اخذت في دولة الملك المنصور لاجين فبذل بعضها فابى السلطان
الا الكل وامر بتجريد العساكر الشامية الى بلاد سيس فتوجهوا صحبة
الامير شهاب الدين قرطاي الجوكندار الصالحي النايب بطرابلس
فلما وصلوا نهر جهان زادوا وخوضه وقطعه غرق من العسكر نحو الف فارس
اكثرها من عسكر طرابلس والتراكمين ثم دخل العسكر الى سيس واغاروا وسبوا منها
وساقوا خلف العرب حتى اخرجوهم من المملكة الشامية وسنذكر امرهم قريبا ايضا
وفيها وصلت الخاتون المجهزة من بيت الملك بركة الى صاحب مصر السلطان الناصر محمد
وهي طلنباي بنت طغاجي بن هندو ابن بكر بن دوشي خان بن جنكزخان ملك الططر
قد ذكرنا ان السلطان كان خطب عند الملك ازبك ملك الططر بالبلاد الشمالية
بنتا من الذرية الجنكزخانية وجهز رسولا كما تقدم في سنة سبع عشرة وسبعماية
فلما قرا كتب صاحب مصر قال الترجمان للرسول لما اراد ان يتكلم بالمشافهة
ان القان يقول ان كان في مشافهتك غير السلام فخاطب بها الامرا ثم جمع امرا
التومانات وهم سبعون اميرا ليكلمهم الرسول في ذلك فنفروا منه وقالوا
هذا لم يقع مثله فيما تقدم فلم يوافقوا على ذلك لبعد المسافة هذا في اول يوم ثم
اجتمعوا مرة اخرى بعد ان وصلت اليهم هدايا هم التي ارسلها صاحب مصر
اليهم واعيد الحديث في ذلك فاجابوا اليه وسهلوه وقالوا ما زالت الملوك
تخطب بنات الملوك وملك مصر ملك عظيم الا ان هذا الامر لا يكون الا بعد
اربع سنين سنة كلام وسنة خطبة وسنة مهاداة وسنة زواج ولكنهم
اشتطوا في طلب المهر والشروط كما حكيناه قبل ذلك فلما عاد الخبر بذلك
للسلطان صاحب مصر رجع عن هذه الخطبة وتكررت الرسل على عادتهم بينهم
من غير ذكر خطبة ثم ارسل السلطان رسولا بعد ذلك الى ازبك ملك الططر المذكور
بالهدايا والتحف وخلعة سلطانية من زركشة مكللة فلبسها ازبك المذكور
ثم ابتدا هو الرسول بذكر الزواج وقال قد جهزت لاخي الملك الناصر صاحب مصر

ما كان طلبت وقد عينت له ابنة من بيت جنكزخان من نسل الملك باطوخان
فقال رسول صاحب مصر ان السلطان لم يرسلني الآن في هذا الامر وهذا امر
عظيم لو علم السلطان بوقوعه جهز لهذه الجهة ما يصلح لها واراد بذلك
دفع الامر الى وقت اخر فقال له ملك الططر انا ارسلها اليه من جهتي فما وسعه
الا موافقته بالسمع والطاعة فلما استقر ذلك قال له الملك اجمل مهر هذه
الجارية فاعتذر انه لا مال معه فقال الملك نحن نقترض لك من التجار فاقترض
عشرين الف دينار وحملها ثم قال له الملك لابد لها من عمل فرح يجتمع فيه الخواتين
فاقترض ما لا اخر عشرة الاف دينار اخرى وعمل الفرح وجهزت هذه الخاتون
وصحبتها جماعة من الرسل من كبار المغول سبعة امرا وصحبتهم امام هذا الملك ازبك
خان ومعهم قاضي صراي ايضا ولقي المذكورون في سفرهم مشقة وطول مدة
وذلك انهم اقلعوا في زمن الخريف فلم يوافقهم الريح فاقاموا في بر الروم
على مينا ابن منتشا قريب نصف سنه وبالغ المذكور ايضا في خدمتهم واكرامهم
وكذلك فعل الاشكري صاحب القسطنطينية فانه بالغ في كرامتهم ووسع
لهم في الاقامات والانزال وانفق عليهم جملا من المال فانهم كانوا ومن معهم من
اتباع الخاتون والزامها ومماليكها وخدامها جماعة كثيرة قريب خمس مايه
نفر واقاموا ببلاده مده فكان جملة ما انفقه عليهم ستين الف دينار
محبة في صاحب مصر وجهز معهم رسلا من جهته فوصلوا الجميع من ثغر
الاسكندرية في ربيع الاول ولما طلعت الخاتون من المركب جعلت في خركاة
مذهبة على العجلة وجرها المماليك الى دار السلطنة باسكندرية وارسل
السلطان الى خدمتها جماعة من الحجاب وعشرين امراة من حريم السلطان فجاءت
وبقية من معها في الحراريق فوصلت الى القلعة في اواخر ربيع الاول وفرش لها
بالمناظر بالميدان دهليز اطلس معدني كان للسلطان ومد لهم سماط
هايل ثم بعد ثلاثة ايام احضر السلطان هذه الرسل وهم رسل الملك ازبك
المذكور ورسل ملك الكرج ورسل صاحب القسطنطينية فمثلوا بين يديه
في موكب هايل وادى كل منهم رسالته وقدم تقادمه ثم توجه للميدان
نايب السلطنة وراس نوبة النوب وناظر الخاص كريم الدين الكبير وهو وكيل
السلطان فمشوا في خدمة الخاتون حتى طلعوا بها القلعة وفي غرة الشهر ثم عقد
عقد عليها في سادس ربيع الاخر على ثلاثين الف مثقال ذهب حالة منها ما تقدم
وهو عشرين الف دينار وعقد العقد قاضي الشافعية بدر الدين ابن جماعة
وقبل العقد عن السلطان بوكالة نايبه ودخل السلطان بها ثم عاد الرسل بعد
ان شملهم الانعام وجهز معهم الهدايا الجليلة لازبك المذكور فدامت في عصمة السلطان
قريب عشر سنين ثم طلقها وزوجها بامير من المقدمين

وبعد حضور هولآ الرسل بشهور حضرت رسل اخر من عند الملك ازبك المذكور ايضا
وسبب حضورهم تكرار الحث على قصد النايب جوبان على ممالك خرسان والاجتماع
عليه واستنهاض صاحب مصر وعساكره اليه والباعث للملك ازبك على ذلك هو ان
جوبان قويت شوكته وتحكم في مملكة العجم وبنت ابي سعيد بن خربندا ملك الططر
فجهز اليه الملك ازبك الجيوش فتعذر عليهم العبور على نهر كور فرجعوا لان النهر
المذكور بين بلاد هولا وبلادهم ولا عبور لهذا الطرف الا عليه فصادف
قلة الامطار عدم جموده فتعذر عليهم الوصول واستولى الغلا على الطايفتين ايضا
وفيها امر السلطان باجلا آل فضل عرب مهنى بن عيسى من البلاد الحلبية
وقطع اقطاع مهنى واولاده واعطاها لمحمد ابي بكر وآل علي وندب امير في
تقرير ذلك فرتبهم في البلاد واجلى اولئك منها وعاد وفيها امر السلطان
بمنع تقي الدين ابن تيميه من الفتوى وحبس بقلعه دمشق سبعه سنين حتى مات
بعد ان عقد له مجلس عند النايب وكان ذلك لاجل مسلة الطلاق الثلاث
زعم انه اذا صدر جملة واحدة لا يقع غير طلقة وهو معاند لدين المسلمين
وفيها وصلت رسل صاحب اليمن الملك المويد ومعهم الهدايا التي جرت بها
العادة من المتاع والقنا والبهار والخدام والوحوش وغير ذلك ثم اعيدوا
وفيها خرج السلطان الى الصعيد متصيدا فاقام في رواحه ورجوعه
قريب ثلاثة اشهر وفيها كان طلب صاحب طرابلس الغرب وما معها وهو
ابو يحيى اللحياني من صاحب مصر ان يمده بعسكر يوصلونه الى الاسكندرية
ويحمونه من عربان تلك البلاد لكونهم تطاولوا اليه فلاذ بصاحب مصر فاجابه
وجرد اليه جماعة من الجند يسفرهم امير ان يحضر الى السلطان ثم رجع الى مملكته
وفيها قتل بالقاهرة زنديق اسمه اسمعيل لوقوعه في حق النبي لوط عليه السلام
وفي سنه احدى وعشرين وسبعمايه في يوم عاشورا ابطلت
معاملة الفلوس بالقاهرة وكانت المعاملة بها حسابا عن كل درهم ثمانية واربعين
فلسا وكان سبب ذلك انها كثرت في ايدي الناس وهم يتعاملون بها عددا فضربها
الزغلية وخففوها الى ان صار كل ستة فلوس زنة درهم وكان السلطان
قبل ذلك قد رسم بابطال المعاملة في الشام بالفلوس على ما كانوا يتعاملون
بها بينهم وبالقرطيس والقراطيس ست فلوس عدد وكان الناس
يتعاملون بها بالشام عن كل درهم اربعة وعشرين قرطيسا فابطلها
السلطان من المدينتين وامر بضرب فلوس جدد زنة كل فلس درهم
وتعامل الناس بها بالشام على عادة الديار المصرية ثمانيه واربعين فلسا
بدرهم فنقل الناس تلك الفلوس الخفاف من الشام الى مصر وخلطوها
مع فلوس المعاملة فخرجت فيها وتمادت عليها الايام الى ان كثرت وقلت الاولى

فتوقف الناس في المعاملة وتزايد الامر الى ان غلقت الدكاكين وغلت
الاسعار فعند ذلك امر السلطان بابطالها عددًا وان تزن وبين الناس
بالميزان حسابًا عن كل رطل بالمصري ثلاثة دراهم وامر بضرب فلوس
جدد عليها اسم السلطان وتاريخ ضربها زنة كل فلس منها نصف وربع
وثمن درهم وان يتعاملوا بهذه الجدد عددًا على العادة فمشت احوال الناس
وكان ذلك في اواخر هذه السنة التي قبلها ثم بطلت المعامله بها في اول
هذه السنة كما ذكرنا وفيها في سلخ المحرم وصلت هدية ملك العجم بوسعيد
بن خربندا ملك الططر وهو اول الصلح فاستمر ذلك الى الزمان بعد خمسة عشر
وفيها في اواخر ربيع الاول رسم السلطان بحفر بركة الناصرية المجاورة
للميدان وكانت كوما فصارت بركة ساحتها سبعة افدنة فحضرها
الجيش المنصور والامرا واجنادهم وادخل كنيسة بجانبها فيها ولها حكاية
وفي يوم الجمعه بعد الصلاة هدموا الكنايس بالقاهرة بجوار هذه البركة
المذكورة ووقع الحريق بالقاهرة في ربيع الاخر وكان الحريق متواترًا بها
وذهبت اموال واملاك كثيرة وكان اول حريق وقع بدار الوكالة
بفندق الجبن عند باب البحر وثاني يوم وقع الحريق بحارة الديلم وتتابع
ثم ظهر ان ذلك من كيد النصارى لما ذكرنا فوجد مع بعضهم آلة الاحراق
ونفط وغير ذلك فاخذوا واقروا فقتل منهم سبعه واسلم عدة ورجمت
العامة الصاحب كريم الدين الكبير ناظر الخاص لتوهموا ان ذلك عن مكره
لكونه من مسالمة النصارى فانتصر له السلطان الناصر وقطع ايدي
اربعة من الذين رجموا وقيد اخرون وجرت خطوب ذكرها المقريزي في الخطط
وفيها جرى الصلح بين الملكين صاحب مصر وبين ملك الططر بها در ابو سعيد
وتهادوا وفيها وفد ابو يحيى اللحياني صاحب طرابلس وتونس وغيرهم من البلاد
الى صاحب مصر وترك مملكته وقنع بالركون الى السلطان فاقام باسكندرية حتى مات
وفيها وفد الشريف كبيشة بن منصور صاحب يثرب الى السلطان بتقادمه
وهداياه فقبلت منه واجزلت عطاياه وعاد راجعًا الى بلده الشريفة
وفيها وفد الى السلطان شخص من امرا الططر فاكرمه السلطان وامّره طبلخاناه
وفيها امر ملك العجم بوسعيد بان تخمع الخمور من جميع بلاده فاهريقت وابطلت
وفيها وقبل في التي قبلها رسم السلطان بابطال المكس عن الملح وكان جملة كثيرة.
وفيها عاد المرسل من بلاد ازبك ملك الططر بالبلاد الشمالية وصحبتهم رسل ايضًا
وفيها جهزت خوند طغاي ومن في خدمتها اميرين من المقدمين وعشرة من خواتين
الامرا واتخذت لهم محامل من العجل تجر بالكبال الموتغه في احداج الجمال ومن في خدمتها
الصاحب كريم الدين الكبير ناظر الخاص وجمع كبير من المماليك والخدام والالزام هيئة هايلة

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة

وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة كان فتح بلد اياس بالتركية
وجرد السلطان الناصر محمد من العساكر المصرية جملة من الامرا المقدمين
خمسة ومن عسكر الشام ايضًا وجميع عسكر حلب بكماله بنايبها والعسكر
الطرابلسي صحبة نايبها الامير شهاب الدين قرطاي الحوكندار الصالحي وغيرهم
وكان خروجهم من مصر في صفر وسارت العساكر المذكورة مجدين الى ان وصلوا
ارض سيس وانضم معهم من المطوعه ناس كثير من التراكمين وغيرهم وتجمعوا
فاغاروا على ما وجدوا واخربوا وقتلوا وغنموا وانفقت في ذلك وفاة
صاحب سيس وكان العسكر قد قصد انه بعد الغارة ينزلون على بلد
اياس فنازلوها وزلزلوها ففتحوها عنوة ودخلوها صحوة وبالغوا
في القتل والحرق والخراب للعمران ثم عادوا راجعين غانمين سالمين
وفيها حبس فرج بن الصابوني نايب الكهف بسبب قراسنقر انه كان يكاتبه
وفيها وصلت الى السلطان رسل الملك بوسعيد بن خربندا ملك العراقين
وصحبتهم قاضي تبريز القاضي نصير الدين محمد بن القزويني الشافعي وصحبتهم
ابن خالة الملك وكان مجيهم بسبب المصاهرة بين هذين الملكين فانعم
السلطان عليهم وسفر معهم قاصدًا واحدًا من مقدمي الالوف رسولًا بهدية سنية
من خيول الصايل والحوايص المجوهرة وحمار وحش مخططا بابيض واسود
وصل من اليمن وفيها قدم نايب الشام تنكز على خيل البريد في مدة جمعة
وكان قد طلب الحضور فقدم له ساير الامرا الخيول والاقمشة وشمله
انعام السلطان بشي كثير ولعب معه بالاكرة وكان سبب قدومه انه طلب
من السلطان ان يكون نايب صفد الحاج ارقطاي اميرًا عنده بدمشق حاجبا
ليساعده في الاشغال فاجيب الى ذلك ولكنه لم يتم ثم رجع تنكز على البريد
وفيها زوج السلطان احدى بناته بكاتب فضلة الشمع بعد وقوده زنة
الف قنطار بالمصري وختن ايضًا اولاده ثلاثة من اكابر الامرا بين يديه
بالقلعه وحضر ذلك بنفسه والقي من حضر في الطشوت جملا من الذهب العين
المصري نقوطا على العاده وفيها اختار السلطان مكانا ببركة الحجاج ليعمله
ميدانا للخيول فعملت له جسور وحفرت فيه ابار وسواقي وكان يتعهده
كل وقت وفيها كانت شرور بمملكة بلاد العجم مع من يجاورهم من الططر
وفيها وفد الى السلطان الشريف عطيفة بن ابي نمي صاحب مكة حرمها الله تعالى
ومعه صاحب الينبع فاكرمه وخلع عليه وكان فيها قد اشتد الغلاء
بالحجاز وما حوله حتى عدم التمر وفيها كانت فتن ببلاد المغرب في تونس
وتداولت ملوكها وكان بينهم قتال شديد مرات وتغير ملوك اليمن ايضًا بعد فتن

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمايه نقم السلطان على ناظر الخاص
الصاحب كريم الدين الكبير الذي كان ادناه وقربه وحكمه في خاصه ووكله
وفوض اليه الامر في ذلك كله واناله من الرفعة والتمكن ما لم ينله احد قبله
من وزرا السلاطين وخصوصا في الدولة التركيه وكانت الذخاير والتحف
والجواهر واللطف في بيته ولما اتفقت واقعة الحريق بالقاهرة كما
ذكرنا قبل سنتين فكان اولها في بيته الذي هو بحارة الديلم امر له
السلطان ببنا دار يحصنه قريبه من القلعه فبنيت له دار عظيمة
على بركة الفيل فنقل اليها ما كان تحت يده من الخزاين والحواصل وصار
يخلع على اكابر الامرا الخلع الملوكيه المثمنه بالكلوتات المزركشة والحوايص
المجوهرة وكثرت مماليكه وحشمه وخيوله كثيرة حسده عليها العالم
وشابهه ولده ايضا في هذه الامور فعند ذلك عزله السلطان عن مناصبه
واستعاد منه كلما كان في يده من الاموال والخزاين واودعها في الخزاين
واستصفى اكثر امواله ولم يتعرض اليه بسو وابقى عليه من معاصمه وما يكفيه
ما يقوم باوده واخرجه ليقيم بالشوبك عند النصارى لكونه من مسالمة
النصارى فاقام بها هو وولده وعايلتهما مدة ثم سال النقلة الى القدس لاجل
كنيسة قمامة فاجيب لذلك ثم اعيد الى مصر وحبس بالقلعة واستصفي بقية
ذخايره ونفي الى الصعيد الى اسوان فوجد مشنوقا في موضع سكنه بعد سنة
وهو اول من تسمى ناظر الخاص وعوضه في وظيفته النشو التاج اسحق الشهير بالنشو
فمشى على طريقته في المظالم وزاد عليه حتى قتله السلطان ايضا وسنذكره في محله
ونقم السلطان ايضا على ابن خالة المذكور وهو كريم الدين ايضا المعروف بالصغير
وفيها وردت رسل ملك العجم ابو سعيد ورسل نايبه الامير جوبان ثم عادوا
وفيها وقع فتن كثيرة بين ملوك اليمن وكذلك في بلاد المغرب تونس ايضا
وفيها وصلت رسل ملك الارمن يسالون مراحم السلطان في الكف عنهم وان
يحملوا القطيعة على ما جرت عادتهم وهو في كل سنة الف الف وماية الف
درهم فضة وهدايا من دواب وغيرها وسالوا الزيادة وثغر قلعة اياس
ولزمهما تحصل منه يكون نصفين بيننا وبينهم فابى السلطان ذلك وقال بل
يكون عليه تمام ماية الف درهم فضة لتكملة الفي الف درهم فرجعوا على ذلك
وفيها جرد عسكر الى النوبه فيه ثلاثة امرا وجماعة من المماليك ومن الحلقة
ومن جند الامرا فبلغت عدتهم خمسماية فارس بسبب كنز الدولة ابن الكنز
لما تملك النوبة بعد موت خاله وافرج السلطان عن كرنبس الذي كان متوليا قبل
وجهز معه العسكر لنصرته فلما وصلوا هرب ذلك وتولاها هذا الملك دنقلة
فلما رجع العسكر عاد عن نيته عليه واستولى على مملكته وطرد كرنبس الى اسوان
وفيها كان الحاج كثيرين بحيث اقتسموا استة ركبان للرفق وسار بكل ركب امير وصيانتهم
وكذلك حج الركب العراقي من جمع كبير بسبب وقعة الجمعة
وفي سنة اربع وعشرين وسبعمايه

وفي سنة اربع وعشرين وسبعمايه في اولها نودي على الفلوس ان يتعامل
الناس بها بالرطل ورسم بضرب فلوس جدد وغرم الناس في الجملة كثير لاجل ذلك
وفيها حضر رسل من الملك ازبك ملك الططر بالبلاد الشمالية وصحبتهم هديته
وهي سنقرين وجلدين دب ابيض طول كل واحد سبعة اذرع ونصف وفي
رسالتهم عتب كثير لكون السلطان ما وافقهم على حرب ملك العجم ابي سعيد
ونايبه جوبان فاعيد جوابهم مع هدية سنيه وفيها حضر رسل من جهة
الامير جوبان نايب الملك ابي سعيد تخبر انه دخل الى الروم وقبض على ولده
دمرداش فانه كان حاكما بالروم بسبب تاخير القطيعة المقررة للملك
وفيها طلب الصاحب كريم الدين الكبير من القدس وهو الذي كان ناظر الخاص كما ذكرنا
وذلك ان السلطان بلغه ان معه مالا عظيما وانه يعيش في القدس عيش الملوك
وان ولده يفسد في تلك الاماكن الشريفه وان له ودايع كثيرة عند الناس
فرسم السلطان باحضاره وولده والحوطة عليهما فاحضر وبيعت املاكه
بمبلغ اربعماية الف درهم فضه وحمل ثمنها الى خزانة السلطان واخرجه منفيا
الى الصعيد ليقيم باسوان ففي السنه وجد مشنوقا في مكان سكنه ولم يظهر خبره
وفيها وصلت رسل الملك ابي سعيد صاحب مملكة العراقين وكتاب من نايبه
الامير جوبان يسال ان يكون بينهما مصاهرة وانه بلغه ان للسلطان بنتا
وان الملك ابا سعيد يرغب في خطبتها من السلطان فاكرمهم السلطان وجهزهم
بالهدايا والتحف وكتب اجوبتهم وانه قبل سوالهم فيما طلبوا ولكن اعتذر
بان البنت عمرها ست سنين وهذا السن لا يصلح للزواج فاذا كبرت
جهزها وارسلها وفيها وقع في الشام غلا عظيم ووقع في الديار المصريه
امراض حادة فمات خلق كثير وانتقل من مصر الى الصعيد ومنها الى
النوبة ومات من السودان خلق عظيم وحصل للسلطان عقب ذلك
ضعف وتزايد حتى خشي عليه وتصدق بصدقات كثيره واطلق
المحابيس فعوفي وسيرت البشاير بعافيته الى الممالك الشامية
وفيها ورد الى مصر الملك موسى متملك بلاد التكرور قاصدا الحج وهو
فقيه مالكي فدخل الى خدمة السلطان ووصل معه هدايا وتحف
وذهب كثير اهداه للسلطان فاهدى اليه اربعين الف دينار
فاكرمه السلطان واحسن اليه وخلع عليه خلعة سودا وسيفا
مذهبا وحصانا اشهب بزناري اطلس وجهزه للحج ثم عاد لبلاده
ودخل معه وجماعته كثير من الذهب والتبر فبيع بالديار المصريه ومن يومئذ
كثر فيها الذهب وكثرت المعاملة به بايدي احاد الناس بعد قلته بمصر
ذكر ذلك القاضي كاتب السر شهاب الدين ابن فضل الله في كتابه ممالك الامصار

ثم حضر ولده وحبس ببرج القلعة وشدد عليه وطلب المال
فظهرت الودايع التي له عند الناس فوجد له مال كثير و

وفيها ورد خبر من الولاة بالوجه القبلي انه خرجت به ريح عظيمة من نحو
بلاد السودان واصابت كثيرا من الدواب رفعتها الى العلو ورمت
بها الى الارض وهلك منها شي كثير حتى انها قلعت من غرب قمولة نخلا كثيرا
من اصوله واخربت اماكن في اخميم وسيوط وفيها امر السلطان الناصر
بحفر خليج الذكر من خط الدكة وايصاله الى الخليج الحاكمي وكان حفره على
الامرا والجيش فلما فتح كادت القاهرة ان تغرق فسدوا القنطرة التي عليه
فهدها الما فامر السلطان بحفر خليج غيره كما سنذكره في السنة التي تليها
وفي هذا يقول الاديب المعمار المشهور من وصفه في وسط دكة فرجتها الذكر
وفيها بلغ النيل ثمانية عشر ذراعا وعشرين اصبعا فغرق شي كثير من البلاد
وفيها ابطل السلطان مكوس الغلة بالشام كله وكان مبلغا كثيرا
كان يوجد من ثمن الغرارة ثلاثة دراهم ونصف فضة بتلك المعاملة
وفي سنة خمس وعشرين وسبعمائه وصلت رسل صاحب اليمن الملك المجاهد
علي بن الملك المويد المستقر بعد والده قريبا يطلب من صاحب مصر نجدة على ابن عمه
الملك الظاهر فجرد له السلطان عسكرا من بعض امرا مصر وهم اميرين من المقدمين
وعشرة من الطبلخانات وعدة من العشرات ومن الاجناد ومن المماليك السلطانية والحلقة
والمقدم عليهم الامير طينال الحاجب الاشرفي وغيره وسافروا في اوايل شهر
ربيع الاخر ودخلوا زبيد والبسوا صاحبها خلع السلطان صاحب مصر
وبذلوا في تحصيل اعدايه كل الاجتهاد واظهروا ما عندهم من الشجاعة المشهورة
عنهم في البلاد فاستقرت الاحوال وبلغ صاحب اليمن مقصده من عدوه ثم انهم
ثم عادوا سالمين غانمين وكانت مدة غيبتهم نحو نصف سنة فخلع السلطان
على الامرا خلع كوامل بكلوتات زركش وحوايص وفيها حضر نايب الشام
وعاد وكان من امرا دمشق امير اسمه قطلوبك قد باشر عمارة القناة التي
اجريت الى القدس كما ذكرناه فطلبه السلطان الناصر وقال له ولمن معه من
الصناع اريد ان اجري خليجا من بركة الحبش الى تحت القلعة بسوق الخيل
ثم يدخل منه الى القاهرة فتوجهوا الى حلوان ووزنوا مجرى الما فاخبروا
السلطان بامكان ذلك لكن تحتاج الى صرف مبلغ قريب المائة الف دينار
في طول عشر سنين فاستطال السلطان المدة ولم يستكثر المال وفتر عزمه
عن ذلك الى ان حفر الخليج الناصري الذي اجراه من فم الخور وخلطه بالحاكمي
وفيها امر السلطان بحفر خليج مستجد عوضا عن خليج الذكر المتقدم ذكره
وجعل فوهته من خليج الذكر وحفره العساكر الى ان وصلوا الى سرياقوس
وبنوا عليه سبع قناطر وانشا ناظر الجيش القاضي الفخر قنطرة عند فمه
براس الميدان وانشا قدادار الوالي قنطرة عند باب اللوق وانشا

غير بالقنطرة

غير بالقنطرة عشرة عند بركة قرموط وانشا السلطان قنطرة عند باب البحر
ثم انشا بكتمر الحاجب قنطرة في ارض الطبالة وانشا اقوش الاشرفي المعروف
بنايب الكرك قنطرة قبلي قناطر الاوز بالحسينية ثم قنطرة موردة الجبس
وفيها عمر السلطان القصر والخانقاه بسياسة من سرياقوس وفرغت في رجب
ورتب بها مايه صوفي ورتب لهم في كل شهر لكل منهم اربعين درهما فضة وفي
كل يوم ثلاثة ارطال خبز وولي شيخها مجد الدين موسى الاقصرائي الحنفي
ورسم في يوم الجلوس فيها باحضار القضاة والعلما ومشايخ الزوايا ومعهم
من الفقرا ومدوا اسماطا هايلا وخلع على شيخ خانقاه سعيد السعدا وكان
يوميذ هو الشيخ علا الدين القونوي الفقيه الشافعي شارح الحاوي المشهور
وفيها رسم السلطان بروك المملكة الحلبية فانه لم يتاخر من الممالك بلا روك سواها
فندب لذلك الامير الاستادار مغلطاي الجمالي صاحب المدرسة بدرب ملوخيا
وصحبته من الدواوين المكين قروينة فكانت مدة غيبتهم فيه ثلاثة اشهر
وفيها قبض السلطان على بيبرس الحاجب وهو صاحب غيط الحاجب خارج القاهرة
وفيها ارسل السلطان ولده احمد الناصر الى الكرك وعين معه سبعين مملوكا كتابية
ليقيموا بها حفظ الحصن وذخايرها فدام بها ثمانية عشر سنة ثم ولي السلطنة ورجع
وفيها قصد السلطان جهة البحيرة للصيد وافرج عن اربعة امرا اسكندرية
وفيها حبس السلطان ابرهيم بن عم الخليفة ببرج في القلعة بسبب امراة
مغنية تزوجها يقال لها بنت المغربية تهتك بها فالزمه بطلاقها وخلص
وفيها زادت نهر الدجلة ببغداد زيادة مفرطة حتى غرقت الاماكن
وفيها مات الامير بيبرس الدوادار المنصوري النايب وصنف تاريخا
مليحا سماه زبدة الفكرة في عشر مجلدات نقلنا عنه هنا كثيرا وكان فيه فضيلة
وانشا بالقاهرة مدرسة للحنفية بسويقة العزي ومات عن ثمانين سنة من العمر
وفي سنة ست وعشرين وسبعمائه استجد جسر بالجيزية حفره
الامرا والجند وفيها وصلت رسل ملك الحبشة وكان مضمون رسالتهم
الشفاعة في كنايس النصارى بمصر لما غلقت وصار زواجهم في ضيق عظيم وانهم
ان لم يعاملوا بالاحسان على عادتهم والا خرب المساجد التي ببلاده وانه
يسد النيل من جهته فاستخف بعقل مرسليهم وردوا اليه على غير شي
ووقع نظير ذلك في زماننا في دولة الملك الظاهر جقمق العلاي
وسنذكره في محله وفيها وصلت رسل صاحب اليمن بهدية فاكرموا واعيدوا
وفيها جهز رسول بهدية سنية الى الملك ابي سعيد صاحب مملكة العراقين وعاد
وفيها جرد عسكر اربعة مقدمين وجماعة من الاجناد الى عربان برقة بسبب
منعهم الزكاة فاوقعوا بهم ورجعوا بعد غيبتهم مدة شهر سالمين

وعمر بعد بنيان سنين وصير خزانة مال

وفيها في رابع جمادى الآخرة ولي نيابة طرابلس الأمير طينال الحاجب الأشرفي
عوضا عن نائبها قرطاي الصالحي العلائي ونقل قرطاي إلى أتابكية دمشق
وفيها وصلت رسل الأمير جوبان نائب أبي سعيد صاحب مملكة العراقين
فشملتهم الخلع وكانوا أجلبوا معهم اثنين من أقارب السلطان وصحبتهم ثلاثة
نفر من الصوفية جاؤوا على البريد يسألون مصاهرة السلطان لابن جوبان
ثم أعيدوا إلى مرسليهم وفيها ورد إلى مصر صاحب حصن كيفا الملك الصالح
صلاح الدين يوسف الأيوبي الكردي فشمله الخلع والإنعام بتشريف طرد
وحش مقصب وكلوته زركش وحياصة ذهب ونفقة ثلاثة آلاف دينار
وكتب له كتاب إلى الأمير جوبان نائب مملكة العراق بالوصية والإحسان
إليه وعاد إلى مملكته فوثب عليه أخوه شقيقه فقتله وملك الحصن بعده
وفيها أجرى الأمير جوبان المذكور الماء إلى مكة من عين بازان وصرف ثلثمائة ألف درهم
وفي ذلك يقول بعض الفضلاء . هل لي إلى مكة من عودة . فأبلغ السول وأقضي
الديون . غير عجيب جرى عين بها . وقد جرت شوقا إليها العيون .
وفيها في سادس شعبان حبس تقي الدين ابن تيمية بقلعة دمشق حسب
مرسوم السلطان ومنع من الفتوى وغيرها وسبب ذلك أنه زل وزعم أنه
يحرم زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا قبر إبراهيم الخليل وغيره
من قبور الأنبياء عليهم السلام وكذا الصالحين ودام في هذه الحبسة سنتين
حتى مات وكانت دعواه هذه آخر استنباطه فانظر خاتمة أمره ومقالة
وكان بها من بعض أصحابه وهو شمس الدين محمد أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المشهور
في هذه السنة إلى بيت المقدس فرقي كرسيا في حرم القدس الشريف ووعظ
الناس وذكر هذه المسألة في أثناء وعظه وقال من هاهنا أرجع ولا أزور
الخليل وجاء إلى نابلس وعمل مجلس وعظ وأعاد كلامه وقال لا يزار قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزار إلا مسجده فقصد أهل نابلس قتله
فحال بينهم متولي البلد وكتب أهل القدس ونابلس لدمشق بما وقع منه
فطلبه قاضي المالكية فتغيب عنه وبادر إلى الاجتماع بقاضي الحنابلة
وتاب عنده وقبل توبته وحقن دمه ولكن لم يعزره فنهض الفقهاء
بدمشق وتكلموا عنه وعن ابن تيمية وكتبوا فتوى بنص ما صدر منه هذه المسألة
وغيرها فأفتى العلماء بكفره وعرضت الفتاوى على نائب دمشق الأمير تنكز
فطالع السلطان بها فجلس السلطان بالميدان الذي تحت القلعة وعقد مجلسا
أحضر القضاة والعلماء وأعرض عليهم ما ورد من دمشق في أمر ابن تيمية فأشار
قاضي الشافعية بدر الدين ابن جماعة باعتقال ابن تيمية ومنعه من الفتوى كما ذكرنا إلى الموت
قال السبكي فيه . قضية لم ترده غير منتقصة . عند الرسول وعند الله والناس اللهم احتجز

وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة

وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة قبض السلطان على نائبه بمصر أرغون
عقب رجوعه من الحج بيوم قال السلطان للأمراء إذا أتى أرغون من باب القلة وأراد
الدخول امسكوه خذوا سيفه واقبضوه ففعلوا ذلك وجلس بالقلعة وشرع السلطان
يعدد ذنوبه وخواص الأمراء تتهدده عنه إلى أن سكن غضبه ثم لم يزالوا بينه
وبين السلطان إلى أن أحضره بين يديه وخلا به وحدثه حديثا طويلا فبكى
فأفرج عنه وتخلص أمره أن يخرج إلى نيابة حلب ولم يستنب بعده بمصر أحدا
وكان سبب مسكه أن السلطان كان أسر له لما حج بالقبض على أمير عرب الشام
مهنى بن عيسى وقت ملاقاته في الحج فإنه أيضا كان أراد الحج فيها وذلك لعصيانه
على السلطان وعدم حضوره إليه ففرط أرغون وأسر إلى بعض مماليكه
ما أسر السلطان إليه وهم كتبوا إلى أمير العرب يعرفونه بذلك فبطل الحج
أمير العرب في تلك السنة فنسب السلطان هذا لأرغون المذكور ففعل به
ما فعل وانضم إلى ذلك أيضا أن القاضي فخر الدين ناظر الجيش كان يكثر الحط على
الأمراء خصوصا نواب مصر حتى أنه صرح بالحط على أرغون المذكور عند السلطان
فقال يا خوند ما رأينا سلطانا يدخل عليه الدخيل إلا من جهة نائبه بمصر
فشرع يحدث بما اتفق للملوك الأول كما جرى للأشرف خليل من نائبه الأمير بيدرا
وبما جرى للعادل كتبغا من نائبه لاجين وبما جرى للمنصور لاجين بسبب
نائبه منكوتمر وبما جرى للمظفر بيبرس الجاشنكير من نائبه سلار وآخر ما
قال يا خوند ملكك ما يحتاج إلى نائب فإن زمام الأشياء كلها بيدك وأنت
فيك الكفاية فأصغى السلطان لهذا الكلام وأبطل النيابة بمصر إلى أن مات
ومما يحقق أن بعض مماليك أرغون هم الذين نموا كما ذكرنا ثم عرفهم مع البحر
طلبت أحضار نائب الشام تنكز على البريد وأن يسرع في المجيء وكان بلغه خبر
ما جرى لأرغون فخشي على نفسه خشية عظيمة من كون أرغون كان من
خواص السلطان وله عنده منزلة عظيمة وفعل به ذلك وأبعده فلما وصل
نائب الشام المذكور لمصر واجتمع بالسلطان أزال ما في نفسه من هذا الخوف
وأكرمه وأحسن إليه وعرفه بذنوب أرغون المذكور وقبض أيضا على الأمير
طشتمر حمص أخضر وعلى قطلوبغا الفخري ثم أطلقهما في يومهما بشفاعة
نائب الشام وكان سبب مسكهما أنه وجد في حرمدان ورقة فيها أن المذكورين
اتفقا على قتل السلطان فقلق من ذلك قلقا عظيما فطلب نائب الشام
وأوقفه على ذلك ثم جرى ما ذكرناه وكان طشتمر وقطلوبغا المذكورين
أخوين وهما في الخير على غاية حتى كانت العامة تلقب طشتمر بحمص أخضر
وقطلوبغا بفول مقشر ثم قبض على أصلم القفيجاقي أحد مقدمي الألوف وعلى
جماعة من المماليك لكونه عرض من إسطبل بركستوانات الخيل ملبسة بمشيها قدامه

وفيها ورد اخو صاحب المدينة النبوية وذكر ان عمه استعفاه في بعض الاماكن خارجها وهجم المدينة في غيبته واحرق الابواب وقتل جماعة واستولى على حواصل الامير واموالة ثم حضر امير المدينة لمصر فكتب امر عمه المذكور فجرد السلطان معه عسكرا فهرب عز عمه واقام العسكر بها ثلاثة ايام وعادوا وفيها يوم عيد الاضحى جا على بلبيس سيل عظيم وقاسوا شدة وفيها كان اخو ملك الططر مقيما بمصر كان وفد اليها عند فتكر طلبهم له وشفع فيه الامير جوبان ثانيا فاعاده السلطان اليهم وفيها زوج السلطان احدى بناته فكان جملة ما ذبح في فرحها من الغنم خمسة الاف راس ومن البقر مائة ومن الخيل خمسون واما الطيور فلا تحصى ومن السكر احد عشر الف قمع وفيها وصل رسل صاحب اصطنبول وكان من جملتهم واحد اسلم ففرح السلطان باسلامه وامره بمصر عشرة وفيها وصلت ايضا رسل الباب ملك الفرنج وخليفتهم ومعهم هدايا كثيرة ومضمون رسالتهم الوصية بالنصارى وكان لم يصل الى مصر من جهة هذا الملك رسل من ايام الملك الصالح ايوب الكردي الى هذا التاريخ اكثر من ثمانين سنة وفيها وصلت رسل الملك ابي سعيد صاحب مملكة العراقين فقوبلوا بما ينبغي ووصل معهم شخص من اقارب صاحب مصر وكان سبب مجيئهم خطبة بنت السلطان للامير بن جوبان فاشترط السلطان حضورها اليه ثم عادوا الى مدينتهم وفيها في رجب وقعت بالاسكندرية فتنة كبيرة بسبب سكران وقع بينه وبين بعض الفرنج من التجار فال امرهم الى ان حمل اهل البلد وحصل حمل السلاح من الطايفتين ووقع الصياح في البلد فركب الوالي وراى ان الامر قد تزايد على الفرنج وانه ان تهاون قتلوا الجميع فحمل بالجند المستخدمة بالاسكندرية لاجل دفعهم عنهم فلم يقدروا على ذلك بل قويت العامة على الوالي والجند وكان في بنا حراسكندرية بعض الامرا فاسرع اليهم وفرق بين الطايفتين فصارت العامة يصيحون لا دين الا دين الاسلام وامحمداه واسلاماه وحرب الدنيا بينهم ثم سكن الحال فكتب الوالي بطاقة الى السلطان واخبره ان لم يدرك السلطان هذا الامر والا يعظم الامر وتخرج المامر المسجونين فامر السلطان الامير الوزير واميرين من المقدمين وناظر الخاص بان يسفكوا من اهل اسكندرية دما كثيرا من الذين يعينهم الوالي منهم وتتبع المفسدين منهم وامرهم بامور شنيعة يفعلوها فيهم ومصادرة اهلها وقاضيها فقطع ايدي جماعة كثيرة وارجلهم وقتل جماعة وصودروا على خمسين الف دينار ووقع فيهم مصيبة لم يسمع بمثلها ثم بلغت مصادرتهم ثلثمائة الف دينار من جميعهم وجمع السلاح الذي من قاعات اسكندرية للغزاة وهو ستة الاف قطعة من حاصل وختم

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

١٢٩

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

وفد الى مصر حاكم بلاد الروم الامير دمرداش بن الامير جوبان بن تلك بن تداون وهو نايب الملك ابي سعيد عليها لان اباه جوبان كان قوي امره واحتوى على مملكة العراقين لصغر ملكها ابي سعيد بن خربندا ملك الططر ولكونه مشغوفا باللهو والطرب والشراب وسماع الملاهي وهو منعكف على ذلك ولم يعبا بامر المملكة ولا النظر في مصالحها فتحكم فيها جوبان المذكور وصار امرها بيده واستناب اولاده في ممالكها من بلاد العجم وبلاد الروم وبقي دمرداش المذكور حاكم الروم وليس لابي سعيد حكم لا بها ولا بغيرها واتفق في تلك الايام تحرك العدو عليهم من جهة خراسان وهم اولاد كبك من بلاد طقطاي واتفق راي الملك ابي سعيد وامرايه ان يتوجه لمحاربتهم الامير جوبان فجمع لهم عسكرا كثيفا وتوافع معهم بخراسان وكان بعض اولاده في غيبته هذه بلغ الملك ابو سعيد عنه انه يريد الوثوب عليه وقتله فوقع بينهما حروب اخرها ان الملك قتله بالسلطانية فلما بلغ هذا الخبر لوالده جوبان عصي ورجع بعسكره لمحاربة الملك فالتقيا فخامر عليه اكثر عسكره واطاعوا الملك فهرب جوبان راجعا الى خراسان فغدر به نايب هراة وقتله وولده وسيرهما الى الملك ابي سعيد فقوي ملكه فلما بلغ حاكم الروم وهو دمرداش بن جوبان المذكور قتل ابيه واخوته خشي على نفسه وفارق مملكة الروم واستاذن صاحب مصر في العبور الى مملكته لاجل جنايته فاذن له السلطان ورسم لنواب البلاد السامية بالتقاه واكرامه فحصن اهله واولاده وعياله وامواله وذخايره ببعض قلاع الروم وهرب مجردا بنفسه ودخل الديار المصرية فاكرمه السلطان واعطاه الاموال والخيول له ولجماعته ورتب لهم في كل يوم قريبا اربعة قناطير من اللحم ثم وصل ابن عمه فاحسن اليه السلطان ايضا ثم وصل اثقال دمرداش وتقدمته وكان مجموع جماعته قريب الف نفر فانزلوا بدار الضيافة وغيرها وفرقوا على الامرا وقدم تقدمته للسلطان مائة فرس ومائة جمل بخاتي وخمس مملوك وخمس بقج من فاخر الثياب وبقجة مفردة فيها قبا اطلس مرصع بانواع الفصوص المثمنة منها حجر ياقوت مثمن واعتذر للسلطان عن قلة التقدمة بانه انما احضر معه ما خف حمله فلم يقبل السلطان من تقدمته غير القبا وفرس واحد وقطار من الجمال ورد عليه الباقي بالحسنى وفي اثنا ذلك وصل رسل الملك ابي سعيد بسبب نايبه دمرداش المذكور فارسل صاحب مصر اليه يستشفعه في دمرداش ويستوهبه منه وان يطلق له عياله من بلاد الروم واستمر دمرداش بمصر وسال من السلطان ان يرسل الى الامير ابن قرمان صاحب مملكة قرمان المشهور بان ينزل على القلعة التي فيها اولاده ويرسلهم مكرمين ويخفرهم الى ان يخرجوا من بلاد الروم ولما وصل القاصد الى

ابن قرمان وتمادى في غاية الفرح لرواح دمرداش من جوار بلاده لانه كان في ضيق منه
فركب ابن قرمان الى القلعه التي فيها اولاد دمرداش وعرفهم ان صاحب مصر
آذن لا بيهم في وصولهم اليه فلم ترض اولاده بالنزول من القلعه وذكروا ان بينهم
وبين ابيهم امارة لم تصل اليهم منه وقالوا نحن مقيمون في هذه القلعه ولا حاجة
لنا بمصر ولئن اختار ابونا مصر فنحن لا نختاره وما نختار غير هذه البلاد
فوقف ابن قرمان تحتهم واستبطاهم وعرف انهم لا ينزلون اليه وليس
له وصول الى القلعة خصوصا في تلك الايام كانت فيها امطار وثلوج وبرد
فعرف ابن قرمان صاحب مصر بذلك وذكر له ايضا ان دمرداش المذكور
لم يكن قد كتب لاولاده في الظاهر بمثل ما كتب السلطان ولكن في الباطن بينهم
امر آخر وحط على دمرداش في كتابه وعرف السلطان بانه سفاك للدما
وله جسارة على ذلك وانه قد سفك من الدما ما لا يقع عليه الحصر وانه
ما دخل مصر الا بقصد الافساد فيها وستجلب قلوب اهلها وله طمع في ملك
مصر وذكر اشيا مما تنكد الخاطر وترجف القلوب فلما وصل الى السلطان كتاب
ابن قرمان بشرح حال دمرداش تخيل السلطان من دمرداش وظهر له منه
خبث نيته فقبض عليه واعتقله بجماعته بابراج القلعه ثم جاد رسل من
عند الملك ابي سعيد صاحب العراقين في طلب دمرداش المذكور من السلطان
وان لم يرسله اليه ارسل اليه عوضه قراسنقر المنصوري الذي كان نايب حلب
وهرب الى العجم كما ذكرنا فمال السلطان للملك وجمع الرسل المذكورين بدمرداش
في مجلسه وتحدثوا معه ثم رجع السلطان عن ارساله فاخرج دمرداش من البرج
من باب سر القلعة من جهة القرافه وهو مقيد وقد جمعت يداه الى عنقه
واحضر رسل الملك ابي سعيد فشاهدوه على تلك الحال ثم خنق وشاهدوا
بعد موته وقطع راسه وارسل الى الملك ابي سعيد وجهز رسله اليه مكرمين
على العادة واتفق ايضا في تلك المدة موت قراسنقر المذكور عندهم بمدينة مراغة
ولما قتل الملك ابو سعيد نايبه جوبان كما ذكرنا استناب بعده ابن عمته
الشيخ حسن بن الحسن بن ابقا بن هلاكو بن ابغا وهو الذي انتقل ملك العراق
اليه وللذريته ببغداد بعد موت ابن خاله ابي سعيد المذكور فانه اخر بيت
ذرية جنكزخان ملوك الططر كما سنذكر ذلك كله مفصلا في مواضعه مرتبا
وكان الشيخ حسن المذكور متزوجا بابنة جوبان المذكور وهي التي يقال لها بغداد
خاتون وكان الملك ابو سعيد يحبها من قبل ذلك فلما قتل اهلها كما ذكرنا امر
لزوجها بطلاقها وتزوجها منه وحظيت عنده وشغف بها الى الغاية
وكانت تركب في موكب حفل من الخواتين وتشد في وسطها السيف ثم قتلت بعد زوجها
وفي هذه السنة كانت ولادة الطاغية الملك تمرلنك الخارجي المشهور كذا اخبر هو حين ملك البلاد الشامية

وفيها قدم نايب الرام

وفيها قدم نايب الرام الامير تنكز على السلطان فاكرمه ورجع فعمر القدس واجرى
اليه عين الما واصرف عليه مالا كثيرا وسعوا مصنعة نحو مايه ذراع وعمل مجاري من
الجبل منقوبه الى ذلك المصنع واقام الصناع فيه شهرا كاملا وبنى عليه حماما وغير ذلك
وفيها اجرى السلطان ما عين بغرب مكة تعرف بعين بعيه وكان جريانها اقوى
من العين التي فتحها الامير جوبان كما ذكرناه فحصل بذلك نفع عظيم لاهل مكة وغيرهم
وفيها جا سيل عظيم بمدينة عجلون فغرق جملة اماكن ودورا وطواحين الما
وحوانيت واوقافا وقناطر وغير ذلك فكان جملة ذلك يزيد قيمته على ثلاثمائة
الف دينار وكان ذلك في يوم واحد وكان عرض السيل قدر رمية حجر واما
ارتفاعه على الارض قدر قامتين او اكثر وفيها رسم بمنع تقي الدين ابن تيمية
وهو محبوس من التصنيف والكتابة والفتوى بسبب ما قدمناه مفصلا
فاخذ ما عنده من الكتب والورق وتصنيفه وكان ورقه خمس عشرة ربطة
واودع ذلك عند نايب القلعه اياما ثم ارسل ذلك الى قاضي الشافعية بالشام
وهو يومئذ الشيخ علا الدين القونوي شارح الحاوي فجعل الكتب الموقوفة
في خزانه كتب المدرسة العادليه واما بقية كراريسه وتصنيفه فتفرقوها
القضاة والفقها بينهم لينظروا ما دس فيها وكان سبب ذلك انه وجد له
جواب عن ما رده عليه قاضي المالكية فعلم السلطان بذلك فاستشار
العلما فيه فاشاروا بذلك وكان ذلك قرب موته بنحو نصف سنة فمات
عقيب ذلك في اواخر ذي القعده وقد ذكرنا وقايعه مفرقة في مدة ثلاثين سنة مفصلا
فاستراح واراح وفيها مات الامير سنقر السعدي وهو صاحب المدرسة السعدية
بجوار حدرة البقر وكان وقع بينه وبين الامير قوصون فاخرج الى طرابلس حتى مات
وفيها مات الامير بكتمر الحسامي الحاجب المشهور صاحب المدرسة الحاجبية
تجاه باب النصر ودفن بها وكانت موته فجاة في العشرين من ربيع الاخر وكان اميرا
حازما شديد الراي كثير الاموال والاملاك والاوقاف بمصر والشام
تنقل في الوظايف الجليلة نيابة صفد والوزارة والاستادارية والمشورة
والحجوبية الكبرى ونحو ذلك وتزوج بنت الامير اقوش الاشرفي المعروف
بنايب الكرك صاحب الجامع المنسوب اليه بطرف الحسينية من الغيط
واولدها اولادا منهم ابنه عبد الله وكان اقوش ايضا من المشهورين بسعة
الاموال فاجتمع لذريتهما السعادة من الابوين وعاش من اولاد الحاجب هذا
جماعة منهم ابنه محمد فمات بمصر عشرة وهو في سن البلوغ تجاه جده اقوش
وابنه الاخر عبد الله عاش بعد ابيه ستين سنة وصار مقدم الف واعقب
ابنه محمدا وصار مقدم الف ايضا واعقب بلاده بنين علي وعمر وعبد الرحيم وجماعة اخر
وذرية الحاجب موجودة بعد تمة مايه وخمسين سنة وبقي من الذكور واحد
وكان بكتمر مع الملك الامير الحسام طرنطاي النايب صاحب المدرسة التي بظهر المدرسة الابوبكرية

وانه النويري وفاته في شوال السنة التي تليها

وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة رسم بهدم الجب الذي يعتقل به
الامرا بالقلعة فهدم وردم بما هدم في الايوان الكبير المجاور للخزانه الكبرى
وفيها عادت قصاد السلطان من عند الملك ابي سعيد كما ذكرنا في السنه قبلها
واخبروا انهم لما جازوا على ماردين في رواحهم لم يخرج لملتقاهم احد منهم ولا
التقتوا اليهم خلاف ما كانت عادتهم من الاستقبال والاكرام اذا اجاز عليهم
قبل ذلك رسل السلطان بل صرحوا بشتمهم وقالوا يا خاينين لمن يلهم تريدوا
به دمرداش الذي قتله صاحب مصر على ما ذكرنا قبل وكذلك فعلوا اهل تبريز
ولن الملك ابا سعيد لما راى راس دمرداش بهت لذلك وقال بعض امرايه
لرسل صاحب مصر هذا الذي فعلتموه هو فعل المسلمين واما الملك ابو سعيد
فما قد يظهر قتله خشية من تغير خاطر زوجته بغداد خاتون اخت المذكور
كما ذكرناه لانها في حزن اهلها المقتولين فكتم قتل اخيها عنها واسرع في تسفير هولا
رسل صاحب مصر وارسل صحبتهم رسله بهدية فيها فهدان وتقادم فقبلت
وعوملوا اسوة امثالهم ولرسل بطلب المصاهرة فاعتذر السلطان بصغر
سن بنته ووعدهم بها بعد ثلاث سنين وطلب من جملة جهيزها ديار بكر ايضا
وكان صحبة هذه الرسل مبلغ عشرة الاف دينار برسم عمل سماط للنسا
فقبل السلطان ذلك وعمل مهما وسماطا للامرا واكرم الرسل واعادهم اليه
وفيها قدم الاميران نايب حلب الطنبغا والدوادار ونايب طرابلس
طينال الحاجب فاحسن اليهما السلطان واعادهما وفيها رسم بتوفير الوزارة
فبطلت وفيها قعد السلطان بالميدان الذي تحت القلعه واعرض كتاب
الامرا ورسم على جماعة منهم وصادرهم بماية الف دينار بسبب بواقي الملك
في البلاد ورسم بقطع معاليم المشدين على الجهات باسرهم واحضر مشايخ
البلاد وسجل عليهم بنفسه وهذا لم يشاهد مثله قبله وفيها رسم لنايب
الشام الامير تنكز بكشف اوقاف الجوامع والمدارس والخوانق بها ولن يباشر
ذلك بنفسه فكشفها كما ينبغي ووجد بعض بيوت المدارس والخوانق ايضا
مغلقه باقفال الحديد فسال عن ذلك فقالوا هذا حاصل فلان وفلان
لهم فيها حواصل فطلب عن كل من اشغل بيتا بغير سكنه الشرعي اجرة مدة
اشغاله البيت بعدل قوم اجر مثله فاجتمع من ذلك شي كثير فصرف
الى عماره الاوقاف وفيها رسم للحاجب بمنع بيع المماليك للكتاب المباشرين
ولمن وجد عنده منهم تخير به السلطان فامتنعت ساير الكتاب من ذلك وباع كل من
كان عنده منهم شي وسبب ذلك ان كاتب السر حصل له فالج فكرهه السلطان وقال هولا
الكتاب تكثر امراضهم بالفالج لكونهم يسعدون فيشترون المماليك والجوار ويكثرون من
الجماع فيحصل لهم الفالج وفيها مات الامير حسين بن جندر الرومي صاحب القنطرة والجامع

وفي سنة ثلاثين وسبعمائة

وفي سنة ثلاث وثلثين وسبعمائة ورد على السلطان شخص من اهل الكرك
اسمه يوسف من مسالمة النصارى يدعي معرفة صنعة الكيميا وهو باطل
واصل قصته انه كان اشتهر حبس بالكرك وتخيل على بعض امرايها واخذ منه جملة
من المال فحبسه وانهى امره لنايب الشام فهم بقتله فتخيل وقال ارسلني الى السلطان
لاملا له القلعة ذهبا وفضة فارسله الى السلطان وادعى عمل الكيميا كما ذكرنا
فتسلمه بعض الامرا فتخيل ودك شيا من الفضة والقى عليها الزيبق فصعد
الزيبق وبقي ما كان قد ركن من الفضة فلم يشك السلطان في صدقه واكرمه
فطلب الفضة المصفاة وذهبا خالصا وزيبقا فجمع له الزيبق من ساير
الجهات وعمل سبيكه اخرج منها الف دينار وادعى انها من صنعته فاكرمه ايضا
بشي كثير وبقي يعد ويمني ثم اعتذر بان في الكرك حشايش يعرفها توافق هذه
الصنعة فاخرج في الترسيم على البريد ليحضر ما زعمه وعاد فعلم السلطان كذبه
فشدد عليه فتخيل وهرب فخرج السلطان عليه وشدد في طلبه وبطق الولاة
فظفروا به بمدينة اخميم من الصعيد واحضر الى السلطان فضربه ضربا شديدا
وحبسه بخزانة شمايل فمات بعد ايام شهر وطيف به في الشوارع على العامه
وقد وقع نظير هذه الحكاية في زماننا في ايام الملك الظاهر جقمق كما سنذكره
وفيها خرج السلطان متصيدا الى ارض القليوبيه وهو يرمي الطير عشية
فتقنطر به فرسه الى الارض ولاقي يده اليسرى فانكسرت وبقي ملقى
على الارض حتى خيف عليه من الموت فافاق بعد ساعة من غشيته فحملوه
حتى اركبوه واحضروا المجبرين وكان فيهم شيخ كبير يعرف بابي سنة
عنده جراة وجسارة فقال للسلطان تريد البرء سريعا اسمع مني لا تخلي
احدا يجبرك غيري والا فسدت يدك مثلما سلمت رجلك لفلان فافسدها
وانا ما اخلي شهرا يمضي حتى تركب وتلعب بالاكرة بيدك فلم يرد عليه
السلطان جوابا ولم ينظر الى اساءة ادبه بل طاوعه وسلم اليه يده
فبقي الناس في امر منزعج من اجله واقام في علاجه نحو الاربعين يوما حتى
عوفي فعملت الافراح له وسيرت التهاني وبالغوا في الزينة حتى انهتكت
النسا على ذلك حتى ان الست حدق المعروفة بمسكه صاحبة الجامع
استاذنت السلطان في النزول الى المدينه مع بعض الخدام والجوار للتفرج
على الزينه فتفرجت واعطى الف دينار للمجبر وعمل وليمة وخلع على الامرا
وحصل للمبشر ماية الف دينار وفيها احدث اكبر الامرا اقوش
الاشرفي المعروف بنايب الكرك بالمدرسه الصالحيه بين القصرين منبرا
لتقام فيها الجمعه وفيها اخرجت اصحاب العاهات من المجذومين والبرصا
من القاهرة ومصر الى ناحية الفيوم وفي دمشق لهم حارة منفردين بها

وفيها وفد الى مصر صاحب مملكة فاس بالمغرب السلطان ابو ديوس
عثمان براد زبن المغربي بسبب انه تغلبت عليه جماعة وانتزعت مملكته
فلما اجتمع بصاحب مصر اعطاه اقطاعا من الحلقة وبقي يطلع الى خدمة السلطان
ويجلس مع الامرا في الايوان بحضرة السلطان وهو على زي المغاربة متقلدا
بالسيف فدام بالقاهرة ساكنا عند جامع طولون الى ان مات بعد سنتين
وفيها في رجب وصلت رسل ملك الفرنج ريدا فرنس بسبب طلب بلاد
الساحل وبيت المقدس وكان عدتهم مايه وعشرين افرنجيا فانكر
السلطان عليهم وعلى مرسلهم ثم احضرهم ثانيا ورسم بعودتهم خايبين
وفيها احترقت كنيسة النصارى الملكية بمصر حريقا عظيما وصارت
اعمدتها الرخام جيرا وكان بجوارها مسجد ان لم يلحقهما من النار شي
ثم رسم باعادتها فعادت وفيها انشا بالقاهرة سبعة جوامع
ومدارس وهي جامع بشتاك وجامع الماس وجامع قوصون
والمدرسة الاقبغاوية والمدرسة الجاولية العتيقة وجامع التوبة بباب البرقية
والمدرسة البدرية وفيها في اخر ايام التشريق وقعت بمكة فتنة عجيبة
وسبب ذلك ان الحجاج لما قضوا امنا سكهم وخرج منهم بعضهم عايدا وكان في
هذه السنة حج من مصر سبعة امرا كبار فتاخر امير الحاج وغيره ليصلوا الجمعة
بمكة فلما كان الخطيب على المنبر تعبث بعض عبيد الاشراف ببعض حجاج
ركب العراق وتخطفوا شيا من اموالهم وصاحب مكة الشريف عطيفة
بن ابي نمي كان جالسا الى جانب امير الحج فاستصرخ الناس باحد الامرا المتاخرين
فنهض وخرج لمنعهم وتقدم ولده وضرب بعض العبيد فضربه العبد بحربة
فمات فاحتد ابوه وبادر لطلب ثار ولده فقتل ايضا بحربة وقتل معه
ايضا احد اولاد الامرا فاختلف الناس فيمن قتله قيل ابن عطيفة
وقيل صهر اخيه رميثة وهو الاصح فوصل الخبر مع المبشرين في اول الاتية
فجرد السلطان عسكرا لمكة وسنذكره في محله وكان في هذه السنة وصل
صحبة حاج العراق فيل من جهة الملك ابي سعيد ملك العراقين فتطاير
اهل مكة به وقالوا هذا عام الفيل فوقع ما وقع فلما رجعوا به
وقربوا من المدينة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام قرب الحليفة
وقف الفيل وتقهقر وكلما ارادوه على التقدم تاخر فضربوه فلم يتقدم بل
يرجع الى ورايه الى ان سقط على الارض ميتا وكان في اواخر هذه السنة وقيل انه
انصرف عليه من حين خروجه من العراق الى ان مات الفين دينار ولم يعلم مقصد
الملك ابي سعيد في ارساله ذلك وسنذكر اثر هذه الفتنة وما جرى فيها قريبا
وفيها قدم رسل صاحب اليمن الملك المجاهد بالهدايا والتحف وفيها فيلان وعادوا

وفي سنه احدى وثلاثين وسبعمايه

وفي سنه احدى وثلاثين وسبعمايه دخل هذا العشر والسلطان على حاله
هو الملك الناصر محمد بن قلاوون ونايبه بدمشق على حاله هو الامير تنكز الناصري
ونايبه بحلب كان ارغون الدوادار ولكنه مات واعيد اليها الطنبغا الحاجب
الصالحي ونايبه بطرابلس هو الامير طينال الحاجب الاشرفي وصاحب
البلاد الشرقية هو ابو سعيد بن خربندا كما ذكرنا وفيها في وسط شهر صفر
جرد السلطان عسكرا الى مكة المشرفة وهم سبعة امرا مقدمين وطبلخانات
ومقدمي الحلقة ومن مماليك السلطان واجناد الامرا جميعهم ستمايه فارس
بسبب ما وقع من الفتن مما حكيناه في اخر التي قبلها بسبب امير بها الشريفين
الاخوين عطيفة ورميثة وكان رميثة قوي على اخيه عطيفة واخرجه
من مكة وفسد اهل مكة وشق العصي ولم يحضر لملاقاة ركب الحجاج ولا لبس
الخلعة السلطانية ولا قابل امير الحاج فامر السلطان المقدم على هذا العسكر
بان لا يترك احدا من الاشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكنون بمكة
وتحرق نخيلها واشيا قبيحة واراد القضاة ترجيعه فاغلظ في الرد عليهم
فلما وصل العسكر الى مكة المشرفة جاءهم الخبر ان الشريف رميثة قد جمع جمعا كبيرا
من العرب ويريد قتال العسكر ويضرب معهم مصافا فارسل اليه مقدم العسكر
يعرفه ان معه كتاب السلطان وامانه اليه والتقليد بامر مكة فان كنت ممن
تحت طاعة السلطان فاحضر الينا بامان السلطان وادخل تحت طاعته وتقلد
الامرة بحضورنا وان كنت ممن تخالف مرسوم السلطان وتخرج عن طاعته فعرفنا
بذلك حتى ناتي اليك ونلقاك ويكون دما من يقتل من الفريقين في ذمتك
وتوقع بذلك من الحروب ما لا طاقة لك به فلما وقف الشريف رميثة على هذه الرساله
اذعن الى الطاعة واشترط ان يحلف له جميع امرا العسكر بعدم غدره فحلفوا له
فوثق بهم وحضر طايعا فتلقوه بالقبول والبسوه التشريف وتقليد الامرة
فقدم لهم تقدمة امتنعوا من قبولها وكتب الى السلطان يستعطفه ويترفق اليه
وعاد العسكر الى مصر سالمين وكانت غيبتهم هذه نحو اربعة اشهر فقط
وفيها احضر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولده الملك الناصر احمد من الكرك
لاجل ختانه وقد ذكرنا انه كان ارسله اليها بخزانة مال وعدة حرب ورجال
وختنه ثم اعاده الى الكرك وكان هذا من جارية مغنية عودية تعرف ببياض
كانت عتيقة بعض الامرا وكانت مغنية جيدة ولها اجتماعات بالناس
فبلغ الناصر امرها فاستقدمها عنده وحظيت عنده وولدت منه هذا الولد
الملك احمد وكان الناصر مشغوفا بالمولدات وخصوصا باهل الطرب والملاهي
وسنذكر تتمة قصة احمد هذا في محلها لما تولى السلطنة بعد ابيه وحوصر بالكرك حتى قتل
وفيها ابطل السلطان جميع نواب القضاة وكانوا اتعدوا عشرين نايبا فكيف حال زماننا الان

وفيها خرج السلطان الى الصيد طريق ووادار البلاد من سرياقوس والمنوفية
والبحيرة وطنان والجيزية والحمامات والبهنساوية وكشفها ورجع
وفيها ركب السلطان الى الميدان عند الفراغ من عمارته في اواخر هذه السنة
وكان رسم بهدمه وبيع اخشابه بمبلغ مائة الف الف درهم وفيها وصل رسل
الملك ابي سعيد صاحب العراقين ثم رسل ملك الهند ايضا فاكرموا ورجعوا
وفيها قدم نائب الشام تنكز ونائب صفد الحاج ارقطاي فاكرما ورجعا
وفيها في اول شعبان هبت بدمشق ريح عاصف من عجيج قلع الاشجار
باصولها واتلف اماكن كثيرة وفيها وصل نهر الساجور الى حلب
واصله من بلد عينتاب وسلط على نهر قويق فكثر ماؤه وكانت مدة عمله
نصف سنة واصرف فيه جملة مال وخرج نايب حلب والامرا الى لقايه
مشاة وشعارهم التكبير والتهليل والتمجيد ومنع خروج احد من المغنيين
وكان سوق هذا النهر من الجبال والاودية والسهل والنقب ونحو ذلك
وكان ذلك باشارة نايب حلب ارغون الدوادار بمرض عقيبه ومات كما ذكرنا
وذكر القاضي بدر الدين محمود العيني في تاريخه لرحلة القاضي شرف الدين موسى
كان كاتب عمل عمارته ورفع حسابه واستمر جريان هذا النهر الى الان
وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة زوج السلطان احد بنيه فكان مهما
لم يسمع بمثله ذبح فيه من الخيل والبقر والغنم والاوز والدجاج اكثر من عشرين الف
راس ومن السكر عشرين الف قنطار ومائة نافجة مسك والف مثقال عنبر
خام وللمغاني عشرة الاف دينار وبلغ ما به تفصيله ثمنه وشمع موكبي مائة
شمعة وحمل فيه اربعة الاف شمعة واما شوار الزوجة فكانت قيمته الف
الف دينار وبعد هذا اقتناهم المقتدر الفها وبالغوا في عمل هذا المهم
حتى حضر لاجله نايب الشام تنكز وجاب معه من مغاني الشام وكل
الامرا احضروا ساير الملاهي وكان عمل هذا المهم جمعة في دور السلطان
وبقي نسا كل الامرا يرقصن فيه بامر السلطان ودخل في وسط الفرج
تفرج وحصل لكل جوقة من المغاني الف وخمسماية دينار غير النقوط
والشقق الحرير والخلع وحصل لواحدة من المغاني التي اتى بها نايب الشام
اكثر من غيرها وكانت زنة الشموعات الف قنطار واشيا لا تنحصر عدها
ولما فرغ ذكر الامرا للسلطان ان عادة الملوك المتقدمين ان يسلطنوا اصلح بنيهم
في حياتهم فسلطنه على العادة ثم رجع السلطان عن ذلك وابطله وسببه
ان السلطان كان قصيرا او صاحب فكر عميق ويحسب حسابات بعيدة
فتوهم حصول امر يكرهه وفساد حال من بنيه او اولاده ثم انه غضب عليه
بسبب محبته لمغنية وسل السيف عليه ليضربه فحمته امه منه فحصلت له
رجفة ضعف منها ومات بعد سنة من هذا المهم المذكور وكان اسمه الملك انوك

وفيها حج السلطان

وفيها حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون حجة ثالثة وجهز جهازا لم ير مثله
وقدم له ساير النواب من الهجن باكوارها المذهبة وسلاسلها الفضة وغيرها المزركشة
واستخلف في القلعة اميرين الحاجب للحكومات وامير اخور لحفظ القلعة
وامر لبقية الامرا المقيمين ان يذهب كل منهم الى اقطاعه ويقيم به لحفظ الطرق
واستصحب معه خواصه ومن المقدمين والطبلخانات نحو سبعين اميرا
وسافر في خدمته امير عرب الشام مهنى بن عيسى بعد حضوره اليه طايعا
وكذلك صاحب حماه الملك الافضل محمد بن الملك المويد اسمعيل المتولي عقبها بعد ابيه
وكان خروج السلطان من مصر مع وقت سفر الحجاج فحج ورجع سالما كما سنذكره
وفيها وصل هدية الملك ابي سعيد صاحب العراقين وهي جمال بخاتي ونياق
ثلاث قطر وخيل عشرة ومماليك عشرة وطير مذهب واربعة دبابيس
وفيها جا على حمص سيل عظيم فملا خندقها وطغى على مساكنها ودخل الى
بابها الشمالي فدخل الحمام وغرق نحو مائتي نفس وفيها مات الامير مغلطاي
خرز الجمالي صاحب المدرسة الجمالية العتيقة بخط درب ملوخية عند بيته
وفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة في الثاني عشر قدم السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاون من الحج بعد ان جدد باب الكعبة وصفحه بالفضة
زنة اربعين الف درهم وفضة صفائح بابها القديم كان زنتها ستين رطلا
اخذتها بنو شيبة وتصدق السلطان على الحجاز ومن بكثير وعملت له التهاني ثلاثة
ايام واتفق للسلطان في هذه السفرة امر عجيب وهو انه في العقبة داخلا
بلغه ان اميرين وهما الماس الحاجب صاحب الجامع قرب حدرة البقر
وبكتمر الساقي صاحب الخانقاه في اخر القرافة انهما قد اتفقا مع مماليك السلطان
على قتل السلطان فحصل له منهما وهم عظيم وقلق فقصد الرجوع الى مصر
فاستشار خواص امرايه فقالوا هذا ما يصلح للملوك ورجوع السلطان
ليس يهين على الناس ويشوش قلوبهم ويبلغ ملوك النواحي فتنتشر فيه
اخبار مختلفة وما زالوا به حتى رجع عن هذا العزم واستمر سايرا لكنه
اخذ في الاحتراس على نفسه فبقي ينتقل في الليل من موضع الى موضع اخر
مختفيا فلما وصل الى الينبع تلقاه الاشراف صاحب مكة وصاحب المدينة
فلما قضى السلطان حجته ورجع تخيل وسقى بكتمر الساقي المذكور سما فقتله
بعيون القصب ومسك الماس الحاجب المذكور ايضا وخنقه فمات
وفيها اعيد الامير شهاب الدين قرطاي الجوكندار الصالحي الى نيابة طرابلس
منتقلا اليها من دمشق وذلك عوضا عن نايبها الامير طينال الحاجب الاشرفي
بحكم انتقاله الى نيابة غزة فلم يطل قرطاي بطرابلس غير قريب ومات كما سنذكره
وولي معه ايضا قضا طرابلس محي الدين بن جهبل الشافعي ومات ناظر جيشها القاضي شهاب الدين
النويري صاحب التاريخ الكبير المشهور في نحو خمسة عشر مجلدا وهو بكري

وفيها حضر رسل الملك ابي سعيد صاحب العراقين بهدية وهي عشر مماليك
وستة روس خيل وقطار بخاتي وثلاثة فهودة وتفاصيل حرير مختلفه
وصندوق فيه قماش وطوماز واقاموا بالقاهرة قريب شهر فالزموا ورجعوا
وفيها شرع النشو ناظر الخاص في فتح ابواب الظلم والمصادرات للمسلمين
وكان هذا نصرانيا فاستسلمه السلطان من نحو سنتين في نقل في الوظايف
وفيها وقع بالقاهرة امر ظريف في قضية قاعة البيسري بين القصرين
واصل قضية هذه القاعة البيسرية انها عمرت في اول الدولة الظاهرية
في اول سنة ستين وستماية بناها الامير بيبسري الصالحي وابدع في حسنها
بما لم يسبق لمثلها دار لا في مصر ولا في القاهرة من اتقان بنايها واحكامها وبما فيها
من الرخام العجيب والسقوف المذهبة تبرق كانها تتقطع بهيئة تدهش الناظر
وسعة دايرتها نحو فدانين بالقصبة في مثل خط بين القصرين وبها اسطبل
هايل وبستان وحمام فاصرف بيبسري عليها اموالا مستكثرة فبلغ خبرها
للسلطان يومئذ الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي فانكر عليه
اذهاب هذه الاموال عليها فقال له ابشر خلقت لدفع العدو والتجريد
فقال صدقت فان السلطان ياخوند انا ما بنيت مثل هذه الدار في مملكتك
الا ليشاع خبرها في بلاد العدو ان بعض مماليك السلطان عمر دارا وغرم
عليها مالا كثيرا فاعجب السلطان ذلك منه وانعم عليه بالف دينار ايضا
وكان من جملة شهود مكتوبها ثلاثة من كبار العلما وهم الشيخ تقي الدين ابن دقيق
العيد والقاضي تقي الدين ابن رزين والقاضي تقي الدين ابن بنت الاعز
وشهد معهم تكملة ماية شاهد واستمرت في ايدي ورثة صاحبها بيبسري
نحو سبعين سنة فاتفق في هذه الايام ان الامير قوصون الناصري المشهور
كان يوما مارا عليها فتامل بابها وما عليه من الحشمة وكان بابها في تلك الايام
لم يسبق احد الى عمل مثله فبقي في خاطره منها وكان حظيا عند السلطان
فطلب منه ان يامر قاضي الحنابلة بحل وقفها على مقتضى مذهبه فلما دخلها شهود
القيمة لتقويمها فوجدوها لا يمكن عمل مثلها وكان الصناع كما فرغت منها
فتحيروا ودهشوا فترددوا في جوانبها ليختبروا فاخر الامر قوموها بمبلغ
عشرة الاف دينار فنظر اليهم بعض الحاضرين وقال يا قوم اين يكون
مقعدكم في جهنم تقوموا مثل هذه الدار بمبلغ القيمة فقال بعضهم هذا حال
المقومين فاين يكون مقعد من يستحل بيع هذه الدار فقالوا في طبقات
جهنم اسفل من ذلك وانتهوا من عمل قضيتها فلم يسمع بافحش من حل هذا الوقف
ووقع نظير ذلك في زماننا في بيع قصر بشتاك المشهور ببين القصرين لما حلم الامير
جمال الدين الاستادار واشتراه بقيمة قليلة في ايام عظمته عند الناصر فرج فلم يتمتع به وقتل

وفي سنة اربع وثلاثين وسبعماية

وفي سنة اربع وثلاثين وسبعماية في اواخر صفر نقل اكبر امرا مصر الامير
جمال الدين اقوش الاشرفي المعروف بنايب الكرك الى نيابة طرابلس
عوضا عن نايبها الامير شهاب الدين قرطاي الجوكندار الصالحي بحكم وفاته بها
وهو صاحب المدرسة القرطاية المطلة على جامعها الكبير المنصوري
وفيها حضر رسول الملك ابي سعيد صاحب العراقين بهدية وهي تقادم جليلة
منها ثلاثة مماليك حسان وخمس عشر بقجة قماش وسنقران وغير ذلك
وفيها عاد الى الطاعة امير العرب بالشام مهنا بن عيسى بن مهنا امير آل فضل
ودخل مصر وكان قد تغير منه فطرده السلطان من البلاد اربع مرات
وجرد اليه في كل مرة عسكرا من مصر والشام وحلب ويخرجونه من
البلاد ثم ياتي اولاده الى مصر ويصلحون امره ويعود الى بلاده وكان
في حال الغضب عليه يلي اخوه واذا رضي عليه يعاد الامرة اليه وكان
السلطان يطلبه ويحث عليه ليدخل تحت الطاعة وهو يابى عن ذلك
فلما قابل السلطان اكرمه واعاده وفيها اشتهر ان جماعة من الروافض
في بعض قرى العراق دخلوا على كبير في مذهبهم وكان حصل له مرض
فلما جلسوا اليه جعل يقول اخذني الغول اخذني الغول خلصوني منه فلم
يزل يكرر ذلك الى ان اختلس من بينهم وغاب عنهم نعوذ بالله من خزي الله
وفي سنة خمس وثلاثين وسبعماية صادر السلطان جماعة من الدواوين
واستبدل غيرهم ورافع النشو ناظر الخاص في اولاد الجيعان الكتاب
فاخذوا وعوقبوا وصودروا وكان احد اولاد الجيعان كاتبا في اسطبل
السلطان فطلب منه النشو الحساب فقال ما جرت بهذا عادة ولا سمع
ان كاتب الاصطبل يرفع حسابا للناظر الخزانه فوقع بينهما كلام فقال
النشو للسلطان طلبت من كاتب الاصطبل الحساب فابى فطلبه السلطان
وقال له لم لا ترفع الحساب فقال ياخوند اطلب حساب الذهب
الذي يدخل في خزاينك والاموال التي تصرف عوض طلب الحساب
من العليق والمقاود فزاد الكلام بينهما الى ان قال ابن الجيعان ونعمة مولانا
السلطان اظهر في جهة النشو حيث باشر ما تين الف دينار
والسلطان يصغي الى كلامه وتحير النشو والتكن لسانه فقال له
السلطان اذا وليتك عوضه تسد مكانه فقال ياخوند معاذ الله
ترميني في نار جهنم فغضب السلطان عند ذلك وسلمه لمشد الدواوين
لولو المشهور فبعد ايام مات تحت القتل هو واخوه ومن بني الجيعان
واحد اسمه فخر الدين عبد الغني بن علم الدين بن الجيعان كان كاتب الجيش
بالبلاد المصرية والشامية في دولة الملك الظاهر برقوق في اواخر هذه الماية

[illegible] وخمس الف دينار

وفيها افرج السلطان عن عشر امرا اكابر منهم جبس اسكندرنه منهم تمر الساقي الذي كان
نايب طرابلس وفيها اخرب السلطان جامع القلعه وبناه في غير مكانه
الاول وحملت له العواميد ووقف عليه وقفا حسنا منه دكاكين القلعة
والقصر الابلق المطل على الاسطبل وفيها غير السلطان قناطر السباع
هدها وبناها وبني قنطرة على بحر ابن منجا بين القصر سبع عيون
فحصل بها النفع التام وفيها اعيد الامير طينال الحاجب الاشرفي
الى نيابة طرابلس عوضا عن اقوش الاشرفي المعروف بنايب الكرك
وفيها في رمضان جرد نايب حلب بعسكرها للاغاره على بلاد كيس
فغنموا واسروا من الارمن نحو ثلثمايه اسير وغرموا اشيهم وعادوا سالمين
ثم تارت النصارى بباس حمية وحشروا من عندهم من المسلمين وجمعوهم
في خان لهم واحرقوهم وكانوا نحو الفين مسلما وذلك في يوم عيد الفطر
وفيها وقعت النار بسوق حماة فاحرقت قريب ثلثمايه حانوت
وذهب للتجار اموال كثيره وفيه يقول الاديب بدر الدين ابن حبيب الحلبي
لما علت نار الحريق واضرمت ۞ بحماه وامتنعت من الاشخاص ۞
ناحت نواعير الجنان نا سقا ۞ وتناثرت طوعا دموع العاصي ۞
وفيها كشف نايب الشام تنكز عمارات الاوقاف بها والمدارس والخوانق
وهدم مساطب الحوانيت توسعه للطرق فهدمت مساطب سوق
النحاسين فلما وصلوا الى دار الخطابه وجدوا فيه حجرا مربعا
عرضه وطوله ثلاثه اذرع بالهاشمي ثم وجد باب مخرم في غايه الحسن
واتقان الصنعة ارتفاعه نحو عشرة اذرع وهو خلف محراب الجامع
قبل انه كان باب الكنيسه التي هي الان الجامع الاموي فسد بالحجارة
وفيها شرع الامير الطنبغا المارديني في عمارة جامعه المعروف به
خارج باب زويلة وانفق عليه اموالا عظيمه وما بقي ياخذ البيوت من
هناك الا برضى اصحابها فبلغ السلطان ذلك فقال له انت ما تعرف قيمة
المشترى وتغرم جميع مالك فيه فخل النشو يتحدث لك في شرى الاملاك
فقال يا خوند احسن ان النشو يظلم المسلمين لكونه من المالمة ويدعون علي
فقال الارض ارض السلطان ويعطيهم قيمة الابنية فطلب السلطان
النشو وندبه لذلك فصار النشو ما يعطي الا قل من نصف قيمة الاملاك
فاذا قال احد اشتريته او صرفت عليه اكثر يقول له ترضى بهذا والا اقلع
بناك فالارض للسلطان فحصل على المسلمين في املاكهم ضرر عظيم من النشو
فانظر الى ظلم هذا السلطان وهذا الحكم الذي استنبطه فلم يسمع باغرب من ذلك
هذا وهو متولد في مصر ويعلم الحق والمارديني المذكور جلب وحاف على دينه والله الموفق

وفي سنة ... وثلاثين وسبعماية

وفي سنة ست وثلاثين وسبعمايه رسم السلطان لنايب الشام تنكز الناصري
بعمارة قلعة جعبر فجمع الصناع والعمال والالات وصرف الاموال وعمرها
احسن ما يكون وقرر بها النواب والحكام وفيها فتحت دارندة من حلب
فتحها نايب بهسني بمن عنده من العسكر والتركمان وهي بلدة لها قلعة منيعة
بين ابلستين وسيواس وكان بها الارمن فنازلوها حتى فتحوها بالامان
ولما تسلمها المسلمون اقاموا بها نوابا للسلطان وعادوا سالمين غانمين وفيها
فتحت ايضا قلعة النقير ببلاد سيس على يد نايب حلب تسلمها بالامان
وهدمها وفيها رسم السلطان بانتقال الخليفه المستكفي بالله سليمان بن الحاكم
من سكنه بالكبش الى قلعة الجبل وانزل بالمكان الذي كان فيه ابوه
الحاكم بامر الله ومنع من الاجتماع بالناس ثم اخرجه الى قوص حتى مات بها
وفيها حصل بالديار المصريه غلا في الاسعار في نصف السنه فبلغ اردب
القمح اكثر من ستة اشرفيه ومنع اصحاب الشون البيع وانقطع الجالب
وقلت المعايش وبلغ الناس شدة وفقد الخبز فامر السلطان بتفتيش
الاسعار وعيد من غلى البيع وغير المحتسب فمسك الامرا عن البيع
فتحقق السلطان ان المصيبة في الغلا من شون الامرا وانه لابد من محتسب
ناهض ووالي صارم وشكروا له من شخص اسمه ضيا الدين يوسف بن
خطيب بيت الابار وهو ناظر الاوقاف فطلبه لوظيفة الحسبة
فامتنع خوفا من غايلة الامرا وعدم قدرته على التمكن من البيع من شونهم
فاعتذر بانه غريب خشية على نفسه من كونه الزمه به خطر فكان جواب
السلطان له انت غريب وانا الاخر غريب ويوسف الصديق غريب
فلما عرف ان السلطان لا يرجع عن توليته اشترط شروطا فقبلها السلطان
وولى الحسبة فبقيت له على هذا الوجه حرمة عظيمه وتمكن من شون الامرا
فبقي يحسب ما في كل شونة ويحسب مونة صاحبها وعليقه وما يحتاج
اليه الى ايام المغل ومهما تفضل عن ذلك يختم عليه لكلفة المسلمين والزم الشماسرة
بان لا تفتح شونة الا باذنه وعرف السلطان بذلك فاستحسنه واكتفى
اهل الطواحين وبلغه ان شماسرة بشتاك وقوصون قصدوا زيادة
السعر من مبيع شون هذين الاميرين فضربهم بالمقارع فغضب الامرا
لذلك فاغلظ لهم السلطان وقال انتم تريدون تخربوا مصر على
وتخالفوا امري وشتمهم فلم يجسر احد منهم على كلمة ولم يروا اشد من
غضب السلطان في ذلك اليوم فارتدعوا بذلك وجرت خطوب وبقي
الناس من الغلا في امر مريج شهورا ثم وصلت اليهم الغلال من جهة الشام
وغيرها وتواردت من الجهات فانفرج عن المسلمين في اواخر رمضان قليلا قليلا

وفيها سار السلطان الى الصيد بالصعيد
ووصل الى قرب اعمال قوص وعاد

وفيها مات الملك ابو سعيد بهادر بن خربندا بن ارغون بن ابغا بن هلاون
بن طلي خان بن جنكزخان ملك الططر صاحب البلاد الشرقية العراقين
وهو بالباب الجديد قاصدًا قتال ابن عمه الملك ربك خان بسبب تقدم
وعمره ثلاثون سنة ومدة ملكه عشرون سنة وكان اصلح ملوك التاربة
وهو اخر بيت هلاون بن جنكزخان وتسلطن بعده ابن عمته الشيخ
حسن الكبير بن الحبيبه اخت قازان وخربندا وصار صاحب العراقين
واستمر الملك في ذريته وهو جد سلطان احمد اويس وسيذكر في محله

وفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة في نصف رجب جرد السلطان
عسكرا الى بلاد سيس جماعة من امرا مصر من الطبلخاناة عشرة ومن العشرات عشرة
وكذلك جرد معهم نايب حلب بعسكرها ونايب طرابلس طينال الحاجب بعسكرها
ومن عسكر حماه وكمن عسكر دمشق وعدهم فلما وصلوا الى اياس حاصروها الى ان
طلب اهلها الامان فتسلموها واستناوا بوابها ثم خربوا الجمة والهارونيه
وابقوا اسفندكار وكوارا واياس واقاموا بهن حفظة ونوابا ثم
رجعوا سالمين غانمين وفيها حضر امير من امرا التركمان بنواحي حلب
يعرف بخليل الطرقي الى نايب الشام تنكز والتزم عنده ان يعمر بارض
الابلستين ويقيم عليها الف فارس وعشرة امرا وان يتلد بيكوت
كثير من التركمان وقدم نحو ستماية اكديش وغير ذلك من التحف فكتب
نايب الشام الى السلطان بسبب ذلك فاجاب السلطان اليه وكتب له
مناشير بامريات واقطاعات وفيها كانت فتن وحروب ببلاد العراق
في تبريز وبغداد بين الشيخ حسن الكبير بن الحبيبه اخت قازان وبين علي باشاه
فانتصر الشيخ حسن المذكور وملك بغداد وعدل في الرعية واستدامهم واطاعوه
وارسل يخبر صاحب مصر ويعرفه بانه انتصر بسعادة السلطان وكان ايضا
صاحب مصر قد ارسل هدية الى علي باشاه متولي بغداد المذكور من الخيل
والسلاح وغير ذلك فلما وصلت الى ان ثم جا الخبر بقتل علي باشاه في الوقعه
المذكورة فارسل السلطان الى نايب دمشق ان يعوق هذه الهدية عنده حتى
يرسل شيا اخر ويرسل الجميع الى الشيخ حسن الكبير بن الحبيبه المذكور لما ذكرنا
وفيها افرج السلطان عن الخليفه وانزله من القلعه الى بيته بعد قريب نصف سنة
وكان سبب غيظ السلطان عليه بسبب انه عمر بجزيرة الفيل منظرة على النيل متنزها
وكان كثير اللهو والطرب وكان من خطايا السلطان رجل من الوجوه الحسان
فتوصل اليه الخليفه وجمعه عنده وتردد اليه بحيث بقي يغيب عن خدمة السلطان
وينقطع ويشتغل عند الخليفه بذلك فبلغ السلطان امرهم فضربه وضرب الواسطة بينهم
وطلب الخليفة وساير اولاده ووعوقهم بالقلعة مدة ثم اخرجهم الى قوص وكتب
لوالي قوص بالاحتفاظ عليهم فمات الخليفه بها كما سنذكره في محله سنة اربعين وسبعمائة

وفيها فتك النشو

وفيها فتك النشو ناظر الخاص من الظالم الجاير في المسلمين وظلمهم ظلما فاحشا واحدث
عليهم ابوابا من الظلم والمصادرات والرمايات والتحجير وما لا يوصف شرحه
فتوقفت الدواليب وانقطع جلب المواشي من الغنم والبقر وغلا اللحم وغيره
وهجم على بيوت التجار وحواصلهم وحواصلهم ونهب اموالهم وصادر اهل البلاد
بنحو الف الف دينار وعظايم اخر يطول شرحها في ورقة ثم عاقبته قتل
وفيها لما عمر الامير قوصون جامعه المعروف وكان ذلك الخط يعرف بخط قبو
الكرماني وكان مكانه مسكنا للفرنج والنصارى وكتاب القبط المسالمة
مثل المكين بن قزوينة فاثرت عمارته في نفوس الاقباط حتى انتقل كثير
منهم من ذلك الخط وتركوا املاكهم حتى لا يسمعوا ذكر الله والاذان والقران
وفيها كاينة الشيخ شمس الدين ابن اللبان الفقيه الشافعي وكان صحب الشيخ ياقوت
الشاذلي المشهور في الاسكندرية وجماعة من المشايخ وكان يجلس في جامع عمرو
ويتكلم في الوعظ وغيره ويفسر القران فاجتمعت عليه جماعة كثيرة وقصدته
الناس وكان يتغالى في مناقب الشيخ ياقوت المذكور وتعظيمه فانتصب له رجل
من اهل مصر يعرف بابن المغربي واتخذ جماعة شهدوا عليه انه يفضل الشيخ ياقوت
على الصحابة رضي الله عنهم واشيا من هذا الباب فانهى ذلك الى قاضي الشافعية
فتعصب القضاة على ابن اللبان وعرفوا السلطان بذلك فقال السلطان اذا
ثبت عليه شي يوجب القتل عرفوني به فلما بلغ ذلك ابن اللبان اجتمع باكبر الامرا
يوميذ الامير جنكلي بن البابا صاحب الحمام المنسوب اليه بقناطر السباع وعرفه
بان الذين تعصبوا عليه يحسدونه على علمه وكذا اجتمع بالحاج آل ملك وبالخطيري
الاميرين المشهورين فاجتمعوا بالسلطان واثنوا عليه وعرفوه مقامه من العلم
وانه رجل من كبار الشافعية وما يقع في شي من ذلك وكان المتعصبون عليه قد ابرموا
امرهم مما بقي في الحكم الا ان طلبه السلطان وجمع له القضاة واستتابوه مما
نسب اليه ورجوعه عما كان يفعله ومنعوه عن الكلام في الجامع وغيره وكذلك
طلب الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ ابرهيم الجعبري ومنعه من التكلم في زاوية ابيه
المشهورة ومنع ايضا اخر اسمه الزركشي وجماعة اخرين عن الكلام على الناس
وفيها مات الشيخ الصالح حسين بن علي بن ابرهيم الحاكي الصوفي المشهور بالعاك
في العشرين من شوال وكان من تلاميذ الشيخ ابرهيم الجعبري المشهور ذكره المقريزي
ومات الشيخ الصالح الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الكريم بن المجد ابرهيم المعروف بالمرشدي
بزاويته بمنية مرشد من الوجه البحري كان صاحب احوال ومكاشفات وانفاقات
كثيرة من غير مادة حتى قيل انه كان يخدم وكان له مهابة عند الملوك ويصنع للضيافة
فاخر الاطعمة ومهما حدث في خاطر الشخص مما يشتهيه يحضره الشيخ له وكراماته طويلة
ومات الامير ايدمر الخطيري صاحب جامع الخطيري على شاطي بحر بولاق الان

لا ينبغي ذكرها لكتبها

وفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وفد الى مصر جماعة من اكابر بغداد
هاربين من صاحبها الشيخ حسن الكبير وهم وزير بغداد وكاتب سرها وقاضيها
ونائبها جاوا هاربين بسبب ما جرى عليهم من الجور وكان معهم حريم الخليفة ونحوها
وقدموا لصاحب مصر هدايا ثمينة من جملتها فص ياقوت زنته بوزن الجوهر
ثلاثون وكانت هديتهم جليلة فقبلها السلطان واكرمهم وولاهم مناصب عنده
فالقاضي ولاه قاضي الحنفية بمصر والوزير استوزره ونحو ذلك وفيها ارسل
الشيخ حسن الكبير بن الجبية صاحب العراق رسوله بهدية من التحف والمماليك والجوار
ويصف وده لصاحب مصر واستمرار الصلح على القواعد المتقدمة بينهما
وفيها وصلت الحرة بنت ملك المغرب السلطان ابي الحسن علي بن الملك السعيد
عثمان بن يعقوب المريني وصحبتها هدايا جليلة لم يدخل مصر هدية من
ملوك الغرب اجل منها وكان يوم طلوعها يوما مشهودا وقومت الهدية
تقريبا فوق مائة الف دينار فكان فيها مائة فحل ومائة حجرة
ومائتين بغل واربعون بازا وسيف وحياصة بجوهر وسقط ذهب
وسرجان ذهب بجوهر وفصوص ثمينة وجميع الخيل مسرجة ملجمة
بسروج ذهب وركبها ذهب وكم مسقطة بالذهب والفضة وستمائة
كساء رفيعة من ارفع ما يكون وجملة مستكثرة من التفاصيل الحرير المثمنة
والقماش المفتخر وبحيث ان كل فرس قوم بمائة دينار وبالاكثر وكان فيها فرس
مشتراه خمسمائة دينار الى غير ذلك من انواع التحف والغرايب واصناف
العجايب المدهشة فقبلها السلطان وفرق منها لكل مقدم الف فرسين
وكل طبلخاناه فرس وكافاهم عليها وخلع عليهم مائتين خلعة وعشرين خلعة
ورتب لهم في كل يوم ثلاثين خروفا ونصف اردب من الارز وقنطار من
حب الرمان وربع قنطار سكر وثمان فانوسيات وجميع ما يحتاجون
اليه من التوابل والعلايق والدقيق واشباه ذلك واعطاهم لابريسم
النفقة اربعة الاف دينار واعطى حمولة اثقالهم ونحو ذلك مبلغ
ثلاثة الاف دينار ولما رجعوا من الحج وعادوا نحو بلادهم اعطاهم ايضا
هدايا ثمينة من جملتها خيمتان ظاهرهما اطلس احمر وباطنهما اطلس
منقوش من غاية الصنعة بعواميد عاج وابنوس محلاة بفضة وذهب
حكى ذلك القاضي البدر العيني في تاريخه الصغير عن تاريخ اليوسفي
وفيها حضر ساطلمش محمد شاه صهر خربندا ملك الططر في طلب الحج فاجيب
وفيها غير السلطان القضاة الثلاثة دفعة واحدة واستبدل غيرهم
وهم الشافعي والحنفي والحنبلي بسبب اشتكاء الناس عليهم لما كان جماعتهم يفعلون
حتى كان السلطان يقول علمنا قضاة جيادا واولادهم افسدوهم وجرت منهم خطوب

وفيها امر السلطان

وفيها امر السلطان بعمل جسر في البحر بحكر ابن الاثير فغرقوا مراكب كثيرة
مملوة بحجارة ولم يزالوا يغرقون المراكب حتى علت على وجه الماء نحو ثلاثة
اذرع ووصلوا به الى نحو ثلث البحر وبسببه تراجع البحر وراح من وراء
الروضة ولم يكن هذا مراد السلطان بل جا عكس ما اراد والارادة لمن
له الارادة وفيها اخرج السلطان الخليفة المستكفي سليمان من القاهرة الى قوص
هو واقاربه ورتب لهم راتبا هناك بسبب ما تقدم ذكره فشق ذلك على جميع الناس
ولكن اقاموا بامانهم في الادعاء للسلطان ثم قدام بقوص حتى مات بعد سنتين منها
ولم يتمتع السلطان بعده غير سنة ولم يحصل له في ذريته خير بل قتل اكثرهم كما سنذكره
ووقع اهوال سماوية فذكرها عقبه وفيه يقول الشيخ زين الدين ابن الوردي الحلبي

اخرجوكم الى الصعيد لعذر ۞ غير مجد في ملتي واعتقادي
لا بغيركم الصعيد وكونوا ۞ فيه مثل السيوف في الاغماد

وفيها في سابع رمضان وقع بالغرقية بمصر وبعض بلاد البحيرة ايضا
برد كبار قدر بيض الدجاج فاتلف زرعا كثيرا والبلاد التي اصيبت احدى
واربعون بلدا وكان قد هبت ريح سودا اظلم الجو منها واشتدت الى ان
رمت بيوتا كثيرة واخربتها ثم جا عقب ذلك حصى اسود ياتي به الريح من جهة
البحر المالح وبقي نزوله مستمرا الى قريب الفجر وخرجت الناس من اهل البلاد
فوجدوا الحصى قد ملا الطرقات وسدها وهو حصى اسود وطعمه مر
مثل الصبر واعتبروا اثقل ما فيه فوجدوه رطلا وربعا ووجدوا في ناحية
قليس بالقرب من شبين الكوم حصى قدر النارنج ثم مثل بيض النعام ودونه
وافسد شيا كثيرا في الزرع وكان الزرع قريب الحصاد وقد افرك ورمى
بسنبله الى الارض ووجدوا اغناما كثيرة مطروحة في المراحات ميتة وقتلت
ومعزى كثير في البيوت وفي ليلة منتصف ربيع الاخر جا على الديار المصرية
رعد عظيم وبرق خاطف فكادت القلوب تزهق منه وتقوا عظيم
ثم جا برد في هيئة بندق وهيئة جوز فايقنت الناس بالهلاك وقيام
الساعة ثم جا مطر كافواه القرب فاخرب بيوتا كثيرة ثم اجتمع سيل
عظيم من الجبل الى ان وصل الى باب النصر ولم ير مثل ذلك ابدا بالديار المصرية
والعجب من هذا انه لم ير شي من ذلك اصلا في مصر العتيق وفي مستهل شعبان
وقع بمصر والقاهرة مطر عظيم ودام جمعة واخرب بيوتا كثيرة ثم نزل
سيل من الجبل الى ان وصل الى قبة السباسة وانهدمت البيوت العتيقة منه
ثم اعقبه رياح عظيمة ثم وقع في تلك السنة برد الشتاء لم يعهد في بلاد مصر مثله
حتى ان من لم يلبس في عمره فروة قد لبسها في هذه السنة من شدة البرد والثلج ايضا
حتى خفيت الطرقات من الثلج ولم يعهد بمصر ذلك واهاج الريح البحر المالح الى قريب
دمياط وما ذرع الحلو وافسد ووصل الى شرمساح وفارسكور وهي فوق دمياط
بابعد من نصف يوم وكذلك في فوة حتى بلاد السباخ خلفها بيوم ولم يعهد مثله

وفي بلد اسوان هبّت الريح الى ان رمت منها ساير البيوت ورمت كثيرًا من
النخل ووقع ايضا بغرب قمولة ريح عظيم ورمت فيها ثلاثة الاف
نخلة وكتب بذلك محضر مثبوت على قاضيها وارسلوه الى قوص السلطان
وفيها وقع وقعة بين التركمان بين ابن خليل الطرقي وبين قراجا ابن دلغادر
وكان السلطان قد اعطى لابن خليل الطرقي ابلستين كما ذكرنا في السنة قبلها
فبسبب ذلك وقع بينهما واستمرت الفتنة بينهما ثم تعاودوا للقتال
مرة اخرى فانهزم ابن خليل وقتل من تركمانه جماعة كثيرة وجرح هو ايضا
وقدم الى نايب حلب وعرّف نايبها بما جرى عليه من ابن دلغادر المذكور
فصعب على نايب حلب وكتب الى ابن دلغادر فانكر عليه فعله وهدده
وطلبه فلم يجب اليه فقصد نايب حلب ان يجرد اليه جيشًا فبلغ ذلك
لابن دلغادر فتحقق ان ما بقي حاله طيب مع نايب حلب وان يستند الى
نايب الشام تنكز ويستنصر به على نايب حلب لكون كان بينهما خلف
فارسل اليه جماعة من اقاربه وذكر انه مملوك السلطان في هذه البلاد وانه
يقدم الفين اكديشا وانه يلتزم هو واهله بحفظ البلاد ومن رفق
له كثيرًا فلما وصلوا اليه قصاده وفيهم ابنه كتب الى السلطان في حق
ابن دلغادر واعتنى به عناية كبيرة وان له بيوتا كثيرة وجماعة كثيرة
يكونون عونا للسلطان في تلك الاراضي وان ابن خليل ليس له بيت
كبير ولا معه جمع كثير واكد كلامه بالمشافهة ايضا فكتب السلطان الى
نايب الشام جوابه ان يرسل ابن دلغادر اليه وكتب ايضا الى نايب حلب
ان يرسل ابن خليل الطرقي ايضا فقدما الى السلطان فاقبل السلطان على ابن
دلغادر واكرمه ونصره في محاكمته على ابن خليل وامره بتسليم البلاد
اليه وكتب له ثلاثين منشورًا باسماء الامرا الذين عينهم ابن دلغادر
ووصاه ان يكون تحت راي نايب حلب ولا يخرج عن رايه وخلع عليه
وعلى ساير من كان معه وسنذكر بقية حكايات اولاد دلغادر في ما بعد وحكمته
وفيها ولد للسلطان من زوجته بنت تنكز نايب الشام ابن اسمه صالح
وهو الذي صار سلطانا وحضر ابوها من الشام لاجل عمل المهم والولايم
فنفق الواقية وفي الغماين والزركش فكان مصروفه خمسماية الف دينار
ولم يسمع مثل هذا عن ملك في الدنيا وفيها زاد فتك النشو ناظر الخاص
في المسلمين ونهب اموالهم بساير الحيل ومنع المواريث الشرعية وحجر
على قضاة الشرع ان لا يثبتوا اهلية لمن يموت لا ولد ولا والد ولا
اخ ولا زوجة ونهب هو جميع الميراث واستغاثت الديار المصرية
من انواع مظالمه نارًا والسلطان راضي منه به ثم قتله بعد سنين كما سنذكره

وفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

١٢٨

وفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وصل رسول من صاحب بغداد الشيخ حسن
الكبير ابن اخت غازان يخبر انه قد ضرب السكة بها باسم صاحب مصر
السلطان الناصر محمد بن قلاون ويطلب بعض اولاد السلطان ليملكوه عليهم
ويكون معه بعض جيش فقال السلطان اولادي صغار ولكن انا اجي اليهم
اذا عاد بعض الرسل ووصل ايضا رسل الملك ازبك صاحب البلاد الشمالية
بالدشت بهدية سنية وتحف ويطلب من السلطان تزوج احدى بناته
فقال السلطان لي ثلاث بنات اكبرهن عمرها ست سنين فاذا استحقت
التزويج ارسلتها اليه وفيها وصل قاصد من نايب الشام الامير تنكز
بكتابه يخبر فيه ان قلعة دارندة التي كانت للمسلمين من مدة سبع سنين
وكان صاحبها سلمها للمسلمين وحضر الى مصر وانعم عليه السلطان بامرة
بصفد وكان الملك ابو سعيد صاحب العراقين الذي ذكرناه قد سال
السلطان ان يهبه هذه القلعة فكتب له بتسليمها اليه واودع فيها
ابو سعيد حواصل كثيرة واستنابه فيها طواشيا ومعه جماعة ومات الملك
ثم ان جماعة من امرا ابن ذلغادر المتقدم ذكره لهم عادة بالصعود الى القلاع
الصعبة والجبال الصعبة وان ابن دلغادر اخذ معه جماعة من التركمان
للكسب من بلاد الروم وجا طريقه على هذه القلعة فسال عنها فاخبروه
ان فيها مالا جزيلا وانه صبر الى الليل ثم تسلق الى اعلاها هو ومن كان معه
فوجد سورها خاليا من الحرس لما كانوا فيه من الطمانينة بهذه القلعة
فرجع الى اصحابه وارخى لهم حبالا وطلع بهم ولما حصلوا كلهم في القلعة
نزلوا ودبحوا كل من وجدوه نايما الى ان وقع فيهم صايح فاشهروا السيوف
وصاحوا باسم السلطان الملك الناصر محمد فحمد الله وقتلوهم عن
اخرهم واخذوا كل ما في القلعة وكان فيها اموال عظيمة وقسموها بينهم
ثم ان ابن دلغادر كتب بذلك الى نايب الشام وساله ان يرسل من
يتسلم القلعة فارسل اليها حافظا وبعث نايب الشام يخبر بذلك
السلطان ففرح السلطان وارسل الى ابن ذلغادر تشريفا وشكره
على فعله وفيها حضر نايب الشام الامير تنكز الى مصر وهذا اخر اجتماعه
بالسلطان لاجل بنته زوجة السلطان لقرب ولادتها وقدم من الهدايا
ما قيمته مايتا الف دينار وعشرون الف دينار وبالغ السلطان في اكرامه
وبقي يعامله معاملة الاخ بشي يطول شرحه واحتفلوا في تجهيز هذا المولود
فقدر انه جا بنتا فنهض تنكز بحضرة السلطان وسجد لله سجود الشكر
فساله السلطان عنه فقال كنت اتمنى ذلك اذ لو كان صبيا كنت اخشى من كمال السعادة
فان السلطان اجرى عليه في مدة اقامته شهرين مبلغ مايه الف وخمسين الف دينار
وبالغ النشو الوزير في المظالم بسبب ذلك والمسلمون في تضرع واستغاثة وابتهال

يتيم السلطان يتوفر من الكلف على
ديوان السلطان من الرواتب الف
وكانت تصرف كل يوم خمسة عشر
دينار وغير ذلك ما للمباشرين
وكان من كل يوم من الدجاج
من سماط السلطان الزائد
سبعمائة طير وكان هذا
من قبيح الافعال وفيها م

وفيها ظهر بالقاهره خناقه امراه تولف النسآ وتقتلهن فمسكت وشنقت
وفيها عمرت القناطر وجر شبيس منها الى بنها العسل وجسور وقناطر
وفيها رسم ان يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهما فحصل لذلك الضرر التام
وفيها زلزلت طرابلس فاخرج من تحت الهدم ستون جنازه
وفيها صادر السلطان كاتب سره القاضي شهاب الدين احمد فضل الله بعشره الاف دينار

وفي سنة الاربعين وسبعمائه اهلك النشو الظالم الكافر الخبيث المكي على يد ملكه الذي كان يامن اليه وكان هو الوزير وناظر الخاص وكل تدبير مصر وكان من الخبث النصارى واردى القبط وتظاهر بالاسلام والكفر في باطنه فلذلك صدرت منه قبايح لا تصدر ممن يعتقد بعض حكم الاسلام وكان من الجبابرة المفسدين في الارض واستولى على عقل السلطان القاهر بحيث لم يسمع فيه كلام احد وبالغ في نهب اموال المسلمين بما لا يدخل تحت الحصر من المصادرات والعقوبات الى ان قلب الله قلب سلطانه عليه فقبض وجميع حاشيته وعبيده فوجد في دخاير من الجواهر والاموال ما هو عظيم وقصته مطوله في ارباع ورقات ووجدوا عنده كم الخنزير وخمسة الاف جرة خمر وكان جملة مال مصادرته قريب خمسماية الف دينار منه ومن جماعته
وفيها مسك السلطان نايب الشام الامير تنكز الحسامي الناصري وقتله وكانت مدة نيابته بدمشق قريب الثلاثين سنه وهذا لم يقع لغيره في الدنيا وسبب مسكه ان حاكم بعض بلاد الروم كان خايفا منه عظيما فعمل دسيسه عند السلطان على هلاكه فبعث يخبر عنه انه يطلب المخامره اليه فتوهم منه السلطان وقتله
وفيها ارسل حاكم الروم اوزطنا يشكوا من غارات التركمان على اطراف بلاده وارسل هديه منها خركاه اطلس وثلاثين اكديش وسناقر وسنقور وتفاصيل فاخره ستره وكان رسوله قاضي الروم حسن العبارة فاصلح الامر مع السلطان
وفيها وقع حريق عظيم بالشام بشرقي الجامع الاموي فاحترق اماكن كثيره وعقبه وقع حريق اخر بقيساريه القواسين والكفتيين وكان حريقا فظيعا احترق فيه قريب اربعين الف قوس وعرف ان هذا من النصارى القادمين من القسطنطينيه فقتلوا واخذ من موجودهم اكثر من خمسين الف دينار فصرفت في عماره وقف الجامع الذي حرق
وفيها كان نشا من النار السماويه باعمال طرابلس فاحرقت من الشجر والزرع والخشب فكانت اية واطفيت واحرقت قبه احشاب في عين الفيجه وثلاثه بيوت وكثر الوبا والمرض بالشام
وفيها مات الخليفه المستكفي بالله سليمان بن الحاكم بامر الله احمد العباسي البغدادي بارض الصعيد في قوص كما ذكرنا وكانت مدة خلافته بعد ابيه اربعين سنه وهو ثاني خلفاء مصر وخلفه ابنه الحاكم بامر الله احمد وكان خيرا خرج من مصر وولى السلطان مكانه اخاه الواثق بالله ابرهيم ثم عزله واستقر المذكور

وفي سنة احدى واربعين وسبعمائه

وفي سنة احدى واربعين وسبعمائه دخل هذا العشر والسلطان على حاله هو الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون ونايبه بدمشق كان الامير تنكز الناصري ولكن قتل في مستهل هذه السنه كما ذكرناه وعوضه بدمشق الطنبغا الحاجب الصالحي ونايبه بحلب استقرايضا طشتمر الناصري المعروف بحمص اخضر ونايبه بطرابلس هو الامير طينال الحاجب الاشرفي وقضيه مسك نايب الشام تنكز المذكور بالسبب الذي ذكرناه فانه حمل اليه السلطان الدوادار خديعة فلم يقع بينهم الاتفاق فجا الدوادار وحرف الكلام وقلب عليه فتغير السلطان تغيرا عظيما وجرد اليه عسكرا فيه عشرون اميرا وخمسة الاف فارس صحبة الامير بن بشتاك وطشتمر حمص اخضر فقبضوا على تنكز وارسلوه الى السلطان ثم احتاطوا على جميع موجوده فوجد والدر الذخاير ما يدهش الناظر فبلغت امواله نحو الف الف دينار ثم حبس باسكندريه وقتل بها في اول هذه السنه ولم يمتنع بعده السلطان فلم يكمل سنة كما سنذكره وهو صاحب الجامع بدمشق ودام في نيابتها قريب الثلاثين سنه ولم يقع هذا لغيره في الدنيا ولما كان يقدم الى مصر ينزل في بيت ابيه بدرب الكافوري وهذا البيت يعرف بالامير ايبك البغدادي من الوزرا المتركمه وفي الاخر صار للطنبغا الصالحي المذكور ثم في زماننا سكنه ناظر الجيش القاضي عبد الباسط بجاه منذ سنين الى الآن
وفيها من الحوادث ان القاضي كاتب السر شهاب الدين احمد القاضي محيي الدين يحيى الشهير بابن فضل الله البيت المشهور كان كاتب السر عوض ابيه لما كبر وعجز عن الحركه وان السلطان لما ولى الشيخ العلم بن قطب كتابة السر بالشام بشكر نايب الشام فيه فقال شهاب الدين بن فضل الله المذكور كيف يكون يعمل رجل مسلماني قبطي كاتب السر وليست له يد في هذه الصناعه ولا يدريها ولا يدري غير صنعة الكتاب فعارض السلطان في ذلك ثم لم يكتف بما قال من ذلك حتى قال للسلطان ما يفلح من يخدمك وخدمتي عليك حرام ونهض من قدام السلطان والامرا كلهم واقفون حتى قالوا اليوم يضرب رقبته فلما خرج دخل الى والده القاضي محيي الدين المذكور واخبره بالذي وقع منه فتهيا ابوه لذلك ونهض مع الامرا في تدبير ما وقع منه من التفريط ودخل عند السلطان وباس الارض فشرع السلطان يعرفه بما وقع من ولده من الخطا وانه حلم عليه لاجله فدعى للسلطان وشرع يعتذر بانه قد بقي رجل كبير وقل سمعه فقال السلطان خلي ولدك الصغير علا الدين يسد عنك وظيفتك فاعتذر عنه بانه شاب وربما لا يقوم بهذه الوظيفه فقال السلطان انا اربيه كما اعرف فاستقر في كتابة السر وبقي الحال الى ان توفي والده هذا ولزم القاضي شهاب الدين اخوه المذكور مقيما في بيته مدة الى ان حبس في نفسه امر حركه لله تعالى الامر قدره

عليه في الاذن فكتب قصة ورفعها الى السلطان وسال فيها السفر الى دمشق
فان له فيها سبب واكثر القول في القصة باظهار القلة وكثرة الكلفه
وكان في نفس السلطان منه ما ذكرناه بامور تحركت ما كان ساكنا في
نفسه فامر بطلبه الى القلعه وامر للدوادار طاجار ان يعريه في قاعة
الصاحب ويعرض عليه المقارع فان كتب خطه بعشرة الاف دينار
والا يضربه بالمقارع فخرج الدوادار وعراه فوجده قد رجفت وارتعدت
فرايصه فانه ربي في نعمه وسعاده ولم ير في عمره شدة وهو من ذرية
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتوجع له الدوادار وعرفه مرسوم
السلطان فكتب خطه بعشرة الاف دينار فاخبر الدوادار للسلطان
بذلك فامر بحملها وامر بايقاع الحوطة على سائر موجوده واستدان لذلك
وباع حواصله وقماشه وباع املاكه بالشام وجميع اثاثه وبقي مدة
الى ان حمل سبعة الاف دينار فسكن عنه الحال ثم اخرج الى كتابة سر دمشق
الى ان مات بها بعد عشر سنين في اواخر الطاعون الكبير اول سنة خمسين وسبعمائة
وهو صاحب المصنفات المشهوره منها كتابه الكبير في ذكر ممالك الامصار وغيره
واتفق ايضا للذي وقع هذا الشر لاجله وهو العلم ابن قطب المتقدم ذكره
ان نايب الشام غضب عليه ايضا وصادره للشناعة التي شهرت عنه وظلمه
وضربه بالمقارع ضربا شديدا وربطه في عامود ورماه بالبندق واحاط
بموجوده واستخرج منه ثلاثين الف دينار وارسلها للسلطان واخبره به
وفيها قدمت رسل من عند صاحب العراق الشيخ حسن الكبير بن الجبيه ايضا
يذكر انهم يبعثون رهاين تكون عند السلطان ويرسل السلطان عسكرا
اليهم يتسلمون بغداد فاتفق موت السلطان عقيبه كما سنذكره قريبا
وفيها عقيب مسك تنكز ولي نيابة طرابلس الامير الحاج ارقطاي القفجقي
الاشرفي منتقلا اليها من تقدمته بمصر عوضا عن طينال الحاجب الاشرفي
بحكم نقلة الى نيابه وهذا اخر الصفا ثم وقع فتن واختلاف مدة عشرين سنة

ذكر وفاة السلطان

الملك الناصر ابي المعالي ناصر الدين محمد بن السلطان
الملك المنصور قلاوون التركي الالفي الصالحي النجمي وعمره قريب الستين سنه
وكانت مدة سلطنته قريب الخمسين سنة ولم يقع ذلك لغيره خصوصا بمصر
وتولى السلطنة ثلاث مرات وخلع ثلاث مرات وحج ثلاث حجات
وشرح حاله انه ولد وابوه في فتح بلد المرقب من عمل طرابلس وفرغ وهو نازل
تحت حصن الاكراد وانتقل منها فجاءته البشارة بمولده في نصف المحرم سنة
اربع وثمانين وستمائة وامه اططر بنت سكباي قدمت مع ابيها ومات ابوه
وهو صغير عمره ست سنين ثم تولى السلطنة وعمره في اول السنة العاشرة

بعد مقتل اخيه الاكبر الملك الاشرف خليل كما ذكرناه في سادس عشر المحرم من سنة
ثلاث وتسعين وستمائة وتحدث عنه في المملكة مملوك ابيه كتبغا نيابة عنه
فلم يقم في هذه السلطنة غير سنة واحدة وخلع ثم اخرج الى الكرك وتولى السلطنة
بعده الملك العادل كتبغا المذكور في يوم ثاني عشر من سنة اربع وتسعين
وستمائة واستمر العادل كتبغا في السلطنة سنتين وثار عليه خشداشه
الملك المنصور لاجين وخلعه وانتزع السلطنة منه فاستمر الاخر في السلطنة
سنتين فقتل بداخل القلعة فاتفق بعض الامرا على احضار الناصر محمد هذا
من الكرك واعيد الى السلطنة ثانيا في اواخر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين وستمائة
فاستمر في هذه السلطنة مدة عشر سنين ولكن الامير بن سلار وبيبرس
هما المتغلبين عليه وليس له معهما حكم فحنق منهما وترك السلطنة وخرج الى الكرك
واقام بها فتولى عوضه مملوكه المذكور الملك المظفر بيبرس الجاشنكير مدة
سنة فاختلف عليه امراوه وخامروا عليه الى عند ابن استاذهم ونصروه
فعاد الملك الناصر محمد الى سلطنته ثالثا في يوم عيد الفطر سنة تسع
وسبعمائة بعد ان جرت امور ومسك المظفر بيبرس الجاشنكير وقتله مع
جماعة من اكابر الامرا وكل هذه الامور شرحناها في موضعها فبذلك صفت
له المملكة واستمر في هذه الثالثة قريب ثلاثة وثلاثين سنة اخرى
الى ان مات وحج ثلاث حجات وانشا القصور والمناظر والخلجان والبرك
وطالت ايامه وعدم حركة العدو برا وبحرا وهادنته ملوك الدنيا
وجمع الاموال الكثيرة ولم يزل في فرح وانشراح الى ان هجم عليه امر الله بغتة فلما
كان يوم العشرين من ذي الحجة اخر هذه السنة مات باحد قصور القلعة
ولم يدفنوه الا بعد يومين حتى تولى ولده الملك المنصور ابو بكر
فانزل الميت ليلة الجمعة من القلعة في ثلث الليل في محفة على البغال الى
مدرسة ابيه المدرسة المنصورية بين القصرين وليس معه الا بعض الامرا
فغسلوه في الليل في المنصورية واوقدوا عليه في مسرجة الزيت الحار
وبالغ بعضهم بانهم اخذوها من بعض السوقة وكفنوه من وقف المارستان
ودفنوه على ابيه قلاوون في القبة المنصورية وكان قد طال مرضه مدة
ثلاثة اشهر توالت عليه الامراض المختلفة وجرت امور يطول شرحها وقد
كان ملكا مهيبا دانت له البلاد واطاعته العباد وكان عارفا حاذقا
له فكر عميق خبيرا بالامور كثير السياسة والتدبير مسعود الحركات
وكان مع شدة وطاته على عسكره عنده الصفح والعفو ومن محاسنه انه اذا
وقعت عنده قضية متعلقة بامر الشرع لا يرجع عنها حتى يقضيها بامر الشرع

لم يبعثها الى القضاة ويقلد الامر في عنقهم وكان يجلس في كل جمعة يوماً
بدار العدل وبين يديه القضاة والاشراف وارباب الدولة والحجاب
لقضا اشغال الناس واغاثة الملهوفين واذا اوقف بين يديه مظلوم او
صاحب حاجة اوضرورة او مستصرخ فلا يبرح حتى يقضي حاجته بنفسه
واذا رفعت قصة احد من ارباب البيوت اومن طلاب الصدقة اومن
الاجناد ممن قطع خبزه اوكان من الصعاليك بعد السعادة يقضي
ضرورته ويجيب الى سواله واذا مات احد من اجناده وخلف صبياً
لا يخرج اقطاع ابيه عنه فان كان صغيراً جداً اعطاه صدقة وكان
انفق من الناس كانوا في ايامه آمنين من غلا مفرط او طاعون مفرط
ولم يكن في حاشيته ولا امرايه من يحمي ضيعة او بلداً او طاحونا او
دكانا او مركبا وابطل في ساير اعماله معظم المكوس من ذلك مكس ساحل
الغلة وكان الناس من ذلك في ضرر عظيم وابطل ساير المحرمات في
ساير مملكته وابطل الضرب بالمقارع في ساير البلاد بمصر والشام
وكتب بذلك مراسيم موكدة ورسم لنوابه ولامرايه ولساير الولاة
والكشاف لن لا يرمي احد منهم على تاجر قماشا ولا على ساير اصحاب التكسب
مما هو من بضايعهم وكان باب الرمايه مسدوداً وكان عطاوه زايداً عن
الحد وانعم على يلبغا اليحياوي في يوم واحد بساير موجود نايب الشام
وانعم على اربعة امرا في ليلة واحدة بثمانين الف دينار لكل واحد عشرين
وكانت رواتبه كل يوم من اللحم في كل يوم قريب اربعماية قنطار وبالغ
في العماير وشرا المماليك وما راى احد مثل سعادة ملكه ومسالمة الاعدا
في هذه المدة الطويلة في سلطنته الاخيرة وخطب باسمه في البلاد
البعيدة في بلاد المغرب من تونس وطرابلس وفي بلاد اليمن وبلاد
الروم وبلاد الفرات وانشا عماير كثيرة عمر القصر الابلق بالقلعة
والحوش والدور والايوان والسواقي وجامع القلعة والجامع الجديد
على شاطي مصر والمدرسة الناصرية بين القصرين وخانقاه سرياقوس
وقناطر شبين وقناطر ام دينار وقصور سرياقوس ومناظر
الميدان الكبير والميدان تحت القلعة وميدان المهار وفي القلعة
عمل منتزهات وجدد قلعة جعبر وغير ذلك من العماير واجرى
الما الى مكة المشرفة والى القدس الشريف واما عماير مماليكه بالقاهرة
فكثير ايضا حتى ان في ايامه عمر الخواص نحو عشرين جامعا ومدرسة حتى ان
دادته حدق الكهرمانة المعروفة بست حدق عمرت جامعها المعروف بها

بسكه

وفتوحاته كثير

وفتوحاته كثير وقد اخذ ملطية وفتح دارندة واياس وطرسوس وعدة
من قلاع البلاد الشمالية وبالغ في شرا الخيول والمماليك حتى اشترى من المماليك
بمايه الف فضة ونحوها واولاده خمسة عشر ذكرا تولى السلطنة بعده
منهم ثمانية على الولا وهم المنصور ابو بكر والاشرف كجك والناصر احمد
والصالح اسمعيل والكامل شعبان والمظفر حاجي والصالح صالح والناصر
حسن والسبعة الباقية لم يملكوا شيا وكان اخرهم الامير حسين ابو شعبان
وخلف سبع بنات اخرهم خوند تتار الحجازية صاحبة المدرسة الحجازية
ونوابه بمصر كتبغا وسلار وبيبرس الدوادار وبكتمر الجوكندار وارغون
الدوادار ثم بعد من طقزدمر الحموي ودواداريته ايدمر وارغون
ورسلان والحاجي ويوسف بن اسعد وبغا وطاجار وكتاب سره
شرف الدين ابن فضل الله وعلا الدين بن الاثير والشهاب محمود الحلبي
وابنه شرف الدين ومحي الدين ابن فضل الله وابنه شهاب الدين واخوه
علا الدين ابن فضل الله ونظار جيشه بها الدين ابن الحلي صاحب الغيط
والقاضي الفخر مرتين وقطب الدين ابن شيخ السلامية وشمس الدين ابن
التاج اسحق والمكين ابن قروينة وجمال الكفاة ووزراوه خمسة عشر
اولهم سنجر الشجاعي المشهور واخرهم النشو ثم النجم محمود وزير بغداد المشهور

السلطان الثالث عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو ابنه السلطان الملك المنصور ابو بكر بن الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون
لما مات ابوه كما ذكرنا تسلطن هو عوضه في العشرين من ذي الحجة من هذه السنة
وعمره اكثر من عشرين سنة واستمر بدولة ابيه على حالهم وخرجت السنة على ذلك
ودام في هذه السلطنة نحو شهرين ثم خلع وولي اخوه كما سنذكره قريبا في محله
ويقال ان الملك الناصر محمد اباه عهد لابي بكر هذا بالسلطنة وانه اوصى الى
مماليكه الكبار مثل قوصون وبشتاك والطنبغا المارداني واقبغا وغيرهم
بان يولوا ابنه ابا بكر فان احسن السيرة والا يقيمون غيره من اولاده
واعتذر بولايته الاقاليم والبلاد ولقد احسن من قال في هذا المعنى

يقولوا لمن خاف من مصر وقد امنت ۞ ماذا تالمه منها وخيفته ۞
ان كان قد غاب عن مصر محمدها ۞ قد قام فيها ابو بكر خليفته ۞

ثم جرى اختلاف بينهم وتمسكت جملة امرا وتواترت الاخبار بفساده
وشربه للخمور حتى قيل انه جامع زوجات ابيه ثبت الله علينا ايماننا
وكان نايب السلطنة طقزدمر الحموي صاحب القنطرة المعروفة به
واستقر الاميران بشتاك وقوصون المشهوران مشيري الدولة ومدبريها
وهما صاحبا الجامعين العظيمين بالقاهرة المعروفين بهما قتلا قريبا في السنة تليها

وفي سنة اثنتين واربعين وسبعمايه كانت مبادي الشر والاختلاف
فطلب الامير بشتك ان يكون نايبا بالشام فاجيب اليه وهيا امره
وتجهز للسفر ودخل على السلطان ليودعه فوثب عليه الامير قطلوبغا
الفخري واخذ سيفه ومسكه وحبس باسكندريه وختموا على حواصله
ثم قتل وكان اول من مسك من الامرا الناصريه وكان ممن يشار اليه بالاصابع
وكل ذلك بدسيسة الامير قوصون لخوفه منه لما في طمعه من السلطنه فاصبح
ذا عمال الدنيا قد صفت له فارسل يقول للامير اخور ايدغمش ان السلطان
يريد ان يمسكك فاذا نزل الى الاصطبل فلا تتحدث معه فلما نزل السلطان
الى الاصطبل طلب الامير اخور فلم يخرج له ولم يكلمه فغضب السلطان
وطلع الى القصر وكان قد توعد الامرا بالمسك والاهانه حتى بقي
يشتمهم ويخرق بهم ووعد خواص جماعته ان من يمسكه من الامرا يكون
امرته لمن يختارونه منهم فصاروا يقفون بين يديه فاي من اراد يمسكه
اشار اليهم فيمسكونه فمسك الامير بشتك كما ذكرنا ومسك الامير اقبغا
من عبد الواحد ايضا وهو صاحب المدرسه الاقبغاويه المطله على الجامع
الازهر واخذ ماله وكان له مال واسع ومسك الامير الحاج الملك المشهور
فخلصه بعض الامرا من ايديهم ولما ال الامر الى هذا توحشت خواطرهم
فقعد الامير قوصون فجمع الامرا وقال هذا السلطان يريد ان يقتلكم
اجمعين ويمشي ماليكه ومع هذا هو يفسق وينزل كل ليله في نصف الليل
على حمار فاره هو وجماعه من خواصه الى بيت احد المباشرين له
ويجتمعون على اللهو والمغاني ويتفقون هناك على من يمسكونه فقال
ايش ترون الراي رايك فاتفقوا على قتاله فلبسوا وخرجوا الى قبة
النصر وارسل قوصون طلب اخي صكبه الذي يتركون مع السلطان
في اللهو كما ذكرنا ليعاتبهم فمسكهم وحبسهم وكانوا جماعه من اصحاب الوظايف
ولما جرى ذلك خلعوا السلطان الملك المنصور ابا بكر عن السلطنه
فمسكوه ورسموا عليه ثم اخرجوه الى الصعيد محتفظا عليه ومعه
ايضا سته من اخوته فانزلوهم في المكان الذي نزل به الخليفه وهو
المستكفي بالله سليمان حين اخرجه الملك الناصر محمد وغضب عليه
كما قدمنا ذكره ثم ارسلوا وراه من قتله بمدينه قوص والبها وارسل
راسه الى القاهره وكانت مده سلطنته شهرين وكان انجل اخوتهم واجتمع
ولم يكن عليه اضر من حاشيته الذين علموه مسك الامرا اكابر الدوله
لياخذون امرياتهم وعلموه طريق الفسق والفجور فلهذا ذهبت ايامهم كلهم
وكان خلعه في العشرين من صفر منها

السلطان الرابع عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو اخوه السلطان الملك الاشرف علاء الدين كجك بن السلطان الملك
الناصر محمد بن قلاون وذلك لما جرى ما ذكرناه فنظر الامير قوصون المذكور الى
الدوله فراهم طامعين لاين يجمعهم وتشاوروا في من يسلطنوه فاشار هو عليهم
بتوليه كجك هذا فاتفقوا على توليته وكان عمره عشر سنين فسلطنوه ولقبوه
بالملك الاشرف علاء الدين وذلك في الثاني والعشرين من صفر من السنه المذكوره
ثم قالوا هذا السلطان صغير لا يفهم الخطاب ولا يعقل الجواب فاختاروا ان
يكون الامير قوصون المذكور نايبا عنه فاستقر مجددا في المملكه ولكن الى الآن
سيف الخلف مشهور وقد قال فيه الشيخ زين الدين ابن الوردي الحلبي الشافعي بيتين

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في ۞ خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من مسته مظلمة ۞ ان يبلغ السول والسلطان ما بلغا

ثم ان قوصون نفق في العسكر نفقه البيعه على العاده وكبرت عليه نفسه
وزاد طغيانه فبقي يضع المراسيم ويسندها عن السلطان وخنق بعض المباشرين
فلما بلغ نايب حلب طشتمر حمص اخضر ما وقع بمصر من خلع السلطان المنصور
ابي بكر وقتله كما ذكرناه وتوليه اخيه هذا على صغر سنه واستقلال قوصون بالامر
شق عليه ذلك وارسل يعتب على الامير قطلوبغا الفخري لمطاوعته ويقول له
لعب بعقلك قوصون فلما سمع قوصون ذلك ارسل الى نايب الشام وهو
الطنبغا الحاجب الصالحي وكان معه قاتلا ومقتولا بان يجمع العساكر الشاميه
ويروح الى حلب ليمسك نايبها المذكور لمجاهرته فجمع نايب الشام عساكرها
واستصحب معه ايضا عساكر طرابلس ونايبها الامير الحاج ارقطاي القفجقي
فلما قاربوا حلب هرب نايبها المذكور وقصد بلاد الروم فدخل نايب الشام
الطنبغا المذكور بالعساكر الى حلب فركب عسكر حلب خلف نايبها المذكور
ووصلوا الى عينتاب وجرد نايب الشام المذكور الامير طينال الاشرفي
وقد اعيد الى نيابه طرابلس عوضا عن ارقطاي المذكور خلف نايب حلب
ففاتهم فوصل حمص اخضر الى الروم وكان دليله الامير قراجا بن دلغادر
التركماني كبير البيت المشهور ووصلوا الى الملك ارطنا صاحب الروم
فاجتمع به نايب حلب واكرمه وكان في الكرك احمد بن السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاون خلاه فيها ابوه في حياته كما قدمنا ذكره وكان نايب حلب
طشتمر المذكور يريد ان يقيمه سلطانا لان هواه كان معه فلما جرى ما ذكرنا
ارسل قوصون الى الكرك الامير طرغاي الجاشنكير ومعه خمسمايه مقاتل
محاصرها مده فارسل اليه احمد الناصر وامن ان يطلع عنده وحده فطلع

اليه فقبض عليه احمد ووضعه في المنجنيق واستقره فقص عليه كل شي فعله
قوصون وكل شي يريده فاطلقه وخلع عليه فرجع الى القاهره وهو خايف
فلما وصل وحكى ما جرى عليه قال قطلوبغا الفخري ما يروح في هذا الشغل
غيري فركب من ساعته من حاشيته وصحبته الامير قماري الكبير الناصري
فوصلوا الى الكرك وحاصروها احمد فيها ثم انهم رقت قلوبهم على احمد
وقالوا هذا ابن استاذنا وقوصون واحد منا ونحن نخيره على ابن استاذنا
ثم قال الفخري لقماري انت تخدم من رسم بمسكك قال من هو قال قوصون فناوله
كتابا عليه علامة قوصون بمسك قماري فقال له قماري وكذلك جاني
كتاب عليه علامة قوصون بمسكك فرجعوا عن طاعته وعملوا مناديلا في
رقابهم وطلعوا عند احمد بن الناصر وهم يقولون الامان ففتح لهم الباب
فوقفوا بين يديه وحلفوا له ثم ارسلهم نجدة لنايب حلب طشتمر
الذي هرب كما ذكرنا فتوجهوا الى دمشق واخذوا الاموال واستخدموا
الرجال فاستخدم قطلوبغا الفخري خمسة الاف فارس وقوي امره واما
الطنبغا نايب الشام فانه كان مقيما في حلب كما ذكرنا فسمع بدخولهم دمشق
فانزعج لذلك ورجع بعساكره الى دمشق وكان معه خمسة عشر الف
فارس وقصده ان يفرق جمع قطلوبغا الفخري مساعدةً لقوصون
ونصرةً للملك الاشرف ولاسيما لما سمع ان الفخري اقام احمد سلطانا ولقبه بالناصر
فوصلوا الى دمشق وبرز الفخري لقتاله فالتقوا بالقرب من خان لاجين
في نصف رجب فقال الفخري يا امرا كيف نقاتل مسلمين في هذا شهر رجب
ثم نادى الفخري من كان من مماليك المنصور او الناصر ياتي الى هنا ومن كان من مماليك
قوصون يقف مكانه ونصب سنجقا سلطانيا فبادرت الامرا
حول السنجق فبقي نايب الشام الطنبغا ومعه اتخاج ارقطاي نايب
طرابلس وخمسة نفر لا غير فهم بعض الامرا بقتلهم فقال الفخري اطلقوا
سبيلهم فرجعوا خايبين وقصدوا ديار مصر بعد ان نهب كل شي معهم
وعاد الفخري بمن معه الى دمشق فلما سمع طشتمر حمص اخضر نايب حلب
الذي هرب الى الروم ذلك عاد ووصل الى دمشق واتفق مع الفخري على
اقامة احمد سلطانا وخرجوا من دمشق وهم في بلاد حوران جاهم الخبر
بان احمد المذكور سار من الكرك على البرية قاصدًا الديار المصرية
وكان قصدهم ان يروحوا الى مصر في خدمته وسنذكر تتمة حكايتهم معهم
ولنذكر الآن ما جرى في مصر قبل ان يدخل السلطان احمد من خبر قوصون
ثم ان قوصون لما سمع ما جرى لالطنبغا نايب الشام مع الفخري خاف على

العسكر الذي

العسكر الذي عنده ان يروحوا طايعين الى الفخري فجرد جماعة من العسكر
الى غزة لمنع الرايح والغادي ثم انه امر للمماليك الزمرد به يعني
ان يبيتوا عنده بالنوبة فامتنعوا وقالوا نحن خواص الملك فان كنت
ملكا فالسمع والطاعه فغضب وامر بمسكهم فخرج ابو شامة راس النوبة
وشال العصايب وامر بدق الكوسات فلبس جميع العسكر ووقفوا
تحت القلعه وهذا كان من عكس قوصون ومن اسباب زوال دولته
فتوهمت العامة ان قوصون قتل فاحرقوا باب داره التي تجاه باب
القلعه ونهبوا ما فيه فعند ذلك امر قوصون بالركوب على العامة
فركبوا وهم حاشيته ومماليكه فمسكوا منهم جماعة وقتلوا خلقا كثيرا وغرقوا
جماعه ومسكوا الامير الذي اثار الفتنة ووسطوه وعلقوه على باب زويلة
وغرقوا ثلثمايه مملوك وارسل قوصون الى والي قوص بقتل الملك المنصور
ابي بكر واتوا براسه كما ذكرنا فبغض العوام قوصون وبغضهم هو ايضا
ثم وقع ايضا بين قوصون وبين ايدغمش امير اخور كبير بسبب فرسين
من خاص السلطان طلبهما قوصون ومنعهما ايدغمش ثم اراد قوصون ان
يكثر حزبه وجيشه فامر في يوم واحد قريبا اربعين اميرا ثم انه لما
سمع بمجي الامرا الهاربين وهم الطنبغا الصالحي نايب الشام واتخاج ارقطاي
نايب طرابلس وغيرهما اراد ان يمسك الامرا الذين خالفوه مثل ايدغمش
ويلبغا اليحياوي فنوى مكيدة فقال اريد ان اعمل ضيافة في اصطبل السلطان
لاجل الامرا الذين يقدمون فاجابوه نعم واستمهلوه الى تاخيرها بيوم وامر
الطنبغا الماردبني صاحب الجامع بالقاهره ان يخرج الى ملتقاهم فارسل
الامرا الى الماردبني يقولون هذا عدونا وعدوك فرد عن ذلك فلم يمنع ورجع
ثم ان الامرا لما تاخروا عن ضيافة قوصون الى بعد يوم قالوا هذا قوصون ما
يريد الا ان يمسكنا فقوموا نهرب فمضى ايدغمش امير اخور هجنًا عند دار
الضيافه فلما امسى امر بتعويق الكوسات وسمر خوخة باب القصر
ونزل هو واتباعه واولاده بعد المغرب ووقفوا حربيا فلما وصل الى باب
القلعة اشار ان يدقوا الكوسات فلما سمعها قوصون سال عن ذلك
فقالوا امر الامير بذلك فلما سمعت الامرا بدق الكوسات اتوا من كل مكان
الى القلعه ثم ان قوصون نظر من الشباك الى مماليكه وكانوا قريب الفين
مملوكا وكانت بينهم اشارة انه اذا خاف على نفسه يشير لهم بشمعة
موقودة من الشباك بحيث انهم اذا راوها يلبسوا الات الحرب ويركبون
فاشار اليهم وكان بعض الامرا قد علم هذه الاشارة فاشار الى مماليك القلعة

لن يقدوا في الشبابيك الشمع فالتبس الامر على مماليك قوصون ثم اخرجوا
واستمر الامر الى اخر الليل فحاصل ما جرى علم قوصون انه محاصر فلم يزل
بن مي هو ومن معه على العسكر الى اخر الليل فلم يفد ذلك فحاصروه في بيته
واغلقوا عليه بابه ثم ارسلوا اليه وطلبوا سيفه فارسله ثم اتوا بقوصون
الى ايدغمش فقيده وحبسه في جب وذلك في سلخ رجب بعد ان جرت امور
ونهبت العامة داره حتى السقوف والرخام وكذلك خانقاته بباب القرافة
واستطالت العامة حتى نهبوا بيت قاضي الحنفيه وهو من اهل بغداد
من جهة قوصون وسلم من القتل وقتل في ذلك اليوم خلق كثير من اجل النهب
وجرت خطوب يطول شرحها وفي اليوم الذي مسك فيه قوصون وصلت
الامرا الهاربون من الشام كما ذكرنا وهم الطنبغا الصالحي نايب دمشق ومعه
الحاج ارقطاي نايب طرابلس وغيرهم فمسكهم ايدغمش امير اخور وقيدهم
وحبسهم باسكندريه وغيرها ومسك في ذلك اليوم نحو ثلاثين اميرا واطلق
ملكتمر الحجازي من حبس سكندريه ثم ارسل الامرا الى سكندريه بقتل قوصون
في هذه السنه وكان كبيرا في عسكر مصر ومشارا اليه وقتل امرا اخرين

السلطان الخامس عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك الناصر احمد ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون
قد ذكرنا ان السلطان احمد لما جرى ما جرى بين الفخري والطنبغا نايب الشام
توجه احمد من الكرك الى الديار المصريه على البريه ولن قوصون جرى عليه بمصر
مع ايدغمش ما ذكرناه امر ايدغمش امير اخور ان يخطب باسم الناصر احمد
وذلك في ثاني شعبان وحلف له الامرا ولقبوه بلقب ابيه الملك الناصر
وصارت العساكر يلازمون باب ايدغمش الى ان وصل السلطان الى مصر
في رمضان وجلس على سرير السلطنه وبايعه الخليفه والامرا وخلعوا
اخاه الملك الاشرف كجك وارسل الى الكرك ثم خنقوه وهو ابن عشر سنين كما ذكرنا
ولما جرى ذلك وصلت الامرا المتقدم ذكرهم وهم نايب حلب طشتمر حمص
اخضر وقطلوبغا الفخري وخلع عليهم وكان يوما عظيما لاجتماع العساكر
من الشام وجميع البلاد والمجردين والاكراد الذين تواضع نايب حلب
ولكن لما استعجل السلطان بالسير من الكرك قبل ان يصل اليه هولا الامرا
ويدخلوا في ركابه صعب عليهم ذلك لكونهم تعبوا وقاسوا امورا لاجله
ولم ينتظر قدومهم عليه ودخل القاهره وحده فاضمروا الخلف عليه وهم في الطريق
وكان السلطان قد ارسل يعتذر لهم عن سرعة سفره لاجل حمل الكلفة عنهم
ولما استقر له الامر احضر السلطان ثلاثه من الامرا وهم طشتمر حمص اخضر الفخري
والفخري وايدغمش وخيرهم في الوظايف فتمنى ايدغمش نيابة حلب وتمنى الفخري

بنيابه الشام

نيابه الشام فقال السلطان لطشتمر انت نايب عني بمصر فاستقر الامر على ذلك وسافروا
فلم يمكث طشتمر الحمص اخضر المذكور في نيابه السلطنه بمصر غير شهر ومسكه السلطان وارسل
ايضا من مسك نايب الشام قطلوبغا الفخري وهو في الطريق فشحنوه فلم يقدروا عليه
فهرب في ستين من مماليكه من منزلة الزعقه وكان سببه انه في وقت مجي صرفه للكرك كما ذكرنا
استطال في الشتيمة والسب فاثر ذلك عند الناصر احمد فاستمر في هربه ولم يقدر نايب
غزه على منعه فساق حتى وصل حلب واجتمع بنايبها ايدغمش وعرفه بالامر
ان السلطان مسك الامرا ولم يبق الا انا وانت وقصد بذلك تخويفه ليهرب معه
فقال نايب حلب ايدغمش للامرا قوله هذا صحيح فقالوا لا فمسكه وارسل
اخبر السلطان به فرسم انهم يلاقوه به في الكرك لان السلطان قصد العود
الى الكرك ثم ان السلطان خبط وتحجب عن الناس ونسب اليه اشيا قبيحه لا تليق
بالملوك فانقلب العسكر عليه حتى كان سبب خلعه ثم ان السلطان جهز اموالا
وقماشا وابقارا واغناما وخيلا واكثر الحريم والسراري الى الكرك وذكر للامرا
انه يعود الى الكرك مقدار شهر واستناب في غيبته وخرج السلطان احمد من مصر
في مستهل جمادى العقدة في طايفة من العسكر قاصدا الكرك ومعه اموال جزيلة وحواصل
واشيا كثيره فوصل الكرك في يوم عرفه فقتل الاميرين المذكورين وهما طشتمر
الحمص اخضر وقطلوبغا الفخري وكانا اخوين كما تقدم ذكره ثم ان السلطان
اقام في الكرك مدة تزيد على ما شرطه فتغيرت احوال المملكه بغيبته فارسل
الامرا اليه ليعود فبقي يمنيهم من يوم الى يوم فاختلفت المواعيد وندم
اكثر الامرا على سلطنته وتحيروا فيمن يسلطنوه وامتنعوا من الخدمه فخرجت
السنه والامر كذلك وكان نايب صفد وهو بيبرس الاحمدي قد وليها قريبا
فهرب من القبض عليه عندما حصل هذا التخبيط فدخل دمشق ولبس بها نايب
فجا مرسوم السلطان الناصر احمد من الكرك بمسكه فركب جيش الشام عليه ليقبضه
فقال انا ما اطيع واسمع الا لمن هو ملك الديار المصريه واما من هو بالكرك فلا
اطيعه فعند هذا توقفوا في حاله وفي سنه ثلاث واربعين وسبعماية
دخلت والسلطان الملك الناصر احمد مقيم بالكرك كما ذكرنا فاستبطاه الامرا
ففي خامس المحرم كتب اليه الامرا من مصر بان يحضر الى مملكته فجاوبهم السلطان
باني قاعد في موضع اشتهي واي وقت اردت حضرت وما كان طاب لي
المقام بمصر وانا قد تعودت بالاقامة بالكرك من مدة حياة ابي فاختاروا
لكم سلطانا غيري فلما سمع الامرا بذلك الجواب اختلفوا بينهم وخاف نايب
الغيبة على نفسه فركب في بيته واجتمع الامرا وارسلوا الى نواب البلاد
بانهم يولوا غيره من اخوته فاجابوا بالطاعة فسلطنوا اخاه اسمعيل كما نذكره
وخلع الناصر احمد عن السلطنه وكانت مدة سلطنته قريب نصف سنه وحاصروه بالكرك مده
سنتين الى ان غلبوه وقتلوه في اوايل سنه خمس واربعين وسبعمايه كما سنذكره مفصلا في محله

السلطان السادس عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون قد ذكرنا ان اخاه الناصر احمد قد توطن في الكرك ولم يجب الامرا في العود الى مصر فاتفقوا على سلطنة اخيه اسمعيل المذكور ولقبوه بالملك الصالح وبايعه الخليفة والحكام وذلك في الحادي والعشرين من المحرم من هذه السنة وخلعوا اخاه الناصر احمد عن السلطنة وكانت مدة سلطنته قريب نصف سنة ثم حوصر بالكرك سنتين الى ان قتل كما سنذكره ولما استقر الامر للسلطان الصالح اسمعيل اطلق المحابيس من الامرا والمماليك من جميع الحبوس بمصر واسكندرية وغيرهما واحسن الى اخوته وامرائه واحسن السيرة فيهم وكان خير اخوته فلذلك استمر ثلاث سنين حتى مات ونقل نواب البلاد على العادة وكان السلطان قد غضب على الاميرين وهما الطنبغا المارديني صاحب الجامع المعروف وارينغا امير جندار الناصري فارينغا خرج نايب طرابلس والمارديني نقل الى نيابة حلب عوضه ومات بها ورسم السلطان لمماليك بيبغا في مصر بخرجا على الغور على البريد في شهر صفر ثم ان السلطان الملك الصالح لما تمكن ملكه امر بتجريدة الى الكرك يحاصرون اخاه فيها الناصر احمد باتفاق الامرا على ذلك حتى تنقطع مادة الفساد من البلاد وينقطع النزاع عن الملك فجرد ثلاثة امرا من مصر ومن عسكر الشام وغيرهم ومن اسباب ذلك ما كان قد فعله الناصر احمد من اخذه معه لخزاين بيت المال كما ذكرنا فوصلت اليه العساكر في ربيع الاخر فتحصن بالكرك واستخدم المقاتلة بالاموال التي عنده ونصب المجانيق ووقعت بينهم وقعة عظيمة حتى قتل فيها ممن في الكرك قريب الخمسماية ومن الغربا قريب المايه وحصل بسبب ذلك غلا كبير حتى وصل الخبز الرطل بدرهمين فضة **ثم** في شوال ارسل السلطان تجريدة اخرى الى الكرك وفيهم الامير بيبرس الاحمدي نايب طرابلس وغيره وعدة الجميع مقدار الفين فارس وخرج من الشام ايضا جيش كبير واقاموا على الحصار العظيم بالمناجنيق والنفط وغير ذلك ووقع الغلا بها الى ان بلغ الخبز بها الاوقية بدرهم ووقع في هذه المدة ايضا الغلا بدمشق حتى اكل الناس الشعير وبلغت الغرارة القمح بدمشق الى ماتين درهم فضة واستمر الحصار والتجريد الى ان خرجت هذه السنة وهم محيدون في الكرك **وفيها** ولد بدمشق مولود له راسان واربعة ايدي في حارة طاهر باب الفراديس يقال لها حكر الوزير **وفيها** ركب رمضان اخو السلطان هذا على الخيل في رجب ومعه مماليكه لابسون عدة الحرب فنزلوا من باب القلعة الى جهة قبة النصر واستصحب في طريقه بعض الامرا معه فسمعهم العوام فخرج اليهم خلق كثير فبلغ ذلك الخبر السلطان الصالح وكان ضعيفا فامر بجمع العسكر

فجا العسكر الى

فجا العسكر الى تحت القلعة ملبسين فخرج منهم جماعة الى قبة النصر وضربوا حلقة على الجمع الذين مع رمضان وقتلوا من العوام وتشتت ذلك الجمع ففر رمضان بنفسه عن فرسه وركب هجينا وهرب طالبا صوب اخيه الناصر احمد بالكرك فادركوه فلحقوه ومسكوه وجاوا به الى اخيه السلطان فحبسه واعدمه في وقته فكان اخر العهد به وكان مماليكه هم الذين لعبوا به حتى هلكوا جميعا وقتل بعض الامرا ولما عوفي السلطان من مرضه كما ذكرنا ركب وتصيد بجهة الصعيد وبالعباسة **وفيها** مات الامير بيبرس الحاجب بعد ان اسن وضعف وداره بالقاهرة داخل باب الزهومة مشهورة وغيطه المنسوب اليه تحت قنطرة الحاجب مات بدمشق **و**مات الامير طينال الحاجب الاشرفي كان نايب طرابلس وبني بها جامعه المعروف به

وفي سنة اربع واربعين وسبعمائة مسك السلطان نايبه بمصر وجماعة امرا وتولى الامير اقسنقر الناصري نيابة طرابلس عوضا عن طرغاي الناصري بحكم وفاته بها **و**ارسل الامير بيبرس الاحمدي يطلب نجدة لحصار الكرك فجردت اليه تجريدات متتابعة في هذه السنة كل تجريدة فيها ثلاثة امرا والفين فارس عدة مرات ثم في الاخر اخذت الكرك ولم يزل السلطان يرسل تجريدة بعد اخرى وقتل فيها جماعة من عسكر الشام ولم يزل الحصار على الكرك الى ان اخذت في رمضان والحصر الناصر احمد ومن معه في القلعة ثم هجموا القلعة واخذوها في اخر صفر من السنة الاتية كما سنذكره في موضعه **وفيها** كانت الفلوس قد توقفت بالديار المصرية وما كانت الا الفلوس العتق فرسم بضرب فلوس جدد باسم الصالح اسمعيل وان تباع العتق بالميزان كل رطل بدرهمين **وفيها** لما ولي الحاج ال ملك نيابة مصر في هذه السنة اخرب خزانة البنود بالقاهرة عند رحبة الايدمري وكانت خزانة السلاح في دولة الفاطميين ثم سكنها طايفة من الارمن الاسرى وجعلوا بها خمارة بعدما احترقت وجعلت حبسا ثم اخربها ال ملك وحكرت وبنيت فيها بيوت وتعرف الى الان بخزانة البنود **وفيها** وقعت زلزلة عظيمة مزعجة اخربت اماكن كثيرة فدخلت الشام ومصر وكانت بالشام اكثر وحصل بعدها زلازل وبها وحصل عند اهل بلاد حلب جزع عظيم فخرجوا الى ظاهر البلد واقاموا في خيام شهرا ونصفا واخربت شيا كبيرا من قلعة حلب والبلاد الشمالية من عينتاب والبيرة وقلعة الروم ومنبج وهلك خلق كثير تحت الردم وكانت في الساعة الرابعة من السادس عشر من شعبان وفيها يقول الاديب بدر الدين حسن بن حبيب

يا فرقة فرقوا عن حلب ناوا ○ وتباعدوا المارا وزلزالها ○

ما زلزلت شهبا ونا وتحركت ○ الا لتخرج عامدا اثقالها ○

وفيها مات الامير اقبغا من عبد الواحد الاستادار صاحب المدرسة الاقبغاوية المطلة على الجامع الازهر

وفي سنة خمس واربعين وسبعمائة ارسل الامرا المحاصرون للكرك
يطلبون نجدة فارسل لهم السلطان خمسة الاف فارس باربعة مقدمين
ولم تزل العساكر تتبدل في حصارها قريب عشر تجريدات في مدة سنتين
الى ان فتحت الكرك اولا ثم حاصروا قلعتها وضايقوا الناصر احمد فيها الى ان هجموا
القلعة واخذوها في اواخر صفر منها ومسكوا الناصر احمد واقيم بالكرك
نايب ثم لما ان طشتمر حمص اخضر ادعى على الناصر احمد بقتل ابيه طشتمر
فرسم السلطان بقتله فقتل فقطعت راسه بالكرك وقيل بغزة وحملت
الى السلطان اخيه فراها وكان الذي حمل راسه الى القاهرة الامير منجك
اليوسفي المعروف وكانت مدة سلطنته قريب نصف سنة وعمره نيفا
وعشرين سنة وكان مليحا سخيا عارفا ذكيا شجاعا حسن الشكل وكانت امه جارية
مغنية تسمى بياض من جوار بعض الامرا وكانت تضرب بالعود ولها اجتماعات
بالناس فبلغ السلطان الناصر محمد بن قلاوون خبرها وكان مغرما بالملاهي فاحضرها
واستفرشها عنده فحملت منه باحمد المذكور فلما بلغ سن التمييز بعثه ابوه
بخزانة مال ورجال ليقيم بالكرك فنشا بها الى ان جرى عليه ما ذكرنا مفصلا
وفيها صادر السلطان جميع مباشري الدولة ناظر الجيش والخاص والوزير
والاستادار فاستخلص منهم تحت الضرب والعقوبة جملة اموال نحو الف
الف دينار فمنهم من هلك ومنهم من سلم واستبدل السلطان بهم كتابا اخرين
وفيها وقع بدمشق ثلج عظيم لم يعهد مثله فقال فيه زين الدين ابن الوردي الحلبي

در كافور ثلجه الجو في الا ۝ رض فاضحى مزاجها كافورا ۝
وتلاه وبله حتى عمام ۝ فحسبناه لولوا منثورا ۝

وفيها زاد نهر العاصي بحماه وخرب كثيرا من دورها وهجم على شيزر فاخربها
وقد قال فيه بعض الفضلا واظنه زين الدين ابن الوردي الحلبي ايضا

لما طغى الما على شيزر وا ۝ ستاصل الداني مع القاصي ۝
قال لسان الحال مهلا لقد ۝ زدت كثيرا ايها العاصي ۝

وفيها ورد على طرابلس سيل عظيم قلع كثيرا من الاشجار واخرب دار
القاضي تاج الدين ابن البارنباري المصري كاتب سرها وناظر جيشها
وقتل له ولدين رجلين كانهما غصنان نضران فقال فيه الصلاح الصفدي

وارحمتاه له فان مصابه ۝ بابن يبرحه فكيف ابنان ۝
ما انصفته الحادثات ورمينه ۝ بمودعين وماله قلبان ۝

وفيها مات الامير علم الدين سنجر الجاولي صاحب المدرسة الجاولية بالكبش بالقاهرة
والجامع بغزة كان من اكبر الامرا وكان من علما الشافعية وشرح مسند الشافعي ورتب
كتاب الام للشافعي وصنف مناقبه وعمره في اوايل عشر المائة وكان نايبا بحماه وغيرها

وفي سنة ست واربعين وسبعمائة

وفي سنة ست واربعين وسبعمائة مات السلطان الملك الصالح اسمعيل
بن الناصر محمد بن قلاوون في رابع ربيع الاخر وله من العمر نحو العشرين سنة وكانت
مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة اشهر وكان اجود اخوته ملكا جميلا حسن
المنظر شريف النفس عفيفا صالحا كلقبه جوادا كريما محسنا الى الرعية
مثابرا الى ازالة المظالم ولم يكن في اولاد الناصر مثله ورتب دروسا
للقضاة الاربع بمدرسة جده الملك المنصور قلاوون بين القصرين وزاد
في اوقافه ولم يمت سالما من القتل ثم ان الملك من اخوته غير بل السبعة قتلوا

السلطان السابع عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك الكامل شهاب الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون
لما مات اخوه الملك الصالح اسمعيل في التاريخ المذكور اجتمعت الامرا واتابك
العساكر على ان يكون السلطان بعده اخاه شقيقه شعبان وكانا شقيقين
من مستولدة فاتفقوا على ذلك وقبل كان اخوه عهد له بعده فعقدوا له
بالسلطنة في رابع ربيع الاخر ولقبوه بالملك الكامل وفيه يقول ابن نباتة

جبين سلطاننا المرجى ۝ مبارك الطالع البديع ۝
يا بهجة الدهر اذ تبدى ۝ هلال شعبان في ربيع ۝

ثم في خامس يوم جلس الملك الكامل شعبان بدار العدل وجا العسكر طايعين له
وقبلوا يده ودعوا ببقايه وفرحوا به ظانين فيه سيرة اخيه الصالح اسمعيل
وفي نصف ربيع الاخر اخرج الامير قماري الكبير الناصري الى نيابة طرابلس
عوضا عن اقسنقر الناصري فباشر نيابتها الى اخر هذه السنة ثم قبض عليه
وعلى ولده فقيدا واحضرا الى عند السلطان وقبض على نايب صفد ايضا
وحبسوا باسكندرية وغيرت نواب البلاد جميعها ومات الامير الملك
الجوكندار الناصري صاحب المدرسة عند المشهد والجامع بالحسينية ومات
الامير طقزدمر الحموي الناصري الذي تنسب له القنطرة بدرب البيدي
والامير جنكلي بن البابا الذي ينسب له الحمام بقناطر السباع ودرب البابا
وفي سنة سبع واربعين وسبعمائة كان السلطان الملك الكامل
شعبان قد اسا السيرة فيقال انه كان يشرب الخمر ويقول لا بد لي ان امسك
فلانا وفلانا فبغضه الامرا الكبار مثل ملكتمر الحجازي واقسنقر وغيرهما
فاتفقوا على خلعه فجهزوا الى نايب الشام يلبغا اليحياوي صاحب الجامع بها
وامروه بان يظهر العصيان فاجابهم الى ذلك وخرج من دمشق واظهر الخلاف
ووصل الخبر بذلك الى السلطان فطلب الامرا وحلفهم على الطاعة وارسل الامير
منجك اليوسفي الى الشام لكشف الاخبار فمسكه نايب الشام فجرد السلطان

عشرة من المقدمين بمضافيهم وخرجوا الى بلبيس ثم ان السلطان امر لزمام
الدار الطواشي عنبر السحرتي صاحب الجامع بالمقس بان لا يفتح باب
الدور التي فيها اخوة السلطان الا بعد طلوع النهار خشية من اخوته ان لا
يهربوا ثم طلبت اخوته ليحضروا عنده فامتنعوا وتعللوا بانهم ضعفا
فكرر طلبهم فغضب السلطان وقال ارسل لهم مماليك يمسكونهم فقال بعضهم
للسلطان لا تتعب نفسك فارسل لهم فلانا فانه يحضرهم فارسله اليهم
فاحضرهم فصرخت امهاتهم وخدمهم فلما دخلوا على السلطان قبلوا الارض
وقالوا يا خوند نحن ضعفا لا تواخذنا فقال ما امتنعتم عن الحضور الا وانتم
تتامرون علي ثم تخلف اخوه امير حاج على خشمه كانت معه انه ما امتنع الا
لضعفه فلم يصدقه السلطان فصرخت امه وكشفت راسها وكذلك
فعلت ام اخيه حسين فدفعهما السلطان واغتاظ عليهما وادخل اخوته
وامهما الى الدهيشه ورسم عليهم الطواشية جميعهم فاحتفظوا عليهم تلك
الليلة من جوانب الدهيشه ثم سد عليهم الشبابيك والطاقات بالحجارة
ثم قصد السلطان مسك الامير ملكتمر الحجازي فبلغه ذلك وهو طالع الى القلعه
فنزل ولبس السلاح هو وبعض الامرا وخرجوا الى قبة النصر فاتفقت الامرا
وارسلوا ابردوا لتلك الامرا المجردين الى الشام كما ذكرنا فاجتمع جميع الامرا
ولبسوا السلاح واتفقوا على مقاتلة السلطان فعند ذلك امر السلطان بفتح
الزردخاناه فلم يجدوا المفاتيح ثم ركب وخرج ووقف تحت الطبلخاناه
وليس معه احد ثم انضم اليه اربعة امرا وبعض مماليك وتقدم السلطان
بهم الى بين العروستين وحمل عليهم فما لبثوا غير ساعة فتكاثر العسكر
وقويوا عليه وضربوا عليه حلقة ووقع القتال فحمل العسكر عليه وجرحوا
حرمته فكسروا واسحقه فانكسر السلطان وتفرقت مماليكه عنه فهرب
في اربعة مماليك طالبا القلعة من باب السر فلم يفتح له غير صغار المماليك
وكان معه صندوق صغير فيه فصوص فكسر الصندوق وافرغ
الفصوص في منديله وطلع الى بيت الحريم على انه يقتل اخوته المذكورين
فلم يفتح له الطواشية الباب فرجع الى بيت امه فاعطاها تلك الفصوص
واختفى عندها ثم ان بعض المماليك طلعوا الى القلعه راكبين سابقين
الى ان وصلوا الى باب الستارة فسالوا من الطواشية عن اخيه حاجي
فقالوا في الدهيشه فحملوا حملة واحدة ودخلوا الدهيشه ووقفوا
بين يدي حاجي وبشروه بالنصر ثم حضر اليه بعض الامرا وقبل الارض له
وقال انت سلطاننا فخرج هو واخوه حسين الى الموجبه فقعد بباب الدار

وخرج بعض الامرا

وخرج بعض الامرا في طلب السلطان الكامل شعبان فلم يجدوه فمسكوا الجوار ليقروا
عليه فخافت الجوار وعرفته بان السلطان مختفي في بيت الازيار فوجدوه
واقفا بين الازيار وقد ابتل ثيابه بالما والوسخ فمسكوه بثيابهم وحبسوه
بالدهيشه موضع كان قد حبس هو اخوته كما ذكرناه ثم في ثاني يوم خلعه
ارسل اخوه الذي سنذكر سلطنته بعده اليه مماليكا ليقتلوه فدخلوا على
الكامل شعبان في الدهيشه فتسلموه من الامرا المرسمين عليه وخنقوه
فمات ودفن في تلك الليله ليلة الرابع من جمادى الاخر في تربه بالقرافه وله
من العمر نحو العشرين سنة وكانت مدة سلطنته سنة وشهرين وكان
ملكا ذكيا شديد الحزم والعزم مولعا بجمع المال ثم قتل من كان وافقه

السلطان الثامن عشر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد قلاون ولما جرى ما
ذكرنا من الوقعة اتفقت الامرا وخلعوا شعبان وولوا اخاه حاجي
المذكور وذلك في الثاني من جمادى الاخر من هذه السنه ولقبوه بالملك المظفر
وكان هذا بعد ان حضر الخليفه وسالوا امه ان يوليه فقال حتى يخلع
شعبان نفسه او يموت فدخلوا عليه وخنقوه كما ذكرنا وقيل
سلموه لاسير بن من الفرنج فخنقاه وحملاه في مزبلة ودفنوه ثم عقدت
السلطنه للمظفر حاجي وحلفت له الامرا وحمل المماليك اخاه حسين
على اكتافهم وجلس المظفر على سرير الملك وفي ثاني يوم مسك جميع طواشية
اخيه الكامل وطلب منهم المال فاحضر له خبية وضرب وعصر وعزل
وولي على العاده وفيها مات الامير اصلم السلحدار الناصري صاحب الجامع
عند باب المحروق بظاهر القاهره وفي سنة ثمان واربعين وسبعمائه
في عشر المحرم خرج الامير منكلي بغا الفخري الى نيابة طرابلس عوضا عن
ثم ان السلطان خبط ومسك من الامرا ملكتمر الحجازي واقسنقر الناصري
وكانا من الاكابر واليهم الحل والعقد ومسك معهم ثمانية امرا وقتل الجميع
في يوم ثم طلب السلطان نايب الشام يلبغا اليحياوي ليحضر فعصى
وهرب قاصدا بلاد الشرق فشحته عكر الشام فلم يقدروا عليه وكسرهم
وطلب صوب البريه فلم يدر بنفسه الا وهو بحماه فانزله نايب حماه
دار السلطنه واحتفظ على مماليكه في القلعه وفرق من كان معه واخذ
سيفه وبعثه الى السلطان فطلبه السلطان فارسله نايب حماه محتفظا
عليه فلما وصلوا به الى منزله فاقون بعث السلطان فقتله وجي براسه
وكذلك قتل نايب حلب بيدمر البدري بغزه هو وجماعة امرا فنفروا منه
وانشامي يوم خمسة عشر اميرا ثم ان السلطان طغى وبغى وغوى لعب الحمام

السلطان

واقسنقر هذا هو صاحب الحمام ... ظاهر القاهرة وهو مدفون بها

فانكر عليه الامرا فلم يوثر فيه وكان في تلك الايام وصل اليه اموال نايب الشام
الذي قتله فانفق السلطان جميعها في كلفة الحمام وغلمانها ولم يدخل الى الخزانه
منها شي فحصل للمماليك من ذلك غيظ شديد وما بقي يبيت في القصر
عند الامرا فصار يبيت كل ليله داخل الدور وعند حضاياه وطول
النهار عند الحمام وكان للسلطان مملوك خصيص به جرا البني الجبغا
فشكى له الامرا هذا الحال الذي هو عليه فكلم السلطان ليرجعه وقال
له يا خوند خامرت عليك الامرا والمماليك من اجل الحمام فامر السلطان
في يومه بذبح الحمام وتخريب الحظير ثم قال لذلك المملوك ها انا قد
ذبحت الحمام وبعد اذبحكم كما ذبحت الحمام فاغتاظ هذا المملوك
من ذلك وقيل ان المملوك هو الذي ذبح الحمام فشق ذلك على السلطان لانه كان
كل حمامه تساوي عشره دنانير فما دونها فتوعد السلطان المملوك
وقال له لا بد لي اقطع رقبتك كما فعلت بحمامي فقال له لو لم اذبح الحمام
لكنا قتلنا انت ونحن فقال من يقتلنا فقال الامرا كما فعلوا باخوتك
فقال لا بد لي اقتل كبيرهم وصغيرهم مثل ما قتلت الحجازي وافسنقر
فعرف هذا المملوك الامرا بذلك من اوله الى اخره فتحوفوا منه فعند
ذلك اتفقت الامرا على قتل السلطان ففي ثاني يوم ركبت عليه الامرا
وخرجوا الى قبة النصر فبعث السلطان الاميرين شيخون ومنجك
الى الامرا يستخبرهم عن مقصودهم فاجابوه بانهم يريدون ان ينزل
عن الملك فقال السلطان ما انزل وما عندي الا السيف فاستعدوا
للقتال وتسلل الامرا الذين مع السلطان عنه واحدا بعد واحد ايضا
وكان السلطان قد البس مقدار اربعمايه فارس من جنس الجركس وغيرهم
واوقفهم في مكان وتوجه هو الى قبة النصر ليتحقق حقيقة الحال
فلما قرب منهم وقربوا منه جاه بيبغا روس فحمل عليه السلطان حتى
استظهر عليه اولا واراد قتله فانعكس الحال فطعن احد مماليك
بيبغا روس فرس السلطان فوقع على ركبته وانكب السلطان على
رقبته فمسكوه وكتفوه واتوا به الى تربة هناك فحضر بقية الامرا
الذين كانوا بقبة النصر واجتمعوا على خنقه فخنق في تربة هناك
ودفن فيه ثم نقل الى تربة امه بالروضة خارج باب المحروق فكانت
مدة سلطنته سنة وثلاثة اشهر وكان مقتله في ثاني عشر رمضان منها
وعمره نحو العشرين سنة وكان ملكا شجاعا جسورا على سفك الدما كما ذكرنا
واختلفت فيمن يسلطنوه وارادوا سلطنة واحد منهم ومكثوا ثلاثة ايام
بلا سلطان وهم مختلفون فيمن يولونه ثم اتفقوا على تولية اخيه كما سنذكر

الامراء

السلطان التاسع عشر بمصر

١٤٨

السلطان التاسع عشر بمصر من ملوك دولة الترك

هو السلطان الملك الناصر حسام الدين حسن بن الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون
ولما جرى ما ذكرناه من قتل المظفر حاجي اشتور الامرا فيمن يسلطنوه فاخر الامر اتفقوا
على سلطنة اخيه حسن فولوه ولقبوه بلقب ابيه وكان عمره اذ ذاك كما دخل
في اربعة عشر سنه وامه قد ماتت ايضا وكان جلوسه في المملكة في نصف رمضان
من هذه السنه وكان يوما مشهودا على العادة وهو السابع من اخوته الذين
تولوا السلطنه كما ذكرناه ورسموا على اخيه حسين واخذوا امما لك واستقر
في نيابته الامير بيبغا روس واستقر في المشوره الامير شيخون العمري
واستقر في الوزاره والاستادارية جميعا الامير منجك اليوسفي المشهور
وفيها جدد السلطان قاضيين اخرين مالكيا وحنبليا بمدينة حلب
ولم يكن قبل ذلك بها غير قاضيين شافعي وحنفي فتكملت الان عدة القضاة بها
بالمذاهب الاربعة على قاعدة مصر والشام ثم كذلك فعلوا بطرابلس وغيرها
ثم ان السلطان اعرض الجواد والطواشية التي في الدور فطرد منهم جماعة بظلم
وفيها كانت وقعة عظيمه بين عرب الشام من ال فضل المعروفين بسبب
عزل امير عليهم وتولية اخر وفي سنه تسع واربعين وسبعمايه
رسم السلطان بعمل جسر في البحر عند المقياس يرد البحر الى جهة مصر والقاهرة
ففرزوا على كل بيت درهما وعلى الاصطبلات والمخازن والدكاكين وكان
المباشر في ذلك الامير منجك وهو وزير واستادار فجبي من الناس مرتين
جملة مستكثره وطلب من الولاة والعمال ببلاد الصعيد ان يوخذ من كل
نخله درهم فجمع من ذلك اموالا عظيمه وهي سبب سعادته فغضب عليه السلطان
والامرا فمسكوه وفي ثاني عشر ربيع الاخر اخرج الجبغا المظفري الى نيابة طرابلس
وكان كيفية عمل هذا الجسر في البحر انهم غرقوا مراكب كثيره مملوءه حجارة
وحفروا خليجا في وسط البحر من عند المقياس الى فم الخور وعملوا جسرا
من الروضه الى راس الجزيره فانه كان ينشف البحر بين الروضه ومصر
وفيها في مستهل جمادي الاخر كان وقوع الفنا الكبير الطاعون العظيم
المشهور بين الناس بهذا الاسم وكان عاما في جميع البلاد الاسلاميه وعمره
شاملا للادميين والبهايم والوحوش وهو الذي افنى العباد واخرب
البلاد وهو اخو المسمى باسم الجارف وفي هذا الفنا فني ثلثي الناس تقريبا
ودام قريب السنه فانه استمر الى اوايل سنه خمسين وسبعمايه يطوف
بالبلاد المصريه والشاميه وغيرها فكان يموت في القاهره في كل يوم اكثر
من عشرين الف ميت واحصي ما يخرج من الجنايز من ابواب القاهره في مدة
شهرين فبلغ عدتهم قريب الف الف ميت وقس على ذلك من ساير البلاد

وكان موتهم من بزاق الدم فكان الادمي يمشي او يتحدث او ياكل ويبزق دما
فيموت لوقته ولم يسمع بمثل هذا الطاعون فان الطواعين المسمية في الاسلام
خمسة وهذا سادسها ولم يكن فيها اعظم من هذا الطاعون لكونه عم جميع
البلاد المسلمين والكافرين شرقا وغربا وخصوصا ببلاد الفرنج حتى
اخلى اكثر البلاد وعدمت جميع البضايع حتى بلغت راوية الماء في الديار
المصرية الى اكثر من عشر دراهم فضة وعدم الغسالون والحمالون والحفارون
فبقوا يحفرون الحفاير ويرمون فيها الموتى عدة ميات وكان يموت
جميع اهل بيت في يوم واحد فيصيروا كلهم موتى ليس عندهم من يعرف حالهم
وبقيت الدور خالية من اهلها وفيها انواع الاموال من الذهب والفضة
والاثاث مرمية لا ياخذها احد لكون كل احد مشغولا عنهم بنفسه
وصنف في هذا الطاعون جماعة من العلما مقامات وعدم فيه الفضلا
ومما يشبه هذا الطاعون وقع فيما ورا النهر فخرج في كل يوم عشرين الفا
وعدم فيه الف الف وسبعماية الف ووقع مرة بسمرقند فمات في كل يوم
من صالحي المومنين خمسة الاف وستة الاف ومات في شهر واحد ثلثماية الف
ووقع مرة في زمن الملك العادل ابي بكر بن ايوب فكفن فيه ثلثماية الف
ميت من الغربا بالقاهرة وعقبه الغلا فالتزم بموونة ستة الاف انسان
وفرق بقية الضعفا على الامرا ووقع طاعون في زماننا سنة ثلاث وثلثين وثمانماية

وفي سنة الخمسين وسبعماية وقعت حادثة غريبة وهي ان نايب طرابلس
الجيبغا المظفري جا الى دمشق في الليل في اواخر ربيع الاول ومعه جماعة من الامراء
واحاطوا بنايب دمشق الامير ارغون شاه السعيدي وهو نايم مع حريمه
فخرج اليهم فقبضوا عليه وقيدوه واكثر الناس لم يشعروا بذلك فاجتمع امرا
دمشق بنايب طرابلس المذكور وسالوه عن ذلك فاخرج لهم كتاب السلطان بذلك
ثم في ثاني ليلة وجد نايب الشام المذكور مذبوحا فاثبت انه ذبح نفسه
ثم وقع الاختلاف بين عسكر دمشق وبين نايب طرابلس هذا فانهم شكوا في
الكتاب الذي اوقفهم عليه فادى ذلك الى ان وقع بينهم قتال فجرح جماعة
من عسكر دمشق ومن اكابر امرايها وانقطعت يد واحد من مشايخهم ثم انفصل
الحال وانصرف نايب طرابلس واخذ اموال نايب الشام الذي قتل وحواصله
وحبوله ولم يتبعه احد وذهب معه حاجب الشام وكان قبل نايبها وكان
مباطنه في هذه القضية وكتب امرا دمشق عرفوا السلطان بما جرى فورد
لهم الجواب بانه ليس عند السلطان علم بهذه القضية بالكلية وان الكتاب
الذي اظهره نايب طرابلس المذكور زور مفتعل وامر السلطان امرا دمشق
ويضم اليهم نايب صفد ان يخرجوا ورا نايب طرابلس ويمسكوه فخرج اربعة الاف

مقاتل فتبعوه

السابع ... تاريخ ملوك مصر

مقاتل فتبعوه وقبضوا عليه وعلى الحاجب الذي واطاه وجاوا بهم الى الشام
فسجنوهم بقلعتها ثم اخرجوهم الى تحت القلعة ووسطوهم قدام العسكر
وعلقوهم على خشبة اياما ثم دفنوهم وناب عوضه بطرابلس مسعود بن خطير
وفيها كان اختلاف ونزاع في بلاد المغرب بين ملوك تونس وتلمسان

وفي سنة احدى وخمسين وسبعماية كان المتحدثون في المملكة من
الامرا بيبغا روس ومنجك وشيخون وصرغتمش وطاز وامير علي الماردبني
والسلطان الملك الناصر حسن صغير محجور عليه وفيها جهز السلطان عسكرا
من الشام وحلب وغيرهما ومقدمهم نايب حماة الى مدينة سنجار بسبب
ان بلغهم ان صاحبها حمى بعض المفسدين الذين يقطعون الطريق من
التركمان والعرب وعاثوا في نواحي بلاد الرحبة وتلك البلاد فلما وصل عسكر
السلطان الى الناحية المذكورة هرب هولا وتحصنوا بقلعة سنجار
فجد العسكر في حصارهم ونازلوهم الى ان فني ما عندهم فطلبوا الامان
ورجعوا عما كانوا فيه من الفساد فامنوهم وانزلوهم فرجع العسكر من تلك
البلاد سالمين بعد غيبة ثلاثة اشهر **وفيها** قبض السلطان الناصر حسن على الامير
شيخون الاتابك وقيده وحبسه بالاسكندرية وكان سبب مسكه ان امير اخور كبير
مغلطاي يوري قال للسلطان لا يصفو لك الملك حتى تخرج من الوسط ثلاثة امرا
بيبغا روس وشيخون ومنجك وامثالهم ومسك ايضا الامير منجك وكان وزيرا
وبيبغا روس كان في الحجاز وعصى ايضا ثانيا بصفد فجرد اليه عسكر فامسكوه بها
وفيها كان حج الامير بيبغا روس نايب السلطنة بمصر فارسل السلطان صحبته
بدسيسة جماعة من الامرا منهم الامير طاز الامير المشهور بالفروسية ارسله
لاجل مسك بيبغا روس هناك وكان الاتفاق ان بيبغا روس اذا امسكه طاز
هناك يمسك السلطان من القاهرة شيخون ومنجك كما تقدم ولما وصلوا الى مدينة
ينبع ركب طاز على بيبغا روس فمسكه وقيده وتوجه به الى مكة وهو في القيد
والاحتراس وحجوا ومكنه من اداء مناسك حجه فلما رجعوا حبسه بالكرك
واتفق في هذه السنة ان صاحب اليمن الملك المجاهد قد حج فوقع بينه وبين
الامير طاز بجبل عرفات بحيث ادى ذلك الى الحرب والقتال فانتصر
طاز على صاحب اليمن فقبض عليه وقيده واحضره معه الى الديار المصرية ونهب
الركب اليمني وحصل لغالب الحجاج ضرر كبير وكان امير مكة قد انتصر لصاحب
اليمن وقام معه في ذلك فمسكه الاخر الامير طاز ايضا وجاء بهم الى السلطان حسن
فحبس صاحب اليمن في قلعة القاهرة واقام في الحبس سنة ثم افرج عنه على مال
مبلغه مايتين الف دينار واعيد الى مملكته فسافر من الصعيد من بحر القصير
وفيها اول ما رشد السلطان الناصر حسن وغير الامرا كما ذكرنا وجدد غيرهم فلذلك خلعوه

ومسك معه امير المدينة النبوية لفضل

في سنه اثنين وخمسين وسبعمايه